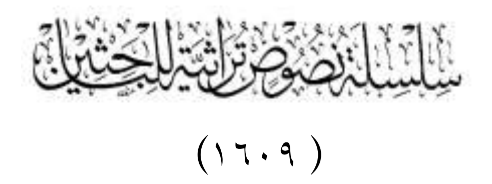


(١٦٠٩)

حياة القلوب

أسباب وتزكية

من مصنفات أهل العلم

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٦هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

"ص -١٠٠- والظلم ثلاثة أنواع، والظلم كله من أمراض القلوب، والعدل صحتها وصلاحها . قال أحمد بن حنبل لبعض الناس : لو صححت لم تخف أحدا، أي خوفك من المخلوق هو من مرض فيك، كمرض الشرك والذنوب .

وأصل صلاح القلب هو حياته واستنارته، قال تعالى : {أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها } [الأنعام : ١٢٢] .

لذلك ذكر الله **حياة القلوب**، ونورها، وموتها، وظلمتها في غير موضع كقوله : {لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين } [يس : ٧٠] ، وقوله تعالى : {ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم } ، ثم قال : {واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون } [الأنفال : ٢٤] ، وقال تعالى : {يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي } [الروم : ١٩] ، ومن أنواعه أنه يخرج المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن . وفي الحديث الصحيح : "مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه، مثل الحي والميت " ، وفي الصحيح أيضا : "اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبورا " .

وقد قال تعالى : {والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات } [الأنعام : ٣٩] ، وذكر سبحانه آية النور وآية الظلمة، فقال :." (١)

"ص -١٠٣- فضرب لهم مثلا كالذي أوقد النار كلما أضاءت أطفأها الله، والمثل المائي كالمثل النازل من السماء، وفيه ظلمات ورعد وبرق يرى . ولبسط الكلام في هذه الأمثال موضع آخر .

وإنما المقصود هنا ذكر **حياة القلوب** وإنارتها، وفي الدعاء المأثور : "اجعل القرآن ربيع قلوبنا، ونور صدورنا " ، والربيع : هو المطر الذي ينزل من السماء فينبت به النبات، قال النبي صلى الله عليه وسلم : "إن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم " . والفصل الذي ينزل فيه أول المطر تسميه العرب الربيع، لنزول المطر الذي ينبت الربيع فيه، وغيرهم يسمى الربيع الفصل الذي يلي الشتاء، فإن فيه تخرج الأزهار التي تخلق منها الثمار، وتنبت الأوراق على الأشجار .

والقلب الحي المنور؛ فإنه لما فيه من النور يسمع ويبصر ويعقل، والقلب الميت فإنه لا يسمع ولا يبصر . قال تعالى : {ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١١/١٥٦

} [البقرة : ١٧١] ، وقال تعالى : {ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون . ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون } [يونس : ٤٢، ٤٣] ، وقال تعالى : {ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين } الآيات [الأنعام : ٢٥] .." (١)

"ص -١٠٤- فأخبر أنهم لا يفقهون بقلوبهم ولا يسمعون بآذانهم ولا يؤمنون بما رأوه من النار، كما أخبر عنهم حيث قالوا : {قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب } [فصلت : ٥] . فذكروا الموانع على القلوب والسمع والأبصار، وأبدانهم حية تسمع الأصوات وترى الأشخاص؛ لكن حياة البدن بدون **حياة القلب** من جنس حياة البهائم، لها سمع وبصر وهي تأكل وتشرب وتنكح، ولهذا قال تعالى : {ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء } .
فشبههم بالغنم الذي ينعق بها الراعي وهي لا تسمع إلا نداء، كما قال في الآية الأخرى : {أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا } [الفرقان : ٤٤] ، وقال تعالى : {ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل } [الأعراف : ١٧٩] .." (٢)

"ص -١٠٩- المستقبل بل يزول عن القلب، وإن حصل فقد لا يحصل العمل، فالناس كلهم مضطرون إلى هذا الدعاء؛ ولهذا فرضه الله عليهم في كل صلاة، فليسوا إلى شيء من الدعاء أحوج منهم إليه، وإذا حصل الهدى إلى الصراط المستقيم حصل النصر والرزق وسائر ما تطلب النفوس من السعادة، والله أعلم .
واعلم أن **حياة القلب** وحياة غيره ليست مجرد الحس والحركة الإرادية، أو مجرد العلم والقدرة كما يظن ذلك طائفة من النظار في علم الله وقدرته، كأبي الحسين البصري، قالوا : إن حياته أنه بحيث يعلم ويقدر، بل الحياة صفة قائمة بالموصوف، وهي شرط في العلم والإرادة والقدرة على الأفعال الاختيارية، وهي أيضا مستلزمة لذلك، فكل حي له شعور وإرادة وعمل اختياري بقدرة، وكل ما له علم وإرادة وعمل اختياري فهو حي .

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٥/١٥٦

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٦/١٥٦

والحياء مشتق من الحياة، فإن القلب الحي يكون صاحبه حيا فيه حياء يمنعه عن القبائح، فإن **حياة القلب** هي المانعة من القبائح التي تفسد القلب؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : "الحياء من الإيمان " ، وقال : "الحياء والعي شعبتان من الإيمان . والبذاء والبيان شعبتان من النفاق " .

فإن الحي يدفع ما يؤذيه، بخلاف الميت الذي لا حياة فيه فإنه يسمى وقحا، والوقاحة الصلابة وهو اليبس المخالف لرطوبة الحياة، فإذا كان وقحا يابسا صليب الوجه لم يكن في قلبه حياة توجب حياءه، وامتناعه من القبح كالأرض." (١)

"ص -٩٤- تعالى : {أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها } [الأنعام : ١٢٢] ،فهذا وصف المؤمن كان ميتا في ظلمة الجهل فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمان، وجعل له نورا يمشي به في الناس . وأما الكافر فميت القلب في الظلمات . وسمي الله تعالى رسالته روحا، والروح إذا عدم فقد فقدت الحياة، قال الله تعالى : {وكذلك أوحينا إلىك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا } [الشوري : ٥٢] ، فذكر هنا الأصلين، وهما : الروح، والنور . فالروح الحياة، والنور النور .

وكذلك يضرب الله الأمثال للوحي الذي أنزله حياة للقلوب ونورا لها بالماء الذي ينزله من السماء حياة للأرض، وبالنار التي يحصل بها النور، وهذا كما في قوله تعالى : {أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال } [الرعد : ١٧] .

فشبه العلم بالماء المنزل من السماء؛ لأن به **حياة القلوب**، كما أن." (٢)

"الله لا إله إلا هو الحي القيوم } قال ابن القيم وقال لي شيخنا يوما لهذين الاسمين وهما الحي القيوم تأثير عظيم في **حياة القلب** وكان يشير إلى أنهما الاسم الأعظم(١).

سورة آل عمران

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢١/١٥٦

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣/٢٤٦

وقوله: { ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون } [٣/١٤٣] لأن الإنسان يشاهد بنفسه هذه الأمور.

وقد قيل: إن الموت نفسه يشاهد ويرى ظاهرا.

وقيل: المرئي أسبابه(٢).

سورة النساء

فصل

قال الله تعالى في سورة النساء بعد الآية التي أمر فيها بقواعد الشريعة: { واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا } [٤/٣٦]، { إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا * الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله } [٣٦، ٤/٣٧]، وقال في سورة الحديد: { ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها } إلى قوله: { والله لا يحب كل مختال فخور * الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل } [٢٢، ٢٣، ٥٧/٢٤].

---

(١) مختصر الفتاوى ص ١٧٦ وللفهارس العامة ج ٢٧١/١.

(٢) المدارج ج ٤٨٢/١.." (١)

"قال ابن القيم رحمه الله: وقد اختلفوا في مفسر المضمر من قوله تعالى: { ولكن جعلناه نورا } فقيل: هو الإيمان لكونه أقرب المذكورين. وقيل: هو الكتاب فإنه النور الذي هدى الله به عباده.

قال شيخنا: والصواب أنه عائد على الروح المذكور في قوله تعالى: { وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا } الآية، فسمي وحيه روحا لما يحصل به من **حياة القلوب** والأرواح التي هي الحياة في الحقيقة، ومن عدمها فهو ميت لا حي(١).

سورة النجم

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/١٤٨

وجرت عادة القوم أن يذكروا في هذا المقام(٢) قوله تعالى عن نبيه

- صلى الله عليه وسلم - حين أراه ما أراه { ما زاغ البصر وما طغى } [٥٣/١٧] وأبو القاسم القشيري صدر «باب الآداب» بهذه الآية، وكذلك غيره.

وكأنهم نظروا إلى قول من قال من أهل التفسير: إن هذا وصف لأدبه - صلى الله عليه وسلم - في ذلك المقام إذ لم يلتفت جانبا ولا تجاوز ما رآه، وهذا كمال الأدب والإخلال به أن يلتفت الناظر عن يمينه وعن شماله أو يتطلع أمام المنظور. فالالتفات زيغ، والتطلع إلى ما أمام المنظور طغيان ومجاوزة، فكمال إقبال الناظر على المنظور ألا ينصرف بصره عنه يمنة ولا يسرة ولا يتجاوزه هذا معنى ما حصلته عن شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه(٣).

سورة التغابن

وقوله تعالى: { إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم } [٦٤/١٤] (من) للتبعيض بالاتفاق(٤).

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية ص٣٨، ٣٩ وللفهارس العامة جـ٣٢٧/١.

(٢) مقام الأدب مع الله. انظر ص٣٧٦ من المدارج جـ٢/ فصل: والآداب ثلاثة أنواع.

(٣) مدارج جـ٣٨٢/٢ وللفهارس العامة جـ٣٣٣/١.

(٤) مختصر الفتاوى المصرية ص١٤٧ وللفهارس العامة جـ٣٣٩/١.." (١)

"القرن الرابع عشر تقديرا. وناسخ الأصل من آل قدامة المعروفين بالعلم والفضل من الحنابلة، له ترجمة قصيرة في "الدرر الكامنة" (٣٤٥/٣) و"إنباء الغمر" (١٢٧/١) ، وفي الثاني أنه توفي سنة ٧٧٦.

وفي رأس الصفحة الأولى من النسخة: "فائدة في اسم القيوم سبحانه وتعالى لا إله إلا هو، تأليف شيخ الإسلام أبي العباس أحمد ابن تيمية رضي الله عنه. وهي من خطه الجديد الدمشقي". وهذا يفيد أن الرسالة

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/١٧١

من مؤلفات الفترة الأخيرة من حياته التي استقر فيها بدمشق وتفرغ للتأليف والكتابة.
وقد قدم ناسخ الأصل للرسالة بنقول من كتاب "مدارج السالكين" لابن القيم، منها قوله نقلا عن شيخ الإسلام: "من واظب على أربعين مرة كل يوم بين سنة الفجر وصلاة الفجر: يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث، حصلت له **حياة القلب**، ولم يمت قلبه".
ثم قال الناسخ: "سمعت الشيخ الإمام العالم فريد عصره ووحيد دهره لسان العرب وحجة الأدب وترجمان القرآن وشيخ الإسلام الشيخ شرف الدين أحمد بن الحسن بن عبد الله بن شيخ الإسلام أبي عمر محمد - فسح الله في مدته ومتعنا به - يقول: لو اجتمع القاضي أبو يعلى وابن عقيل في شهبر لم يعملوا مثلها، وعملها الشيخ رضي الله عنه على البديه". وشرف الدين أحمد هذا مترجم في "ذيل طبقات الحنابلة" (٤٥٣/٢) و"الدرر الكامنة" (١٢٠/١) . وهو من تلاميذ شيخ الإسلام، قرأ عليه مصنفات في علوم شتى، وأجازه الشيخ بالإفتاء. وكانت وفاته في رجب سنة ٧٧١.
ولشيخ الإسلام رسالة أخرى في هذا الموضوع نشرت بعنوان." (١)

"ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه". وقال ابن مسعود لأصحابه (١) : "كونوا ينابيع العلم مصابيح الحكمة أحلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب أخلاق الثياب، تعرفون في السماء وتخفون على أهل الأرض".
وقد شبه **حياة القلوب** بعد موتها بحياة الأرض بعد موتها، وذلك بما ينزله عليها، فيسقيها وتحيا به، وشبه ما أنزله على القلوب بالماء الذي ينزله على الأرض، وجعل القلوب كالأودية: واديا كبيرا يسع ماء كثيرا، وواديا صغيرا يسع ماء قليلا، كما قال: (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها) (٢) . وبين أنه يحتمل السيل زبدا رابيا، وأن هذا مثل ضربه الله للحق والباطل، (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال (١٧)) (٣) . فالأرض تشرب ما ينفع وتحفظه، كذلك القلوب تشرب ما ينفع وتحفظه، كما ضرب النبي - صلى الله عليه وسلم - مثله ومثل ما بعثه الله به من الهدى والعلم كغيث أصاب أرضا، فبعض الأرض قبلت الماء فشربته، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وبعض الأرض حفظته لمن يسقي ويزرع، وبعض الأرض قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ. ثم قال: "فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به من الهدى والعلم، ومثل من لم يرفع بذلك

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ١٣/١

= أبي شيبة في "المصنف" (٢٣١/١٣) وأبو نعيم في "الحلية" (١٨٩/٥) عن مكحول مرسلا. وأخرجه أبو نعيم بسند آخر عن مكحول عن أبي أيوب الأنصاري مرفوعا، ولا يصح. انظر كلام الألباني عليه في "الضعيفة" (٣٨) .

(١) أخرجه الدارمي (٢٦٢) وابن عبد البر في "جامع بيان العلم" (٥٠٧/١) . وإسناده ضعيف. وروي نحوه عن علي بن أبي طالب، أخرجه أبو نعيم في "الحلية" (٧٧/١) .

(٢) سورة الرعد: ١٧.

(٣) من الآية المذكورة.." [1]

"حقيقة الحياة هي **حياة القلب**، ولهذا (١) جعل الله سبحانه الكافر ميتا غير حي، كما قال تعالى: {أموات غير أحياء} [النحل: ٢١]، فالحياة في الحقيقة **حياة القلب**، وعمر الإنسان مدة حياته، فليس عمره إلا أوقات حياته بالله، فتلك ساعات عمره. فالبر والتقوى والطاعة تزيد في هذه الأوقات التي هي حقيقة عمره، ولا عمر له سواها.

وبالجملة، فالعبد إذا أعرض عن الله، واشتغل بالمعاصي، ضاعت عليه أيام حياته الحقيقية التي يجد غب إضاعتها يوم يقول: {يقول يا ليتني قدمت لحياتي (٢٤)} [الفجر: ٢٤]. فلا يخلو إما أن يكون له (٢) مع ذلك تطلع إلى مصالحه الدنيوية والأخروية، أو لا. فإن لم يكن له تطلع إلى ذلك (٣)، فقد ضاع عليه عمره كله، وذهبت حياته باطلا. وإن كان له تطلع إلى ذلك (٤) طالت عليه الطريق بسبب العوائق، وتعسرت عليه أسباب الخير، بحسب اشتغاله بأضدادها، وذلك نقصان حقيقي من عمره.

وسر المسألة أن عمر الإنسان مدة حياته، ولا حياة له إلا بإقباله على ربه (٥)، والتنعم بحبه وذكره، وإيثار مرضاته.

(١) ز: "**حياة القلوب** ولقد".

(٢) "له" ساقط من ل.

[1] جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ١٢٦/١

(٣) ف: "مع ذلك إلى ذلك".

(٤) "فقد ضاع ... إلى ذلك" ساقط من س.

(٥) س: "بالإقبال ... ". ف: "بإقباله عليه"، وصححه بعضهم في الحاشية.." [١]

"يذل من عصاه (١).

وقال عبد الله بن المبارك (٢):

رأيت الذنوب تميت القلوب ... وقد يورث الذل إدمانها

وترك الذنوب **حياة القلوب** .... وخير لنفسك عصيانها

وهل أفسد الدين إلا الملوك ... وأحبار سوء ورهبانها (٣)

فصل

ومنها: أن المعاصي تفسد العقل. فإن للعقل نورا، والمعصية تطفئ نور العقل، ولابد؛ وإذا طفئ نوره ضعف ونقص.

وقال بعض السلف: ما عصى الله أحد حتى يغيب عقله (٤).

وهذا ظاهر، فإنه لو حضره عقله (٥) لحجزه عن المعصية، وهو في قبضة الرب تعالى وتحت قهره، وهو (٦) مطلع عليه، وفي داره وعلى بساطه، وملائكته شهود عليه ناظرون إليه، وواعظ القرآن ينهاه، وواعظ

---

(١) نقله المصنف في إغاثة اللهفان (١٥٦، ٩٢١)، وروضة المحبين (٢٠١). ونقله أبو نعيم في الحلية (٢/ ١٧٧) بلفظ قريب منه. وانظر العقد (٢/ ٢٠٣).

(٢) ف: "وقال ابن المبارك".

(٣) بهجة المجالس (٣/ ٣٣٤). وانظر زاد المعاد (٤/ ٢٠٣) والمدارج (٣/ ٢٦٤).

(٤) أخرجه ابن حبان في الثقات (٧/ ٦٥٨) بسنده عن أبي العالية قال: "ما عصى الله عبد إلا من جهالة". وجاء هذا المعنى عن مجاهد وغيره. وقال المناوي في فيض القدير (١/ ٨٦): "ولهذا قال حكيم ... " فذكره.

---

[١] الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/١٣٨

(٥) ل: "حضر عقله".

(٦) ز: "وتحت قدرته هو".." [1]

"ويا عجبا لو صحت العقول لعلمت أن طريق (١) تحصيل اللذة والفرحة والسرور وطيب العيش إنما هو في رضي من النعيم كله في رضاه، والألم والعذاب كله في سخطه وغضبه. ففي رضاه قرة العيون، وسرور النفوس **وحياة القلوب**، ولذة الأرواح، وطيب الحياة، ولذة العيش، وأطيب النعيم، مما لو وزن منه مثقال ذرة بنعيم الدنيا لم يف به، بل إذا حصل للقلب من ذلك أيسر نصيب لم يرض بالدنيا وما فيها عوضا منه. ومع هذا (٢) فهو يتنعم بنصيبه من الدنيا أعظم من تنعم المترفين فيها، ولا يشوب تنعمه بذلك الحظ اليسير ما يشوب تنعم المترفين من الهموم والغموم والأحزان والمعارضات، بل قد حصل على النعيمين، وهو ينتظر نعيمين آخرين أعظم منهما. وما يحصل له في خلال ذلك (٣) من الآلام، فالأمر كما قال الله سبحانه: {إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما (١٠٤)} [النساء: ١٠٤].

فلا إله إلا الله، ما أنقص عقل من باع الدر بالبعر، والمسك بالرجيع، ومرافقة الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بمرافقة الذين غضب الله عليهم، ولعنهم، وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا!

فصل

ومن أعظم عقوباتها: [٣٩/ ب] أنها توجب القطيعة بين العبد وبين ربه تبارك وتعالى، وإذا وقعت القطيعة انقطعت عنه أسباب الخير،

---

(١) "طريق" ساقط من ف.

(٢) "ومع هذا" ساقط من ل.

(٣) ف: "في ذلك".." [2]

---

(١) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/١٤٧

(٢) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/١٩٦

"ويقول الآخر:

ولا خير في الدنيا ولا في نعيمها ... وأنت وحيد مفرد غير عاشق (١)

ويقول الآخر:

اسكن إلى سكن تلذ بحبه ... ذهب الزمان وأنت منفرد (٢)

ويقول الآخر:

تشكى المحبون الصبابة ليتني ... تحملت ما يلقون من بينهم وحدي

فكانت لقلبي لذة الحب كلها ... فلم يلقها قبلي محب ولا بعدي (٣)

فكيف بالمحبة التي هي **حياة القلوب** وغذاء الأرواح، وليس للقلب

---

(١) منازل الأحباب (٥١). وانظر: روضة المحبين (٢٨٣)، ومدارج السالكين (٣/ ٣١٢).

(٢) البيت لبشار بن برد من قصيدة في ديوانه (ابن عاشور: ٣/ ٦٢، إحسان عباس: ٢٦٩) مطلعها:

دع ذكر عبدة إنه فند ... وتعز ترقد مثل ما رقدوا

ورواية صدر البيت فيه:

فاسكن إلى سكن تسر به

ويروى: "تلذ به". انظر: ديوانه (العلوي ٦٦، الحاشية). فالأبيات من الضرب الرابع من الكامل. والذي ورد هنا من الضرب الثاني. وفي روضة المحبين (٢٨٤): " ... وأنت خال مفرد" وفي مدارج السالكين (٣/ ٢١٢): "وأنت منفرد به" من الضرب الأول. ولا أدري أذلك كله من تصرف ذاكرة المؤلف أم فيه نصيب للناسخين والناشرين أيضا؟

(٣) سبق البيتان في ص (٤٢٧).." (١)

"فعله والظلم هو المحال لذاته فكأنه قال ماض ونافذ في قضاؤك وهذا هو الأول بعينه وقوله أسألك بكل اسم إلى آخره توسل إليه بأسمائه كلها ما علم العبد منها وما لم يعلم وهذه أحب الوسائل إليه فإنها وسيلة بصفاته وأفعاله التي هي مدلول أسمائه وقوله أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري الربيع المطر

---

(١) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٥٤٥

الذي يحيي الأرض شبه القرآن به **لحياة القلوب** به وكذلك شبهه الله بالمطر وجمع بين الماء الذي تحصل به الحياة والنور الذي تحصل به الإضاءة والإشراق كما جمع بينهما سبحانه في قوله أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية وفي قوله {مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم} ثم قال {أو كصيب من السماء} وفي قوله الله نور السموات والأرض مثل نوره الآيات ثم قال ألم تر أن الله يزجي السحاب ثم يؤلف بينه الآية فتضمن الدعاء أن يحيي قلبه بربيع القرآن وأن ينور به صدره فتجتمع له الحياة والنور قال تعالى {أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها}

ولما كان الصدر أوسع من القلب كان النور الحاصل له يسري منه إلى القلب لأنه قد حصل لما هو أوسع منه ولما كانت حياة البدن والجوارح كلها **بحياة القلب** تسري الحياة منه إلى الصدر ثم إلى الجوارح سأل الحياة له بالربيع الذي هو مادتها ولما كان الحزن والهم والغم يضاد **حياة القلب** واستنارته سأل أن يكون ذهابها بالقرآن فإنها أحرى أن لا تعود وأما إذا ذهبت بغير القرآن من صحة أو دنيا أو جاه أو زوجة أو ولد فإنها تعود بذهاب ذلك والمكروه الوارد على القلب إن كان من أمر ماض أحدث الحزن زان كان من مستقبل أحدث الهم وإن كان من أمر حاضر أحدث الغم والله أعلم." (١)

"{الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون} وإما في الآخرة فإن حظ المجاهدين والشهداء من حياتها ونعيمها أعظم من حظ غيرهم ولهذا قال ابن قتيبة لما يحيكم يعني الشهادة وقال بعض المفسرين لما يحيكم يعني الجنة فإنها دار الحيوان وفيها الحياة الدائمة الطيبة حكاه أبو علي الجرجاني والآية تتناول هذا كله فإن الإيمان والإسلام والقرآن والجهاد يحي القلوب الحياة الطيبة وكمال الحياة في الجنة والرسول داع إلى الإيمان وإلى الجنة فهو داع إلى الحياة في الدنيا والآخرة والإنسان مضطر إلى نوعين من الحياة حياة بدنه التي بها يدرك النافع والضار ويؤثر ما ينفعه على ما يضره ومتى نقصت فيه هذه الحياة ناله من الألم والضعف بحسب ذلك ولذلك كانت حياة المريض والمحزون وصاحب الهم والغم والخوف والفقر والذل دون حياة من هو معافى من ذلك وحياة قلبه وروحه التي بها يميز بين الحق والباطل والغي والرشاد والهوى والضلال فيختار الحق على ضده فتفيده هذه الحياة قوة التميز بين النافع والضار في العلوم والإرادات والأعمال وتفيده قوة الإيمان والإرادة والحب للحق وقوة البغض والكراهة للباطل فشعوره وتمييزه

---

(١) الفوائد لابن القيم ابن القيم ص/٢٦

وحبه ونفرته بحسب نصيبه من هذه الحياة كما أن البدن الحي يكون شعوره وإحساسه بالنافع والمؤلم أتم ويكون ميله إلى النافع ونفرته عن المؤلم أعظم فهذا بحسب حياة البدن وذاك بحساب **حياة القلب** فإذا بطلت حياته بطل تمييزه وإن كان له نوع تمييز لم يكن فيه قوة يؤثر بها النافع على الضار كما أن الإنسان لا حياة له حتى ينفخ فيه الملك الذي هو رسول الله من روحه فيصير حيا بذلك النفخ وان كان قبل ذلك من جملة الأموات فكذلك لا حياة لروحه وقلبه حتى ينفخ فيه الرسول من الروح الذي ألقى إليه قال تعالى {ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده} وقال {يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده} وقال وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا لايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا فأخبر أن وحيه روح ونور فالحياة والاستنارة موقوفة على نفخ الرسول." (١)

"{كان مختالا فخورا} ونظائره وأخبر في موضع آخر أنه يكرهها ويسخطها كقوله {كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها} وقوله {ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله}

إذا عرف هذا ففعل ما يحبه سبحانه مقصود بالذات ولهذا يقدر ما يكرهه ويسخطه لإفضائه إلى ما يحب كما قدر المعاصي والكفر والفسوق لما ترتب على تقديرها مما يحبه من لوازمها من الجهاد واتخاذ الشهداء وحصول التوبة من العبد والتضرع إليه والاستكانة وإظهار عدله وعفوه وانتقامه وعزه وحصول المولاة والمعاداة لأجله وغير ذلك من الآثار التي وجودها بسبب تقديره ما يكره أحب إليه من ارتفاعها بارتفاع أسبابها وهو سبحانه لا يقدر ما يحب لإفضائه إلى حصول ما يكرهه ويسخطه كما يقدر ما يكرهه لإفضائه إلى ما يحبه فعلم أن فعل ما يحبه أحب إليه مما يكرهه يوضحه الوجه الرابع أن فعل المأمور مقصود لذاته وترك المنهي مقصود لتكميل فعل المأمور فهو منهي عنه لأجل كونه يخل بفعل المأمور أو يضعفه وينقصه كما نبه سبحانه على ذلك في النهي عن الخمر والميسر بكونهما يصدان عن ذكر الله وعن الصلاة فالمنهيات قواطع وموانع صادة عن فعل المأمورات أو عن كمالها فالنهي عنها من باب المقصود لغيره والأمر بالواجبات من باب المقصود لنفسه يوضحه الوجه الخامس أن فعل المأمورات من باب حفظ قوة الإيمان وبقائها وترك المنهيات من باب الحمية عما يشوش قوة الإيمان ويخرجها عن الاعتدال وحفظ القوة مقدم على الحمية فإن القوة كلما قويت دفعت المواد الفاسدة وإذا ضعفت غلبت المواد الفاسدة فالحمية مراد لغيرها وهو حفظ القوة وزيادتها وبقاؤها ولهذا كلما قويت قوة الإيمان دفعت المواد الرديئة ومنعت من غلبتها وكثرتها

---

(١) الفوائد لابن القيم ابن القيم ص/٨٩

بحسب القوة وضعفها وإذا ضعفت غلبت المواد الفاسدة فتأمل هذا الوجه الوجه السادس أن فعل المأمورات **حياة القلب** وغذاؤه وزينته وسروره وقرة عينه ولذته ونعيمه وترك المنهيات بدون ذلك لا يحصل له شيئا من ذلك فإنه لو ترك جميع المنهيات ولم." [1]

"رأيت الذنوب تميت القلوب ... وقد يورث الذل إدمانها

وترك الذنوب **حياة القلوب** ... وخير لنفسك عصيانها

فالهوى أكبر أدوائها، ومخالفته أعظم أدويتها، والنفس في الأصل خلقت جاهلة ظالمة، فهي لجهلها تظن شفاءها في اتباع هواها، وإنما فيه تلفها وعطبها، ولظلمها لا تقبل من الطبيب الناصح، بل تضع الداء موضع الدواء فتعتمده، وتضع الدواء موضع الداء فتجتنبه، فيتولد من بين إيثارها للداء، واجتنابها للدواء أنواع من الأسقام والعلل التي تعيي الأطباء، ويتعذر معها الشفاء. والمصيبة العظمى، أنها تركب ذلك على القدر، فتبرىء نفسها، وتلوم ربها بلسان الحال دائما، ويقوى اللوم حتى يصرح به اللسان.

وإذا وصل العليل إلى هذه الحال، فلا يطمع في برئه إلا أن تتداركه رحمة من ربه، فيحييه حياة جديدة، ويرزقه طريقة حميدة، فلهذا كان حديث ابن عباس في دعاء الكرب مشتملا على توحيد الإلهية والربوبية، ووصف الرب سبحانه بالعظمة والحلم، وهاتان الصفتان مستلزمتان لكمال القدرة والرحمة، والإحسان والتجاوز، ووصفه بكمال ربوبيته للعالم العلوي والسفلي، والعرش هو سقف المخلوقات وأعظمها. والربوبية التامة تستلزم توحيده، وأنه الذي لا تنبغي العبادة والحب والخوف والرجاء والإجلال والطاعة إلا له. وعظمته المطلقة تستلزم إثبات كل كمال له، وسلب كل نقص وتمثيل عنه. وحلمه يستلزم كمال رحمته وإحسانه إلى خلقه.

فعلم القلب ومعرفته بذلك توجب محبته وإجلاله وتوحيده، فيحصل له من الابتهاج واللذة والسرور ما يدفع عنه ألم الكرب والهم والغم، وأنت تجد المريض إذا ورد عليه ما يسره ويفرحه، ويقوي نفسه، كيف تقوى الطبيعة على دفع المرض الحسي، فحصول هذا الشفاء للقلب أولى وأحرى.

ثم إذا قابلت بين ضيق الكرب وسعة هذه الأوصاف التي تضمنها دعاء الكرب، وجدته في غاية المناسبة

---

(١) الفوائد لابن القيم ابن القيم ص/١٢٠

لتفريج هذا الضيق، وخروج القلب منه إلى سعة البهجة والسرور، وهذه الأمور إنما يصدق بها من أشرقت فيه أنوارها، وباشر قلبه حقائقها.." (١)

"وفي تأثير قوله: «يا حي يا قيوم، برحمتك أستغيث» في دفع هذا الداء مناسبة بديعة، فإن صفة الحياة متضمنة لجميع صفات الأفعال، ولهذا كان اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى: هو اسم الحي القيوم، والحياة التامة تضاد جميع الأسقام والآلام، ولهذا لما كملت حياة أهل الجنة لم يلحقهم هم ولا غم ولا حزن ولا شيء من الآفات. ونقصان الحياة تضر بالأفعال، وتنافي القيومية، فكمال القيومية لكمال الحياة، فالحي المطلق التام الحياة لا تفوته صفة الكمال البتة، والقيوم لا يتعذر عليه فعل ممكن البتة، فالتوسل بصفة الحياة والقيومية له تأثير في إزالة ما يضاد الحياة، ويضر بالأفعال.

ونظير هذا توسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى ربه بربوبيته لجبريل وميكائيل وإسرافيل أن يهديه لما اختلف فيه من الحق بإذنه، فإن **حياة القلب** بالهداية، وقد وكل الله سبحانه هؤلاء الأملاك الثلاثة بالحياة، فجبريل موكل بالوحي الذي هو **حياة القلوب**، وميكائيل بالقطر الذي هو حياة الأبدان والحيوان، وإسرافيل بالنفخ في الصور الذي هو سبب حياة العالم وعود الأرواح إلى أجسادها، فالتوسل إليه سبحانه بربوبية هذه الأرواح العظيمة الموكلة بالحياة، له تأثير في حصول المطلوب.

والمقصود: أن لاسم الحي القيوم تأثيرا خاصا في إجابة الدعوات، وكشف الكربات، وفي «السنن» و «صحيح أبي حاتم» مرفوعا: «اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم «١» وفاتحة آل عمران الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم، قال الترمذي. حديث صحيح «٢» .

وفي «السنن» و «صحيح ابن حبان» أيضا: من حديث أنس أن رجلا دعا، فقال: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت المنان، بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى» «٣» .

---

(١) البقرة- ١٦٣.

---

(١) الطب النبوي لابن القيم ابن القيم ص/١٥١

(٢) أخرجه الترمذي في الدعوات، وابن ماجة في الدعاء، وأبو داود في الصلاة، والدارمي.

(٣) أخرجه النسائي في السهو، وأبو داود في الصلاة.." (١)

"والمقت من الله، وإعراضه عن فاعله، وعدم نظره إليه، فأي خير يرجوه بعد هذا، وأي شر يأمنه، وكيف حياة عبد قد حلت عليه لعنة الله ومقته، وأعرض عنه بوجهه، ولم ينظر إليه.

وأيضا: فإنه يذهب بالحياء جملة، والحياء هو **حياة القلوب** فإذا فقدها القلب، استحسن القبيح، واستقبح الحسن، وحينئذ فقد استحكم فساده.

وأيضا: فإنه يحيل الطباع عما ركبها الله، ويخرج الإنسان عن طبعه إلى طبع لم يركب الله عليه شيئا من الحيوان، بل هو طبع منكوس، وإذا نكس الطبع انتكس القلب، والعمل، والهدى، فيستطيب حينئذ الخبيث من الأعمال والهيئات ويفسد حاله وعمله وكلامه بغير اختياره.

وأيضا: فإنه يورث من الوقاحة والجرأة ما لا يورثه سواه.

وأيضا: فإنه يورث من المهانة والسفال والحقارة ما لا يورثه غيره.

وأيضا: فإنه يكسو العبد من حلة المقت والبغضاء، وازدراء الناس له، واحتقارهم إياه، واستصغارهم له ما هو مشاهد بالحس فصلىاة الله وسلامه على من سعادة الدنيا والآخرة في هديه واتباع ما جاء به، وهلاك الدنيا والآخرة في مخالفة هديه وما جاء به.

فصل

والجماع الضار: نوعان: ضار شرعا، وضار طبعا. فالضار شرعا:

المحرم، وهو مراتب بعضها أشد من بعض. والتحريم العارض منه أخف من اللازم، كتحريم الإحرام، والصيام، والاعتكاف، وتحريم المظاهر منها قبل التكفير، وتحريم وطء الحائض ونحو ذلك، ولهذا لا حد في هذا الجماع.

وأما اللازم: فنوعان. نوع لا سبيل إلى حله البتة، كذوات المحارم، فهذا من." (٢)

"العناء والمكروه وقاسوا أبلغ الأذى حتى استجاب لهم من استجاب إلى الحق الذي هو موجب الفطر وشقيق الأرواح **وحياة القلوب** وقرة العيون ونجاة النفوس حتى إذا أطلع شيطان التأويل رأسه وأبدى

---

(١) الطب النبوي لابن القيم ابن القيم ص/١٥٢

(٢) الطب النبوي لابن القيم ابن القيم ص/١٩٨

لهم عن ناجذيه ورفع لهم علما من التأويل طاروا إليه زرافات ووحدانا فهم إخوان السفلة الطعام أشباه الأنعام بل أضل من الأنعام طبل يجمعهم وعصا تفرقهم فانظر ما لقيه نوح وإبراهيم وصالح وهود وشعيب وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم في الدعوة إلى الله من الرد عليهم والتكذيب لهم وقصدهم بأنواع الأذى حتى ظهرت دعوة من ظهرت دعوته منهم وأقاموا دين الله.

وانظر سرعة المستجيبين لدعاة الرافضة والقرامطة الباطنية والجهمية والمعتزلة وإكرامهم لدعاتهم وبذل أموالهم وطاعتهم لهم من غير برهان أتوهم به أو آية." (١)

"والنجاة.

وقد جعل الله لكل شيء سببا وجعل سبب المحبة دوام الذكر.

فمن أراد أن ينال محبة الله عز وجل فليلهج بذكره فإنه الدرس والمذاكرة كما أنه باب العلم، فالذكر باب المحبة وشارعها الأعظم وصراطها الأقوم.

(العاشرة)

أنه يورثه المراقبة حتى يدخله في باب الاحسان، فيعبد الله كأنه يراه، ولا سبيل للغافل عن الذكر إلى مقام الإحسان، كما لا سبيل للقاعد إلى الوصول إلى البيت.

(الحادية عشرة)

أنه يورثه الإنابة، وهي الرجوع إلى الله عز وجل، فمتى أكثر الرجوع إليه بذكره أورثه ذلك رجوعه بقلبه إليه في كل أحواله، فيبقى الله عز وجل مفزعه وملجأه، وملاذه ومعاذه، وقبلة قلبه ومهربه عند النوازل والبلايا.

(الثانية عشرة)

أنه يورثه القرب منه، فعلى قدر ذكره لله عز وجل يكون قربه منه، وعلى قدر غفلته يكون بعده منه.

(الثالثة عشرة)

أنه يفتح له بابا عظيما من أبواب المعرفة، وكلما أكثر من الذكر ازداد من المعرفة.

(الرابعة عشرة)

أنه يورثه الهيبة لربه عز وجل وإجلاله، لشدة استيلائه على قلبه وحضوره مع الله تعالى، بخلاف الغافل فإن حجاب الهيبة رقيق في قلبه.

---

(١) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة ابن القيم ٣٥٢/١

(الخامسة عشرة)

أنه يورثه ذكر الله تعالى له كم قال تعالى: {فاذكروني أذكركم} ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلا وشرفا، وقال صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم» .

(السادسة عشرة)

أنه يورث **حياة القلب**، وسمعت شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله تعالى روحه يقول: الذكر للقلب مثل الماء للسمك فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء؟ .

(السابعة عشرة)

أنه قوت القلب والروح، فإذا فقده العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته.

وحضرت شيخ الاسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إلي وقال: هذه غدوتي، ولو لم أتغد الغداء سقطت قوتي.

أو كلاما قريبا من هذا.

وقال لي مرة: لا أترك الذكر إلا بنية إجمام نفسي وإراحتها لأستعد بتلك الراحة لذكر آخر.

أو كلاما هذا معناه.

(الثامنة عشرة)

أنه يورث جلاء القلب من صداه كما تقدم في الحديث، وكل." (١)

"وقال تعالى: {ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون} وشبه تعالى حال المنافقين في خروجهم من النور بعد أن أضاء لهم بحال مستوقد النار وذهاب نورها عنه بعد أن أضاءت ما حوله، لأن المنافقين بمخالطتهم المسلمين وصلاتهم معهم وصيامهم معهم وسماعهم القرآن ومشاهدتهم أعلام الإسلام ومناره قد شاهدوا الضوء ورأوا النور عيانا، ولهذا قال تعالى في حقهم {فهم لا يرجعون} إليه، لأنهم فارقوا الإسلام بعد أن تلبسوا به واستناروا فهم لا يرجعون إليه.

وقال تعالى في حق الكفار {فهم لا يعقلون} لأنهم لا يعقلوا الإسلام ولا دخلوا فيه ولا استناروا به ولا يزالون في ظلمات الكفر، صم بكم عمي، سبحان من جعل كلامه لأدواء الصدور شافيا، وإلى الإيمان

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب ابن القيم ص/٤٢

وحقائقه مناديا، وإلى الحياة الأبدية والنعيم المقيم داعيا، وإلى الطريق الرشاد هاديا.

لقد أسمع منادي الإيمان لو صادف آذانا واعية، وشفت مواعظ القرآن لو وافقت قلوبا خالية، ولكن عصفت على القلوب أهوية الشبهات والشهوات فأطفأت مصابيحها، وتمكنت منها أيدي الغفلة والجهالة فأغلقت أبواب رشدها وأضاعت مفاتيحها، وران عليها كسبها فلم ينفع فيها الكلام، وسكرت بشهوات الغي وشهادة الباطل فلم تصغ بعده إلى الملام، ووعظت بمواعظ أنكى فيها الأسنة والسهام، ولكن ماتت في بحر الجهل والغفلة وأسر الهوى والشهوة، وما لجرح بميت إيلام.

والمثل الثاني قوله تعالى: {أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين} الصيب المطر الذي يصوب من السماء أي ينزل منها بسرعة وهو مثل القرآن الذي به **حياة القلوب** كالمطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان، فأدرك المؤمنين ذلك منه، وعلموا ما يحصل به من الحياة التي لا تخطر لها، فلم يمنعهم منها ما فيه من الرعد والبرق وهو الوعيد والتهديد والعقوبات والمثلات التي حذر الله بها من خالف أمره، وأخبر أنه منزلها بمن كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو ما فيه من الأوامر الشديدة كجهاد الأعداء والصبر على الأمر أو الأوامر الشاقة على النفوس التي هي بخلاف إرادتها فهي كالظلمات والرعد والبرق، ولكن من علم مواقع الغيث وما يحصل به من الحياة لم يستوحش لما معه من الظلمة والرعد والبرق، بل يستأنس لذلك ويفرح به لما يرجو من الحياة والخصب.

وأما المنافق فإنه عمي قلبه لم يجاوز بصره الظلمة ولم ير إلا." (١)

"آية، لعموم الابتلاء بهم وشدة المصيبة بمخالطتهم، فإنهم من الجلدة، مظهرون الموافقة والمناصرة، بخلاف الكافر الذي قد تأبد بالعداوة وأظهر السريرة ودعا لك بما أظهره إلى مزايلته ومفارقته.

ونظير هذين المثلين المذكورين في سورة الرعد في قوله تعالى: {أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا} فهذا هو المثل المائي شبه الوحي الذي أنزله **بحياة القلوب** بالماء الذي أنزله من السماء، وشبه القلوب الحاملة له بالأودية الحاملة للسيل، فقلب كبير يسع علما عظيما كواد كبير يسع ماء كثيرا، وقلب صغير كواد صغير يسع علما قليلا، فحملت القلوب من هذا العلم بقدرها، كما سالت الأودية بقدرها.

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب ابن القيم ص/٥٥

ولما كانت الأودية ومجاري السيول فيها الغثاء ونحوه مما يمر عليه السيل فيحتمله السيل فيطفوا على وجه الماء زبدا عاليا، يمر عليه متراكبا، ولكن تحته الماء الفرات الذي به حياة الأرض، فيقذف الوادي ذلك الغثاء إلى جنبتيه حتى لا يبقى الماء الذي تحت الغثاء يسقي الله تعالى به الأرض فيحيي به البلاد والعباد والشجر والدواب، والغثاء يذهب جفاء يجفي ويطرح على شفير الوادي.

فكذلك العلم والإيمان الذي أنزله في القلوب فاحتملته فأثار منها بسبب مخالطته لها ما فيها من غثاء الشهوات وزبد الشبهات الباطلة يطفو في أعلاها، واستقر العلم والإيمان والهدى في جذر القلب فلا يزال ذلك الغثاء والزبد يذهب جفاء ويزول شيئا فشيئا حتى يزول كله، ويبقى العلم النافع والإيمان الخالص في جذر القلب يرده الناس فيشربون ويسقون ويمرعون.

وفي الصحيح من الحديث أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «مثل ما بعثني الله تعالى به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكان منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها طائفة أجادب أمسكت الماء فسقى الناس وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه دين الله تعالى ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم.

ومثل من لم يرفع بذلك رأسا، ولم يقبل هدي الله الذي أرسلت به»." (١)

"(والطبقة الثالثة) الأشقياء لا رواية ولا دراية ولا رعاية {إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا} ، فهم الذين يضيقون الديار، ويغلون الأسعار، إن همة أحدهم إلا بطنه وفرجه، فإن ترقت همته كان همه ـ مع ذلك ـ لباسه وزينته، فإن ترقت همته فوق ذلك كان همه في الرياسة والانتصار للنفس الغضبية، فإن ارتفعت همته عن نصرة النفس [الغضبية كان همه في نصرة النفس] الكلبية فلم يعطها، إلى نصرة النفس السبعية فلم يعطها أحد من هؤلاء فإن النفوس كلبية وسبعية وملكية.

فالكلبية تقنع بالعظم والكسرة والجيفة والقذرة، والسبعية لا تقنع بذلك بل بقهر النفوس، تريد الاستيلاء عليها بالحق والباطل.

وأما الملكية فقد ارتفعت عن ذلك وشمرت إلى الرفيق الأعلى، فهمتها العلم والإيمان ومحبة الله تعالى والإنابة إليه وإيثار محبته ومرضاته، وإنما تأخذ من الدنيا ما تأخذ من لتستعين به على الوصول إلى فاطرها وربها ووليها، لا لتنقطع به عنه.

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب ابن القيم ص/٥٧

ثم ضرب سبحانه وتعالى مثلا ثانيا وهو المثل الناري فقال: {ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله} وهذا كالحديد والنحاس والفضة والذهب وغيرها، فإنها تدخل الكير لتمحص وتخلص من الخبث، فيخرج خبثها فيرمى به ويطرح، ويبقى خالصها فهو الذي ينفع الناس.

ولما ضرب الله سبحانه وتعالى هذين المثلين ذكر حكم من استجاب له ورفع بهداه رأسا، وحكم من لم يستجب له ولم يرفع بهداه رأسا، فقال: {للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد} والمقصود أن الله تعالى جعل الحياة حيث النور، والموت حيث الظلمة، فحياة الوجودين الروحي والجسمي بالنور، وهو مادة الحياة كما أنه مادة الإضاءة، فلا حياة بدونه كما لا إضاءة بدونه، وكما به **حياة القلب** فيه انفساحه وانشراحه وسعته. كما في الترمذي «عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل النور القلب انفسح وانشرح قالوا: وما علامة ذلك؟ قال الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزوله» .

ونور العبد هو الذي يصعد عمله وكلمه إلى الله تعالى، فإن الله تعالى لا يصعد إليه من الكلم إلا الطيب، وهو نور ومصدر عن النور.

ولا من." (١)

"كلأ فذلك مثل من فقه في الدين فنفعه ما بعثني الله به ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به. "

الغيث والعلم

فشبه صلى الله عليه وسلم العلم الذي جاء به بالغيث لأن كلا منهما سبب الحياة، فالغيث سبب حياة الأبدان والعلم سبب **حياة القلوب**، وشبه القلوب بالأودية كما في قوله تعالى: {أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها}

الأرض والغيث

وكما أن الأرضين ثلاثة بالنسبة إلى قبول الغيث.

إحداها: أرض زكية قابلة للشراب والنبات، فإذا أصابها الغيث ارتوت ومنه يثمر النبت من كل زوج بهيج،

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب ابن القيم ص/٦٠

فذلك مثل القلب الزكي الذكي، فهو يقبل العلم بذكائه فيثمر فيه وجوه الحكم ودين الحق بزكائه فهو قابل للعلم مثمر لموجبه وفقهه وأسرار معادنه.

والثانية: أرض صلبة قابلة لثبوت ما فيها وحفظه فهذه تنفع الناس لورودها والسقي منها والازدراع، وهو مثل القلب الحافظ للعلم الذي يحفظه كما سمعه، فلا تصرف فيه ولا استنبط، بل للحفظ المجرد فهو يؤدي كما سمع وهو من القسم الذي قال." (١)

"نفس دعوته فلو اقتصر عليها كانت آية وبرهانا على صدقه وأنه لا يحتاج معها إلى خارق ولا آية منفصلة بل دينه وشريعته ودعوته وسيرته من أعظم معجزاته عند الخاصة من أمته حتى أن إيمانهم به إنما هو مستند إلى ذلك والآيات في حقهم مقويات بمنزلة تظاهر الأدلة ومن فهم هذا انفتح له باب عظيم من أبواب العلم والإيمان بل باب من أبواب الجنة العاجلة يرقص القلب فيه طربا ويتمنى أنه له بالدنيا وما فيها وعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيساعد على تعليق كتاب يتضمن ذكر بعض محاسن الشريعة وما فيها من الحكم البالغة والأسرار الباهرة التي هي من أكبر الشواهد على كمال علم الرب تعالى وحكمته ورحمته وبره بعباده ولطفه بهم وما اشتملت عليه من بيان مصالح الدارين والإرشاد إليها وبيان مفاسد الدارين والنهي عنها وأنه سبحانه لم يرحمهم في الدنيا برحمة ولم يحسن إليهم إحسانا أعظم من إحسانه إليهم بهذا الدين القيم وهذه الشريعة الكاملة ولهذا لم يذكر في القرآن لفظة المن عليهم إلا في سياق ذكرها كقوله: {لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين} وقوله: {يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين} فهي محض الإحسان إليهم والرأفة بهم وهدايتهم إلى ما به صلاحهم في الدنيا والآخرة لا أنها محض التكليف والامتحان الخالي عن العواقب الحميدة والغايات التي لا سبيل إليها إلا بهذه الوسيلة فهي لغاياتها المجربة المطلوبة بمنزلة الأكل للشبع والشرب للري والجماع لطلب الولد وغير ذلك من الأسباب التي ربطت بها مسبباتها بمقتضى الحكمة والعزة فلذلك نصب هذا الصراط المستقيم وسيلة وطريقا إلى الفوز الأكبر والسعادة ولا سبيل إلى الوصول إليه إلا من هذه

---

(١) الرسالة التبوكية = زاد المهاجر إلى ربه ابن القيم ص/٥٥

الطريق كما لا سبيل إلى دخول الجنة إلا بالعبور على الصراط فالشريعة هي **حياة القلوب** وبهجة النفوس ولذة الأرواح والمشقة الحاصلة فيها." (١)

"من النفوس وترغيبها فيه غاية حظ وأشرفه وأجله على الإطلاق وهو أفضل إعطاء أعطيه العبد وهو قربة تبارك وتعالى من عبده الذي هو غاية الأماني ونهاية الآمال وقرة العيون **وحياة القلوب** وسعادة العبد كلها فكان في العدول عن قريب إلى قريب من استدعاء الإحسان وترغيب النفوس فيه ما لا يتخلف بعده إلا من غلبت عليه شقاوته ولا قوة إلا بالله تعالى.

فصل: المسلك الثامن إن الرحمة مصدر والمصادر كما لا تثنى ولا تجمع فحقها أن لا تؤنث وهذا المسلك ضعيف جدا فإن الله سبحانه حيث ذكر الرحمة أجرى عليها التأنيث كقوله: {ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون} وقوله فيما حكى عنه رسوله: "إن رحمتي غلبت أو سبقت غضبي " رواه البخاري ومسلم والترمذي ولو كان حذف التاء من الرحمة لكونها مصدرأ والمصادر لا حظ للتأنيث فيها لم يعد عليها الضمير إلا مذكرا وكذلك ما كان من المصادر بالتاء كالقدرة والإرادة والحكمة والهمة ونظائرها وفي بطلان ذلك دليل على بطلان هذا المسلك.

فصل: المسلك التاسع أن القريب يراد به شيئان:

أحدهما: النسب والقرابة فهذا بالتاء تقول فلانه قريبة لي.

والثاني: قرب المكان وهذا بلا تاء تقول جلست فلانه قريبا مني ولا تقول قريبة منى وهذا مسلك الفراء رحمة الله وجماعة وهو أيضا ضعيف فإن هذا إنما هو إذا كان لفظ القريب ظرفا فإنه يذكر كما قال تقول جلست المرأة مني قريبا فأما إذا كان اسما محضا فلا.." (٢)

"فقالت طائفة: نقصان عمر العاصي هو ذهاب بركة عمره ومحقها عليه، وهذا حق، وهو بعض تأثير المعاصي.

وقالت طائفة: بل تنقصه حقيقة، كما تنقص الرزق، فجعل الله سبحانه للبركة في الرزق أسبابا كثيرة تكثره وتزيده، وللبركة في العمر أسبابا تكثره وتزيده.

قالوا ولا تمنع زيادة العمر بأسباب كما ينقص بأسباب، فالأرزاق والآجال، والسعادة والشقاوة، والصحة

---

(١) بدائع الفوائد ابن القيم ١٧٩/٢

(٢) بدائع الفوائد ابن القيم ٣٢/٣

والمرض، والغنى والفقر، وإن كانت بقضاء الرب عز وجل، فهو يقضي ما يشاء بأسباب جعلها موجبة لمسبباتها مقتضية لها.

وقالت طائفة أخرى: تأثير المعاصي في محق العمر إنما هو بأن حقيقة الحياة هي **حياة القلب**، ولهذا جعل الله سبحانه الكافر ميتا غير حي، كما قال تعالى، {أموات غير أحياء} [سورة النحل: ٢١] .

فالحياة في الحقيقة **حياة القلب**، وعمر الإنسان مدة حياته فليس عمره إلا أوقات حياته بالله، فتلك ساعات عمره، فالبر والتقوى والطاعة تزيد في هذه الأوقات التي هي حقيقة عمره، ولا عمر له سواها.

وبالجملة، فالعبد إذا أعرض عن الله واشتغل بالمعاصي ضاعت عليه أيام حياته الحقيقية التي يجد غب إضاعتها يوم يقول: {ياليتني قدمت لحياتي} [سورة الفجر: ٢٤] .

فلا يخلو إما أن يكون له مع ذلك تطلع إلى مصالحه الدنيوية والأخروية أو لا، فإن لم يكن له تطلع إلى ذلك فقد ضاع عليه عمره كله، وذهبت حياته باطلا، وإن كان له تطلع إلى ذلك طالت عليه الطريق بسبب العوائق، وتعسرت عليه أسباب الخير بحسب اشتغاله بأضدادها، وذلك نقصان حقيقي من عمره.

وسر المسألة أن عمر الإنسان مدة حياته ولا حياة له إلا بإقباله على ربه، والتنعم بحبه وذكره، وإيثار مرضاته.

[فصل توالد المعاصي]

فصل

توالد المعاصي

ومنها أن المعاصي تزرع أمثالها، وتولد بعضها بعضا، حتى يعز على العبد مفارقتها والخروج منها، كما قال بعض السلف: إن من عقوبة السيئة السيئة بعدها، وإن من ثواب." (١)

"ومنها: أن المعصية تورث الذل ولا بد؛ فإن العز كل العز في طاعة الله تعالى، قال تعالى: {من كان يريد العزة فلله العزة جميعا} [سورة فاطر: ١٠] أي فليطلبها بطاعة الله، فإنه لا يجدها إلا في طاعة الله.

وكان من دعاء بعض السلف: اللهم أعزني بطاعتك ولا تذلني بمعصيتك.

قال الحسن البصري: إنهم وإن طقطقت بهم البغال، وهملجت بهم البراذين، إن ذل المعصية لا يفارق قلوبهم، أبى الله إلا أن يذل من عصاه.

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء ابن القيم ص/٥٥

وقال عبد الله بن المبارك:

رأيت الذنوب تميت القلوب ... وقد يورث الذل إدمانها

وترك الذنوب **حياة القلوب** ... وخير لنفسك عصيانها

وهل أفسد الدين إلا الملوك ... وأحبار سوء ورهبانها

[فصل المعاصي تفسد العقل]

فصل

المعاصي تفسد العقل

ومنها: أن المعاصي تفسد العقل، فإن للعقل نورا، والمعصية تطفئ نور العقل ولا بد، وإذا طفئ نوره ضعف ونقص.

وقال بعض السلف: ما عصى الله أحد حتى يغيب عقله، وهذا ظاهر، فإنه لو حضر عقله لحجزه عن المعصية وهو في قبضة الرب تعالى، أو تحت قهره، وهو مطلع عليه، وفي داره على بساطه وملائكته شهود عليه ناظرون إليه، وواعظ القرآن ينهاه، وواعظ الموت ينهاه، وواعظ النار ينهاه، والذي يفوته بالمعصية من خير الدنيا والآخرة أضعاف ما يحصل له من السرور واللذة بها، فهل يقدم على الاستهانة بذلك كله، والاستخفاف به ذو عقل سليم؟

[فصل الذنوب تطبع على القلوب]

فصل

الذنوب تطبع على القلوب." (١)

"وكثير من هؤلاء لا يقتصر على عدم الاستقباح، بل يحسن الفواحش والظلم لغيره، ويزينه له، ويدعوه إليه، ويحثه عليه، ويسعى له في تحصيله، ولهذا كان الديوث أخبث خلق الله، والجنة حرام عليه، وكذلك محلل الظلم والبغي لغيره ومزينه له، فانظر ما الذي حملت عليه قلة الغيرة.

وهذا يدلك على أن أصل الدين الغيرة، ومن لا غيرة له لا دين له، فالغيرة تحمي القلب فتحمي له الجوارح،

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء ابن القيم ص/٥٩

فتدفع السوء والفواحش، وعدم الغيرة تميت القلب، فتموت له الجوارح؛ فلا يبقى عندها دفع البتة.

ومثل الغيرة في القلب مثل القوة التي تدفع المرض وتقاومه، فإذا ذهبت القوة وجد الداء المحل قابلا، ولم يجد دافعا، فتمكن، فكان الهلاك، ومثلها مثل صياصي الجاموس التي تدفع بها عن نفسه وولده، فإذا تكسرت طمع فيها عدوه.

[فصل المعاصي تذهب الحياء]

فصل

المعاصي تذهب الحياء

ومن عقوباتها: ذهاب الحياء الذي هو مادة **حياة القلب**، وهو أصل كل خير، وذهابه ذهاب الخير أجمعه.

وفي الصحيح عنه – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «الحياء خير كله» .

وقال: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت» وفيه تفسيران:

أحدهما: أنه على التهديد والوعيد، والمعنى من لم يستح فإنه يصنع ما شاء من القبائح، إذ الحامل على تركها الحياء، فإذا لم يكن هناك حياء يردعه عن القبائح، فإنه يواقعها، وهذا تفسير أبي عبيدة.

والثاني: أن الفعل إذا لم تستح منه من الله فافعله، وإنما الذي ينبغي تركه هو ما يستحى منه من الله، وهذا تفسير الإمام أحمد في رواية ابن هانئ.

فعلى الأول: يكون تهديدا، كقوله: {اعملوا ما شئتم} [سورة فصلت: ٤٠] .

وعلى الثاني: يكون إذنا وإباحة.

فإن قيل: فهل من سبيل إلى حمله على المعنيين؟." (١)

"وحبه، وقرة العين بقربه، والفوز بجواره، والنظر إلى وجهه في زمرة أوليائه، إلى أضعاف أضعاف ذلك من كرامته أهل الطاعة، وأضعاف أضعاف ذلك من عقوبة أهل المعصية.

فأي عقل لمن آثر لذة ساعة أو يوم أو دهر، ثم تنقضي كأنها حلم لم يكن، على هذا النعيم المقيم، والفوز العظيم؟ بل هو سعادة الدنيا والآخرة، ولولا العقل الذي تقوم به عليه الحجة لكان بمنزلة المجانين، بل قد يكون المجانين أحسن حالا منه وأسلم عاقبة، فهذا من هذا الوجه.

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء ابن القيم ص/٦٨

وأما تأثيرها في نقصان العقل المعيش، فلولا الاشتراك في هذا النقصان، لظهر لمطيعنا نقصان عقل عاصينا، ولكن الجائحة عامة، والجنون فنون.

ويا عجبا لو صحت العقول لعلمت أن طريق تحصيل اللذة والفرحة والسرور وطيب العيش، إنما هو في رضاء من النعيم كله في رضاه، والألم والعذاب كله في سخطه وغضبه، ففي رضاه قرة العيون، وسرور النفوس، **وحياة القلوب**، ولذة الأرواح، وطيب الحياة، ولذة العيش، وأطيب النعيم، ومما لو وزن منه مثقال ذرة بنعيم الدنيا لم يف به، بل إذا حصل للقلب من ذلك أيسر نصيب لم يرض بالدنيا وما فيها عوضا منه، ومع هذا فهو يتنعم بنصيبه من الدنيا أعظم من تنعم المترفين فيها، ولا يشوب تنعمه بذلك الحظ اليسير ما يشوب تنعم المترفين من الهموم والغموم والأحزان المعارضات، بل قد حصل له على النعيمين وهو ينتظر نعيمين آخرين أعظم منهما، وما يحصل له في خلال ذلك من الآلام، فالأمر كما قال تعالى: {إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون} [سورة النساء: ١٠٤] .

فلا إله إلا الله ما أنقص عقل من باع الدر بالبعر، والمسك بالرجيع، ومرافقة الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، بمرافقة الذين غضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا.

[فصل المعاصي توجب القطيعة بين العبد والرب]

فصل

المعاصي توجب القطيعة بين العبد والرب

ومن أعظم عقوباتها: أنها توجب القطيعة بين العبد وبين ربه تبارك وتعالى، وإذا وقعت القطيعة انقطعت عنه أسباب الخير واتصلت به أسباب الشر، فأي فلاح، وأي رجاء، وأي عيش لمن انقطعت عنه أسباب الخير، وقطع ما بينه وبين وليه ومولاه الذي لا غنى عنه طرفة عين، ولا بدل له منه، ولا عوض له عنه، واتصلت به أسباب الشر، ووصل ما بينه." (١)

"وفي النسائي ومسند الإمام أحمد عن عمار بن ياسر - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في دعائه: «وأسألك اللهم لذة النظر إلى وجهك الكريم، والشوق إلى لقائك» وفي كتاب السنة

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء ابن القيم ص/٨٢

لعبد الله ابن الإمام أحمد مرفوعا: «كأن الناس يوم القيامة لم يسمعوا القرآن، إذا سمعوه من الرحمن فكأنهم لم يسمعوا قبل ذلك» .

وإذا عرف هذا، فأعظم الأسباب التي تحصل هذه اللذة هو أعظم لذات الدنيا على الإطلاق، وهي لذة معرفته سبحانه، ولذة محبته، فإن ذلك هو جنة الدنيا ونعيمها العالي، ونسبة لذاتها الفانية إليه كتفلة في بحر، فإن الروح والقلب والبدن إنما خلق لذلك، فأطيب ما في الدنيا معرفته ومحبته وألذ ما في الجنة رؤيته ومشاهدته، فمحبته ومعرفته قرة العيون، ولذة الأرواح، وبهجة القلوب، ونعيم الدنيا وسرورها، بل لذات الدنيا القاطعة عن ذلك تتقلب آلاما وعذابا، ويبقى صاحبها في المعيشة الضنك، فليست ال‍حياة الطيبة إلا بالله.

وكان بعض المحبين تمر به أوقات فيقول: إن كان أهل الجنة في نعيم مثل هذا إنهم لفي عيش طيب، وقد تقدم ذلك، وكان غيره يقول: لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف.

وإذا كان صاحب المحبة الباطلة التي هي عذاب على قلب المحب، يقول في حاله:

وما الناس إلا العاشقون ذوو الهوى ... فلا خير فيمن لا يحب ويعشق

ويقول غيره:

أف للدنيا إذا ما لم يكن ... صاحب الدنيا محبا أو حبيبا

ويقول آخر:

ولا خير في الدنيا ولا في نعيمها ... وأنت وحيد مفرد غير عاشق

ويقول الآخر:

اسكن إلى سكن تلذ بحبه ... ذهب الزمان وأنت منفرد

ويقول الآخر:

تشكى المحبون الصبابة ليتني ... تحملت ما يلقون من بينهم وحدي

فكانت لقلبي لذة الحب كلها ... فلم يلقها قبلي محب ولا بعدي

فكيف بالمحبة التي هي **حياة القلوب**، وغذاء الأرواح، وليس للقلب لذة، ولا نعيم، ولا فلاح، ولا حياة إلا به، وإذا فقدها القلب كان ألمه أعظم من ألم العين إذا فقدت نورها، والأذن إذا فقدت سمعها، والأنف إذا فقد شمه، واللسان إذا فقد نطقه، بل فساد القلب إذا خلا من محبة فاطره." (١)

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء ابن القيم ص/٢٣٣

"والباطل فقوله يلتئم مع كون الناشرات الملائكة أكثر من التئامه إذا قيل إنها الرياح ومن قال هي جماعات الرسل فإن أراد الرسل من الملائكة فظاهر وإن أراد الرسل من البشر فقد تقدم بيان ضعف هذا القول

ويظهر والله أعلم بما أراد من كلامه أن القسم في هذه الآية وقع على النوعين الرياح والملائكة ووجه المناسبة أن حياة الأرض والنبات وأبدان الحيوان بالرياح فإنها من روح الله وقد جعلها الله تعالى نشورا **وحياة القلوب** والأرواح بالملائكة فبهذين النوعين يحصل نوعا الحياة ولهذا والله أعلم فصل أحد النوعين من الآخر بالواو وجعل ما هو تابع لكل نوع بعده بالفاء

وتأمل كيف وقع القسم في هذه السورة على المعاد والحياة الدائمة الباقية وحال السعداء والأشقياء فيها وقررها بالحياة الأولى في قوله {ألم نخلقكم من ماء مهين} فذكر فيها المبدأ والمعاد وأخلص السورة لذلك فحسن الأقسام بما يحصل به نوعا الحياة المشاهدة وهو الرياح والملائكة فكان في القسم بذلك أبين دليل وأظهر آية على صحة ما أقسم عليه وتضمنته السورة ولهذا كان المكذب بعد ذلك في غاية الجحود والعناد والكفر فاستحق الويل بعد الويل فتضاعف عليه الويل كما تضاعف منه الكفر والتكذيب

فلا أحسن من هذا التكرار في هذا الموضع ولا أعظم منه." (١)

"وعاجلها والغفلة عن الله ما هو من أعظم عذاب القلب

ثم للناس في هذه المحنة مراتب لا يحصيها إلا الله فمنهم من تكون لمة الملك أغلب من لمة الشيطان وأقوى فإذا ألم به الشيطان وجد من الألم والضيق والحصر وسوء الحال بحسب ما عنده من **حياة القلب** فيبادر إلى طرد تلك الملة ولا يدعها تستحكم فيصعب تداركها فهو دائما في حرب بين اللمتين يدال له مرة ويدال عليه مرة أخرى والعاقبة للتقوى

ومنهم من تكون لمة الشيطان أغلب عليه وأقوى فلا تزال تغلب لمة الملك حتى تستحكم ويصير الحكم لها فيموت القلب ولا يحس ما ناله الشيطان به مع أنه في غاية العذاب والضيق والحصر ولكن سكر الشهوة والغفلة حجب عنه الإحساس بذلك الألم فإذا كشف أمكنه تداركه بالدواء وحسمه وإن عاد الغطاء عاد الأمر كما كان حتى ينكشف عنه وقت المفارقة للدنيا فتظهر حينئذ تلك الآلام والهموم والغموم والأحزان وهي لم تتجدد له وإنما كانت كامنة تواريها الشواغل فلما زالت الشواغل ظهر ما كان كامنا وتجدد له

---

(١) التبيان في أقسام القرآن ابن القيم ص/١٤٦

أضعافه

فصل

والشيطان يلم بالقلب لما كان هناك من جواذب تجذبه وهي نوعان صفات وإرادات فإذا كانت الجواذب صفات قوى." (١)

"كتاب الأمثال للعلامة ابن القيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير البرية محمد وآله وصحبه أجمعين قال شيخنا رحمه الله وقع في القرآن أمثال وان أمثال (١) القرآن لا يعقلها إلا العالمون وأنها شبيه (٢) شئ بشئ في حكمه وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الأخر واعتبار أحدهما بالآخر كقوله تعالى في حق المنافقين: (ومثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت وسلم ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يصبرون صم بكم عمي فهم لا يرجعون أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم - إلى قوله - إن الله على كل شئ قدير) (٣) فضرب للمنافقين بحسب حالهم

مثلين مثلا ناريا (٤) ومثلا مائيا لما في الماء والنار (٥) من الإضاءة والإشراق والحياة فإن النار مادة النور والماء مادة الحياة وقد جعل الله سبحانه الوحي الذي أنزل من السماء متضمنا **لحياة القلوب** واستنارتها ولهذا سماه روحا ونورا (٦) وجعل قابليه أحياء في النور ومن لم يرفع به رأسا أمواتا في الظلمات، وأخبر عن حال المنافقين بالنسبة إلى حظهم من الوحي أنهم بمنزلة من استوقد نارا لتضئ له وينتفع بها وهذا لأنهم دخلوا في الإسلام، فاستضاءوا به وانتفعوا به

---

(١) شيخنا هو الامام ابن القيم وهذه العبارة من كلام أحد تلامذة ابن القيم [والمثل بالكسر والتحرك ومنه (مثل الجنه التى ...)] انظر ترتيب القاموس المحيط ح ٤ / ٢٠٣.

(٢) في م، ع (فأنا تشبيه) .

(٣) سورة البقرة: ١٧ - ٢٠.

(٤) الزيادة من م، ع.

(٥) إشارة إلى الايه (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ...) الشورى ٥٢ / ٥٣.

---

(١) التبيان في أقسام القرآن ابن القيم ص/٤١٨

(٦) المراد بالروح القرآن والنور هو الوحى القرآني انظر الشورى: ٥٢.

(*)."[1]

"الماء الذي به الحياة لشركهم اشمأزت قلوبهم وثقل (١٣) عليهم لو وجدوا السبيل إلى سد آذانهم لفعلوا وكذلك (١٤) نجد أعداء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقل ذلك عليهم جدا فأنكرته قلوبهم وهذا كله شبه ظاهر ومثل محقق من اخوانهم من المنافقين في

المثل الذي ضربه الله لهم بالماء فإنهم لما تشابهت قلوبهم تشابهت أعمالهم (١٥) فصل: وقد ذكر سبحانه المثلين المائي والناري في سورة الرعد ولكن في حق المؤمنين فقال تعالى: (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله ...) (١٦) شبه الوحي الذي أنزله **لحياة القلوب** والأسماع والأبصار بالماء الذي أنزله لحياة الأرض بالنبات وشبه القلوب بالأودية (١٧) فقلب كبير يسع علما عظيما كواد كبير يسع ماء كثيرا وقلب صغير إنما يسع بحسبه كالوادي الصغير فسالت أودية بقدرها واحتملت قلوب من الهدى والعلم بقدرها كما أن السيل إذا خالط الأرض ومر عليها احتملت (١٨) غثاء وزبدا فكذلك الهدى والعلم إذا خالط القلوب أثار ما فيها من الشهوات والشبهات ليقلعها ويذهبها كما يثير الدواء وقت شربه من البدن أخلاطه فتكرب (١٩) عنه بها شاربه وهي من تمام نفع الدواء فانه أثارها ليذهب بها فإنه لا يجامعها ولا يساكنها وهكذا (يضرب الله الحق والباطل) ثم ذكر المثل

---

(١٣) من م (وثقلت) .

(١٤) من م (ولذلك) .

(١٥) يعنى بذلك الرافضة وهم غلاة الشيعة الذين يؤذون رسول الله بكراهية أصحابهه وسبهم.

(١٦) الرعد: ١٧.

(١٧) الامثال في الكتاب والسنة: ١٩.

(١٨) من م (احتمل) .

---

(١) الأمثال في القرآن ابن القيم ص/٩

(١٩) من م (فيتكرر) وكربت الارض قلبهما للحدث مختار الصحاح ص ٥٦٦.
(*)."[(١)]

"اشتراك الألفاظ وإجمالها، والثانية: من جهة الإطلاق والتفصيل.

فصل: " في أن النعمة المطلقة هي التي يفرح بها في الحقيقة مع بيان منزلة السنة وصاحبها ":

وهذه النعمة المطلقة هي التي يفرح بها في الحقيقة، والفرح بها مما يحبه الله ويرضاه، وهو لا يحب الفرحين، قال الله تعالى: {قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون} [يونس: ٥٨]
.

وقد دارت أقوال السلف على أن فضل الله ورحمته هي الإسلام والسنة وعلى حسب **حياة القلب** يكون فرحه بهما، وكلما كان أرسخ فيهما كان قلبه أشد فرحا حتى إن القلب ليرقص فرحا إذا باشر روح السنة أحزن ما يكون الناس، وهو ممتلئ أمنا أخوف ما يكون الناس.

[بيان منزلة السنة]

فإن السنة حصن الله الحصين الذي من دخله كان من الآمنين. وبابه الأعظم الذي من دخله كان إليه من الواصلين تقوم بأهلها وإن قعدت بهم أعمالهم ويسعى نورها بين أيديهم." [(٢)]

"نورا في قلبه وسمعه وبصره وشعره وبشره ولحمه وعظمه ودمه ومن فوقه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله وخلفه وأمامه وأن يجعل ذاته نورا، فطلب صلى الله عليه وسلم النور لذاته ولأبعاضه ولحواسه الظاهرة والباطنة ولجهاته الست.

وقال أبي بن كعب " رضي الله عنه ": " المؤمن مدخله من نور، ومخرجه من نور، وقوله نور، وعمله نور. . " وهذا النور بحسب قوته وضعفه يظهر لصاحبه يوم القيامة فيسعى بين يديه ويمينه. فمن الناس من يكون نوره كالشمس، وآخر كالنجم، وآخر كالنخلة السحوق، وآخر دون ذلك حتى " إن " منهم من يعطى نورا على رأس إبهام قدمه يضيء مرة ويطفئ أخرى، كما كان نور إيمانه ومتابعته في الدنيا كذلك، فهو هذا بعينه يظهر هناك للحس والعيان.

---

(١) الأمثال في القرآن ابن القيم ص/١١

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية ابن القيم ٣٨/٢

وقال تعالى: {وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا. .} [الشورى: ٥٢] الآية فسمى وحيه وأمره روحا لما يحصل به من **حياة القلوب** والأرواح. وسماه نورا ؛ لما يحصل به من الهدى واستنارة القلوب والفرقان بين الحق والباطل.." (١)

"{وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا} [الشورى: ٥٢] الآية، أي: جعلنا ذلك الروح نورا نهدي به من نشاء من عبادنا، فسمى وحيه روحا لما يحصل به من **حياة القلوب** والأرواح التي هي الحياة في الحقيقة ومن عدمها فهو ميت لا حي والحياة الأبدية السرمدية في دار النعيم هي ثمرة **حياة القلب** بهذا الروح الذي أوحى إلى رسوله صلى الله عليه وسلم فمن لم يحيا به في الدنيا فهو ممن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا وأعظم الناس حياة في الدور الثلاث، دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار الجزاء، أعظمهم نصيبا من هذه الحياة بهذه الروح.

وسماه روحا في غير موضع من القرآن كقوله تعالى: {رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق} [غافر: ١٥] وقال تعالى: {ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون} [النحل: ٢] .

وسماه نورا لما يحصل به من استنارة القلوب وإضاءتها وكمال الروح بهاتين الصفتين: بالحياة والنور. ولا سبيل إليهما إلا على أيدي الرسل صلوات الله وسلامه عليهم والاهتداء بما بعثوا به وتلقي العلم النافع والعمل الصالح من مشكاتهم وإلا فالروح ميتة مظلمة، فإن كان العبد مشارا إليه بالزهد والفقه والفضيلة والكلام والبحوث فإن الحياة والاستنارة بالروح الذي أوحاه الله تعالى إلى رسوله صلى الله عليه وسلم وجعله نورا يهدي به من يشاء من عباده وراء ذلك كله، فليس العلم كثرة النقل والبحث والكلام، ولكن نور يميز به صحيح الأقوال من سقيمها، وحقها من باطلها، وما هو من مشكاة النبوة مما هو من آراء الرجال ويميز النقد الذي عليه سكة المدينة النبوية الذي لا يقبل الله عز وجل ثمنا لجنته سواه من النقد الذي عليه " سكة " جنكيزخان." (٢)

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية ابن القيم ٤١/٢

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية ابن القيم ٨٨/٢

"وتقليدها لآراء الرجال فلم تجد حقائق القرآن والسنة فيها منقذا وتمكنت فيها أسقام الجهل والتخليط فلم تنتفع معها بصالح الغذاء واعجبا جعلت غذاءها من هذه الآراء التي لا تسمن ولا تغني من جوع ولم تقبل الاغتذاء بكلام الله تعالى ونص نبيه المرفوع واعجبا لها كيف اهتدت في ظلم الآراء إلى التمييز بين الخطأ فيها والصواب وعجزت عن الاهتداء بمطالع الأنوار ومشارقها من السنة والكتاب فأقرت بالعجز عن تلقي الهدى والعلم من مشكاة السنة والقرآن، ثم تلقته من رأي فلان ورأي فلان. فسبحان الله ماذا حرم المعرضون عن نصوص الوحي واقتباس الهدى من مشكاتها من الكنوز والذخائر وماذا فاتهم من **حياة القلوب** واستنارة البصائر قنعوا بأقوال استنبطتها معاول الآراء " فكرا " وتقطعوا أمرهم بينهم لأجلها زبرا، وأوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا فاتخذوا لأجل ذلك القرآن مهجورا، درست معالم القرآن في قلوبهم فليسوا يعرفونها، ودثرت معاهده عندهم فليسوا يعمرونها، ووقعت أعلامه من أيديهم فليسوا يرفعونها، وأفلت كواكبه من آفاقهم فليسوا يبصرونها، وكسفت شمسه عند اجتماع ظلم آرائهم وعقدها فليسوا يثبتونها، خلعوا نصوص الوحي عن سلطان الحقيقة وعزلوها عن ولاية اليقين وشنوا عليها غارات التحريف بالتأويلات الباطلات فلا يزال يخرج عليها من جيوشهم المخذولة كمين بعد كمين، نزلت عليهم نزول الضيف على أقوام." (١)

"إخلاص العمل ودام اليقين، فإذا أشرب القلب العبودية والإخلاص صار عند الله من المقربين، وشمله استثناء {إلا عبادك منهم المخلصين} [الحجر: ٤٠] .

ولما من الله الكريم بلطفه بالاطلاع على ما اطلع عليه من أمراض القلوب وأدوائها، وما يعرض لها من وساوس الشياطين أعدائها، وما تثمر تلك الوساوس من الأعمال. وما يكتسب القلب بعدها من الأحوال. فإن العمل السيئ مصدر عن فساد قصد القلب، ثم يعرض للقلب من فساد العمل قسوة، فيزداد مرضا على مرضه حتى يموت، ويبقى لا حياة فيه ولا نور له. وكل ذلك من انفعاله لوسوسة الشيطان، وركونه إلى عدوه الذى لا يفلح. إلى من جاهده بالعصيان: أردت أن أقيد ذلك فى هذا الكتاب، لأستذكره معترفا فيه لله بالفضل والإحسان، ولينتفع له من نظر فيه داعيا لمؤلفه بالمغفرة والرحمة والرضوان، وسميته " إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان " ورتبته ثلاثة عشر بابا:

الباب الأول: فى انقسام القلوب إلى صحيح وسقيم وميت.

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية ابن القيم ٢/٩١

الباب الثاني: في ذكر حقيقة مرض القلب.

الباب الثالث: في انقسام أدوية أمراض القلب إلى طبيعية وشرعية.

الباب الرابع: في أن **حياة القلب** وإشراقة مادة كل خير فيه، وموته وظلمته مادة كل شر (وفتنة) فيه.

الباب الخامس: في أن **حياة القلب** وصحته لا تحصل إلا بأن يكون مدركا للحق مريدا له مؤثرا له على غيره.

الباب السادس: في أنه لا سعادة للقلب ولا لذة ولا نعيم ولا صلاح إلا بأن يكون إلهه وفاطره وحده هو معبوده وغاية مطلوبه، وأحب إليه مما سواه.

الباب السابع: في أ، القرآن الكريم متضمن لأدوية القلب وعلاجه من جميع أمراضه.

الباب الثامن: في زكاة القلب.

الباب التاسع: في طهارة القلب من أدرانه وأنجاسه.

الباب العاشر: في علامات مرض القلب وصحته.." (١)

"الباب الرابع: في أن **حياة القلب** وإشراقه مادة كل خير فيه وموته وظلمته مادة كل شر وفتنة فيه

أصل كل خير وسعادة للعبد، بل لكل حي ناطق: كمال حياته ونوره. فالحياة والنور مادة الخير كله، قال الله تعالى: {أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها} [الأنعام: ١٢٢] .

فجمع بين الأصلين: الحياة، والنور، فبالحياة تكون قوته، وسمعه وبصره، وحياؤه وعفته، وشجاعته وصبره، وسائر أخلاقه الفاضلة، ومحبته للحسن، وبغضه للقبيح. فكلما قويت حياته قويت فيه هذه الصفات، وإذا ضعفت حياته ضعفت فيه هذه الصفات، وحياؤه من القبائح هو بحسب حياته في نفسه، فالقلب الصحيح الحي إذا عرضت عليه القبائح نفر منها بطبعه وأبغضها ولم يلتفت إليها، بخلاف القلب الميت، فإنه لا يفرق بين الحسن والقبيح، كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه: "هلك من لم يكن له قلب يعرف به المعروف وينكر به المنكر".." (٢)

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ابن القيم ٦/١

(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ابن القيم ٢٠/١

"وفى الجهل قبل الموت موت لأهله ... وأجسامهم، قبل القبور، قبور
وأرواحهم فى وحشة من جسومهم ... وليس لهم حتى النشور نشور
ولهذا جعل سبحانه وحيه الذى يلقيه إلى الأنبياء روحا، كما قال تعالى:
{يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده} [غافر: ١٥] . فى موضعين من كتابه، وقال {وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا} [الشورى: ٥٢] ؛ لأن حياة الأرواح والقلوب به، وهذه الحياة الطيبة هى التى خص بها سبحانه من قبل وحيه، وعمل به فقال:
{من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون} [النحل: ٩٧] .
فخصهم سبحانه وتعالى بالحياة الطيبة فى الدارين، ومثله قوله تعالى:
{وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ويؤت كل ذى فضل فضله} [هود: ٣] . ومثله قوله تعالى {للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين} [النحل: ٣٠] ومثله قوله تعالى {للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة} [الزمر: ١٠] .
فبين سبحانه أنه يسعد المحسن بإحسانه فى الدنيا وفى الآخرة، كما أخبر أنه يشقى المسىء بإساءته فى الدنيا والآخرة. قال تعالى:
{ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى} [طه: ١٢٤] .
وقال تعالى، وقد جمع بين النوعين:
{فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون} [الأنعام: ١٢٥] .
فأهل الهدى والإيمان لهم شرح الصدر واتساعه وانفساحه، وأهل الضلال لهم ضيق الصدر والحرج.
وقال تعالى:
{أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه} [الزمر: ٢٢] .
فأهل الإيمان فى النور وانشراح الصدور، وأهل الضلال فى الظلمة وضيق الصدور.

وسيأتى فى باب طهارة القلب مزيد تقرير لهذا إن شاء الله تعالى.

والمقصود: أن **حياة القلب** وإضاءته مادة كل خير فيه، وموته وظلمته مادة كل شر فيه.." [١]

"الباب الخامس: فى أن **حياة القلب** وصحته لا تحصل إلا بأن يكون مدركا للحق مريدا له، مؤثرا له على غيره.

لما كان فى القلب قوتان: قوة العلم والتمييز، وقوة الإرادة والحب. كان كماله وصلاحه باستعمال هاتين القوتين فيما ينفعه، ويعود عليه بصلاحه وسعادته. فكماله باستعمال قوة العلم فى إدراك الحق، ومعرفته، والتمييز بينه وبين الباطل، وباستعمال قوة الإرادة والمحبة فى طلب الحق ومحبته وإيثاره على الباطل. فمن لم يعرف الحق فهو ضال، ومن عرفه وآثر غيره عليه فهو مغضوب عليه. ومن عرفه واتبعه فهو منعم عليه.

وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نسأله فى صلاتنا أن يهدينا صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، ولهذا كان النصارى أخص بالضلال؛ لأنهم أمة جهل. واليهود أخص بالغضب؛ لأنهم أمة عناد. وهذه الأمة هم المنعم عليهم. ولهذا قال سفيان بن عيينة: من فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى، ومن فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود؛ لأن النصارى عبدوا بغير علم، واليهود عرفوا الحق وعدلوا عنه.

وفى المسند والترمذى من حديث عدى بن حاتم عن النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: "اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون".

وقد جمع الله سبحانه بين هذين الأصلين فى غير موضع من كتابه، فمنها قوله تعالى:

{وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون} [البقرة: ١٨٦] .

فجمع سبحانه بين الاستجابة له والإيمان به. ومنها قوله عن رسوله صلى الله عليه وآله وسلم: {فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون} [الأعراف: ١٥٧] وقال تعالى {آلم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون." [٢]

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ابن القيم ١/ ٢٣

(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ابن القيم ١/ ٢٤

"قال بعض العارفين: "مساكين أهل الدنيا، خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيب ما فيها"، وقال آخر "إنه ليمر بى أوقات أقول فيها إن كان أهل الجنة فى مثل هذا إنهم لفى عيش طيب".

وقال آخر: "والله ما طابت الدنيا إلا بمحبته وطاعته، ولا الجنة إلا برؤيته ومشاهدته".

وقال أبو الحسين الوراق: "**حياة القلب** فى ذكر الحى الذى لا يموت، والعيش الهنى الحياة مع الله تعالى لا غير".

ولهذا كان الفوت عند العارفين بالله أشد عليهم من الموت؛ لأن الفوت انقطاع عن الحق، والموت انقطاع عن الخلق، فكم بين الانقطاعين؟،.

وقال آخر: "من قرت عينه بالله تعالى قرت به كل عين، ومن لم تقر عينه بالله تقطع قلبه على الدنيا حسرات".

وقال يحيى بن معاذ: "من سر بخدمة الله سرت الأشياء كلها بخدمته، ومن قرت عينه بالله قرت عيون كل واحد بالنظر إليه".

ومن علامات صحة القلب: أن لا يفتر عن ذكر ربه، ولا يسأم من خدمته، ولا يأنس بغيره، إلا بمن يدله عليه، ويذكره به، ويذاكره بهذا الأمر.

ومن علامات صحته: أنه إذا فاته ورده وجد لفواته ألما أعظم من تألم الحريص بفوات ماله وفقده.

ومن علامات صحته: أنه يشتاق إلى الخدمة، كما يشتاق الجائع إلى الطعام والشرب.

ومن علامات صحته: أن يكون همه واحدا، وأن يكون فى الله.

ومن علامات صحته: أنه إذا دخل فى الصلاة ذهب عنه همه وغمه بالدنيا، واشتد عليه خروجه منها، ووجد فيها راحته ونعيمه، وقرة عينه وسرور قلبه.

ومن علامات صحته: أن يكون أشح بوقته أن يذهب ضائعا من أشد الناس شحا بماله.

ومنها: أن يكون اهتمامه بتصحيح العمل أعظم منه بالعمل، فيحرص على الإخلاص فيه والنصيحة والمتابعة والإحسان، ويشهد مع ذلك منة الله عليه فيه وتقصيره فى حق الله.." (١)

"فتوسل إليه سبحانه بربوبيته العامة والخاصة لهؤلاء الأملاك الثلاثة الموكلين بالحياة.

فجبريل موكل بالوحى الذى به **حياة القلوب** والأرواح، وميكائيل موكل بالقطر الذى به حياة الأرض والنبات

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ابن القيم ١/ ٧٢

والحيوان، وإسرافيل موكل بالنفخ فى الصور الذى به حياة الخلق بعد مماتهم.
فسأله رسوله بربوبيته لهؤلاء أن يهديه لما اختلف فيه من الحق بإذنه، لما فى ذلك من الحياة النافعة.
وقد أثنى الله سبحانه على عبده جبريل فى القرآن أحسن الثناء، ووصفه بأجمل الصفات فقال:
{فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس إنه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين} [التكوير: ١٥- ٢١] .
فهذا جبريل، فوصفه بأنه رسوله، وأنه كريم عنده، وأنه ذو قوة ومكانة عند ربه سبحانه، وأنه مطاع فى السماوات، وأنه أمين على الوحى.
فمن كرمه على ربه: أنه أقرب الملائكة إليه.
قال بعض السلف: منزلته من ربه منزلة الحاجب من الملك.
ومن قوته: أنه رفع مدائن قوم لوط على جناحه، ثم قلبها عليهم. فهو قوى على تنفيذ ما يؤمر به، غير عاجز عنه، إذ تطيعه أملاك السماوات فيما يأمرهم به عن الله تعالى.
قال ابن جرير فى "تفسيره": عن إسماعيل بن أبى خالد عن أبى صالح: أمين على أن يدخل سبعين سرادقا من نور بغير إذن.
ووصفه بالأمانة يقتضى صدقه ونصحه، وإلقاءه إلى الرسل ما أمر به من غير زيادة ولا نقصان ولا كتمان.
فالمكانة والأمانة والقوة والقرب من الله. ونظير الجمع له بين المكانة والأمانة: قول العزيز ليوسف عليه السلام: {إنك اليوم لدينا مكين أمين} [يوسف: ٥٤] .
والجمع بين القوة والأمانة: نظير قول ابنه شعيب فى موسى." (١)

"فصل [فقهاء الإسلام ومنزلتهم]

القسم الثاني: فقهاء الإسلام، ومن دارت الفتيا على أقوالهم بين الأنام، الذين خصوا باستنباط الأحكام، وعنوا بضبط قواعد الحلال والحرام؛ فهم في الأرض بمنزلة النجوم في السماء، بهم يهتدي الحيران في الظلماء، وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب، وطاعتهم أفرض عليهم من طاعة الأمهات والآباء بنص الكتاب، قال الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ابن القيم ١٢٨/٢

تأويلا} [النساء: ٥٩] قال عبد الله بن عباس في إحدى الروايتين عنه وجابر بن عبد الله والحسن البصري وأبو العالية وعطاء بن أبي رباح والضحاك ومجاهد في إحدى الروايتين عنه: أولو الأمر هم العلماء، وهو إحدى الروايتين عن الإمام أحمد.

وقال أبو هريرة وابن عباس في الرواية الأخرى وزيد بن أسلم والسدي ومقاتل: هم الأمراء، وهو الرواية الثانية عن أحمد [طاعة الأمراء تابعة لطاعة العلماء]

والتحقيق أن الأمراء إنما يطاعون إذا أمروا بمقتضى العلم؛ فطاعتهم تبع لطاعة العلماء؛ فإن الطاعة إنما تكون في المعروف وما أوجبه العلم، فكما أن طاعة العلماء تبع لطاعة الرسول فطاعة الأمراء تبع لطاعة العلماء، ولما كان قيام الإسلام بطائفتي العلماء والأمراء، وكان الناس كلهم لهم تبعا، كان صلاح العالم بصلاح هاتين الطائفتين، وفساده بفسادهما، كما قال عبد الله بن المبارك وغيره من السلف: صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس، وإذا فسدا فسد الناس، قيل: من هم؟ قال: الملوك، والعلماء كما قال عبد الله بن المبارك:

رأيت الذنوب تميت القلوب ... وقد يورث الذل إدمانها

وترك الذنوب **حياة القلوب** ... وخير لنفسك عصيانها

وهل أفسد الدين إلا الملوك ... وأحبار سوء ورهبانها

[فصل ما يشترط فيمن يوقع عن الله ورسوله]

] ولما كان التبليغ عن الله سبحانه يعتمد العلم بما يبلغ، والصدق فيه، لم تصلح مرتبة التبليغ بالرواية والفتيا إلا لمن اتصف بالعلم والصدق؛ فيكون عالما بما يبلغ صادقا." (١)

"ومن هذا قياس المشركين الربا على البيع بمجرد الشبه الصوري، ومنه قياسهم الميتة على المذكى في إباحة الأكل بمجرد الشبه.

وبالجملة فلم يجئ هذا القياس في القرآن إلا مردودا مذموما، ومن ذلك قوله تعالى: {إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين} [الأعراف: ١٩٤] {ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها} [الأعراف: ١٩٥] فبين

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين ابن القيم ١/٨

سبحانه أن هذه الأصنام أشباح وصور خالية عن صفات الإلهية، وأن المعنى المعتبر معدوم فيها، وأنها لو دعيت لم تجب؛ فهي صور خالية عن أوصاف ومعان تقتضي عبادتها، وزاد هذا تقريرا بقوله: {ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها} [الأعراف: ١٩٥] أي أن جميع ما لهذه الأصنام من الأعضاء التي نحتتها أيديكم إنما هي صور عاطلة عن حقائقها وصفاتها؛ لأن المعنى المراد المختص بالرجل هو مشيها، وهو معدوم في هذه الرجل؛ والمعنى المختص باليد هو بطشها وهو معدوم في هذه اليد؛ والمراد بالعين إبصارها وهو معدوم في هذه العين؛ ومن الأذن سمعها وهو معدوم فيها، والصور في ذلك كله ثابتة موجودة، وكلها فارغة خالية عن الأوصاف والمعاني، فاستوى وجودها وعدمها، وهذا كله مدحض لقياس الشبه الخالي عن العلة المؤثرة والوصف المقتضي للحكم، والله أعلم.

فصل.

[ضرب الأمثال في القرآن والحكمة فيه]

ومن هذا ما وقع في القرآن من الأمثال التي لا يعقلها إلا العالمون؛ فإنها تشبيه شيء بشيء في حكمه، وتقريب المعقول من المحسوس، أو أحد المحسوسين من الآخر، واعتبار أحدها بالآخر، كقوله تعالى في حق المنافقين: {مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون} [البقرة: ١٧] {صم بكم عمي فهم لا يرجعون - أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت} [البقرة: ١٨ - ١٩] إلى قوله: {إن الله على كل شيء قدير} [البقرة: ٢٠] فضرب للمنافقين بحسب حالهم مثلين: مثلا ناريا، ومثلا مائيا، لما في النار والماء من الإضاءة والإشراق والحياة؛ فإن النار مادة النور، والماء مادة الحياة، وقد جعل الله سبحانه الوحي الذي أنزله من السماء متضمنا **لحياة القلوب** واستنارتها، ولهذا سماه روحا ونورا، وجعل قابليه أحياء في النور، ومن لم يرفع به رأسا أمواتا في الظلمات، وأخبر عن حال." (١)

"المنافقين بالنسبة إلى حظهم من الوحي وأنهم بمنزلة من استوقد نارا لتضيء له وينتفع بها، وهذا لأنهم دخلوا في الإسلام فاستضاءوا به، وانتفعوا به، وآمنوا به، وخالطوا المسلمين، ولكن لما لم يكن لصحبتهم مادة من قلوبهم من نور الإسلام طفئ عنهم، وذهب الله بنورهم، ولم يقل بنارهم؛ فإن النار فيها الإضاءة والإحراق، فذهب الله بما فيها من الإضاءة، وأبقى عليهم ما فيها من الإحراق، وتركهم في ظلمات

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين ابن القيم ١/١١٦

لا يبصرون، فهذا حال من أبصر ثم عمي، وعرف ثم أنكر، ودخل في الإسلام ثم فارقه بقلبه، فهو لا يرجع إليه؛ ولهذا قال: {فهم لا يرجعون} [البقرة: ١٨] ثم ذكر حالهم بالنسبة إلى المثل المائي، فشبههم بأصحاب صيب – وهو المطر الذي يصوب أي ينزل من السماء – فيه ظلمات ورعد وبرق، فلضعف بصائرهم وعقولهم اشتدت عليهم زواجر القرآن ووعيده وتهديده وأوامره ونواهيه وخطابه الذي يشبه الصواعق، فحالهم كحال من أصابه مطر فيه ظلمة ورعد وبرق، فلضعفه وخوره جعل أصبعيه في أذنيه، وغمض عينيه خشية من صاعقة تصيبه، وقد شاهدنا نحن وغيرنا كثيرا من مخانيث تلاميذ الجهمية والمبتدعة إذا سمعوا شيئا من آيات الصفات وأحاديث الصفات المنافية لبدعتهم رأيتهم عنها معرضين، كأنهم حمر مستنفرة، فرت من قسورة.

ويقول مخنثهم: سدوا عنا هذا الباب، واقرءوا شيئا غير هذا، وترى قلوبهم مولية وهم يجمحون لثقل معرفة الرب سبحانه وتعالى وأسمائه وصفاته على عقولهم وقلوبهم، وكذلك المشركون على اختلاف شركهم، إذا جرد لهم التوحيد وتليت عليهم النصوص المبطلة لشركهم اشمأزت قلوبهم، وثقلت عليهم، ولو وجدوا السبيل إلى سد آذانهم لفعلوا، ولذلك تجد أعداء أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذا سمعوا نصوص الثناء على الخلفاء الراشدين وصحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ثقل ذلك عليهم جدا، وأنكرته قلوبهم؛ وهذا كله شبه ظاهر، ومثل محقق من إخوانهم من المنافقين في المثل الذي ضربه الله لهم بالماء؛ فإنهم لما تشابهت قلوبهم تشابهت أعمالهم.

فصل

وقد ذكر الله المثلين المائي والناري في سورة الرعد، ولكن في حق المؤمنين؛ فقال تعالى: {أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال} [الرعد: ١٧] شبه الوحي الذي أنزله **لحياة القلوب** والأسماع والأبصار بالماء الذي أنزله لحياة الأرض بالنبات، وشبه القلوب بالأودية، فقلب كبير يسع علما عظيما كواد كبير يسع ماء." (١)

"على سواء السبيل.

فهي قرة العيون، **وحياة القلوب**، ولذة الأرواح؛ فهي بها الحياة والغذاء والدواء والنور والشفاء والعصمة، وكل

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين ابن القيم ١/١١٧

خير في الوجود فإنما هو مستفاد منها، وحاصل بها، وكل نقص في الوجود فسببه من إضاعتها، ولولا رسوم قد بقيت لخربت الدنيا وطوي العالم، وهي العصمة للناس وقوام العالم، وبها يمسك الله السموات والأرض أن تزولا، فإذا أراد الله سبحانه وتعالى خراب الدنيا وطي العالم رفع إليه ما بقي من رسومها؛ فالشريعة التي بعث الله بها رسوله هي عمود العالم، وقطب الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة.

ونحن نذكر تفصيل ما أجملناه في هذا الفصل بحول الله وتوفيقه ومعونته بأمثلة صحيحة.

[إنكار المنكر وشروطه]

المثال الأول: أن النبي – صلى الله عليه وسلم – شرع لأمته إيجاب إنكار المنكر ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله، فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله فإنه لا يسوغ إنكاره، وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله، وهذا كالإنكار على الملوك والولاة بالخروج عليهم؛ فإنه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر، «وقد استأذن الصحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في قتال الأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها، وقالوا: أفلا نقاتلهم؟ فقال: لا، ما أقاموا الصلاة» وقال: «من رأى من أميره ما يكرهه فليصبر ولا ينزعن يدا من طاعته» ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل وعدم الصبر على منكر؛ فطلب إزالته فتولد منه ما هو أكبر منه؛ فقد كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يرى بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها، بل لما فتح الله مكة وصارت دار إسلام عزم على تغيير البيت ورده على قواعد إبراهيم، ومنعه من ذلك – مع قدرته عليه – خشية وقوع ما هو أعظم منه من عدم احتمال قريش لذلك لقرب عهدهم بالإسلام وكونهم حديثي عهد بكفر، ولهذا لم يأذن في الإنكار على الأمراء باليد؛ لما يترتب عليه من وقوع ما هو أعظم منه كما وجد سواء.

[إنكار المنكر أربع درجات]

فإنكار المنكر أربع درجات؛ الأولى: أن يزول ويخلفه ضده، الثانية: أن يقل وإن لم يزل بجملته، الثالثة: أن يخلفه ما هو مثله، الرابعة: أن يخلفه ما هو شر منه؛ فالدرجتان الأوليان مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد،

والرابعة محرمة؛ فإذا رأيت أهل الفجور والفسوق يلعبون بالشطرنج كان إنكارك عليهم من عدم الفقه والبصيرة إلا إذا نقلتهم منه إلى." (١)

"أضاءت لهم نار الإيمان فأبصروا في ضوئها مواقع الهدى والضلال. ثم طفئ ذلك النور، وبقيت نارا تأجج ذات لهب واشتعال. فهم بتلك النار معذبون، وفي تلك الظلمات يعمهون {مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون} [البقرة: ١٧] أسماع قلوبهم قد أثقلها الوقر، فهي لا تسمع منادي الإيمان، وعيون بصائرهم عليها غشاوة العمى. فهي لا تبصر حقائق القرآن، وألسنتهم بها خرس عن الحق، فهم به لا ينطقون. {صم بكم عمي فهم لا يرجعون} [البقرة: ١٨] صاب عليهم صيب الوحي، وفيه حياة القلوب والأرواح. فلم يسمعوا منه إلا رعد التهديد والوعيد والتكاليف التي وظفت عليهم في المساء والصباح. فجعلوا أصابعهم في آذانهم، واستغشوا ثيابهم، وجدوا في الهرب، والطلب في آثارهم والصياح. فنودي عليهم على رؤوس الأشهاد، وكشفت حالهم للمستبصرين، وضرب لهم مثلان بحسب حال الطائفتين منهم: المناظرين والمقلدين. فقيل {أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين} [البقرة: ١٩]." (٢)

"من صفات الكمال ما كان به افضل من غيره من المخلوقات وأراد سبحانه ان يظهر لملائكته فضله وشرفه فأظهر لهم احسن ما فيه وهو علمه فدل على ان العلم اشرف ما في الانسان وان فضله وشرفه إنما هو بالعلم ونظير هذا ما فعله بنبيه يوسف عليه السلام لما أراد اظهار فضله وشرفه على اهل زمانه كلهم اظهر للملك واهل مصر من علمه بتأويل رؤياه ما عجز عنه علماء التعبير فحينئذ قدمه ومكنه وسلم اليه خزائن الارض وكان قبل ذلك قد حبسه على ما رآه من حسن وجهه وجمال صورته ولما ظهر له حسن صورة علمه وجمال معرفته اطلقه من الحبس ومكنه في الارض فدل على ان صورة العلم عند بني آدم ابهى واحسن من الصورة الحسية ولو كانت اجمل صورة وهذا وجه مستقل في تفضيل العلم مضاف الى ما تقدم فتم به ثلاثون وجها الوجه الحادي والثلاثون انه سبحانه ذم اهل الجهل في مواضع كثيرة من كتابه فقال تعالى ولكن اكثرهم يجهلون {وقال} ولكن اكثرهم لا يعلمون وقال تعالى ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا فلم يقتصر سبحانه على تشبيه الجهال بالانعام حتى جعلهم

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين ابن القيم ٣/١٢

(٢) صفات المنافقين ابن القيم ص/٩

اضل سبيلا منهم وقال ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون اخبر ان الجهال شر الدواب عنده على اختلاف اصنافها من الحمير والسباع والكلاب والحشرات وسائر الدواب فالجهال شر منهم وليس علي دين الرسل اضر من الجهال بل اعداؤهم على الحقيقة وقال تعالى لنبيه وقد اعاذه فلاتكونن من الجاهلين وقال كليمه موسى عليه الصلاة والسلام اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين وقال لأول رسله نوح عليه السلام إني أعظك أن تكون من الجاهلين فهذه حال الجاهلين عنده والاول حال اهل العلم عنده واخبر سبحانه عن عقوبته لاعدائه انه منعهم علم كتابه ومعرفته وفقهه فقال تعالى وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا وأمر نبيه بالاعراض عنهم فقال وأعرض عن الجاهلين واثنى على عباده بالاعراض عنهم ومتاركتهم كما في قوله وإذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين وقال تعالى وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وكل هذا يدل على قبح الجهل عنده وبغضه للجهل وأهله وهو كذلك عند الناس فإن كل احد يتبرا منه وإن كان فيهالوجه الثاني والثلاثون ان العلم حياة ونور والجهل موت وظلمة والشر كله سببه عدم الحياة والنور والخير كله سببه النور والحياة فإن النور يكشف عن حقائق الاشياء ويبين مراتبها والحياة هي المصححة لصفات الكمال الموجبة لتسديد الاقوال والاعمال فكلما تصرف من الحياة فهو خير كله كالحياء الذي سببه كمال **حياة القلب** وتصوره حقيقة القبح ونفرته منه وضده الوقاحة." (١)

"إنك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء مع قوله وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم فاثبت هداية الدعوة والبيان ونفي هداية التوفيق والامام وقال النبي في نشهد الحاجة من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وقال تعالى إن تحرص على هداهم فإن الله لايهدي من يضل أي من يضله الله لايهتدي أبدا وهذه الهداية الثالثة هي الهداية الموجبة المستلزمة للاهتداء واما الثانية فشرط لاموجب فلا يستحيل تخلف الهدى عنها بخلاف الثالثة فإن تخلف الهدى عنها مستحيل المرتبة الرابعة الهداية في الاخرة إلى طريق الجنة والنار قال تعالى احشرواالذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم واما قول اهل الجنة الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله فيحتمل ان يكونوا ارادوا الهداية إلى طريق الجنة وأن يكونوا ارادوا الهداية في الدنيا التي اوصلتهم إلى دار النعيم ولو قيل إن كلا الأمرين مراد لهم وانهم حمدوا الله على هدايته لهم في الدنيا وهدايتهم إلى طريق الجنة كان احسن

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ابن القيم ٥٣/١

وابلغ وقد ضرب الله تعالى لمن لم يحصل له العلم بالحق واتباعه مثلا مطابقا لحاله فقال تعالى قل اندعو من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على اعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران له اصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا قل إن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين الوجه السادس والسبعون ان فضيلة الشيء وشرفه يظهر تارة من عموم منفعته وتارة من شدة الحاجة اليه وعدم الاستغناء عن وتارة من ظهور النقص والشر بفقده وتارة من حصول اللذة والسرور والبهجة بوجوده لكونه محبوبا ملائما فادراكه يعقب غاية اللذة وتارة من كمال الثمرة المترتبة عليه وشرف علته الغائية وافضاله إلى اجل المطالب وهذه الوجوه ونحوها تنشأ وتظهر من متعلقة فإذا كان في نفسه كمال وشرفا بقطع النظر عن متعلقاته جمع جهات الشرف والفضل في نفسه ومتعلقاته ومعلوم ان هذه الجهات بأسرها حاصلة للعلم فإنه أعم شيء نفعا واكثره وادومه والحاجة اليه فوق الحاجة إلى الغذاء بل فوق الحاجة إلى التنفس إذ غاية مايتصور من فقدهما فقد حياة الجسم وأما فقد العلم ففيه فقد **حياة القلب** والروح فلا غنى للعبد عنه طرفة عين ولهذا إذا فقد من الشخص كان شرا من الحمير بل كان شرا من الدواب عند الله ولا شيء انقص منه حينئذ وأما حصول اللذة والبهجة بوجوده فلأنه كمال في نفسه وهو ملائم غاية الملاءمة للنفوس فان الجهل مرض ونقص وهو في غاية الايذاء والايلام للنفس ومن لم يشعر بهذه الملاءمة والمنافرة فهو لفقد حسه ونفسه وما لجرح ميت إيلام فحصوله للنفس إدراك منها لغاية محبوبها واتصال به وذلك غاية لذتها وفرحتها وهذا بحسب المعلوم في نفسه ومحبة النفس له ولذتها بقربه والعلوم والمعلومات." (١)

"الثاني كتب اليه انه قد قرا القرآن عندنا عدد كثير لأكثر من ذلك فكتب اليه عمر ان امحهم من الديوان فاني اخاف من ان يسرع الناس في القرآن ان يتفقهوا في الدين فيتأولوه على غير تأويله وقال ابن وهب كنت بين يدي مالك بن انس فوضعت الواحي وقمت الى الصلاة فقال ما الذي قمت اليه بأفضل من الذي تركته قال شيخنا وهذه الامور الثلاثة التي فضل كل واحد من الائمة بعضها وهي الصلاة والعلم والجهاد هي التي قال فيها عمر بن الخطاب رضى الله عنه لولا ثلاث في الدنيا لما احببت البقاء فيها لولا ان احمل او اجهز جيشا في سبيل الله ولولا مكابدة هذا الليل ولولا مجالسة اقوام ينتقون اطايب الكلام كما ينتقى اطايب التمر لما احببت البقاء فالاول الجهاد والثاني قيام الليل والثالث مذاكرة العلم فاجتمعت في الصحابة بكمالهم وتفرقت فيمن بعدهم الوجه التاسع والمائة ما ذكره ابو نعيم وغيره عن بعض اصحاب

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ابن القيم ٨٥/١

رسول الله ﷺ انه قال فضل العلم خير من نفل العمل وخير دينكم الورع وقد روى هذا مرفوعا من حديث عائشة رضى الله عنها وفي رفعه نظر وهذا الكلام هو فصل الخطاب في هذه المسئلة فإنه إذا كان كل من العلم والعمل فرضا فلا بد منهما كالصوم والصلاة فإذا كانا فضلين وهما النفلان المتطوع بهما ففضل العلم ونفله خير من فضل العبادة ونفلها لان العلم يعم نفعه صاحبه والناس معه والعبادة يختص نفعها بصاحبها ولان العلم تبقى فائدته وعلمه بعد موته والعبادة تنقطع عنه ولما مر من الوجوه السابقة الوجه العاشر بعدالمائة ما رواه الخطيب وأبو نعيم وغيرهما عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يحسنه صدقة وبذله لاهله قربة به يعرف الله ويعبد وبه يؤحد وبه يعرف الحلال من الحرام وتوصل الارحام وهو الانيس في الوحده والصاحب في الخلوة والدليل على السراء والمعين على الضراء والوزير عند الاخلاء والقريب عند الغرباء ومنار سبيل الجنة يرفع الله به اقواما فيجعلهم في الخير قادة وسادة يقتدى بهم ادلة في الخير تقتص آثارهم وترمق افعالهم وترغب الملائكة في خلتهم وبأجنحتهم تمسحهم يستغفر لهم كل رطب ويابس حتى حيتان البحر وهو امه وسباع البر وانعامه والسماء ونجومها والعلم **حياة القلوب** من العمى ونور للأبصار من الظلم وقوة للآبدان من الضعف يبلغ به العبد منازل الابرار والدرجات العلى التفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام وهو إمام للعمل والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء هذا الاثر معروف عن معاذ ورواه ابو نعيم في المعجم من حديث معاذ مرفوعا الى النبي ولا يثبت وحسبه ان يصل الى معاذ الوجه الحادي." (١)

"ما في الصدور فإذا كانت هذه غاية اللذات الحيوانية التي هي غاية جمع الاموال وطلبها فما الظن بقدر الوسيلة وأما غنى العلم والايمان فدائم اللذة متصل الفرحة مقتض لانواع المسرة والبهجة لايزول فيحزن ولا يفارق فيؤلم بل اصحابه كما قال الله تعالى فيهم {لا خوف عليهم ولا هم يحزنون} السادس والثلاثون ان غنى المال يبغض الموت ولقاء الله فإنه لحبه لماله يكره مفارقته ويحب بقاءه ليتمتع به كما شهد به الواقع وأما العلم فإنه يحبب للعبد لقاء ربه ويزهده في هذه الحياة النكدة الفانية السابع والثلاثون ان الاغنياء يموت ذكرهم بموتهم والعلماء يموتون ويبقى ذكرهم كما قال امير المؤمنين في هذا الحديث مات خزان الاموال وهم احياء والعلماء باقون ما بقي الدهر فخزان الاموال احياء كاموات والعلماء بعدموتهم اموات كأيحاء الثامن والثلاثون ان نسبة العلم الى الروح كنسبة الروح الى البدن فالروح ميتة حياته؛ بالعلم كما ان

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ابن القيم ١/ ١٢٠

الجسد ميت حياته بالروح فالغني بالمال غايته ان يزيد في حياة البدن واما العلم فهو **حياة القلوب** والارواح كما تقدم تقريره التاسع والثلاثون ان القلب ملك البدن والعلم زينته وعدته وماله وبه قوام ملكه والملك لا بد له من عدد وعدة ومال وزينة فالعلم هو مركبه وعدته وجماله واما المال فغايته ان يكون زينة وجمالا للبدن إذا انفقه في ذلك فإذا خزنه ولم ينفقه لم يكن زينة ولا جمالا بل نقصا ووبالا ومن المعلوم ان زينة الملك به وما به قوام ملكه اجل وافضل من زينة رعيته وجمالهم فقوام القلب بالعلم كما ان قوام الجسم بالغذاء الوجه الاربعون ان القدر المقصود من المال هو ما يكفي العبد ويقيمه ويدفع ضرورته حتى يتمكن من قضاء جهازه ومن التزوج لسفره الى ربه عزوجل فإذا زادعلى ذلك شغله وقطعه عن السفر وعن قضاء جهازه وتعبية زاده فكان ضرره عليه أكثر من مصلحته وكلما ازاداد غناه به ازداد تثبطا وتخلفا عن التجهز لما امامه وأما العلم النافع فكلما ازداد منه ازداد في تعبية الزاد وقضاء الجهاز واعداد عدة المسير والله الموفق وبه الاستعانة ولا حول ولا قوة الا به فعدة هذا السفر هو العلم والعمل وعدة الاقامة جمع الاموال والادخار ومن اراد شيئا هيأ له عدته قال تعالى {ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين} قوله محبة العلم او العالم دين يدان بها لان العلم ميراث الانبياء والعلماء ورثتهم فمحبة العلم واهله محبة لميراث الانبياء وورثتهم وبغض العلم وأهله بغض لميراث الانبياء وورثتهم فمحبة العلم من علامات السعادة وبغض العلم من علامات الشقاوة وهذا كله إنما هو في علم الرسل الذي جاؤا به وورثوه للامة لا في كل ما يسمى علما وايضا فإن محبة العلم تحمل على تعلمه واتباعه وذلك هو الدين وبغضه ينهى عن تعلمه واتباعه." (١)

"الفلسفة وهو مناف لاصول المسلمين وقواعدالدين من وجوه كثيرة ليس هذا موضع ذكرها وقال تعالى {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني} قال الفراء وجماعة ومن اتبعني معطوف على الضمير في ادعو يعني ومن اتبعني يدعو الى الله كما ادعو وهذا قول الكلبي قال حق على كل من اتبعه ان يدعو الى ما دعا اليه ويذكر بالقرآن والموعظة ويقوى هذا القول من وجوه كثيرة قال ابن الانباري ويجوز ان يتم الكلام عند قوله الى الله ثم يبتديء بقوله على بصيرة انا ومن اتبعني فيكون الكلام على قوله جملتين اخبر في اولاهما انه يدعو الى الله وفي الثانية بانه من اتباعه على بصيرة والقولان متلازمان فلا يكون الرجل من اتباعه حقا حتى يدعو الى ما دعا اليه وقول الفراء احسن واقرب الى الفصاحة والبلاغة واذا كانت الدعوة

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ابن القيم ١٣٦/١

الى الله اشرف مقامات العبد واجلها وافضلها فهي لا تحصل الا بالعلم الذي يدعو به واليه بل لا بد في كمال الدعوة من البلوغ في العلم الى حد يصل اليه السعي ويكفي هذا في شرف العلم ان صاحبه يحوز به هذا المقام والله يؤتي فضله من يشاء الوجه الحادي والثلاثون بعدالمائة انه لو لم يكن من فوائد العلم الا انه يثمر اليقين الذي هو اعظم **حياة القلب** وبه طمأنينه وقوته ونشاطه وسائر لوازم الحياة ولهذا مدح الله سبحانه اهله في كتابه واثنى عليهم بقوله {وبالآخرة هم يوقنون} وقوله تعالى كذلك نفصل الايات لقوم يوقنون وقوله في حق خليله إبراهيم وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين وذم من لا يقين عنده فقال {أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون} وفي الحديث المرفوع من حديث سفيان الثوري عن سليمان التيمي عن خيثمة عن عبد الله بن مسعوديرفعه لا ترضين احدا بسخط الله ولا تحمدن احدا على فضله ولا تذمن احدا على ما لم يؤتك الله فإن رزق الله لا يسوقه حرص حريص ولا يردة عنك كراهية كاره وان الله بعدله وقسطه جعل الروح والراحة والفرح في الرضا واليقين وجعل الهم والحزن في الشك والسخط فإذا باشر القلب اليقين امتلأ نورا وانتفى عنه كل ريب وشك وعوفي من امراضه القاتلة وامتلأ شكرا لله وذكرا له ومحبة وخوفا فحبي عن بينة واليقين والمحبة هما ركنا الايمان وعليهما ينبني وبهما قوامه وهما يمدان سائر الاعمال القلبية والبدنية وعنهما تصدر وبضعفهما يكون ضعف الاعمال وبقوتهما قوتها وجميع منازل السائرين ومقامات العارفين إنما تفتح بهما وهما يثمران كل عمل صالح وعلم نافع وهدى مستقيم قال شيخ العارفين الجيد اليقين هو استقرار العلم الذي لاينقلب ولا يتحول ولا يتغير في القلب وقال سهل حرام على قلب ان يشم رائحة اليقين وفيه سكون الى غير الله وقيل من علاماته الالتفات الى الله في كل زلة والرجوع اليه في كل امر والاستعانة به في كل حال وارادة وجهه بكل حركة ويكون." (١)

"الذي جعل كلامه حياة للقلوب وشفاء لما في الصدور وبالجملة فلا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر فإنه جامع لجميع منازل السائرين واحوال العاملين ومقامات العارفين وهو الذي يورث المحبة والشوق والخوف والرجاء والانابة والتوكل والرضا والتفويض والشكر والصبر وسائر الاحوال التي بها **حياة القلب** وكماله وكذلك يزجر عن جميع الصفات والافعال المذمومة والتي بها فساد القلب وهلاكه فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها فإذا قرأه بتفكر حتى مر بآية وهو محتاجا إليها في شفاء قلبه كررها ولو مائة مرة ولو ليلة فقراءة آية بتفكر وتفهم خير من قراءة ختمة بغير

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ابن القيم ١/١٥٤

تدبر وتفهم وأنفع للقلب وأدعى الى حصول الايمان وذوق حلاوة القرآن وهذه كانت عادة السلف يردد احدهم الاية الى الصباح وقد ثبت عن النبي انه قام بآية يرددها حتى الصباح وهي قوله {إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم} فقراءة القرآن بالتفكر هي اصل صلاح القلب ولهذا قال ابن مسعود لاتهذوا القرآن هذا الشعر ولا تنثروه نثر الدقل وقفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب لا يكن هم احدكم آخر السورة وروى ابو ايوب عن ابي جمرة قال قلت لابن عباس اني سريع القراءة إني اقرا القرآن في ثلاث قال لان اقرأ سورة من القرآن في ليلة فأتدبرها وأرتلها احب الي من ان اقرأ القرآن كما تقرأ والتفكر في القرآن نوعان تفكر فيه ليقع على مراد الرب تعالى منه وتفكر في معاني ما دعا عباده الى التفكر فيه فالاول تفكر في الدليل القرآني والثاني تفكر في الدليل العياني الاول ففكر في آياته المسموعة والثاني تفكر في آياته المشهودة ولهذا انزل الله القرآن ليتدبر ويتفكر فيه ويعمل به لا لمجرد تلاوته مع الاعراض عنه قال الحسن البصري انزل القرآن ليعمل به فاتخذوا تلاوته عملا

فصل وإذا تأملت ما دعى الله سبحانه في كتابه عباده الى الفكر فيه

اوقعك على العلم به سبحانه وتعالى وبوحدانيته وصفات كماله ونعوت جلاله من عموم قدرته وعلمه وكمال حكمته ورحمته واحسانه وبره ولطفه وعدله ورضاه وغضبه وثوابه وعقابه فبهذا تعرف الى عباده وندبهم الى التفكر في آياته ونذكر لذلك امثلة مما ذكرها الله سبحانه في كتابه يستدل بها على غيرها فمن ذلك خلق الانسان وقدندب سبحانه الى التفكر فيه والنظر في غير موضع من كتابه كقوله تعالى {فلينظر الإنسان مم خلق} وقوله تعالى {وفي أنفسكم أفلا تبصرون} وقال تعالى يايها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعدعلم." (١)

"[هداية القرآن]

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ابن القيم ١/١٨٧

شريك له رب العالمين، وإله المرسلين، وقيوم السماوات والأرضين، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث بالكتاب المبين، الفارق بين الهدى والضلال، والغي والرشاد، والشك واليقين، أنزله لنقرأه تدبرا، ونتأمله تبصرا، ونسعد به تذكرا، ونحمله على أحسن وجوهه ومعانيه، ونصدق به ونجتهد على إقامة أوامره ونواهيه، ونجتني ثمار علومه النافعة الموصلة إلى الله سبحانه من أشجاره، ورياحين الحكم من بين رياضه وأزهاره، فهو كتابه الدال عليه لمن أراد معرفته، وطريقه الموصلة لسالكها إليه، ونوره المبين الذي أشرقت له الظلمات، ورحمته المهداة التي بها صلاح جميع المخلوقات، والسبب الواصل بينه وبين عباده إذا انقطعت الأسباب، وبابه الأعظم الذي منه الدخول، فلا يغلق إذا غلقت الأبواب، وهو الصراط المستقيم الذي لا تميل به الآراء، والذكر الحكيم الذي لا تزيغ به الأهواء، والنزل الكريم الذي لا يشبع منه العلماء، لا تفنى عجائبه، ولا تقلع سحائبه، ولا تنقضي آياته، ولا تختلف دلالاته، كلما ازدادت البصائر فيه تأملا وتفكيرا، زادها هداية وتبصيرا، وكلما بجست معينه فجر لها ينابيع الحكمة تفجيرا، فهو نور البصائر من عماها، وشفاء الصدور من أدوائها وجواها، **وحياة القلوب**، ولذة النفوس، ورياض القلوب، وحادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، والمنادي بالمساء والصباح: يا أهل الفلاح، حي على الفلاح، نادى منادي الإيمان على رأس الصراط المستقيم {ياقومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم} [الأحقاف: ٣١].." (١)

"أسمع والله لو صادف آذانا واعية، وبصر لو صادف قلوبا من الفساد خالية، لكن عصفت على القلوب هذه الأهواء فأطفأت مصابيحها، وتمكنت منها آراء الرجال فأغلقت أبوابها وأضاعت مفاتيحها، وران عليها كسبها فلم تجد حقائق القرآن إليها منفذا، وتحكمت فيها أسقام الجهل فلم تنتفع معها بصالح العمل.

وا عجبا لها! كيف جعلت غذاءها من هذه الآراء التي لا تسمن ولا تغني من جوع، ولم تقبل الاغتذاء بكلام رب العالمين، ونصوص حديث نبيه المرفوع، أم كيف اهتدت في ظلم الآراء إلى التمييز بين الخطأ والصواب، وخفي عليها ذلك في مطالع الأنوار من السنة والكتاب؟ .

واعجبا! كيف ميزت بين صحيح الآراء وسقيمها، ومقبولها ومردودها، وراجحها ومرجوحها، وأقرت على أنفسها بالعجز عن تلقي الهدى والعلم من كلام من كلامه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١/٢٧

الكفيل بإيضاح الحق مع غاية البيان وكلام من أوتي جوامع الكلم. واستولى كلامه على الأقصى من البيان؟
.
كلا، بل هي والله فتنة أعمت القلوب عن مواقع رشدها، وحيرت العقول عن طرائق قصدها، يربى فيها الصغير، ويهرم فيها الكبير.
وظنت خفافيش البصائر أنها الغاية التي يتسابق إليها المتسابقون، والنهاية التي تنافس فيها المنافسون، وتزاحموا عليها، وهيهات، أين السهى من شمس الضحى؟ وأين الثرى من كواكب الجوزاء؟ وأين الكلام الذي لم تضمن لنا عصمة قائله بدليل معلوم، من النقل المصدق عن القائل المعصوم؟ وأين الأقوال التي أعلا درجاتها أن تكون سائغة الاتباع، من النصوص الواجب على كل مسلم تقديمها وتحكيمها والتحاكم إليها في محل النزاع؟ وأين الآراء التي نهى قائلها عن تقليده فيها وحذر، من النصوص التي فرض على كل عبد أن يهتدي بها ويتبصر؟ وأين المذاهب التي إذا مات أربابها فهي من جملة الأموات، من النصوص التي لا تزول إذا زالت الأرض والسماوات؟
سبحان الله! ماذا حرم المعرضون عن نصوص الوحي، واقتباس العلم من مشكاته من كنوز الذخائر؟ ! وماذا فاتهم من **حياة القلوب** واستنارة البصائر؟ قنعوا بأقوال استنبطتها معاول الآراء فكرا، وتقطعوا أمرهم بينهم لأجلها زبرا، وأوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا، فاتخذوا لأجل ذلك القرآن مهجورا.
درست معالم القرآن في قلوبهم فليسوا يعرفونها، ودثرت معاهده عندهم فليسوا يعمرونها، ووقعت ألويته وأعلامه من أيديهم فليسوا يرفعونها، وأفلت كواكبه النيرة من." (١)
"الثاني: أخذها من اسم الله، وهو المألوه المعبود، ولا سبيل للعباد إلى معرفة عبادته إلا من طريق رسله.
الموضع الثالث: من اسمه الرحمن فإن رحمته تمنع إهمال عباده، وعدم تعريفهم ما ينالون به غاية كمالهم، فمن أعطى اسم الرحمن حقه عرف أنه متضمن لإرسال الرسل، وإنزال الكتب، أعظم من تضمنه إنزال الغيث، وإنبات الكلأ، وإخراج الحب، فاقتضاء الرحمة لما تحصل به **حياة القلوب** والأرواح أعظم من اقتضائها لما تحصل به حياة الأبدان والأشباح، لكن المحجوبون إنما أدركوا من هذا الاسم حظ البهائم والدواب، وأدرك منه أولو الألباب أمرا وراء ذلك.

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١/٢٨

الموضع الرابع: من ذكر يوم الدين فإنه اليوم الذي يدين الله العباد فيه بأعمالهم، فيثيبهم على الخيرات، ويعاقبهم على المعاصي والسيئات، وما كان الله ليعذب أحدا قبل إقامة الحجة عليه، والحجة إنما قامت برسله وكتبه، وبهم استحق الثواب والعقاب، وبهم قام سوق يوم الدين، وسيق الأبرار إلى النعيم، والفجار إلى الجحيم.

الموضع الخامس: من قوله {إياك نعبد} [الفاتحة: ٥] فإن ما يعبد به الرب تعالى لا يكون إلا على ما يحبه ويرضاه، وعبادته وهي شكره وحبه وخشيته فطري ومعقول للعقول السليمة، لكن طريق التعبد وما يعبد به لا سبيل إلى معرفته إلا برسله وبيانهم، وفي هذا بيان أن إرسال الرسل أمر مستقر في العقول، يستحيل تعطيل العالم عنه، كما يستحيل تعطيله عن الصانع، فمن أنكر الرسول فقد أنكر المرسل ولم يؤمن به، ولهذا جعل الله سبحانه الكفر برسله كفرا به.

الموضع السادس: من قوله {اهدنا الصراط المستقيم} [الفاتحة: ٦] فالهداية: هي البيان والدلالة، ثم التوفيق والإلهام، وهو بعد البيان والدلالة، ولا سبيل إلى البيان والدلالة إلا من جهة الرسل، فإذا حصل البيان والدلالة والتعريف ترتب عليه هداية التوفيق، وجعل الإيمان في القلب، وتحبيبه إليه، وتزيينه في القلب، وجعله مؤثرا له، راضيا به، راغبا فيه.

وهما هدايتان مستقلتان، لا يحصل الفلاح إلا بهما، وهما متضمنتان تعريف ما لم نعلمه من الحق تفصيلا وإجمالا، وإلهامنا له، وجعلنا مريدين لاتباعه ظاهرا وباطنا، ثم خلق القدرة لنا على القيام بموجب الهدى بالقول والعمل والعزم، ثم إدامة ذلك لنا وتثبيتنا عليه إلى الوفاة.

ومن هنا يعلم اضطرار العبد إلى سؤال هذه الدعوة فوق كل ضرورة، وبطلان قول من يقول: إذا كنا مهتدين، فكيف نسأل الهداية؟ فإن المجهول لنا من الحق أضعاف." (١)

"أسماع قلوبهم قد أثقلها الوقر، فهي لا تسمع منادي الإيمان، وعيون بصائرهم عليها غشاوة العمى، فهي لا تبصر حقائق القرآن، وألسنتهم بها خرس عن الحق فهم به لا ينطقون {صم بكم عمي فهم لا يرجعون} [البقرة: ١٨] .

صاب عليهم صيب الوحي، وفيه **حياة القلوب** والأرواح، فلم يسمعوا منه إلا رعد التهديد والوعيد والتكاليف التي وظفت عليهم في المساء والصباح، فجعلوا أصابعهم في آذانهم، واستغشوا ثيابهم، وجدوا في الهرب،

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣٢/١

والطلب في آثارهم والصياح، فنودي عليهم على رءوس الأشهاد، وكشفت حالهم للمستبصرين، وضرب لهم مثلان بحسب حال الطائفتين منهم: المناظرين، والمقلدين، فقيل {أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين} [البقرة: ١٩] .

ضعفت أبصار بصائرهم عن احتمال ما في الصيب من بروق أنواره وضياء معانيه، وعجزت أسماعهم عن تلقي رعود وعوده وأوامره ونواهيه، فقاموا عند ذلك حيارى في أودية التيه، لا ينتفع بسمعه السامع، ولا يهتدي ببصره البصير، {كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير} [البقرة: ٢٠] .." (١)

"فالعمى عن عيب الواعظ من شروط تمام الانتفاع بموعظته.

وأما تذكر الوعد والوعيد فإن ذلك يوجب خشيته والحذر منه، ولا تنفع الموعظة إلا لمن آمن به، وخافه ورجاه، قال الله تعالى {إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة} [هود: ١٠٣] وقال {سيذكر من يخشى} [الأعلى: ١٠] وقال {إنما أنت منذر من يخشاها} [النازعات: ٤٥] وأصرح من ذلك قوله تعالى {فذكر بالقرآن من يخاف وعيد} [ق: ٤٥] فالإيمان بالوعد والوعيد، وذكره: شرط في الانتفاع بالعظات والآيات والعبر، يستحيل حصوله بدونه.

قال: وإنما تستبصر العبرة بثلاثة أشياء: بحياة العقل، ومعرفة الأيام، والسلامة من الأغراض.

إنما تتميز العبرة وترى وتتحقق بحياة العقل، والعبرة هي الاعتبار، وحقيقتها العبور من حكم الشيء إلى حكم مثله، فإذا رأى من قد أصابته محنة وبلاء لسبب ارتكبه، علم أن حكم من ارتكب ذلك السبب كحكمه.

وحياة العقل هي صحة الإدراك، وقوة الفهم وجودته، وتحقق الانتفاع بالشيء والتضرر به، وهو نور يخص الله به من يشاء من خلقه، وبحسب تفاوت الناس في قوة ذلك النور وضعفه ووجوده وعدمه يقع تفاوت أذهانهم وأفهامهم وإدراكاتهم. ونسبته إلى القلب كنسبة النور الباصر إلى العين.

ومن تجريبات السالكين التي جربوها فألفوها صحيحة أن من أدمن يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت أورثه ذلك **حياة القلب** والعقل.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه شديد اللهج بها جدا، وقال لي يوما: لهذين الاسمين وهما

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣٥٨/١

الحي القيوم تأثير عظيم في **حياة القلب**، وكان يشير إلى أنهما الاسم الأعظم، وسمعته يقول: من واظب على أربعين مرة كل يوم بين سنة الفجر وصلاة الفجر يا حي يا قيوم، لا إله إلا أنت، برحمتك أستغيث حصلت له **حياة القلب**، ولم يمت قلبه.." (١)

"[الدرجة الثالثة التورع عن كل داعية تدعو إلى شتات الوقت]

وقال: الدرجة الثالثة: التورع عن كل داعية تدعو إلى شتات الوقت. والتعلق بالتفرق. وعارض يعارض حال الجمع.

الفرق بين شتات الوقت، والتعلق بالتفرق: كالفرق بين السبب والمسبب، والنفي والإثبات. فإنه يتشتت وقته. فلا يجد بدا من التعلق بما سوى مطلوبه الحق. إذ لا تعطيل في النفس ولا في الإرادة. فمن لم يكن الله مراده أراد ما سواه.

ومن لم يكن هو وحده معبوده عبد ما سواه. ومن لم يكن عمله لله فلا بد أن يعمل لغيره. وقد تقدم هذا. فالمخلص يصونه الله بعبادته وحده، وإرادة وجهه وخشيته وحده، ورجائه وحده، والطلب منه، والذل له، والافتقار إليه وحده.

وإنما كان هذا أعلى من الدرجة الثانية: لأن أربابها اشتغلوا بحفظ الصيانة من الكدر وملاحظتها. وذلك عند أهل الدرجة الثالثة: تفرق عن الحق. واشتغال عن مراقبته بحال نفوسهم. فأدب أهل هذه أدب حضور، وأدب أولئك أدب غيبة.

وأما " الورع عن كل حال يعارض حال الجمع ".

فمعناه أن يستغرق العبد شهود فنائه في التوحيد، وجمعيته على الله تعالى فيه عن كل حال يعارض هذا الفناء والجمعية.

وهذا عند الشيخ لما كان هو الغاية التي ليس بعدها مطلب جعل كل حال يعارضها ويقطع عنها ناقصا بالنسبة إليها. فالرغبة عنه غير ورع صاحبها. وقد عرفت ما فيه. وأن فوق هذا مقام أرفع منه وأعلى. وهو الورع عن كل حظ يزاحم مراده منك، ولو كان الحظ فناء وجمعية، أو كائنا ما كان. وبينا أن الفناء والجمعية حظ العبد. وأن حق الرب وراء ذلك. وهو البقاء بمراده فرقا وجمعا به وله.

وعلى هذا فالورع الخاص: الورع عن كل حال يعارض حال القيام بالأمر، والبقاء به فرقا وجمعا. والله

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١/٤٤٦

المستعان.

[فصل الخوف يثمر الورع]

فصل

الخوف يثمر الورع والاستعانة وقصر الأمل. وقوة الإيمان باللقاء تثمر الزهد. والمعرفة تثمر المحبة والخوف والرجاء. والقناعة تثمر الرضاء. والذكر يثمر **حياة القلب**.." (١)

"والإيمان بالقدر يثمر التوكل. ودوام تأمل الأسماء والصفات يثمر المعرفة. والورع يثمر الزهد أيضا. والتوبة تثمر المحبة أيضا، ودوام الذكر يثمرها. والرضا يثمر الشكر. والعزيمة والصبر يثمران جميع الأحوال والمقامات. والإخلاص والصدق كل منهما يثمر الآخر ويقتضيه. والمعرفة تثمر الخلق. والفكر يثمر العزيمة. والمراقبة تثمر عمارة الوقت، وحفظ الأيام والحياء، والخشية والإنابة. وإماتة النفس وإذلالها وكسرها يوجب **حياة القلب** وعزه وجبره. ومعرفة النفس ومقتها يوجب الحياء من الله عز وجل، واستكثار ما منه، واستقلال ما منك من الطاعات. ومحو أثر الدعوى من القلب واللسان وصحة البصيرة تثمر اليقين. وحسن التأمل لما ترى وتسمع من الآيات المشهودة والمتلوة يثمر صحة البصيرة.

وملاك ذلك كله: أمران: أحدهما: أن تنقل قلبك من وطن الدنيا فتسكنه في وطن الآخرة، ثم تقبل به كله على معاني القرآن واستجلائها وتدبرها، وفهم ما يراد منه وما نزل لأجله، وأخذ نصيبك وحظك من كل آية من آياته، وتنزلها على داء قلبك.

فهذه طريق مختصرة قريبة سهلة. موصلة إلى الرفيق الأعلى. آمنة لا يلحق سالكها خوف ولا عطب، ولا جوع ولا عطش، ولا فيها آفة من آفات سائر الطريق البتة. وعليها من الله حارس وحافظ يكلأ السالكين فيها ويحميهم، ويدفع عنهم. ولا يعرف قدر هذه الطريق إلا من عرف طرق الناس وغوائلها وآفاتها وقطاعها. والله المستعان.

[فصل منزلة التبتل]

[حقيقة التبتل]

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٢/٢٩

فصل منزلة التبتل

ومن منازل " {إياك نعبد وإياك نستعين} [الفاتحة: ٥] " منزلة التبتل.

قال الله تعالى: {واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا} [المزمل: ٨] .

والتبتل الانقطاع. وهو تفعل من البتل وهو القطع. وسميت مريم عليها السلام البتول لانقطاعها عن الأزواج، وعن أن يكون لها نظراء من نساء زمانها. ففاقت نساء الزمان شرفا وفضلا. وقطعت منهن. ومصدر بتل تبتلا كالتعلم والتفهم، ولكن جاء على التفعيل - مصدر تفعل - لسر لطيف. فإن في هذا الفعل إيذانا بالتدريج والتكلف والتعمل والتكثر والمبالغة. فأتى بالفعل الدال على أحدهما، وبالمصدر." (١)

"فإنه لم يوافقه في محبته وطاعته، التي هي سرور النفس، وقرة العين، **وحياة القلب**. فكيف يوافقه في محبته للعقوبة، التي هي أكره شيء إليه، وأشق شيء عليه؟ بل كان كارها لما يحبه من طاعته وتوحيده. فلا يكون راضيا بما يختاره من عقوبته. ولو قبل ذلك لارتفعت عنه العقوبة.

فإن قلت: فكيف يجتمع الرضا بالقضاء الذي يكرهه العبد - من المرض والفقر والألم - مع كراهته؟

قلت: لا تنافي في ذلك. فإنه يرضى به من جهة إفضائه إلى ما يحب. ويكرهه من جهة تألمه به، كالدواء الكريه الذي يعلم أن فيه شفاءه. فإنه يجتمع فيه رضاه به، وكراهته له.

فإن قلت: كيف يرضى لعبده شيئا، ولا يعينه عليه؟

قلت: لأن إعانته عليه قد تستلزم فوات محبوب له أعظم من حصول تلك الطاعة التي رضيها له. وقد يكون وقوع تلك الطاعة منه يتضمن مفسدة هي أكره إليه سبحانه من محبته لتلك الطاعة، بحيث يكون وقوعها منه مستلزما لمفسدة راجحة، ومفوتا لمصلحة راجحة، وقد أشار تعالى إلى ذلك في قوله: {ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين - لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين} [التوبة: ٤٦ - ٤٧] . فأخبر سبحانه: أنه كره انبعاثهم مع رسوله صلى الله عليه وسلم للغزو. وهو طاعة وقربة، وقد أمرهم به، فلما كرهه منهم ثبطهم عنه. ثم ذكر سبحانه بعض المفاسد التي كانت ستترتب على خروجهم لو خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: {لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا} [التوبة: ٤٧] أي فسادا وشرا {ولأوضعوا خلالكم} [التوبة: ٤٧] أي سعوا فيما بينكم بالفساد والشر. {يبغونكم الفتنة وفيكم

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٢/ ٣٠

سماعون لهم} [التوبة: ٤٧] . أي قابلون منهم مستجيبون لهم. فيتولد من بين سعي هؤلاء بالفساد وقبول أولئك منهم من الشر ما هو أعظم من مصلحة خروجهم. فاقتضت الحكمة والرحمة: أن منعهم من الخروج، وأقعدهم عنه.

فاجعل هذا المثال أصلا لهذا الباب. وقس عليه.

فإن قلت: قد يتصور لي هذا في رضا الرب تعالى لبعض ما يخلقه من وجه وكراهته من وجه آخر. فكيف لي بأن يجتمع الأمران في حقي بالنسبة إلى المعاصي والفسوق؟." (١)

"وفيهما عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها. فإذا رأى شيئا يكرهه عرفناه في وجهه» .

وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت» . وفي هذا قولان.

أحدهما: أنه أمر تهديد. ومعناه الخبر، أي من لم يستح صنع ما شاء.

والثاني: أنه أمر إباحة. أي انظر إلى الفعل الذي تريد أن تفعله. فإن كان مما لا يستحيا منه فافعله. والأول أصح. وهو قول الأكثرين.

وفي الترمذي مرفوعا «استحيوا من الله حق الحياء. قالوا: إنا نستحي يا رسول الله. قال: ليس ذلكم، ولكن من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى. وليحفظ البطن وما حوى. وليذكر الموت والبلى. ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا. فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء» .

[فصل تعريف الحياء]

فصل

والحياء من الحياة. ومنه الحيا للمطر، لكنه مقصور، وعلى حسب **حياة القلب** يكون فيه قوة خلق الحياء. وقلة الحياء من موت القلب والروح. فكلما كان القلب." (٢)

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٢/١٩٦

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٢/٢٤٨

"وتسعهم بخلقك باحتمال ما يبدو منهم من سوء العشرة، فخذ منهم ما أمر الله نبيه أن يأخذه من أخلاق الناس. وهو العفو.

وتدعهم يطؤونك أي يدوسونك من لينك وتواضعك، وخفض جناحك، بحيث لا تترك لنفسك بينهم رتبة تتقاضاهم أن يحترموك لأجلها. هذا معنى كلامه.

قوله: والعلم قائم. وشهود المعنى دائم.

أما قيام العلم: فهو أن يكون هذا الاسترسال موافقا للشرع، غير مخرج عن حدوده وآدابه، بحيث لا تحملهم على تعدي حدود الله، وتضييع حقه وحقوق عباده.

وأما دوام شهود المعنى فهو حفظ حالك وقلبك مع الله، ودوام إقبالك عليه بقلبك كله. فأنت معهم مسترسل بشبحك ورسمك وصورتك فقط. ومفارقتهم بقلبك وسرك، مشاهدا للمعنى الذي به حياتك. فإذا فارقته كنت كالحوت إذا فارق الماء. فإن هذا المعنى هو **حياة القلب** والروح. فإذا فات العبد علته الكآبة، وغمره الهم والغم والأحزان، وتلون في أفعاله وأقواله. وتاه قلبه في الأودية والشعاب. وفقد نعيم الدنيا والآخرة.

وهذا هو الذي أشار إليه يحيى الصرصري في قوله:

إذا صار قلب العبد للسر معدنا تلوح على أعطافه بهجة السنا وإن فاته المعنى علته كآبة فأصبح في أفعاله متلونا فمتى كان شهود هذا المعنى قائما في قلبك: لا يضرك مخالطة من لا تسلبك إياه مخالطته والانبساط إليه.

[فصل الدرجة الثانية الانبساط مع الحق]

فصل

قال: الدرجة الثانية: الانبساط مع الحق. وهو أن لا يحبسك خوف، ولا يحجبك رجاء. ولا يحول بينك وبينه آدم ولا حواء.." (١)

"ومن أحالك على غير أخبرنا وحدثنا فقد أحالك: إما على خيال صوفي، أو قياس فلسفي. أو رأي نفسي. فليس بعد القرآن وأخبرنا وحدثنا إلا شبهات المتكلمين. وآراء المنحرفين، وخيالات المتصوفين، وقياس المتفلسفين. ومن فارق الدليل، ضل عن سواء السبيل. ولا دليل إلى الله والجنة، سوى الكتاب

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٢/٣٣٨

والسنة. وكل طريق لم يصحبها دليل القرآن والسنة فهي من طرق الجحيم، والشيطان الرجيم.

والعلم ما قام عليه الدليل. والنافع منه: ما جاء به الرسول. والعلم خير من الحال: العلم حاكم. والحال محكوم عليه. والعلم هاد. والحال تابع. والعلم آمر ناه. والحال منفذ قابل، والحال سيف، إن لم يصحبه العلم فهو مخراق في يد لاعب. الحال مركب لا يجارى. فإن لم يصحبه علم ألقى صاحبه في المهالك والمتالف. والحال كالمال يؤتاه البر والفاجر. فإن لم يصحبه نور العلم كان وبالا على صاحبه.

الحال بلا علم كالسلطان الذي لا يزعه عن سطوته وازع.

الحال بلا علم كالنار التي لا سائس لها.

نفع الحال لا يتعدى صاحبه. ونفع العلم كالغيث يقع على الظراب والآكام وبطون الأودية ومنابت الشجر.

دائرة العلم تسع الدنيا والآخرة. ودائرة الحال تضيق عن غير صاحبه. وربما ضاقت عنه.

العلم هاد والحال الصحيح مهتد به. وهو تركة الأنبياء وتراثهم. وأهله عصبتهم ووراثهم، وهو **حياة القلوب**. ونور البصائر. وشفاء الصدور. ورياض العقول. ولذة الأرواح. وأنس المستوحشين. ودليل المتحيرين. وهو الميزان الذي به توزن الأقوال والأعمال والأحوال.

وهو الحاكم المفرق بين الشك واليقين، والغي والرشاد، والهدى والضلال.

به يعرف الله ويعبد، ويذكر ويوحد، ويحمد ويمجد. وبه اهتدى إليه السالكون. ومن طريقه وصل إليه الواصلون. ومن بابه دخل عليه القاصدون.." (١)

"به عن ذوق تام. لا عن مجرد.

فذكر: أن هذا الشيء أنزله الله في قلب رسوله صلى الله عليه وسلم. وقلوب عباده المؤمنين يشتمل على ثلاثة معان: النور، والقوة، والروح.

وذكر له ثلاث ثمرات: سكون الخائف إليه، وتسلي الحزين والضجر به، واستكانة صاحب المعصية والجرأة على المخالفة والإباء إليه.

فبالروح الذي فيها: **حياة القلب**. وبالنور الذي فيها: استنارته، وضياؤه وإشراقه، وبالقوة: ثباته وعزمه ونشاطه.

فالنور: يكشف له عن دلائل الإيمان، وحقائق اليقين. ويميز له بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والغي والرشد، والشك واليقين.

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٤٣٩/٢

والحياة: توجب كمال يقظته وفطنته، وحضوره وانتباهه من سنة الغفلة. وتأهبه للقائه.
والقوة: توجب له الصدق، وصحة المعرفة، وقهر داعي الغي والعنت، وضبط النفس عن جزعها وهلعها، واسترسالها في النقائض والعيوب. ولذلك ازداد بالسكينة إيمانا مع إيمانه.
والإيمان: يثمر له النور والحياة والقوة. وهذه الثلاثة تثمره أيضا. وتوجب زيادته. فهو محفوف بها قبلها وبعدها.
فبالنور: يكشف دلائل الإيمان. وبالحياة: ينتبه من سنة الغفلة. ويصير يقظانا. وبالقوة: يقهر الهوى والنفس، والشيطان. كما قيل:

وتلك مواهب الرحمن ليست ... تحصل باجتهاد أو بكسب

ولكن لا غنى عن بذل جهد ... بإخلاص وجد لا بلعب

وفضل الله مبذول ولكن ... بحكمته وعن ذا النص ينبي

فما من حكمة الرحمن وضع ال ... كواكب بين أحجار وترب

فشكرا للذي أعطاك منه ... فلو قبل المحل لزاد ربي

[فصل السكينة يسكن إليها العصي]

فصل

فإذا حصلت هذه الثلاثة بالسكينة - وهي النور، والحياة والروح - سكن إليها العصي وهو الذي سكونه إلى المعصية والمخالفة؛ لعدم سكينة الإيمان في قلبه صار سكونه إليها عوض سكونه إلى الشهوات، والمخالفات. فإنه قد وجد فيها مطلوبه. وهو اللذة التي كان يطلبها من المعصية. ولم يكن له ما يعيضه عنها. فإذا نزلت عليه السكينة." (١)

"العلامة الثالثة: الجهاد في سبيل الله بالنفس واليد، واللسان والمال، وذلك تحقيق دعوى المحبة.
العلامة الرابعة: أنهم لا تأخذهم في الله لومة لائم. وهذا علامة صحة المحبة فكل محب يأخذه اللوم عن محبوبه فليس بمحب على الحقيقة. كما قيل:

لا كان من لسواك فيه بقية ... يجد السبيل بها إليه اللوم.

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٢/٤٧٥

وقال تعالى {أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب} [الإسراء: ٥٧]- إلى قوله - {محذورا} [الإسراء: ٥٧] فذكر المقامات الثلاث: الحب. وهو ابتغاء القرب إليه، والتوسل إليه بالأعمال الصالحة. والرجاء والخوف: يدل على أن ابتغاء الوسيلة أمر زائد على رجاء الرحمة وخوف العذاب.

ومن المعلوم قطعا: أنك لا تتنافس إلا في قرب من تحب قربه، وحب قربه تبع لمحبة ذاته. بل محبة ذاته أوجبت محبة القرب منه. وعند الجهمية والمعطلة: ما من ذلك كله شيء. فإنه عندهم لا تقرب ذاته من شيء، ولا يقرب من ذاته شيء، ولا يحب لذاته. ولا يحب.

فأنكروا **حياة القلوب**، ونعيم الأرواح، وبهجة النفوس، وقرة العيون، وأعلى نعيم الدنيا والآخرة. ولذلك ضربت قلوبهم بالقسوة، وضربت دونهم ودون الله حجب على معرفته ومحبته. فلا يعرفونه ولا يحبونه. ولا يذكرونه إلا عند تعطيل أسمائه وصفاته فذكرهم أعظم آثامهم وأوزارهم.

بل يعاقبون من يذكره بأسمائه وصفاته ونعوت جلاله. ويرمونهم بالأدواء التي هم أحق بها وأهلها، وحسب ذي البصيرة **وحياة القلب**: ما يرى على كلامهم من القسوة والمقت، والتنفير عن محبة الله عز وجل ومعرفته وتوحيده. والله المستعان.

وقال تعالى: {ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه} [الأنعام: ٥٢]." [1]

"وقال تعالى: {قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم} [المائدة: ١٥] .

وقال تعالى: {ياأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا} [النساء: ١٧٤] وقال تعالى: {فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون} [الأعراف: ١٥٧] وقال تعالى: {وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا} [الشورى: ٥٢] . فجعله روحا لما يحصل به من **حياة القلوب** والأرواح. ونورا لما يحصل به من الهدى والرشاد.

ومثل هذا النور في قلب المؤمن: {كمشكاة فيها مصباح - المصباح في زجاجة - الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار - نور على نور - يهدي الله لنوره من يشاء} [النور: ٣٥] ومثل حال من فقد هذا النور: بمن هو في {ظلمات في بحر

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣/٢٣

لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور} [النور: ٤٠] .

الحزن الثالث: حزن بعثته وحشة التفرق. وهو تفرق الهم والقلب عن الله عز وجل. ولهذا التفرق حزن ممض على فوات جمعية القلب على الله ولذاتها ونعيمها، فلو فرضت لذات أهل الدنيا بأجمعها حاصلة لرجل لم يكن لها نسبة إلى لذة جمعية قلبه على الله، وفرحه به، وأنسه بقربه، وشوقه إلى لقائه. وهذا أمر لا يصدق به إلا من ذاقه. فإنما يصدقك من أشرق فيه ما أشرق فيك. ولله در القائل:

أيا صاحبي أما ترى نارهم ... فقال: تريني ما لا أرى

سقاك الغرام ولم يسقني ... فأبصرت ما لم أكن مبصرا

فلو لم يكن في التفرق المذكور إلا ألم الوحشة، ونكد التشتت، وغبار الشعث." (١)

"وسمي وحيه روحا، لما يحصل به من **حياة القلوب** والأرواح، فقال تعالى: {وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا} [الشورى: ٥٢] فأخبر أنه روح تحصل به الحياة، وأنه نور تحصل به الإضاءة، وقال تعالى: {ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون} [النحل: ٢] ، وقال تعالى: {رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق} [غافر: ١٥] فالوحي حياة الروح، كما أن الروح حياة البدن، ولهذا من فقد هذه الروح فقد فقد الحياة النافعة في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فحياته حياة البهائم، وله المعيشة الضنك، وأما في الآخرة فله جهنم لا يموت فيها ولا يحيا.

وقد جعل الله الحياة الطيبة لأهل معرفته ومحبته وعبادته، فقال تعالى: {من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون} [النحل: ٩٧] وقد فسرت الحياة الطيبة بالقناعة والرضا، والرزق الحسن وغير ذلك، والصواب: أنها **حياة القلب** ونعيمه، وبهجته وسروره بالإيمان ومعرفة الله، ومحبته، والإنابة إليه، والتوكل عليه، فإنه لا حياة أطيب من حياة صاحبها، ولا نعيم فوق نعيمه إلا نعيم الجنة، كما كان بعض العارفين يقول: إنه لتمر بي أوقات أقول فيها إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب، وقال غيره: إنه ليمر بالقلب أوقات يرقص فيها طربا.

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣/١٥٥

وإذا كانت حياة القلب حياة طيبة تبعته حياة الجوارح، فإنه ملكها، ولهذا جعل الله المعيشة الضنك لمن أعرض عن ذكره، وهي عكس الحياة الطيبة.

وهذه الحياة الطيبة تكون في الدور الثلاث، أعني: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، والمعيشة الضنك أيضا تكون في الدور الثلاث، فالأبرار في النعيم هنا وهنالك، والفجار في الجحيم هنا وهنالك، قال الله تعالى: {للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير} [النحل: ٣٠] ، وقال تعالى: {وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله} [هود: ٣]." (١)

"{إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء} [النمل: ٨٠] ، وقال تعالى: {إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور} [فاطر: ٢٢] وشبههم في موت قلوبهم بأهل القبور، فإنهم قد ماتت أرواحهم، وصارت أجسامهم قبورا لها، فكما أنه لا يسمع أصحاب القبور، كذلك لا يسمع هؤلاء، وإذا كانت الحياة هي الحس والحركة وملزومهما، فهذه القلوب لما لم تحس بالعلم والإيمان، ولم تتحرك له: كانت ميتة حقيقة، وليس هذا تشبيها لموتها بموت البدن، بل ذلك موت القلب والروح.

وقد ذكر الإمام أحمد في كتاب الزهد من كلام لقمان، أنه قال لابنه: يا بني جالس العلماء، وزاحمهم بركبتيك، فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة، كما يحيي الأرض بوابل القطر، وقال معاذ بن جبل تعلموا العلم، فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة؛ لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار سبل أهل الجنة، وهو الأنيس في الوحشة، والصاحب في الغربة، والمحدث في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء، والزين عند الأخلاء، يرفع الله به أقواما، فيجعلهم في الخير قادة، وأئمة تقتص آثارهم، ويقتدى بأفعالهم، وينتهى إلى رأيهم، ترغب الملائكة في خلتهم، وبأجنحتها تمسحهم، يستغفر لهم كل رطب ويابس، وحيتان البحر وهوامه، وسباع البر وأنعامه؛ لأن العلم حياة القلوب من الجهل، ومصابيح الأبصار من الظلم، يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار، والدرجات العلى في الدنيا والآخرة، التفكر فيه يعدل الصيام، ومدارسته تعدل القيام، به توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال من الحرام، وهو إمام العمل، والعمل تابع له يلهمه السعداء، ويحرمه

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣/٢٤٣

الأشقياء. رواه الطبراني وابن عبد البر وغيرهما، وقد روي مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والوقف أصح.." (١)

"والمقصود: قوله؛ لأن العلم **حياة القلوب** من الجهل فالقلب ميت، وحياته بالعلم والإيمان.

فصل

المرتبة السادسة: حياة الإرادة والهمة. وضعف الإرادة والطلب: من ضعف **حياة القلب**، وكلما كان القلب أتم حياة، كانت همته أعلى وإرادته ومحبته أقوى، فإن الإرادة والمحبة تتبع الشعور بالمراد المحبوب، وسلامة القلب من الآفة التي تحول بينه وبين طلبه وإرادته، فضعف الطلب، وفتور الهمة إما من نقصان الشعور والإحسان، وإما من وجود الآفة المضعفة للحياة، فقوة الشعور، وقوة الإرادة دليل على قوة الحياة، وضعفها دليل على ضعفها، وكما أن علو الهمة، وصدق الإرادة والطلب من كمال الحياة: فهو سبب إلى حصول أكمل الحياة وأطيبها، فإن الحياة الطيبة إنما تنال بالهمة العالية، والمحبة الصادقة، والإرادة الخالصة، فعلى قدر ذلك تكون الحياة الطيبة، وأخس الناس حياة أخسهم همة، وأضعفهم محبة وطلبا، وحياة البهائم خير من حياته. كما قيل:

نهارك يا مغرور سهو وغفلة ... وليلك نوم والردى لك لازم

وتكدح فيما سوف تنكر غبه ... كذلك في الدنيا تعيش البهائم

تسر بما يفنى وتفرح بالمنى ... كما غر باللذات في النوم حالم

والمقصود: أن **حياة القلب** بالعلم والإرادة والهمة، والناس إذا شاهدوا ذلك من الرجل قالوا: هو حي القلب، **وحياة القلب** بدوام الذكر، وترك الذنوب، كما قال عبد الله بن المبارك. رحمه الله:

رأيت الذنوب تميت القلوب ... وقد يورث الذل إدمانها

وترك الذنوب **حياة القلوب** ... وخير لنفسك عصيانها." (٢)

"وهل أفسد الدين إلا الملو

ك وأحبار سوء ورهبانها ... وباعوا النفوس ولم يربحوا

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٢٤٦/٣

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٢٤٧/٣

ولم يغل في البيع أثمانها ... فقد رتع القوم في جيفة

يبين لذي اللب خسرانها

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول: من واظب على " يا حي يا قيوم. لا إله إلا أنت "كل يوم بين سنة الفجر وصلاة الفجر أربعين مرة أحيى الله بها قلبه.

وكما أن الله سبحانه جعل حياة البدن بالطعام والشراب، **فحياة القلب** بدوام الذكر، والإنابة إلى الله، وترك الذنوب، والغفلة الجاثمة على القلب، والتعلق بالرذائل والشهوات المنقطعة عن قريب يضعف هذه الحياة، ولا يزال الضعف يتوالى عليه حتى يموت، وعلامة موته: أنه لا يعرف معروفا، ولا ينكر منكرا، كما قال عبد الله بن مسعود أتدرون من ميت القلب الذي قيل فيه:

ليس من مات فاستراح بميت ... إنما الميت ميت الأحياء

قالوا: ومن هو؟ قال: الذي لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا.

والرجل: هو الذي يخاف موت قلبه، لا موت بدنه، إذ أكثر هؤلاء الخلق يخافون موت أبدانهم، ولا يبالون بموت قلوبهم، ولا يعرفون من الحياة إلا الحياة الطبيعية، وذلك من موت القلب والروح، فإن هذه الحياة الطبيعية شبيهة بالظل الزائل، والنبات السريع الجفاف، والمنام الذي يخيل كأنه حقيقة، فإذا استيقظ عرف أنه كان خيالا، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو أن الحياة الدنيا من أولها إلى آخرها أوتيها رجل واحد، ثم جاءه الموت: لكان بمنزلة من رأى في منامه ما يسره ثم استيقظ، فإذا ليس في يده شيء. وقد قيل: إن الموت موتان: موت إرادي، وموت طبيعي، فمن أمات نفسه موتا إراديا كان موته الطبيعي حياة له، ومعنى هذا أن الموت الإرادي: هو قمع الشهوات المردية، وإخماد نيرانها المحرقة، وتسكين هوائجها المتلفة، فحينئذ يتفرغ القلب والروح للتفكر فيما فيه كمال العبد، ومعرفته، والاشتغال به. ويرى حينئذ أن إيثار الظل الزائل عن قريب على العيش اللذيذ الدائم أخسر الخسران، فأما إذا كانت الشهوات وافدة، واللذات مؤثرة، والعوائد غالبة، والطبيعة حاكمة، فالقلب حينئذ إما أن يكون أسيرا ذليلا، أو مهزوما مخرجا عن وطنه ومستقره الذي لا قرار له إلا فيه أو قتيلا ميتا، وما لجرح به إيلام، وأحسن أحواله: أن يكون في." (١)

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٢٤٨/٣

"الأحوال؛ فهي ثمرة عمل الجوارح، وحال القلب لا ينال بمجرد العلم والبحث، فمن ليس له عمل ولا حال فلا معرفة له.

وسئل ذو النون عن العارف؟ فقال: كان هاهنا فذهب.

فسئل الجنيد عما أراد بكلامه هذا؟ فقال: لا يحصره حال عن حال، ولا يحجبه منزل عن التنقل في المنازل، فهو مع كل أهل منزل بمثل الذي هم فيه، يجد مثل الذي يجدون، وينطق بمعالمها لينتفعوا.

وقال محمد بن الفضل: المعرفة **حياة القلب** مع الله.

وسئل أبو سعيد: هل يصل العارف إلى حال يجفو عليه البكاء؟ فقال: نعم، إنما البكاء في أوقات سيرهم إلى الله، فإذا نزلوا بحقائق القرب، وذاقوا طعم الوصول من بره؛ زال عنهم ذلك.

وقال بعض السلف: نوم العارف يقظة، وأنفاسه تسبيح، ونوم العارف أفضل من صلاة الغافل.

وإنما كان نوم العارف يقظة؛ لأن قلبه حي؛ فعيناه تنامان، وروحه ساجدة تحت العرش بين يدي ربها وفاطرها، جسده في الفرش، وقلبه حول العرش، وإنما كان نومه أفضل من صلاة الغافل؛ لأن بدن الغافل واقف في الصلاة، وقلبه يسبح في حشوش الدنيا والأماني؛ ولذلك كانت يقظته نوما؛ لأن قلبه موات.

وقيل: مجالسة العارف تدعوك من ست إلى ست: من الشك إلى اليقين، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الغفلة إلى الذكر، ومن الرغبة في الدنيا إلى الرغبة في الآخرة، ومن الكبر إلى التواضع، ومن سوء الطوية إلى النصيحة.

[فصل درجات المعرفة]

[الدرجة الأولى معرفة الصفات والنعوت]

فصل

قال صاحب المنازل: المعرفة على ثلاث درجات، والخلق فيها على ثلاث فرق: الدرجة الأولى: معرفة الصفات والنعوت، وقد وردت أساميها بالرسالة، وظهرت شواهدها في الصنعة: بتبصر النور القائم في السر، وطيب حياة العقل لزرع الفكر، **وحياة القلب**: بحسن النظر بين التعظيم، وحسن الاعتبار، وهي معرفة العامة

التي لا تنعقد شرائط اليقين إلا بها، وهي على ثلاثة أركان: إثبات الصفات باسمها من غير تشبيه، ونفي التشبيه عنها من غير تعطيل، والإياس من إدراك كنهها، وابتغاء." (١)

"فالفكر الصحيح، المؤيد **بحياة القلب**، ونور البصيرة يدل على إثبات صفات الكمال ونعوت الجلال وأما فكر مصحوب بموت القلب وعمى البصيرة فإنما يعطى صاحبه نفيها وتعطيلها.

قوله " **وحياة القلب** بحسن النظر بين التعظيم وحسن الاعتبار " يعني: أنه ينضاف إلى نور البصيرة وطيب حياة العقل: **حياة القلب** بحسن النظر، الدائر بين تعظيم الخالق – جل جلاله – وحسن الاعتبار بمصنوعاته الدالة عليه، فلابد من الأمرين، فإنه إن غفل بالتعظيم عن حسن الاعتبار: لم يحصل له الاستدلال على الصفات، وإن حصل له الاعتبار من غير تعظيم الخالق سبحانه: لم يستفد به إثبات الصفات، فإذا اجتمع له تعظيم الخالق وحسن النظر في صنعه: أثمرا له إثبات صفات كماله ولابد.

و " الاعتبار " هو أن يعبر نظره من الأثر إلى المؤثر، ومن الصنعة إلى الصانع، ومن الدليل إلى المدلول، فينتقل إليه بسرعة لطف إدراك، فينتقل ذهنه من الملزوم إلى لازمه. قال الله تعالى {فاعتبروا ياأولي الأبصار} [الحشر: ٢] و " الاعتبار " افتعال من العبور، وهو عبور القلب من الملزوم إلى لازمه، ومن النظير إلى نظيره.

وهذا الاعتبار يضعف ويقوى، حتى يستدل صاحبه بصفات الله تعالى وكماله على ما يفعله، لحسن اعتباره وصحة نظره، وهو اعتبار الخواص واستدلالهم، فإنهم يستدلون بأسماء الله وصفاته وأفعاله، وأنه يفعل كذا ولا يفعل كذا، فيفعل ما هو موجب حكمته وعلمه وغناه وحمده، ولا يفعل ما يناقض ذلك، وقد ذكر سبحانه هذين الطريقين في كتابه، فقال تعالى في الطريق الأولى {سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق} [فصلت: ٥٣] ثم قال في الطريق الثانية {أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد} [فصلت: ٥٣] فمخلوقاته دالة على ذاته وأسمائه وصفاته، وأسماؤه وصفاته دالة على ما يفعله ويأمر به، وما لا يفعله ولا يأمر به.

مثال ذلك: أن اسمه " الحميد " سبحانه يدل على أنه لا يأمر بالفحشاء والمنكر، واسمه " الحكيم "

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣/٣٢٢

يدل على أنه لا يخلق شيئا عبثا، واسمه " الغني " يدل على أنه لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، واسمه " الملك " يدل على ما يستلزم حقيقة ملكه: من قدرته،." (١)

"عليه الا الهالكون ولا يشقى بعذابه الا المتمردون ان ربنا لغفور شكور

فإياك أيها المتمرد أن ياخذك على غرة فإنه غيور واذا أقمت على معصيته وهو يمدك بنعمته فاحذره فإنه لم يهملك لكنه صبور وبشراك ايها التائب بمغفرته ورحمته أنه غفور شكور.

من علم أن الرب شكور تفوع فى معاملته ومن عرف أنه واسع المغفرة تعلق بأذيال مغفرته ومن علم أن رحمته سبقت غضبه لم ييأس من رحمته ان ربنا لغفور شكور.

من تعلق بصفة من صفاته أخذته بيده حتى تدخله عليه ومن سار اليه بأسمائه الحسنى وصل اليه ومن أحبه أحب أسمائه وصفاته وكانت آثر شئ لديه **حياة القلوب** فى معرفته ومحبته وكمال الجوارح فى التقرب إليه بطاعته والقيام بخدمته والألسنة بذكره والثناء عليه بأوصاف مدحته فأهل شكره أهل زيادته وأهل ذكره أهل مجالسته وأهل طاعته أهل كرامته وأهل معصيته لا يقنطهم من رحمته إن تابوا فهو حبيبهم وإن لم يتوبوا فهو طبيبهم يبتليهم بأنواع المصائب ليكفر عنهم الخطايا ويطهرهم من المعائب انه غفور شكور.

والحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله حمدا يملا السموات والارض ومابينهما وما شاء ربنا من شيء بعد بمجامع حمده كلها ما علمنا منها وما لم نعلم على نعمه كلها ما علمنا منها وما لم نعلم عدد ما حمد الحامدون وغفل عن ذكره الغافلون وعدد ما جرى به قلمه واحصاه كتابه واحاط به علمه.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد واله وصحبه اجمعين وعلى سائر الانبياء والمرسلين ورضى الله عن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.." (٢)

"لقوله صلى الله عليه وسلم: إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى بني هاشم من قريش، واصطفاني من بني هاشم.

وقوله: لا يضحك، مطابق لوصفة الذي كان عليه صلى الله عليه وسلم، قالت عائشة رضي الله عنها: ما رؤي رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكا حتى تبدو لهواته إنما كان يتبسم تبسما، وهذا لأن كثرة

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣/٣٣٣

(٢) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ابن القيم ص/٢٨٦

الضحك من خفة الروح، ونقصان العقل، بخلاف التبسم فإنه من حسن الخلق، وكمال الإدراك. وأما صفته صلى الله عليه وسلم في بعض الكتب المتقدمة بأنه الضحوك القتال، فالمراد به أنه لا يمنعه ضحكه وحسن خلقه عن القتل إذا كان حبا لله وحقا له، ولا يمنعه ذلك عن تبسمه في موضعه، فيعطي كل حال ما يليق بتلك الحال، فترك الضحك بالكلية من الكبر والتجبر وسوء الخلق، وكثرته من الخفة والطيش، والاعتدال بين ذلك غير منكر.

وقوله: أنزل عليه روحي، مطابق لقوله تعالى: وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا، وقوله تعالى: يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق، فسمى الوحي روحا، لأن حياة القلوب والأرواح به، كما أن حياة الأبدان بالأرواح.

وقوله: فينظر في الأمم عدلي، مطابق لقوله تعالى: فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم، وقوله عن أهل الكتاب: فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط." (١)

"ذلك النور فلم ير قبحه في ظلمات الجهل والفسوق والظلم ومع هذا فحجة الله قائمة عليه بالرسالة وبالتعريف الأول فتزيين الرب تعالى عدل وعقوبته حكمة وتزيين الشيطان إغواء وظلم وهو السبب الخارج عن العبد والسبب الداخل فيه حبه وبغضه وإعراضه والرب سبحانه خالق الجميع والجميع واقع بمشيئته وقدرته ولو شاء لهدى خلقه أجمعين والمعصوم من عصمه الله والمخذول من خذله الله ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين.

فصل: وأما عدم مشيئته سبحانه وإرادته فكما قال تعالى: {أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم} وقال: {ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها} : {ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا} وعدم مشيئته للشيء مستلزم لعدم وجوده كما أن مشيئته تستلزم وجوده فما شاء الله وجب وجوده وما لم يشأ امتنع وجوده وقد أخبر سبحانه أن العباد لا يشاؤن إلا بعد مشيئته ولا يفعلون شيئا إلا بعد مشيئته فقال: {وما تشاءون إلا أن يشاء الله} وقال: {وما يذكرون إلا أن يشاء الله} فإن قيل فهل يكون الفعل مقدورا للعبد في حال عدم مشيئة الله له أن يفعله قيل إن أريد بكونه مقدورا سلامة آلة العبد التي يتمكن بها من الفعل وصحة أعضائه ووجوده قواه وتمكينه من أسباب الفعل وتهيئة طريق فعله وفتح الطريق له فنعم هو مقدور بهذا

---

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ابن القيم ٢/٣٦٣

الاعتبار وإن أريد بكونه مقدورا القدرة المقارنة للفعل وهي الموجبة له التي إذا وجدت لم يتخلف عنها الفعل فليس بمقدور بهذا الاعتبار وتقرير ذلك أن القدرة نوعان قدرة مصححة وهي قدرة الأسباب والشروط وسلامة الآلة وهي مناط التكليف وهذه متقدمة على الفعل غير موجبة له وقدرة مقارنة للفعل مستلزمة له لا يتخلف الفعل عنها وهذه ليست شرطا في التكليف فلا يتوقف صحته وحسنه عليها فإيمان من لم يشأ الله إيمانه وطاعة من لم يشأ طاعته مقدور بالاعتبار الأول غير مقدور بالاعتبار الثاني وبهذا التحقيق تزول الشبهة في تكليف ما لا يطاق كما يأتي بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى فإذا قيل هل خلق لمن علم أنه لا يؤمن قدرة على الإيمان أم لم يخلق له قدرة قيل خلق له قدرة مصححة متقدمة على الفعل هي مناط الأمر والنهي ولم يخلق له قدرة موجبة للفعل مستلزمة له لا يتخلف عنها فهذه فضله يؤتيه من يشاء وتلك عدله التي تقوم بها حجته على عبده فإن قيل فهل يمكنه الفعل ولم يخلق له هذه القدرة قيل هذا هو السؤال السابق بعينه وقد عرفت جوابه وبالله التوفيق.

فصل: وأما إماتة قلوبهم ففي قوله: {إنك لا تسمع الموتى} وقوله: {أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها} وقوله: {لينذر من كان حيا} وقوله: {وما أنت بمسمع من في القبور} فوصف الكافر بأنه ميت وأنه بمنزلة أصحاب القبور وذلك أن القلب الحي هو الذي يعرف الحق ويقبله ويحبه ويؤثره على غيره فإذا مات القلب لم يبق فيه إحساس ولا تمييز بين الحق والباطل ولا إرادة للحق وكراهة للباطل بمنزلة الجسد الميت الذي لا يحس بلذة الطعام والشراب وألم فقدهما وكذلك وصف سبحانه كتابه ووحيه بأنه روح لحصول **حياة القلب** به فيكون القلب حيا ويزداد حياة بروح الوحي فيحصل له حياة على حياة ونور على نور نور الوحي على نور الفطرة قال: {يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده} وقال: {وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا} فجعله روحا لما يحصل." (١)

"مضرته وعطبه وشقاوته فأوامر الرب تعالى رحمة وإحسان وشفاء ودواء وغذاء للقلوب وزينة للظاهر والباطن وحياة للقلب والبدن وكم في ضمنه من مسرة وفرحة ولذة وبهجة ونعيم وقرة عين فما يسميه هؤلاء تكاليف إنما هو قرة العيون وبهجة النفوس **وحياة القلوب** ونور العقول وتكميل للفطر وإحسان تام إلى النوع الإنساني أعظم من إحسانه إليه بالصحة والعافية والطعام والشراب واللباس فنعمته على عباده بإرسال

---

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ابن القيم ص/١٠٤

الرسل إليهم وإنزال كتبه عليهم وتعريفهم أمره ونهيه وما يحبه وما يبغضه أعظم النعم وأجلها وأعلاها وأفضلها بل لا نسبة لرحمتهم بالشمس والقمر والغيث والنبات إلى رحمتهم بالعلم والإيمان والشرائع والحلال والحرام فكيف يقال أي حكمة في ذلك وإنما هو مجرد مشقة ونصب بغير فائدة فوالله أن من زعم ذلك وظنه في أحكم الحاكمين لأضل من الأنعام وأسوأ حالا من الحمير ونعوذ بالله من الخذلان والجهل بالرحمن وأسمائه وصفاته وهل قامت مصالح الوجود إلا بالأمر والنهي وإرسال الرسل وإنزال الكتب ولولا ذلك لكان الناس بمنزلة البهائم يتهارجون في الطرقات ويتسافدون تسافد الحيوانات لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا ولا يمتنعون من قبيح ولا يهتدون إلى صواب وأنت ترى الأمكنة والأزمنة التي خفيت فيها آثار النبوة كيف حال أهلها وما دخل عليهم من الجهل والظلم والكفر بالخالق والشرك بالمخلوق واستحسان القبائح وفساد العقائد والأعمال فإن الشرائع بتنزيل الحكيم العليم أنزلها وشرعها الذي يعلم ما في ضمنها من مصالح العباد في المعاش والمعاد وأسباب سعادتهم الدنيوية والأخروية فجعلها غذاء ودواء وشفاء وعصمة وحصنا وملجأ وجنة ووقاية وكانت بالقياس إلى مصالح الأبدان بمنزلة حكيم عالم ركب للناس أمرا يصلح لكل مرض ولكل ألم وجعله مع ذلك غذاء للأصحاء فمن يغذي به من الأصحاء غذاه ومن يداوي به من المرض شفاه وشرائع الرب تعالى فوق ذلك وأجل منه وإنما هو تمثيل وتقريب فلا أحسن من أمره ونهيه وتحليله وتحريمه أمره قوت وغذاء وشفاء ونهيه حمية وصيانة فلم يأمر عباده بما أمرهم به حاجة منه إليهم ولا عبثا بل رحمة وإحسانا ومصلحة ولا نهاهم عما نهاهم عنه بخلا منه بخلا عليهم بل حماية وصيانة عما يؤذيهم ويعود عليهم بالضرر إن تناولوه فكيف يتوهم من له مسكة من عقل خلوها من الحكم والغايات المحمودة المطلوبة لأجلها ولهذا استدل كثير من العقلاء على النبوة بنفس الشريعة واستغنوا بها عن طلب المعجزة وهذا من أحسن الاستدلال فإن دعوة الرسل من أكبر شواهد صدقهم وكل من له خبرة بنوع من أنواع العلوم إذا رأى حاذقا قد صنف فيه كتابا جليلا عرف أنه من أهل ذلك العلم بنظره في كتابه وهكذا كل من له عقل وفطرة سليمة وخبرة بأقوال الرسل ودعوتهم إذا نظر في هذه الشريعة قطع قطعا نظير القطع بالمحسوسات أن الذي جاء بهذه الشريعة رسول صادق وأن الذي شرعها أحكم الحاكمين ولقد شهد لها عقلاء الفلاسفة بالكمال والتمام وأنه لم يطرق العالم ناموس أكمل ولا أحكم هذه شهادة الأعداء وشهد لها من زعم أنه من الأولياء بأنها لم تشرع لحكمة ولا لمصلحة وقالوا أي حكمة في الإلزام بهذه التكاليف الشاقة المتعبة وأي مصلحة للمكلف في ذلك وأي غرض للمكلف وما هي إلا محض المشيئة المجردة من قصد غاية أو حكمة ولو

استحي هؤلاء من العقلاء لمنعهم الحياء من تسويد القلوب والأوراق بمثل ذلك وهل تركت الشريعة خيرا ومصلحة إلا جاءت به وأمرت به وندبت إليه وهل تركت شرا ومفسدة إلا نهت عنه وهل تركت لمفرح أفراحا." (١)

"ومن هذا تفضيله سبحانه جنة الفردوس على سائر الجنان، وتخصيصها بأن جعل عرشه سقفها، وفي بعض الآثار: " إن الله سبحانه غرسها بيده واختارها لخيرته من خلقه ".

ومن هذا اختياره من الملائكة المصطفين منهم على سائرهم، كجبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: («اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم») .

فذكر هؤلاء الثلاثة من الملائكة لكمال اختصاصهم، واصطفائهم، وقربهم من الله، وكم من ملك غيرهم في السماوات، فلم يسم إلا هؤلاء الثلاثة. فجبريل: صاحب الوحي الذي به **حياة القلوب** والأرواح، وميكائيل: صاحب القطر الذي به حياة الأرض والحيوان والنبات، وإسرافيل: صاحب الصور الذي إذا نفخ فيه أحيت نفخته بإذن الله الأموات، وأخرجتهم من قبورهم.

، وكذلك اختياره سبحانه للأنبياء من ولد آدم عليه وعليهم الصلاة." (٢)

"كأنه هو، ولا كأن أهله وأصحابه، ومن يشفق عليه بالذين يعرفهم، وهذا سر من الله لا يخفى إلا على من هو ميت القلب، وعلى حسب **حياة القلب**، يكون إدراك هذا التنكر والوحشة.

وما لجرح بميت إيلام

ومن المعلوم أن هذا التنكر والوحشة كانا لأهل النفاق أعظم، ولكن لموت قلوبهم لم يكونوا يشعرون به، وهكذا القلب إذا استحكم مرضه، واشتد ألمه بالذنوب والإجرام، لم يجد هذه الوحشة والتنكر، ولم يحس بها، وهذه علامة الشقاوة، وأنه قد أيس من عافية هذا المرض، وأعيا الأطباء شفاؤه، والخوف والهم مع الريبة، والأمن والسرور مع البراءة من الذنب.

فما في الأرض أشجع من بريء ... ولا في الأرض أخوف من مريب

---

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ابن القيم ص/٢٢٦

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ابن القيم ١/٤٤

وهذا القدر قد ينتفع به المؤمن البصير إذا ابتلي به ثم راجع، فإنه ينتفع به نفعا عظيما من وجوه عديدة تفوت الحصر، ولو لم يكن منها إلا استثماره من ذلك أعلام النبوة، وذوقه نفس ما أخبر به الرسول فيصير تصديقه ضروريا عنده، ويصير ما ناله من الشر بمعاصيه، ومن الخير بطاعاته من أدلة صدق النبوة الذوقية التي لا تتطرق إليها الاحتمالات، وهذا كمن أخبرك أن في هذه الطريق من المعاطب والمخاوف كيت وكيت على التفصيل، فخالفته وسلكتها، فرأيت عين ما أخبرك به، فإنك تشهد صدقه في نفس خلافك له، وأما إذا سلكت طريق الأمن وحدها، ولم تجد من تلك المخاوف شيئا، فإنه وإن شهد صدق المخبر بما ناله من الخير والظفر مفصلا، فإن علمه بتلك يكون مجملا.

[تخلف أصحاب كعب عن صلاة الجماعة]

فصل

ومنها: أن هلال بن أمية، ومرارة قعدا في بيوتهما، وكانا يصليان في بيوتهما، ولا يحضران الجماعة، وهذا يدل على أن هجران المسلمين للرجل عذر يبيح له التخلف عن الجماعة، أو يقال: من تمام هجرانه أن لا يحضر جماعة المسلمين، لكن يقال: فكعب كان يحضر الجماعة ولم يمنعه النبي صلى الله عليه وسلم، ولا عتب عليهما على التخلف، وعلى هذا فيقال: لما أمر المسلمون بهجرهم تركوا:." (١)

"سبب لها سواها، فدواؤه الذي لا دواء له سواه ما تضمنته هذه العلاجات النبوية من الأمور المضادة لهذه الأدواء، فإن المرض يزال بالضد، والصحة تحفظ بالمثل، فصحته تحفظ بهذه الأمور النبوية، وأمراضه بأضدادها.

فالتوحيد: يفتح للعبد باب الخير والسرور واللذة والفرح والابتهاج، والتوبة استفراغ للأخلاط والمواد الفاسدة التي هي سبب أسقامه، وحمية له من التخليط، فهي تغلق عنه باب الشرور، فيفتح له باب السعادة والخير بالتوحيد، ويغلق باب الشرور بالتوبة والاستغفار.

قال بعض المتقدمين من أئمة الطب: من أراد عافية الجسم فليقلل من الطعام والشراب ومن أراد عافية القلب فليترك الآثام.

وقال ثابت بن قرة: راحة الجسم في قلة الطعام وراحة الروح في قلة الآثام، وراحة اللسان في قلة الكلام.

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ابن القيم ٥٠٧/٣

والذنوب للقلب بمنزلة السموم، إن لم تهلكه أضعفته، ولا بد وإذا ضعفت قوته، لم يقدر على مقاومة الأمراض، قال طبيب القلوب عبد الله بن المبارك:

رأيت الذنوب تميت القلوب ... وقد يورث الذل إدمانها

وترك الذنوب **حياة القلوب** ... وخير لنفسك عصيانها

فالهوى أكبر أدوائها، ومخالفته أعظم أدويتها، والنفس في الأصل خلقت جاهلة ظالمة، فهي لجهلها تظن شفاءها في اتباع هواها، وإنما فيه تلفها وعطبها ولظلمها لا تقبل من الطبيب الناصح، بل تضع الداء موضع الدواء، فتعتمده وتضع الدواء موضع الداء، فتجتنبه فيتولد من بين إيثارها للداء، واجتنابها للدواء، أنواع من الأسقام والعلل التي تعيي الأطباء ويتعذر معها الشفاء.

والمصيبة العظمى أنها تركب ذلك على القدر فتبرئ نفسها، وتلوم ربها بلسان الحال دائما، ويقوى اللوم حتى يصرح به اللسان.." (١)

"فكمال القيومية لكمال الحياة، فالحي المطلق التام الحياة لا تفوته صفة الكمال البتة، والقيوم لا يتعذر عليه فعل ممكن البتة، فالتوسل بصفة الحياة القيومية له تأثير في إزالة ما يضاد الحياة، ويضر بالأفعال.

ونظير هذا توسل النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى ربه بربوبيته لجبريل، وميكائيل، وإسرافيل أن يهديه لما اختلف فيه من الحق بإذنه، فإن **حياة القلب** بالهداية، وقد وكل الله سبحانه هؤلاء الأملاك الثلاثة بالحياة.

فجبريل: موكل بالوحي الذي هو **حياة القلوب**.

وميكائيل: بالقطر الذي هو حياة الأبدان والحيوان.

وإسرافيل: بالنفخ في الصور، الذي هو سبب حياة العالم، وعود الأرواح إلى أجسادها.

فالتوسل إليه سبحانه بربوبية هذه الأرواح العظيمة الموكلة بالحياة له تأثير في حصول المطلوب.

والمقصود أن لاسم الحي القيوم تأثيرا خاصا في إجابة الدعوات، وكشف الكربات، وفي " السنن " و " صحيح أبي حاتم " مرفوعا: («اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين {وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم} [البقرة: ١٦٣] [البقرة: ١٦٣] ، وفاتحة آل عمران: {الم - الله لا إله إلا هو الحي القيوم} [آل

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ابن القيم ٤/١٨٦

عمران: ١ - ٢] ») قال الترمذي: حديث صحيح.

وفي "السنن" و"صحيح ابن حبان " أيضا: من حديث أنس «أن رجلا دعا." (١)

"يرجوه بعد هذا، وأي شر يأمنه، وكيف حياة عبد قد حلت عليه لعنة الله ومقته، وأعرض عنه بوجهه، ولم ينظر إليه.

وأيضا: فإنه يذهب بالحياء جملة، والحياء هو **حياة القلوب**، فإذا فقدها القلب، استحسن القبيح واستقبح الحسن، وحينئذ فقد استحكم فساده.

وأيضا: فإنه يحيل الطباع عما ركبها الله، ويخرج الإنسان عن طبعه إلى طبع لم يركب الله عليه شيئا من الحيوان، بل هو طبع منكوس، وإذا نكس الطبع انتكس القلب والعمل والهدى، فيستطيب حينئذ الخبيث من الأعمال والهيئات، ويفسد حاله وعمله وكلامه بغير اختياره.

وأيضا: فإنه يورث من الوقاحة والجرأة ما لا يورثه سواه.

وأيضا: فإنه يورث من المهانة والسفال والحقارة ما لا يورثه غيره.

وأيضا: فإنه يكسو العبد من حلة المقت والبغضاء، وازدراء الناس له، واحتقارهم إياه، واستصغارهم له ما هو مشاهد بالحس، فصلاة الله وسلامه على من سعادة الدنيا والآخرة في هديه واتباع ما جاء به، وهلاك الدنيا والآخرة في مخالفة هديه وما جاء به.

[فصل أنواع الجماع الضار]

فصل

والجماع الضار نوعان: ضار شرعا، وضار طبعا. فالضار شرعا: المحرم، وهو مراتب بعضها أشد من بعض. والتحريم العارض منه أخف من اللازم، كتحريم الإحرام، والصيام، والاعتكاف، وتحريم المظاهر منها قبل التكفير، وتحريم وطء الحائض، ونحو ذلك، ولهذا لا حد في هذا الجماع.." (٢)

"إن ها هنا أقواما يقولون إنهم يصلون إلى البر بترك الحركات فقال هؤلاء تكلموا بإسقاط الأعمال وهو عندي عظيم والذي يزني ويسرق أحسن حالا من الذي يقول هذا فإن العارفين بالله أخذوا الأعمال

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ابن القيم ١٨٨/٤

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ابن القيم ٢٤٢/٤

عن الله وإلى الله رجعوا فيها ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر شيئا

وقال لا يكون العارف عارفا حتى يكون كالأرض يطؤه البر والفاجر وكالمطر يسقى ما يحب ومالا يحب

وقال يحيى بن معاذ يخرج العارف من الدنيا ولا يقضي وطره من شيئين بكاؤه على نفسه وشوقه إلى ربه

وقال بعضهم لا يكون العارف عارفا حتى لو أعطي ملك سليمان لم يشغله عن الله طرفة عين وقيل العارف أنس بالله فاستوحش من غيره وافتقر إلى الله فأغناه عن خلقه وذل لله فأعزه في خلقه

وقال أبو سليمان الداراني يفتح للعارف على فراشه مالا يفتح له وهو قائم يصلي

وقال ذو النون لكل شيء عقوبة وعقوبة العارف انقطاعه عن ذكر الله

وبالجملة **فحياة القلب** مع الله لا حياة له بدون ذلك أبدا ومتى واطأ اللسان القلب في ذكره وواطأ القلب مراد حبيبه منه واستقل له الكثير من قوله وعمله واستكثر له القليل من بره ولطفه وعانق الطاعة وفارق المخالفة وخرج عن كله لمحبوبه فلم يبق منه شيء وامتلأ قلبه بتعظيمه وإجلاله وإيثار رضاه وعز عليه الصبر عنه وعدم القرار دون ذكره والرغبة إليه." (١)

"له في الحب والبغض والفعل والترك ومفتاح **حياة القلب** تدبر القرآن والتضرع بالأسحار وترك الذنوب ومفتاح حصول الرحمة الإحسان في عبادة الخالق والسعي في نفع عبيده ومفتاح الرزق السعي مع الاستغفار والتقوى ومفتاح العز طاعة الله ورسوله ومفتاح الاستعداد للآخرة قصر الأمل ومفتاح كل خير الرغبة في الله والدار الآخرة ومفتاح كل شر حب الدنيا وطول الأمل"

وهذا باب عظيم من أنفع أبواب العلم وهو معرفة مفاتيح الخير والشر لا يوفق لمعرفته ومراعاته إلا من عظم حظه وتوفيقه فإن الله سبحانه وتعالى جعل لكل خير وشر مفتاحا وبابا يدخل منه إليه كما جعل الشرك والكبر والأعراض عما بعث الله به رسوله والغفلة عن ذكره والقيام بحقه مفتاحا للنار وكما جعل الخمر مفتاح كل إثم وجعل الغنى مفتاح الزنا وجعل إطلاق النظر في الصور مفتاح الطلب والعشق وجعل الكسل والراحة مفتاح الخيبة والحرمان وجعل المعاصي مفتاح الكفر وجعل الكذب مفتاح النفاق وجعل الشح والحرص مفتاح البخل وقطيعة الرحم وأخذ المال من غير حله وجعل الأعراض عما جاء به الرسول مفتاح كل بدعة وضلالة

وهذه الأمور لا يصدق بها إلا كل من له بصيرة صحيحة وعقل يعرف به ما في نفسه وما في الوجود من

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/٤٠٧

الخير والشر فينبغي للعبد أن يعتني كل الإعتناء بمعرفة المفاتيح وما جعلت المفاتيح له والله ومن وراء توفيقه وعدله له الملك وله الحمد وله النعمة والفضل لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون.." (١)

"يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفآء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال} [الرعد: ١٧] فأخبر سبحانه أن الماء [سبب] بمخالطته الأرض إذا سال فلا بد من أن يحمل السيل من الغثاء والوسخ وغيره زبدا عاليا على وجه السيل، فالذى لا يعرف ما تحت الزبد يقصر نظره عليه ولا يرى إلا غثاء ووسخا ونحو ذلك ولا يرى ما تحته من مادة الحياة، وكذلك ما يستخرج من المعادن من الذهب والفضة والحديد والنحاس وغيرها إذا أوقد عليها فى النار ليتهيأ الانتفاع بها خرج منها خبث ليس من جوهرها ولا ينتفع به، وهذا لا بد منه فى هذا وهذا يجاوزه بصره.

وقد ذم تعالى من ضعفت بصيرته من المنافقين، وعمى عما فى القرآن مما به ينال كل سعادة وعلم وهدى وصلاح وخير فى الدنيا والآخرة لمن لم يجاوز بصره وسمعه وعود وعيده وبروقها وصواعقها وما أعد الله لأعدائه من عذابه ونكاله وخزيه وعقابه [الذى هو - بالإضافة إلى ما فيه من **حياة القلوب]** والأرواح ومن المعارف الإلهية يبين طريق العبودية التى هى غاية كمال العبد، وهو مقصود لتكميل ذلك وتمامه. قال تعالى {مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلمآ أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمي فهم لا يرجعون أو كصيب من السمآء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضآء لهم مشوا فيه وإذآ أظلم عليهم قاموا} [البقرة: ١٧-٢٠] ، فهكذا حال كل من قصر نظره فى بعض مخلوقات الرب سبحانه على ما لا بد منه من شر جزئى جدا بالإضافة إلى الخير الكثير، ولو لم تكن فى هذه النشأة الإنسانية إلا خاصته وأولياؤه من رسله وأنبيائه وأتباعهم لكفى بها خيرا ومصلحة، ومن عاداهم- وإن كانوا أضعاف أضعاف أضعافهم- فهم كالقش والزبالة وغثاء السيل، لا يعبأ بكثرتهم ولا يقدح فى الحكمة الإلهية، بل وجود الواحد الكامل من هذا النوع يغتفر معه [آلاف] مؤلفة من النوع الآخر فإنه إذا وجد واحد يوازن البرية ويرجح عليها كان الخير الحاصل بوجوده والحكمة والمصلحة أضعاف الشر الحاصل من وجود أضداده، وأثبت وأنفع وأحب إلى الله من فواته." (٢)

---

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ابن القيم ص/٦٩

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين ابن القيم ص/١٠٥

"ابن عرفة: قال الخطيب في تاريخ بغداد ولما عرف بابن سعيد أحمد بن الحسين [البرذعي*] أحد فقهاء مذهب أبي حنيفة قال: قدم بغداد حاجا فدخل الجامع ووقف على [داود بن علي*] الظاهري وهو يكلم رجلا من أصحاب أبي حنيفة وقد ضعف الحنفي في يده فجلس فسأله عن بيع أمهات الأولاد، فقال له: يجوز لأنا [أجمعنا*] على جواز بيعهن [قبل*] العلوق [ووضع الحمل*] فليكن كذلك بعده عملا [باستصحاب*] الحال، ولا يزول إلا بإجماع، فقال لنا [البرذعي*]: أجمعنا بعد العلوق [قبل وضع*] الحمل أنه لا يجوز بيعها [فيجب أن نتمسك*] بهذا الإجماع [ولا نزول عنه إلا بإجماع مثله فأنقطع داود *، وقال: ننظر في هذا، وقام أبو سعيد [فعزم*] على التدريس ببغداد، ولما رأى من [غلبة*] أصحاب الظاهر فلما كان بعد [مديدة*] رأى في المنام كأن قائلا يقول له (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) [فانتبه*] فسمع دق الباب فخرج [فإذ*] بقائل يقول له: قد مات داود الظاهري فإن أردت أن تصلي عليه فأت إلى الجامع وقت كذا، فأقام بعد ذلك سنين [كثيرة يدرس*] في محلته، ثم خرج إلى الحج فقتل في وقعة القرامطة مع الحاج، وذكر هذه القضية ابن سيد الناس في تأليف له خاص في أم الولد، وذكرها [...] في فرق الفقهاء وأنكر هذا الإجماع. قال ابن عربي في قانون التأويل: ضرب الله الحق الباطل، فإنه خلق الماء لحياة الأبدان؛ كما أنزل القرآن **لحياة القلوب**، وضرب مثلا [الأودية*] بالماء مثلا [لامتلاء*] القلوب بالعلم، وضرب [الأودية*] الجامعة للماء مثلا للقلوب الجامعة للعلم، وضرب قدر [الأودية*] في احتمال الماء سعتها وضيقها وصغرها وكبرها مثلا لقدر القلوب في انشراحها وضيقها بالحرج، وضرب السيل للتمهيد والهشيم وما يجري به ويدفعه مثلا لما يدفعه القرآن من الجهالة والزيغ والشكوك ووساوس الشيطان، وضرب استقرار الماء ومكثه لانتفاع الناس به في السقي والزارعة مثلا لمكث العلم واستقراره في القلوب للانتفاع به، قال هذا المثل الأول وأما الثاني: فضرب المثل فيما يوقد عليه النار مثلا على ما في القرآن من فائدة العلم والعمل به فحلية الذهب والفضة مثل للعلم الواجب اعتقاده والمتاع مثل لما فيه من العمل المنتفع به كالانتفاع بالمتاع وكما أن النار تميز الخبيث من الطيب كذلك القرآن إذا عرضه عليه العلوم غير النافع فيها من الضار.

قوله تعالى: (فيذهب جفاء).

الزمخشري: قرأ رؤبة جفالا وعن أبي حاتم لا تقرأ بقراءة رؤبة لأنه كان يأكل الفأر ونقل ابن رشد في البيان

في سماع عيسى في رسم أوصى من كتاب الصلاة عن عائشة أنها أجازت أكله وفي المدونة لا بأس بأكل اليربوع والخلد عياض هو فأر الصحارى أعمى.." (١)

"يقتل قصاصا إذا قتل آخر كف عن القتل وانزجر عن التسرع إليه، والوقوع فيه، فيكون ذلك بمنزلة الحياة للنفوس الإنسانية.

وهذا نوع من البلاغة بليغ، وجنس من الفصاحة رفيع، فإنه جعل القصاص الذي هو موت، حياة باعتبار ما يؤول إليه من ارتداع الناس عن قتل بعضهم بعضا إبقاء على أنفسهم واستدامة لحياتهم، وقيل إن الحياة سلامة من القصاص في الآخرة فإنه إذا اقتص في الدنيا لم يقتص عنه في الآخرة والأول أولى.

وقال الخازن: هذا الحكم غير مختص القصاص الذي هو القتل، بل يدخل فيه جميع الجروح والشجاج وغير ذلك، وقرأ أبو الجوزاء (ولكم في القصص حياة) أي فيما قص عليكم من حكم القتل حياة أو في كتاب الله أي نجاة وقيل أراد **حياة القلوب**، وقيل هو مصدر بمعنى القصاص. والكل ضعيف والقراءة به منكرة (يا أولي الألباب) أي ذوي العقول الكاملة، جعل هذا الخطاب موجها إلى أولي الألباب وناداهم للتأمل في حكمة القصاص من استبقاء الأرواح وحفظ النفوس لأنهم هم الذين ينظرون في العواقب، ويتحامون ما فيه الضرر الآجل، وأما من كان مصابا بالحمق والطيش والخفة فإنه لا ينظر عند سورة غضبه وغليان مراجل طيشه إلى عاقبة، ولا يفكر في أمر مستقبل، والألباب جمع لب، وهو العقل الخالي من الهوى، سمي بذلك لأحد وجهين إما لبنائه من لب بالمكان أقام به وإما من اللباب وهو الخالص.

ثم علل سبحانه هذا الحكم الذي شرعه لعباده بقوله (لعلكم تتقون) أي تعملون عمل أهل التقوى، وتتحامون القتل بالمحافظة على القصاص والحكم به والإذعان له، فيكون ذلك سببا للتقوى.." (٢)

"آباءهم يعني أبا عبيدة بن الجراح قتل أباه الجراح، أو أبناءهم يعني أبا بكر الصديق دعا ابنه يوم بدر للبراز، وقال: يا رسول الله دعني أكن في الرعلة الأولى، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: متعنا بنفسك يا أبا بكر أو إخوانهم يعني مصعب بن عمير، قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد، أو عشيرتهم يعني عمر بن الخطاب قتل خاله العاصي بن هشام بن المغيرة يوم بدر وعلي بن أبي طالب وحمزة وأبو عبيدة قتلوا بني عمهم عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر.

---

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ٤٢٧/٢

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣٥٧/١

(أولئك) يعني الذين لا يوادون من حاد الله ورسوله (كتب) أي خلق، وقيل: أثبت وقيل: جعل، وقيل: حكم والمعاني متقاربة (في قلوبهم الإيمان) وإنما ذكر القلوب لأنها موضعه (وأيدهم بروح منه) أي قواهم بنصر منه على عدوهم في الدنيا، وسمى نصره لهم روحا لأن به يحيي أمرهم، وقيل: هو نور القلب، وقال الربيع بن أنس: بالقرآن والحجة، وقيل: بجبريل، وقيل: بالإيمان، وقيل: برحمة، وقيل: بكتاب أنزله فيه حياة لهم، وقيل: بروح من الإيمان على أنه في نفسه روح **لحياة القلوب**، وعن الثوري أنه قال: كانوا يرون أنها نزلت فيمن يصحب السلطان، وعن عبد العزيز بن رواد أنه لقيه المنصور فلما عرفه هرب منه وتلاها، وقيل: هي في أهل البدع والأهواء.

(ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) على الأبد (رضي الله عنهم) أي قبل أعمالهم، وأفاض عليهم آثار رحمته العاجلة والآجلة (ورضوا عنه) أي فرحوا بما أعطاهم عاجلا وآجلا (أولئك حزب الله) أي جنده الذين يمتثلون أوامره، ويقاتلون أعداءه، وينصرون أولياءه، وفي إضافتهم إلى الله سبحانه تشريف لهم وتعظيم، وتكريم فخيم (ألا إن حزب الله هم المفلحون) أي الفائزون بسعادة الدنيا والآخرة، الكاملون في الفلاح الذين صار فلاحهم هو الفرد الكامل حتى كأن فلاح غيرهم بالنسبة إلى فلاحهم كلا فلاح.." (١)

" صفحة رقم ٢٩٩

أحدهما : لم يقاتلوا وإنما نزلوا بالبشرى لتطمئن به قلوبهم ، وإلا فملك واحد يهلك جميع المشركين كما أهللك جبريل قوم لوط .

الثاني : أن الملائكة قاتلت مع النبي (صلى الله عليه وسلم) كما روى ابن مسعود أنه سأله أبو جهل : من أين كان يأتينا الضرب ولا نرى الشخص ؟ قال : (من قبل الملائكة) فقال : هم غلبونا لا أنتم .

وقوله :) وما النصر إلا من عند الله (لئلا يتوهم أن النصر من قبل الملائكة لا من قبل الله تعالى .

(الأنفال : (١١ - ١٤) إذ يغشيكم النعاس . . . . .

" إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣٤/١٤

الله ورسوله فإن الله شديد العقاب ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار " (قوله تعالى :) إذ يغشيكم النعاس أمنة منه (وذلك أن النبي (صلى الله عليه وسلم) وكثيرا من أصحابه غشيهم النعاس ببدر .

قال سهل بن عبد الله : النعاس يحل في الرأس مع **حياة القلب** ، والنوم يحل في القلب بعد نزول من الرأس ، فهوم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتى ناموا فبشر جبريل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالنصر فأخبر به أبا بكر .

وفي امتنان الله تعالى عليهم بالنوم في هذه الليلة وجهان :

أحدهما : قواهم بالاستراحة على القتال من الغد .

الثاني : أن أمنهم بزوال الرعب من قلوبهم ، كما قال : الأمن منيم ، والخوف مسهر .." (١)

"يريد : " وأبو علي " و " بالعشي ".

قوله : " بروح القدس " متعلق بـ " أيدناه ".

وقرأ ابن كثير : " القدس " بإسكان الدال ، والباقون بضمها ، وهما لغتان : الضم لـ " الحجاز " والإسكان لـ " تميم " ، وقد تقدم ذلك ، وقرأ أبو حيوة : " القدوس " بواو ، فيه لغة فتح القاف والدال معناه : الطهارة أو البركة كما [تقدم عند قوله : {ونقدس لك} [البقرة : ٣٠]] و " الروح " في الأصل : اسم للجزء الذي تحصل به الحياة في الحيوان ، قاله الراغب.

فصل في المارد ب ، " روح القدس " اختلفوا في " روح القدس " هنا على وجوه : أحدها : أنه جبريل عليه السلام ؛ لقول حسان : [الوافر] ٦٥٠. وجبريل رسول الله فينا

وروح القدس ليس به كفاء

قال الحسن : القدوس هو الله عز وجل ، وروحه : جبريل ، قال تعالى : {قل نزله روح القدس} [النحل : ١٠٢] وقيل : سمي جبريل روحا للطافته ولمكانته من الوح]ي الذي هو سبب **حياة القلوب**.

قال النحاس : وسمي جبريل روحا أو أضيف إلى القدس ؛ لأنه كان بتكوين الله عز وجل له روحا من غير ولادة والد ولده [وقيل : المارد بروح القدس الإنجيل كما قال في القرآن " روحا من أمرنا " لأنه الذي يوحى به] ، وكذلك سمي عيسى روحا لهذا.

وقال ابن عباس وسعيد بن جبير : " هو الاسم الأعظم الذي كان يحيي به عيسى الموتى ".

---

(١) النكت والعيون ، ٢/٢٩٩

وقيل : هو الروح الذي نفخ فيه.
والقدس والقدوس هو الله ، فنسب روح عيسى إلى نفسه تعظيما وتشريفا ، كما يقال : بيت الله ، وناقة الله ؛ قاله الربيع وغيره ، كقوله : {فنفخنا فيه من روحنا} [التحريم : ١٢] وعلى هذا المراد به الروح الذي يحيى به الإنسان.
[واعلم أن إطلاق الروح على " جبريل " وعلى الإنجيل والاسم الأعظم مجاز].
قوله : {أفكلما جآءكم رسول} الهمزة هنا ـ للتوبيخ والتقريع ، والفاء للعطف عطفت هذه الجملة على ماقبلها ، واعتني بحرف الاستفهام فقدم ، وتقدم تحقيق ذلك ، وأن الزمخشري يقدر بين الهمزة حرف العطف جملة ليعطف عليها ، وهذه الجملة يجوز أن تكون معطوفة على ما قبلها من غير حذف شيء كأنه قال : ولقد آتينا يا بني إسرائيل أنبيائكم ما آتيناهم فكلما جاءكم رسول.
ويجوز أن يقدر قبله محذوف أي : ففعلتم ما فعلتم فكلما جاءكم رسول ، وقد تقدم الكلام في " كلما " عند قوله " كلما أضاء " ، والناصب لها هنا استكبرتم.
و " جاء " يتعدى بنفسه تارة كهذه الآية ، وبحرف الجر أخرى ، نحو : " جئت إليه " و " رسول " " فعول " بمعنى " مفعول " أي : مرسل ، وكون " فعول " بمعنى " المفعول " قليل ، جاء منه : " الركوب والحلوب " ، ويكون مصدرا بمعنى : الرسالة قاله الزمخشري ؛ وأنشد : [الطويل] ٦٥١.لقد كذب الواشون ما فهت عندهم
بسر ولا أرسلتهم برسول
جزء : ١ رقم الصفحة : ٤٦٣
أي : برسالة ، ومن عنده : {إنا رسول رب العالمين} [الشعراء : ١٦].
قوله : {بما لا تهوى أنفسكم} متعلق بقوله : " جاءكم " و " ما " موصولة بمعنى الذي ، والعائد محذوف لاستكمال الشروط والتقدير : بما لا تهواه ، و " تهوى " مضارع " هوي " بكسر العين ولامه من ياء ؛ لأن عينه واو ، وباب " طويت وشويت " أكثر من باب " قوة وحوة " ولا دليل في " هوي " لانكسار العين ، وهو مثل " شقي " من الشقاوة ، وقولهم في تثنية مصدر هوي : هويان أدل على ذلك.
ومعنى تهوى : تحب وتختار ، وأصل الهوى : الميل ، سمي بذلك ؛ لأنه يهوي بصاحبه في النار ، ولذلك لا يستعمل غالبا إلا فيما لا خير فيه ، وقد يستعمل فيما هو خير ، ففي الحديث الصحيح قول

عمر في أسارى " بدر " : فهوي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ، ولم يهو ما قلت ".
وعن عائشة رضي الله عنها : " والله ما أرى ربك إلا يسارع في هواك ".
وجمعه " أهواء ".
قال تعالى : {بأهوائهم} [الأنعام : ١١٩] ولا يجمع على " أهوية " ، وإن كان قد جاء " ندى " و " أندية " ؛ قال الشاعر : [البسيط] ٦٥٢. في ليلة من جمادى ذات أندية
لا يبصر الكلب من ظلمائها الطنبا." (١)
"" صفحة رقم ٤٩٦ "
) إن الذين يحآدون الله ورسوله أولائك فى الا ذلين (
المجادلة : (٢٠) إن الذين يحادون . . . . .
) فى الاذلين (في جملة من هو أذل خلق الله لا ترى أحدا أذل منهم .
) كتب الله لاغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز (
المجادلة : (٢١) كتب الله لأغلبن . . . . .
) كتاب الله (في اللوح) لاغلبن أنا ورسلى (بالحجة والسيف . أو بأحدهما .
) لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الا خر يوآدون من حآد الله ورسوله ولو كانوا ءاباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولائك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الا نهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولائك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون (
المجادلة : (٢٢) لا تجد قوما . . . . .
) لا تجد قوما (من باب التخييل . خيل أن من الممتنع المحال : أن تجد قوما مؤمنين يوالون المشركين ، والغرض به أنه لا ينبغي أن يكون ذلك ، وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال ، مبالغة في النهي عنه والزجر عن ملابسته ، والتوصية بالتصلب في مجانبة أعداء الله ومباعدتهم والاحتراس من مخالطتهم ومعاشرتهم ، وزاد ذلك تأكيدا وتشديدا بقوله :) ولو كانوا ءاباءهم (وبقوله :) أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان (وبمقابلة قوله :) أولئك حزب الشيطان ((المجادلة : ٩٩) بقوله : (أولئك حزب الله) فلا تجد شيئا أدخل في الإخلاص من موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه ، بل هو الإخلاص بعينه) كتب فى قلوبهم الإيمان (أثبته

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٨٦

فيها بما وفقهم فيه وشرح له صدورهم) وأيدهم بروح منه (بلطف من عنده حييت به قلوبهم . ويجوز أن يكون الضمير للإيمان ، أي : بروح من الإيمان ، على أنه في نفسه روح **لحياة القلوب** به . وعن الثوري أنه قال : كانوا يرون أنها نزلت فيمن يصحب السلطان . وعن عبد العزيز بن أبي رواد : أنه لقيه المنصور في الطواف فلما عرفه هرب منه وتلاها . وعن النبي (صلى الله عليه وسلم) : أنه كان يقول :

(١١٤٨) (اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي نعمة ، فإني وجدت فيما." [١]

١٥"

" ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم " الجواب عن كل ما يسألون عنه " ولو أسمعهم " يعني ولو بين لهم كل ما يختلج في نفوسهم لأعرضوا عنه لمعاندتهم

سورة الأنفال ٢٤ - ٢٦

قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا إستجيبوا لله " يعني أجيبوا الله بالطاعة في أمر القتال " وللرسول إذا دعاكم " إلى القتال أو غيره وإنما قال " إذا دعاكم " ولم يقل إذا دعواكم لأن الدعوة واحدة ومن يجب الرسول فقد أجاب الله تعالى

قوله تعالى " لما يحييكم " يعني القرآن الذي به **حياة القلوب** ويقال " لما يحييكم " أي أمر الحرب الذي يعزكم ويصلحكم ويقويكم بعد الضعف ويقال " لما يحييكم " يعني يهديكم ويقال " لما يحييكم " يعني لما يكون سببا للحياة الدائمة في نعيم الآخرة " واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه " قال الفقيه حدثنا محمد بن الفضل قال حدثنا فارس بن مردويه عن محمد بن الفضل عن أبي مطيع عن حماد بن سلمة عن الكلبي عن أبي صالح عن إبن عباس أنه قال يحول بين المؤمن ومعاصيه التي تسوقه وتجره إلى النار ويحول بين الكافر وطاعته التي تجره إلى الجنة ويقال يحول بين المرء وإرادته لأن الأمر لا يكون بإرادة العبد وإنما يكون بإرادة الله تعالى كما قال أبو الدرداء

(يريد المرء أن يعطى مناه % ويأبى الله إلا ما أرادا)

ويقال يحال " بين المرء وقلبه " يعني وأمله لأن الأجل حال دون الأمل وقال سعيد بن جبير يحول بين الكافر والإيمان وبين المؤمن والكفر وقال مجاهد " يحول بين المرء وقلبه " يعني يدركه ولا يفعله ثم قال " وأنه إليه تحشرون " يعني في الآخرة فتثابون بأعمالكم

---

(١) تفسير الكشاف ، ٤/٤٩٦

قوله تعالى " واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة " قال مقاتل نزلت الآية في شأن علي وطلحة والزبير قال الفقيه حدثنا عمر بن محمد قال حدثنا أبو بكر الواسطي قال حدثنا إبراهيم بن يوسف قال حدثنا قبيصة عن سفيان عن جويبر عن الضحاك في قوله تعالى " واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة " قال نزلت في شأن أصحاب." (١)

"{ لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت } أي: هلا ينهاهم العلماء المتصدون لنفع الناس، الذين من الله عليهم بالعلم والحكمة -عن المعاصي التي تصدر منهم، ليزول ما عندهم من الجهل، وتقوم حجة الله عليهم، فإن العلماء عليهم أمر الناس ونهيهم، وأن يبينوا لهم الطريق الشرعي، ويرغبونهم في الخير ويرهبونهم من الشر { لبئس ما كانوا يصنعون } .

[ص ٢٣٨]

{ ٦٤ - ٦٦ } { وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين } .

يخبر تعالى عن مقالة اليهود الشنيعة، وعقيدتهم الفظيعة، فقال: { وقالت اليهود يد الله مغلولة } أي: عن الخير والإحسان والبر.

{ غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا } وهذا دعاء عليهم بجنس مقالتهم. فإن كلامهم متضمن لوصف الله الكريم، بالبخل وعدم الإحسان. فجازاهم بأن كان هذا الوصف منطبقا عليهم.

فكانوا أبخل الناس وأقلهم إحسانا، وأسوأهم ظنا بالله، وأبعدهم الله عن رحمته التي وسعت كل شيء، وملأت أقطار العالم العلوي والسفلي. ولهذا قال: { بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء } لا حجر عليه، ولا مانع يمنعه مما أراد، فإنه تعالى قد بسط فضله وإحسانه الديني والدنيوي، وأمر العباد أن يتعرضوا لنفحات جوده، وأن لا يسدوا على أنفسهم أبواب إحسانه بمعاصيهم.

فيداه (١) سحاء الليل والنهار، وخيره في جميع الأوقات مدرارا، يفرج كربا، ويزيل غما، ويغني فقيرا، ويفك أسيرا ويجبر كسيرا، ويجيب سائلا ويعطي فقيرا عائلا ويجيب المضطرين، ويستجيب للسائلين. وينعم على من لم يسأله، ويعافي من طلب العافية، ولا يحرم من خيره عاصيا، بل خيره يرتع فيه البر والفاجر، ويجود

---

(١) بحر العلوم. ، ١٥/٢

على أوليائه بالتوفيق لصالح الأعمال ثم يحمدهم عليها، ويضيفها إليهم، وهي من جوده ويثيبهم عليها من الثواب العاجل والآجل ما لا يدركه الوصف، ولا يخطر على بال العبد، ويلطف بهم في جميع أمورهم، ويوصل إليهم من الإحسان، ويدفع عنهم من النقم ما لا يشعرون بكثير منه، فسبحان من كل النعم التي بالعباد فمنه، وإليه يجأرون في دفع المكاره، وتبارك من لا يحصي أحد ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وتعالى من لا يخلو العباد من كرمه طرفة عين، بل لا وجود لهم ولا بقاء إلا بجوده.

وقبح الله من استغنى بجهله عن ربه، ونسبه إلى ما لا يليق بجلاله، بل لو عامل الله اليهود القائلين تلك المقالة، ونحوهم ممن حاله كحالهم ببعض قولهم، لهلكوا، وشقوا في دنياهم، ولكنهم يقولون تلك الأقوال، وهو تعالى، يحلم عنهم، ويصفح، ويمهلهم ولا يهملهم.

وقوله { وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا } وهذا أعظم العقوبات على العبد، (٢) أن يكون الذكر الذي أنزله الله على رسوله، الذي فيه **حياة القلب** والروح، وسعادة الدنيا والآخرة، وفلاح الدارين، الذي هو أكبر منة امتن الله بها على عباده، توجب عليهم المبادرة إلى قبولها، والاستسلام لله بها، وشكرا لله عليها، أن تكون لمثل هذا زيادة غي إلى غيه، وطغيان إلى طغيانه، وكفر إلى كفره، وذلك بسبب إعراضه عنها، ورده لها، ومعاندته إياها، ومعارضته لها بالشبه الباطلة. { وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة } فلا يتآلفون، ولا يتناصرون، ولا يتفقون على حالة فيها مصلحتهم، بل لم يزالوا متباغضين في قلوبهم، متعادين بأفعالهم، إلى يوم القيامة { كلما أوقدوا نارا للحرب } ليكيدوا بها الإسلام وأهله، وأبدوا وأعادوا، وأجلبوا بخيلهم ورجلهم { أطفأها الله } بخذلانهم وتفرق جنودهم، وانتصار المسلمين عليهم.

{ ويسعون في الأرض فسادا } أي: يجتهدون ويجدون، ولكن بالفساد في الأرض، بعمل المعاصي، والدعوة إلى دينهم الباطل، والتعويق عن الدخول في الإسلام. { والله لا يحب المفسدين } بل يبغضهم أشد البغض، وسيجازيهم على ذلك.

---

(١) في ب: فيده .

(٢) في ب: وهذا أعظم من العقوبات على العبد.." (١)

---

(١) تفسير السعدي، ص/٢٣٧

"{ ٢٤ – ٢٥ } { يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون * واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب } .

يأمر تعالى عباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان منهم وهو الاستجابة لله وللرسول، أي: الانقياد لما أمرا به والمبادرة إلى ذلك والدعوة إليه، والاجتناب لما نهيا عنه، والانكفاف عنه والنهي عنه.

وقوله: { إذا دعاكم لما يحييكم } وصف ملازم لكل ما دعا الله ورسوله إليه، وبيان لفائدته وحكمته، فإن **حياة القلب** والروح بعبودية الله تعالى ولزوم طاعته وطاعة رسوله على الدوام.

ثم حذر عن عدم الاستجابة لله وللرسول فقال: { واعلموا أن اللـه يحول بين المرء وقلبه } فإياكم أن تردوا أمر الله أول ما يأتيكم، فيحال بينكم وبينه إذا أردتموه بعد ذلك، وتختلف قلوبكم، فإن الله يحول بين المرء وقلبه، يقلب القلوب حيث شاء ويصرفها أنى شاء.

فليكثر العبد من قول: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، يا مصرف القلوب، اصرف قلبي إلى طاعتك.

{ وأنه إليه تحشرون } أي: تجمعون ليوم لا ريب فيه، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بعصيانه.

{ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة } بل تصيب فاعل الظلم وغيره،وذلك إذا ظهر الظلم فلم يغير، فإن عقوبته تعم الفاعل وغيره،وتقوى (١) هذه الفتنة بالنهي عن المنكر، وقمع أهل الشر والفساد، وأن لا يمكنوا من المعاصي والظلم مهما أمكن.

{ واعلموا أن الله شديد العقاب } لمن تعرض لمساخطه، وجانب رضاه.

[ص ٣١٩]

---

(١) هكذا في النسختين والمراد ظاهر وهو: أن اتقاء هذه الفتنة يكون بالنهي عن المنكر.." (١)

"ومن المحال أيضا أن يوجد من دون خالق، فتعين أن لها إلها خالقا لا شريك له في خلقه لأنه الواحد القهار، فإنه لا توجد الوحدة والقهر إلا لله وحده، فالمخلوقات وكل مخلوق فوقه مخلوق يقهره ثم فوق ذلك القاهر قاهر أعلى منه، حتى ينتهي القهر للواحد القهار، فالقهر والتوحيد متلازمان متعينان لله وحده، فتبين بالدليل العقلي القاهر، أن ما يدعى من دون الله ليس له شيء من خلق المخلوقات وبذلك

---

(١) تفسير السعدي، ص/٣١٨

كانت عبادته باطلة.

[ص ٤١٦]

{ ١٧ } { أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب اللـه الأمثال } .

شبه تعالى الهدى الذي أنزله على رسوله **لحياة القلوب** والأرواح، بالماء الذي أنزله لحياة الأشباح، وشبه ما في الهدى من النفع العام الكثير الذي يضطر إليه العباد، بما في المطر من النفع العام الضروري، وشبه القلوب الحاملة للهدى وتفاوتها بالأودية التي تسيل فيها السيول، فواد كبير يسع ماء كثيرا، كقلب كبير يسع علما كثيرا، وواد صغير يأخذ ماء قليلا كقلب صغير، يسع علما قليلا وهكذا.

وشبه ما يكون في القلوب من الشهوات والشبهات عند وصول الحق إليها، بالزبد الذي يعلو الماء ويعلو ما يوقد عليه النار من الحلية التي يراد تخليصها وسبكها، وأنها لا تزال فوق الماء طافية مكدرة له حتى تذهب وتضمحل، ويبقى ما ينفع الناس من الماء الصافي والحلية الخالصة.

كذلك الشبهات والشهوات لا يزال القلب يكرهها، ويجاهدها بالبراهين الصادقة، والإرادات الجازمة، حتى تذهب وتضمحل ويبقى القلب خالصا صافيا ليس فيه إلا ما ينفع الناس من العلم بالحق وإيثاره، والرغبة فيه، فالباطل يذهب ويمحقه الحق { إن الباطل كان زهوقا } وقال هنا: { كذلك يضرب الله الأمثال } ليتضح الحق من الباطل والهدى والضلال.." (١)

"{ ٧ - ١١ } { يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا * قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا * قال كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا * قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا * فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا } .

أي: بشره الله تعالى على يد الملائكة بـ " يحيى " وسماه الله له " يحيى " وكان اسما موافقا لمسماه: يحيا حياة حسية، فتتم به المنة، ويحيا حياة معنوية، وهي **حياة القلب** والروح، بالوحي والعلم والدين. { لم نجعل له من قبل سميا } أي: لم يسم هذا الاسم قبله أحد، ويحتمل أن المعنى: لم نجعل له من قبل مثيلا

---

(١) تفسير السعدي، ص/٤١٥

ومساميا، فيكون ذلك بشارة بكماله، واتصافه بالصفات الحميدة، وأنه فاق من قبله، ولكن على هذا الاحتمال، هذا العموم لا بد أن يكون مخصوصا بإبراهيم وموسى ونوح عليهم السلام، ونحوهم، ممن هو أفضل من يحيى قطعا، فحينئذ لما جاءته البشارة بهذا المولود الذي طلبه استغرب وتعجب وقال: { رب أنى يكون لي غلام }

والحال أن المانع من وجود الولد، موجود بي وبزوجتي؟ وكأنه وقت دعائه، لم يستحضر هذا المانع لقوة الوارد في قلبه، وشدة الحرص العظيم على الولد، وفي هذه الحال، حين قبلت دعوته، تعجب من ذلك، فأجابه الله بقوله: { كذلك قال ربك هو علي هين }

أي: الأمر مستغرب في العادة، وفي سنة الله في الخليقة، ولكن قدرة الله تعالى صالحة لإيجاد الأشياء بدون أسبابها فذلك هين عليه، ليس بأصعب من إيجاده قبل ولم يكن شيئا.

{ قال رب اجعل لي آية } أي: يطمئن بها قلبي، وليس هذا شكا في خبر الله، وإنما هو، كما قال الخليل عليه السلام: { رب أرني كيف تحي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي } فطلب زيادة العلم، والوصول إلى عين اليقين بعد علم اليقين، فأجابه الله إلى طلبته رحمة به، ف { قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا } وفي الآية الأخرى { ثلاثة أيام إلا رمزا } والمعنى واحد، لأنه تارة يعبر بالليالي، وتارة بالأيام ومؤداها واحد، وهذا من الآيات العجيبة، فإن منعه من الكلام مدة ثلاثة أيام، وعجزه عنه من غير خرس ولا آفة، بل كان سويا، لا نقص فيه، من الأدلة على قدرة الله الخارقة للعوائد، ومع هذا، ممنوع من الكلام الذي يتعلق بالآدميين وخطابهم،. وأما التسبيح والتهليل، والذكر ونحوه، فغير ممنوع منه، ولهذا قال في الآية الأخرى: { واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والإبكار } فاطمأن قلبه، واستبشر بهذه البشارة العظيمة، وامتثل لأمر الله له بالشكر بعبادته وذكره، فعكف في محرابه، وخرج على قومه منه فأوحى إليهم، أي: بالإشارة والرمز { أن سبحوا بكرة وعشيا } لأن البشارة بـ " يحيى " في حق الجميع، مصلحة دينية.." (١)

"{ ٤٥ - ٤٦ } { قل إنما أنذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون * ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين } .

أي: { قل } يا محمد، للناس كلهم: { إنما أنذركم بالوحي } أي: إنما أنا رسول، لا آتيكم بشيء من

---

(١) تفسير السعدي، ص/٤٩٠

عندي، ولا عندي خزائن الله، ولا أعلم الغيب، ولا أقول إني ملك، وإنما أنذركم بما أوحاه الله إلي، فإن استجبتم، فقد استجبتم لله، وسيثيبكم على ذلك، وإن أعرضتم وعارضتم، فليس بيدي من الأمر شيء، وإنما الأمر لله، والتقدير كله لله.

{ ولا يسمع الصم الدعاء } أي: الأصم لا يسمع صوتا، لأن سمعه قد فسد وتعطل، وشرط السماع مع الصوت، أن يوجد محل قابل لذلك، كذلك الوحي سبب **لحياة القلوب** والأرواح، وللفقه عن الله، ولكن إذا كان القلب غير قابل لسماع الهدى، كان بالنسبة للهدى والإيمان، بمنزلة الأصم، بالنسبة إلى الأصوات فهؤلاء المشركون، صم عن الهدى، فلا يستغرب عدم اهتدائهم، خصوصا في هذه الحالة، التي لم يأتهم العذاب، ولا مسهم ألمه.

فلو مسهم { نفحة من عذاب ربك } أي: ولو جزءا يسيرا ولا يسير من عذابه، { ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين } أي: لم يكن قولهم إلا الدعاء بالويل والثبور، والندم، والاعتراف بظلمهم وكفرهم واستحقاقهم للعذاب.." (١)

" صفحة رقم ٢٨٣

المذكورة في هذه الآيات مناقبه المتلوة مآثره المنصوبة شعائره التي هي في الحقيقة دعائمه من الاعتكاف والصلاة والطواف المشار إلى حجه واعتماره بقوله :

٧٧ ( ) مثابة للناس وأمنا ( ) ٧

[البقرة : ١٢٥] فأفصح به بعد تلك الإشارة بعض الإفصاح إكان لم يبق من مفاخره العظمة غيره وضم إليه العمرة الحج الأصغر لمشاركتها له في إظهار فخاره وإعلاء مناره فقال : (إن الصفا والمروة (فهو كالتعليل لاستحقاق البيت لأن يكون قبلة ، وعرفهما لأنهما جبلان مخصومان معهودان تجاه الكعبة ، اسم الصفا من الصفوة وهو ما يخلص من الكدر ، واسم المروة من المرو وهو ما تحدد من الحجارة – قاله الحرالي .

وخصهما هنا بالذكر إشارة إلى أن بركة الإقبال عليهما على ما شرع الله سبحانه وتعالى مفيدة **لحياة القلوب** بما أنزل على هذا الرسول (صلى الله عليه وسلم) من الكتاب والحكمة الباقيين إلى آخر الدهر شفاء للقلوب وزكاة للنفوس زيادة للنعمة بصفة الشكر وتعليما بصفة العلم كما كان الإقبال على السعي بينهما

---

(١) تفسير السعدي، ص/٥٢٤

تسليما لأمر الله مفيدا لحياة أبيه إسماعيل عليه الصلاة والسلام ونفع من بعده بما أنبع له من ماء زمزم الباقي إلى قيام الساعة طعام طعم وشفاء سقم ، وفي ذلك مع تقديم الصفا إشارة للبصراء من أرباب القلوب إلى أن الصابرلله المبشر فيما قبلها ينبغي أن يكون قلبه جامعا بين الصلابة والصفا ، فيكون بصلابته الحجرية مانعا من القواطع الشيطانية ، وبرقته الزجاجية جامعا للوامع الرحمانية ، بعيدا عن القلب المائي بصلابته ، وعن الحجري بصفائه واستنارته .

ومن أعظم المناسبات أيضا كون سبيل الحج إذ ذاك كان ممنوعا بأهل الحرب ، فكأنها علة لما قبلها وكأنه قيل : ولنبلونكم بما ذكر لأن الحج من أعظم شعائر هذا البيت الذي أمرتم باستقباله وهو مما يفرض عليكم وسبيله ممنوع بمن تعلمون ، فلنبلونكم بقتالهم ﻟزوال مانع الحج وقتال غيرهم من أهل الكتاب وغيرهم لإتمام النعمة بتمام الدين وظهوره على كل دين .

ومن أحسنها أيضا أنه تعالى لما ذكر البلايا بنقص الأموال بسبب الذنوب

٧٧ ( ) وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ( ) ٧

[الشورى : ٣٠] أتبعها الدواء الجابر لذلك النقص دينا ودنيا ، (فإن الحج والعمرة ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الذهب والفضة)." (١)

" صفحة رقم ١٤١

التمتع الحاضر ، فهذا تقسيم حاصر لأنواع الفلز المنوه إليها مع إظهار التهاون به وإن تنافس الناس فيه كما هو شأن الملوك يظهرون المجد والفخار بالاستهانة بما يتنافس الناس فيه) زبد مثله) أي مثل زبد الماء يكشط عن وجهه أو يعلق بأطراف الإناء فيذهب ويبقى ذلك الجوهر خالصا كالحق إذا زالت عنه الشكوك وانزاحت الشبه .

ولما كان هذا في غاية الحسن والانطباق على المقصود ، كان سامعه جديرا بأن يهتز فيقول : هذا مما لا يقدر على سوقه هكذا إلا الله تعالى ، فيا له من مثل فأجيب قوله : (كذلك) أي مثل هذا الضرب ، لعلى الرتب ، الغريب العجب ، المتين السبب) يضرب الله) أي الذي له الأمر كله) الحق والباطل) أي مثلهما ؛ وضرب المثل : تسييره في البلاد يتمثل به الناس .

ولما نبه بهذا الفصل على علو رتبه هذا المثل ، شرع في شرحه ، فقال مبتدئا بما هو الأهم في هذا المقام

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٢٨٣/١

، وهو إبطال الباطل الذي أضلهم ، وهو في تقسيمه على طريق النشر المشوش ، فقال : (فأما الزبد) أي الذي هو مثل للباطل المطلق) فيذهب (متعلقا بالاشجار وجوانب الأودية لأنه يطفو بخفته ويعلق بالأشياء الكثيفة بكثافته) جفاء (قال أبو حيان : أي مضمحلا متلاشيا لا منفعة فيه لا بقاء له ؛ وقال ابن الأنباري : متفرقا ، من جفأت الريح الغيم – إذا قطعته ، وجفأت الرجل : صرعته – انتهى .

فهذا مثل الباطل من الشكوك والشبه وما أثاره أهل العناد ، لا بقاء له وإن جال جولة – يمتحن الله بها عباده ليظهر الثابت من المزلزل – ثم ينمحق سريعا ؛ وقال الرماني : والجفاء : بنو مكان الشيء به حتى يهلك) وأما ما ينفع الناس (من الماء والفلزالذي هو مثل الحق) فيمكث في الأرض (ينتفع الناس بالماء الذي به حياة كل شيء ، والفلز الذي به التمام ، فالماء والمعدن مثل القرآن لما فيه من **حياة القلوب** وبقاء الشرع كما أن الماء يحيى الأراضي الميتة ، والمعادن تحيي موات العيش وتنظم المعاملات المقتضية لاختلاط بعض الناس ببعض وائتلافهم بالحاجة ، والأودية والأواني مثل القلوب يثبت منه فيها ما تحتمله على قدر سعة القلب وضيقه بحسب الطهارة وقوة الفاهمة .

ولما انقضى هذا المثل على هذا البيان الذي يعجز دونه الثقلان ، لأنه أحسن شيء معنى بأوجرعبارة وأوضح دلالة ، كان كأنه قيل : هل يتبين كل شيء هذا البيان ؟ فقيل : نعم ،) كذلك) أي مثل ذلك الضرب) يضرب الله) أي الذي له الإحاطة الكاملة علما وقدرة) الأمثال (فيجعلها في غاية الوضوح وإن كانت في غاية الغموض .." (١)

" صفحة رقم ٢٨٨

على خلق ، وهو مما يدرك سمعا لأن الخلق مرئي والأمر مسموع

٧٧ ( ) وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآية لقوم يسمعون ( ) ٧

[النحل : ٦٣ – ٦٤ – ٦٥] هذه آية **حياة القلوب** بنور العلم والحكمة الذي أخذ سمعا عند تقرر الإيمان ، وعند هذا الحد يتناهى العقل إلى فطرة الأشد وتعلو بداهته وتترقى فطره إلى نظر ما يكون آية في نفس الناظر لأن محار غيب الكون يرد إلى مجدان نقص الناظر ، وكما أن الماء آية **حياة القلوب** صار الشرابان : اللبن والخمر ، آيتين على أحوال تخص القلوب بما يغذوها من الله غذاء اللبن وينشيها نشوة

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ١٤١/٤

السكر ، منبعثا من بين فرث ودم ونزول الخلق المقام عن الأمر القائم عليه) وإن لكم في الأنعام لعبرة (– الآيتين إلى قوله تعالى : (إن في ذلك لآية لقوم يعقلون (وهذا العقل الأعلى ، وأفرد الآية لانفراد موردها في وجد القلب ، وكما للعقل الأدنى فكرة تنبئ عن بداهته فكذلك للعقل الأعلى فكرة تنبئ عن علي فطرته) وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر – إلى قوله : لآية لقوم يتفكرون (وهذا العقل الأعلى هو اللب الذي عنه يكون التذكر بالأدنى من الخلق للأعلى من الأمر

٧٧ ( ) وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون ( ) ٧

[النحل : ١٣] وفي مقابلة كل من هذه الأوصاف أضداد يرد البيان فيها بحسب مقابلتها ، وكذلك حكم وصف المسلمين فيها يظهر أن (لا أنجى للعبد من إسلامه نفسه لربه) ووصف المحسنين فيما يظهر قيام ظاهر حسه

٧٧ ( ) آلم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ( ) ٧

[البقرة : ١] من استغنى بما عنده من وجد لم يتفرغ لقبول غيب

٧٧ ( ) يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله وءامنوا برسوله ( ) ٧

[الحديد : 8٢] ،

٧٧ ( ) إذا ما اتقوا وءامنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وءامنوا ثم اتقوا وأحسنوا ( ) ٧

[المائدة : ٩٣] ،) ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه (،) ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين ((فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به)

٧٧ ( ) وفي خلقكم وما يبث من دابة ءايات لقوم يوقنون ( ) ٧

[الجاثية : ٤]

٧٧ ( ) وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين ( ) ٧

[الأنعام : ٧٥] ولجملة هذه الأوصاف أيضا أضداد يرد بيان القرأن فيها بحسب تقابلها ويجري معها إفهامه ، وما أوصله خفاء المسمع والمرأي إلى القلب هو فقهه ، ومن فقد ذلك وصف سمعه بالصمم وعينه بالعمى ، ونفى الفقه عن قلبه ، ونسب إلى البهيمية ، ومن لم تنل فكرته إعلام ما غاب عيانه نفي عنه العلم

٧٧ ( ) الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا ( ) ٧

[الكهف : ١٠١] ،

٧٧ ( ) ولهم قلوب لا يفقهون بها." (١)

" صفحة رقم ٤٨٦

ومن جوابهم عما لعلهم يقولون للعرب بهتا وحسدا (لو كان نبيا ما قال : أخبركم غدا وتأخر عن ذلك) بما اتفق لموسى في وعده الخضر عليهما السلام بالصبر ، وبما خفي عليه مما اطلع عليه الخضر عليهما السلام ، فقال تعالى عاطفا على قوله سبحانه) وإذ قلنا للملائكة (: (وإذ) أي واذكر لهم حين) قال موسى) أي ابن عمران المرسل إلى بني إسرائيل ، أي قوله الذي كان في ذلك الحين) لفتاه (يوشع بن نون عليهما السلام : (لا أبرح) أي لا أزال سائرا في طلب العبد الذي أعلمني ربي بفضله – كما دل عليه ما يأتي) حتى أبلغ مجمع البحرين) أي ملتقاهما وموضع اختلاطهما الذي سبق إليه فهمي ، فتعينت البداءة به فألقاه ثم) أو أمضي حقبا (إن لم أظفر بمجمع البحرين الذي جعله ربي موعدا لي في لقائه ؛ والحقب – قال في القاموس – ثمانون سنة أو أكثر والدهر والسنة أو السنون – انتهى .

وما أنسب التوقيت بمجمع بحري الماء بمجمع بحري العلم وتزودهما بالنون الذي قرنه الله بالقلم وما يسطرون ، وعين الحياة لأن العلم **حياة القلوب** ، فسارا وتزودا حوتا مشويا في مكتل كما أمر به ، فكانا يأكلان منه إلى أن بلغا المجمع) فلما بلغا مجمع بينهما) أي البحرين ، فلم يكن هناك بين أصلا لصيرورتهما شيئا واحدا) نسيا حوتهما (فلم يعلم موسى عليه السلام فنسي شيئا من حاله ونسي أن يسأل عنه ، وعلم يوشع عليه السلام بعض حاله فنسي أن يذكر ذلك له) فاتخذ) أي الحوت معجزة في معجزة) سبيله) أي طريقه الواسع الواضح) في البحر سربا) أي خرقا في الماء غير ملتئم ، من السرب الذي هو جحر الوحشين والحفير تحت الأرض ، والقناة يدخل منها الماء الحائظ وقد ورد في حديثه في الصحيح أن الله تعالى أحياه وأمسك عن موضع جريه في الماء ، فصار طاقا لا يلتئم .

ويوشع عليه السلام ينظر ذلك ، وكأن المجمع كان ممتدا ، فظن موسى عليه السلام أن المطلوب أمامه أو ظن أن المراد مجمع آخر فسار) فلما جاوزا) أي موسى وفتاه عليهما السلام ذلك الموضع من المجمع تعب ، ولم يتعب حتى جاوز المكان الذي أمربه معجزة أخرة ، فلما جاع وتعب) قال لفتاه ءاتنا) أي أحضرلنا) غداءنا) أي لنتقوى به على ما حصل لنا من الإعياء ، ولذلك وصل به قوله تعالى : (لقد لقينا

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٤/٢٨٨

من سفرنا) أي الذي سافرناه في هذا اليوم خاصة ، ولذلك أشار إليه بأداة القرب فقال تعالى : (هذا نصبا (وكان الحوت زادهم فلم يكن معه ، فكأنه قيل : فما كان عن أمره ؟ فقيل : (قال (لموسى عليه السلام معجبا له : (أرءيت (ما دهاني ؟) إذ أوينا إلى الصخرة (التي بمجمع البحرين) فإني) أي بسبب أني) نسيت الحوت) أي نسيت أن أذكر لك أمره الذي كان هناك ؛ ثم زاد." (١)

" صفحة رقم ٤٩٤

إلى ذلك بأداة الاستعلاء فقال : (على من يشاء (ولما كان ما رأه من الملوك لا يتمكنون من رفع من أرادوا من رقيقهم ، نبه على عظمته بقوله : (من عباده (وأشار بذلك مع الإشارة إلى أنه مطلق الأمر لا يسوغ لأحد الاعتراض عليه ، ولو اعترض كان اعتراضه أقل من أن يلتفت إليه أو يعول بحال عليه إلى توهية قولهم

٧٧ ( ) أو أنزل عليه الذكر من بيننا ( ) ٧

[ص : ٨] بأنه عليه السلام المخلص في عباده لم يمل إلى شيء من أوثانهم ساعة ما ولا صرف لحظة عن الإله الحق طرفة عين ، فلذلك اختصه من بينهم بهذا الروح الذي لا روح في الوجود سواه ، فمن أقبل عليه وأخلص في تلاوته والعمل بما يدعو إليه والبعد عما ينهى عنه صار ذا روح موات يحيي الأموات ويزري بالنيرات .

قال الرازي : قال ابن عطاء : **حياة القلب** حسب ما ألقي إليه من الروح ، فمنهم من ألقي إليه روح الرسالة ، ومنهم من ألقي إليه روح النبوة ، ومنهم من ألقي إليه روح الصديقية والكشف والمشاهدة ، ومنهم من ألقي إليه روح العلم والمعرفة ، ومنهم من ألقي إليه روح العبادة والخدمة ، ومنهم من ألقي إليه روح الحياو فقط ، ليس له علم بالله ولا مقام مع الله ، فهو ميت في الباطن ، وله الحياة البهيمية التي يهتدي بها إلى المعاش دون المعاد – انتهى .

وبالجملة فكل من هذه الأرواح منطق لمن ألقي عليه مطلق للسانه ببديع بيانه وإن اختلف نطقهم في بيانهم ، وتصرفهم في عظيم شأنهم .

ولما بين سر اختصاصه بالإرسال لهذا النبي الكريم ، أتبع ذلك بما يزيده بيانا من ثمرة الإرسال فقال : (لينذر) أي الذي اختصه سبحانه بروحه ، وعبر بما يقتضيه تصنيف الناس الذي هو مقصود السورة من

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٤/٤٨٦

الاجتماع ، وأزال وهم من قد يستحيل لقاء سبحانه لرفعه درجاته وسفول درجات غيره) يوم التلاق) أي الذي لا يستحق أن يوصف بالتلاقي على الحقيقة غيره لكونه يلتقي فيه الأولون والآخرون وأهل السماوات والأرض ولا حيلة لأحد منهم في فراق غريمه بغير فصل على وجه العدل ، وإلى هذا المعنى أشارت قراءة ابن كثير باثبات الياء في الحالين وهو واضح جدا في إفراد حزبي الأسعدين والأخسرين فإنه تلاق لا آخر له ، وأشارت قراءة الجمهور بالحذف في الحالين إلى تلاقي هذين الجزئين : أحدهما بالآخر فإنه – والله أعلم – قل ما يكون حتى يفترقا بالأمر بكل إلى داره : الأسعدين بغير حساب ، والأخسرين لا يقام لهم وزن ، وأشار الإثبات في الموقف دون الوصل إلى الأمر الوسط وهي لمن بقي لقاءهم يمتد إلى حين القصاص لبعضهم من بعض .

ولما أفهم ذلك عدم الحجاب من بيوت أو جبال ، أو أشجار أو تلال ، أو غير ذلك من سائر ذوات الظلال ، نبه عليه في قوله معيدا ذكر اليوم لأنه أهول له : (يوم هم) أي بظواهرهم وبواطنهم) بارزون) أي برزوا لا ساتر فيه أصلا .." (١)

" صفحة رقم ٢٣٩

المخاطبون بهذه الآية المعاتبون بها ، قال أبو حيان : قال مجاهد : نزلت في بني أسد بن خزيمة – انتهى .

فلذلك اختار أبو عمرو القراءة بها ، وعدل عن لغة الحجاز) من أعمالكم شيئا (فلا حاجة إلى إخباركم عن إيمانكم بغير ما يدل عليه من الأقوال والأفعال ، قال ابن برجان : فعموم الناس وأكثر أهل الغفلة مسلمون غير مؤمنين ، فإن يعلموا علم ما شهدوا وعقدوا عليه عقدا علما ويقينا لهم المؤمنون .

وفي الآية احتباك من وجه آخر : ذكر عدم الإيمان أولا دليلا على إثباته ثانيا ، وذكر توفير الأعمال ثانيا دليلا على بخسها أو إحباطها أولا ، وسره أنه نفى أساس الخير أولا ورغب في الطاعة بحفظ ما تعبوا عليه من الأعما ثانيا .

ولما كان الإنسان مبنيا على النقصان ، فلو وكل إلى عمله هلك ، ولذهب عمله فيما يعتريه من النقص ، قال مستعطفا لهم إلى التوبة ، مؤكدا تنبيها على أنه مما حيق تأكيده لأن الخلائق لا يفعلون مثله : (إن الله) أي الذي له صفات الكمال) غفور) أي ستور للهفوات والزلات لمن تاب وصحت نيته ، ولغيره إذا

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٤٩٤/٦

أراد ، فلا عتاب ولا عقاب) رحيم) أي يزيد على الستر عظيم الإكرام .

الحجرات : (١٥ – ١٨) إنما المؤمنون الذين. .. . .

) إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السماوات وما في الأرض والله بكل شيء عليم يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين إن الله يعلم غيب السماوات والأرض والله بصير بما تعملون (( )

ولما نفى عنهم الإيمان ، وكان ربما غلط شخص في نفسه فظن أنه مؤمن ، وليس كذلك ، أخبر بالمؤمن على سبيل الحصر ذاكرا أمارته الظاهرة الباطنة ، وهي أمهات الفضائل : العلم والعفة والشجاعة ، فقال جوابا لمن قال : فمن الذي آمن ؟ عادلا عن جوابه إلى وصف الراسخ ترغيبا في الاتصاف بوصفه وإيذانا بأن المخبر عن نفسه بآية إيمانه لا يريد إلا أنه راسخ : (إنما المؤمنون) أي العريقون في الإيمان الذي هو **حياة القلوب** ، قال القشيري : والقلوب لا تحيا إلا بعد ذبح النفوس ، والنفوس لا تموت ولكنها تعيش) الذين آمنوا) أي صدقوا معترفين) بالله (معتقدين جميع ما له من صفات الكمال) ورسوله (شاهدين برسالته ، وهذا هو المعرفة التي هي العلم ، وغياتها الحكمة ، وهذا الإثبات هنا يدل على أن المنفي فيما قيل الكمال لا المطلق ، وإلا لقال (إنما الذين آمنوا) .." (١)

" صفحة رقم ٩٨

لزيادتهم في المكابرة فقال : (لعلى خلق (ولما أفهم السياق التعظيم ، صرح به فقال : (عظيم (وهو الإسلام الذي دعا إليه القرآن لا بالبلاء ينحرف ، ولا بالعطاء ينصرف ، لأن خلقه – بشهادة أعرف الناس به زوجه أم المؤمنين الصديقة عائشة بنت الصديق أبي بكر رضي الله عنهما – القرآن ، فلا يتحرك ولا يسكن إلا بأمره ونهيه ، فهذا الخلق نتيجة الهدى والهدى نتيجة العقل ، وهو سبب السعادة ، فأفهم ذلك عدم سعادتهم لعدم عقولهم ، وقال الواسطي : أظهر الله قدرته في عيسى عليه السلام ونفاذه في آصف ، وسخطه وقهره في عصى موسى عليه الصلاة والسلام وأطهر أخلاقه ونعوته في محمد (صلى الله عليه وسلم) فكان متخلقا بأخلاق الله تعالى والتخلق بأخلاقه أن ينزه علمه عن الجهل وجوده عن البخل وعدله عن الظلم وحلمه عن السفه ، واعلم أن الخلق والخلق صورتان : الخلق صور الظاهر ، والخلق صورة الباطن

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٢٣٩/٧

يعبر به عن الخلق الحسن ، ثم الخلق السحن تارة مع الله ، وتارة مع حكم الله ، وتارة مع الخلق ، فمع الله بالتعظيم والإجلال ومع حكمه بالصبر في الضراء والبأساء والشكر في الرخاء والامتثال للأوامر والانزجار عن النواهي عن طيب قلب مسارعة وسماحة ، وحسن الخلق مع الخلق بث النصفة في المعاملة وحسن المجاملة في العشرة ، روي عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : (الخلق وعاء الدين ، لأن من الخلق يخرج الدين ، وهو الخضوع والخشوع وبذل النفس لله واحتمال المكروه) .

ولما كان الإسلام أشرف الأديان ، أعطاه الله تعالى أقوى الأخلاق وأشرفها وهو الحياء كما روي أن لكل دين خلقا وخلق الإسلام الحياء ، ومن الحياء **حياة القلب** ، فكان (صلى الله عليه وسلم) يأخذ العفو ويأمر بالعرف ويعرض عن الجاهلين ولا يجزي بالسيئة السيئة لكن يعفو ويصفح ويحسن مع ذلك ويجذب بردته حتى يؤثر في عنقه فيلتفت وهو يضحك ويقضي حاجة الجاذب ويحسن إليه ، فقد اشتمل الكلام التدبيري المشار إليه بالنون والقضاء الكلي التأثيري المشار إليه بالقلم والقدر المبرم التفصيلي الواقع على وقف القضاء المشار إليه بالسطر ، ومثال ذلك أن من أراد بناء دولاب احتاج أولا إلى مهندس يدبر له بعلمه موضع البئر والمدار وموضع المحلة وموضع السهم وموضع الجداول ، ونحو ذلك وهو الحكم التدبيري ، ثانيا إلى صانع يحفر البئر ويبني ونجار يركب الأخشاب على وفق حكمة المهندس ، وهو القضاء التأثيري ، وثالثا إلى إقامة الثور في." (١)

"وتسمية جبريل بذلك ، لأن الغالب على جسمه الروحانية ، وكذلك سائر الملائكة ، أو لأنه يحيا به الدين ، كما يحيا البدن بالروح ، فإنه هو المتولي لإنزال الوحي ، أو لتكوينه روحا من غير ولادة. وتأييد الله عيسى بجبريل عليهما السلام لإظهار حجته وأمر دينه ، أو لدفع اليهود عنه ، إذ أرادوا قتله ، أو في جميع أحواله. واختار الزمخشري أن معناه : بالروح المقدسة ، قال : كما يقال حاتم الجود ، ورجل صدق. ووصفها بالقدس كما قال : وروح منه ، فوصفه بالاختصاص والتقريب للكرامة. انتهى كلامه. وقد تقدم معنى القدس أنه الطهارة أو البركة. وقال مجاهد والربيع : القدس من أسماء الله تعالى ، كالقدوس. قالوا : وإطلاق الروح على جبريل وعلى الإنجيل وعلى اسم الله الأعظم مجاز ، لأن الروح هو الريح

٢٩٩

المتردد في مخارق الإنسان في منافذه. ومعلوم أن هذه الثلاثة ما كانت كذلك ، إلا أن كلا منها أطلق

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٩٨/٨

الروح عليه على سبيل التشبيه ، من حيث إن الروح سبب للحياة ، فجبريل هو سبب **لحياة القلوب** بالعلوم ، والإنجيل سبب لظهور الشرائع وحياتها ، والاسم الأعظم سبب لأن يتوصل به إلى تحصيل الأغراض. والمشابهة بين جبريل والروح أتم ، ولأن هذه التسمية فيه أظهر ، ولأن المراد من أيدناه : قويناه وأعناه ، وإسنادها إلى جبريل حقيقة ، وإلى الإنجيل والاسم الأعظم مجاز. ولأن اختصاص عيسى بجبريل من آكد وجوه الاختصاص ، إذ لم يكن لأحد من الأنبياء مثل ذلك ، لأنه هو الذي بشر مريم بولادته ، وتولد عيسى بنفخه ، ورباه في جميع الأحوال ، وكان يسير معه حيث سار ، وكان معه حيث صعد إلى السماء.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٢٩٦

{أفكلما جآءكم رسولا بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم} : الهمزة أصلها للاستفهام ، وهي هنا للتوبيخ والتقريع. والفاء لعطف الجملة على ما قبلها ، واعتنى بحرف الاستفهام فقدم ، والأصل فأكلما. ويحتمل أن لا يقدر قبلها محذوف ، بل يكون العطف على الجمل التي قبلها ، كأنه قال : ولقد آتينا يا بني إسرائيل ، آتيناكم ما آتيناكم. فكلما جاءكم رسول. ويحتمل أن يقدر قبلها محذوف ، أي فعلتم ما فعلتم من تكذيب فريق وقتل فريق. وقد تقدم الكلام على كلما في قوله تعالى : {كلما رزقوا منها} ، فأغنى عن إعادته. والنصاب لها قولها : {استكبرتم} . والخطاب في جاءكم يجوز أن يكون عاما لجميع بني إسرائيل ، إذ كانوا على طبع واحد من سوء الأخلاق ، وتكذيب الرسل ، وكثرة سؤالهم لأنبيائهم ، والشك والارتياب فيما أتوهم به ، أو يكون عائدا إلى أسلافهم الذين فعلوا ذلك. وسياق الآيات يدل عليه أو إلى من بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبنائهم ، لأنهم راضون بفعلهم ، والراضي كالفاعل. وقد كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به ، وسقوه السم ليقتلوه ، وسحروه. وبما : متعلق بقوله : جاءكم ، وما موصولة ، والعائد محذوف ، أي لا تهواه. وأكثر استعمال الهوى فيما ليس بحق ، ومنه هذه الآية. وأسند الهوى إلى النفس ، ولم يسند إلى ضمير المخاطب ، فكان يكون بما لا تهوون إشعارا بأن النفس يسند إليها غالبا الأفعال السيئة ، {إن النفس لامارة بالسواء} ، {فطوعت له نفسه قتل أخيه} ، {قال بل سولت لكم أنفسكم} . استكبرتم : استفعل هنا : بمعنى تفعل ، وهو أحد معاني استفعل. وفسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبر بأنه سفه الحق وغمط الناس. والمعنى قيل : استكبرتم عن إجابته احتقارا للرسول. أو استبعادا للرسالة ، وفي ذلك ما كانوا عليه من طبيعة الاستكبار الذي هو محل النقصائص ونتيجة الإعجاب. وهو نتيجة الجهل بالنفس المقارن للجهل بالخالق ، وإن ذلك كان يتكرر منهم بتكرر مجيء الرسل إليهم

، وهو كما ذكرنا استبكار بمعنى التكبر ، وهو مشعر بالتكلف والتفعل ، لذلك لا أنهم يصيرون بذلك كبراء عظماء ، بل يتفعلون ذلك ولا يبلغون حقيقته ، لأن الكبرياء إنما هي لله تعالى ، فمحال أن يتصف بها غيره حقيقة.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٢٩٦

{ففريقا كذبتم} : ظاهره أنه معطوف على قوله : استكبرتم ، فنشأ عن الاستكبار مبادرة فريق من الرسل بالتكذيب فقط ، حيث لا يقدرون على قتله ، وفريق بالقتل إذا قدروا على قتله. وتهيأ لهم ذلك ، ويضمن أن من قتلوه فقد كذبوه. واستغنى عن التصريح بتكذيبه للعلم بذلك ، فذكر أقبح أفعالهم معه ، وهو قتله. وأجاز أبو القاسم الراغب أن {ففريقا كذبتم} معطوفا على قوله : {وأيدناه} ، ويكون قوله : أفكلما مع ما بعده فصلا بينهما على سبيل الإنكار. والأظهر في ترتيب الكلام الأول ، وهذا أيضا محتمل ، وأخر العامل وقدم المفعول ليتواخى رؤوس الآي ، وثم محذوف تقديره : ففريقا منهم كذبتم ، وبدأ بالتكذيب لأنه أول ما يفعلونه من الشر ، ولأنه المشترك بين الفريقين : المكذب والمقتول.

{وفريقا تقتلون} : وأتى بفعل القتل مضارعا ، إما لكونه حكيت

." (١)

" {ذلك تخفيف من ربكم ورحمة} أشار بذلك إلى ما شرعه تعالى من العفو والدية إذ أهل التوراة كان مشروعهم القصاص فقط ، وأهل الإنجيل مشروعهم العفو فقط ، وقيل : لم يكن العفو في أمة قبل هذه الأمة ، وقد تقدم طرق من هذا النقل ، وهذه الأمة خيرت بين القصاص وبين العفو والدية ، وكان العفو والدية تخفيفا من الله إذ فيه انتفاع الولي بالدية ، وحصول الأجر بالعفو استبقاء مهجة القاتل ، وبذل ما سوى النفس هين في استبقائها ، وأضاف هذا التخفيف إلى الرب لأنه المصلح لأحوال عبيده ، الناظر لهم في تحصيل ما فيه سعادتهم الدينية والدنيوية ، وعطف {ورحمة} على {تخفيف} لأن من استبقى مهجتك بعد استحقاق إتلافها فقد رحمك. وأي رحمة أعظم من ذلك ؟ ولعل القاتل المعفو عنه يستقل من الأعمال الصالحة في المدة التي عاشها بعد استحقاق قتله

١٤

ما يمحو به هذه الفعلة الشنعاء ، فمن الرحمة إمهاله لعله يصلح أعماله.

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ١/٢٥٧

{فمن اعتدى بعد ذالك} أي : من تجاوز شرع الله بعد القود وأخذ الدية بقتل القاتل بعد سقوط الدم ، أو بقتل غير القاتل ، وكانوا في الجاهلية يفعلون ذلك ، ويقتلون بالواحد الاثنين والثلاثة والعشرة ، وقيل : المعنى : من قتل بعد أخذ الدية ، وقيل : بعد العفو ، وقيل : من أخذ الدية بعد العفو عنها. والأظهر القول الأول لتقدم العفو ، وأخذ المال ، والاعتداء ، وتجاوز الحد يشمل ذلك كله.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٤٩٦

وقال الزمخشري : بعد ذلك التخفيف ، فجعل ذلك إشارة إلى التخفيف ، وليس يظهر أن ذلك إشارة إلى التخفيف ، وإنما الظاهر ما شرحناه به من العفو وأخذ الدية ، وكون ذلك تخفيفا هو كالعلة لمشروعية العفو وأخذ الدية ، ويحتمل : من في قوله : {فمن اعتدى } أن تكون شرطية ، وأن تكون موصولة.

{فله عذاب أليم} جواب الشرط ، أو خبر عن الموصول ، وظاهر هذا العذاب أنه في الأخرة ، لأن معظم ما ورد من هذه التوعدات إنما هي في الآخرة. وقيل : العذاب الأليم هو في الدنيا ، وهو قتله قصاصا ، قاله عكرمة ، وابن جبير ، والضحاك : وقيل : هو قتله البتة حدا ، ولا يمكن الحاكم الولي من العفو قاله عكرمة أيضا ، وقتادة ، والسدي.

وقيل : عذابه أن يرد الدية ويبقى إثمه إلى عذاب الآخرة ، قاله الحسن.

وقيل : عذابه تمكين الإمام منه يصنع فيه ما يرى ، قاله عمر بن عبد العزيز. ومذهب جماعة من العلماء أنه إذا قتل بعد سقوط الدم هو كمن قتل ابتداء ، إن شاء الولي قتله ، وإن شاء عفا عنه.

{ولكم فى القصاص حيواة يا أولي الالباب لعلكم تتقون} الحياة التي في القصاص هي : أن الإنسان إذا علم أنه إذا قتل قتل ، أمسك عن القتل ، فكان ذلك حياة له ، للذي امتنع من قتله ، فمشروعية القصاص مصلحة عامة ، وإبقاء القاتل والعفو عنه مصلحة خاصة به ، فتقدم المصلحة العامة لتعذر الجمع بينهما.

أو المعنى : ولكم في شرع القصاص حياة ، وكانت العرب إذا قتل الرجل حمى قبيلة أن تقتص منه ، فيقتتلون ، ويقضي ذلك إلى قتل عدد كثير ، فلما شرع القصاص رضوا به وسلموا القاتل للقود ، وصالحوا على الدية وتركوا القتال ، فكان لهم في ذلك حياة ، وكم قتل مهلهل بأخيه كليب حتى كاد يفني بكر بن وائل.

وقيل : حياة لغير القاتل ، لأنه لا يقتل خلاف ما كان يفعله أهل الجاهلية. وقيل : حياة للقاتل. وقيل : حياة لارتداع من يهم به في الآخرة إذ استوفى منه القصاص في الدنيا فإنه في الآخرة لا يقتص منه ، وإن لم يقتص اقتص منه في الآخرة. فلا تحصل له تلك الحياة التي حصلت لمن اقتص منه.

وقرأ أبو الجوزاء ، أوس بن عبد الله الربعي : ولكم في القصص ، أي : فيما قص عليكم من حكم القتل والقصاص ، وقيل : القصص : القرآن ، أي : لكم في القرآن **حياة القلوب** ، كقوله : {روحا من أمرنا } وكقوله : {أو من كان ميتا فأحييناه} .

جزء : ١ رقم الصفحة : ٤٩٦

وقال ابن عطية : ويحتمل أن يكون مصدرا كالقصاص ، أي : أنه إذا قص أثر القاتل قصصا قتل كما قتل. وقال الزمخشري : {ولكم في القصاص حيواة} كلام فصيح لما فيه من الغرابة ، وهو أن القصاص قتل وتفويت للحياة ، وقد جعل مكانا وظرفا للحياة ، ومن إصابة مخز البلاغة بتعريف ، القصاص ، وتنكير : الحياة ، لأن المعنى : ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حياة عظيمة ، أو نوع من الحياة ، وهو الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل. لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل ، انتهى كلامه.

وقالت العرب فيما يقرب من هذا المعنى : القتل أوقى للقتل ، وقالوا : أنفي للقتل ، وقالوا : أكف للقتل. ". (١)

"وأهله بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به أودية للناس فيحيون به وينفعهم أنواع المنافع ، وبالفلز الذي ينتفعون به في صوغ الحلى منه واتخاذ الأواني والآلات المختلفة ، ولو لم يكن إلا الحديد الذي فيه البأس الشديد لكفى فيه ، وإن ذلك ماكث في الأرض باق بقاء ظاهرا يثبت الماء في منافعه ، وتبقى آثاره في العيون والبئار والجبوب والثمار التي تنبت به مما يدخر ويكثر ، وكذلك الجواهر تبقى أزمنة متطاولة. وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله ووشك زواله وانسلاخه عن المنفعة بزبد السيل الذي يرمي به ، وبزبد الفلز الذي يطفو فوقه إذا أذيب. وقال ابن عطية : صدر هذه الآية تنبيه على قدرة الله تعالى ، وإقامة الحجة على الكفرة به ، فلما فرغ ذكر ذلك جعله مثالا للحق والباطل ، والإيمان والكفر ، والشك في الشرع واليقين به انتهى. وقيل : هذا مثل ضربه الله تعالى للقرآن ، والقلوب ، والحق ، والباطل. فالماء مثل القرآن لما فيه من **حياة القلوب** ، وبقاء الشرع والدين والأودية مثل للقلوب ، ومعنى بقدرها على سعة القلوب وضيقها ، فمنها ما انتقع به فحفظه ووعاه وتدبر فيه ، فظهرت ثمرته وأدرك تأويله ومعناه ، ومنها دون ذلك بطبقة ، ومنها دونه بطبقات. والزبد مثل الشكوك والشبه وإنكار الكافرين إنه كلام الله ، ودفعهم إياه بالباطل. والماء الصافي المنتفع به مثل الحق انتهى. وفي الحديث الصحيح ما يؤيد هذا التأويل وهو قوله صلى الله عليه

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ١/٤٤٦

وسلم : "مثل ما بعثت به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا وكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء وأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها طائفة أجادب فأمسكت الماء فانتفع الناس به وسقوا ورعوا وكانت منها قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثلما جئت به من العلم والهدى ومثل من لم يقبل هدى الله الذي أرسلت به" وقال ابن عطية : وروي عن ابن عباس أنه قال : قوله تعالى أنزل مِن السماء ماء ، يريد به الشرع والدين ، فسالت أودية يريد القلوب ، أي : أخذ النبيل بحظه ، والبليد بحظه ، وهذا قول لا يصح والله أعلم عن ابن عباس ، لأنه ينحو إلى أقوال أصحاب الرموز ، وقد تمسك به الغزالي وأهل تلك الطريق ، ولا توجيه لإخراج اللفظ عن مفهوم كلام العرب بغير علة تدعو إلى ذلك ، والله الموفق للصواب. وإن صح هذا القول عن ابن عباس ، فإنما قصد أن قوله تعالى : {كذلك يضرب الله الحق والباطل} ، معناه : الحق الذي يتقرر في القلوب ، والباطل الذي يعتريها أيضا انتهى. والماء المطر. ونكر أودية لأن المطر إنما يدل على طريق المناوبة ، فتسيل بعض الأودية دون بعض. ومعنى بقدرها أي : على قدر صغرها وكبرها ، أو بما قدر لها من الماء بسبب نفع الممطور عليهم لا ضررهم. ألا ترى إلى قوله : وأما ما ينفع الناس ، فالمطر مثل للحق ، فهو نافع خال من الضرر.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٣٥٦

وقرأ الجمهور : بقدرها بفتح الدال. وقرأ الأشهب العقيلي ، وزيد بن علي ، وأبو عمرو في رواية : بسكونها. وقال الحوفي : بقدرها متعلق بسالت. وقال أبو البقاء : بقدرها صلة لا ودية ، وعرف السيل لأنه عنى به ما فهم من الفعل ، والذي يتضمنه الفعل من المصدر هو نكرة ، فإذا عاد عليه الظاهر كان معرفة ، كما كان لو صرح به نكرة ، ولذلك تضمن إذا عاد ما دل عليه الفعل من المصدر نحو : من كذب كان شرا له أي : كان الكذب شرا له ، ولو جاء هنا مضمرا لكان جائزا عائدا على المصدر المفهوم من فسالت. واحتمل بمعنى حمل ، جاء فيه افتعل بمعنى المجرد كاقتدر وقدر. ورابيا منتفخا عاليا على وجه السبيل ، ومنه الربوة. ومما توقدون عليه أي : ومن الأشياء الت توقدون عليها وهي الذهب ، والفضة ، والحديد ، والنحاس ، والرصاص ، والقصدير ، ونحوها مما يوقد عليه وله زبد. وقرأ حمزة ، والكسائي ، وحفص ، وابن محيصن ، ومجاهد ، وطلحة ، ويحيى ، وأهل الكوفة : يوقدون بالياء على الغيبة ، أي يوقد الناس. وقرأ باقي السبعة والحسن ، وأبو جعفر ، والأعرج ، وشيبة : بالتاء على الخطاب

٣٨١
". (١)

"إلى قومه فيجيء قومه فيصالحون بالدية فذلك الاعتداء.

فله عذاب أليم يقتل في الدنيا ولا يعفى عنه.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا أعافي رجلا قتل بعد أخذه الدية منه»

[٣٢] ، وفي الآخرة عذاب النار، وفي هذه الآية دليل على إن القاتل لا يصير كافرا ولا يبقى خالدا في النار لأن الله تعالى.

خاطبهم فقال: يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص ولا خلاف إن القصاص واقع في العمد فلم يسقط عنه أسم الأيمان بارتكاب هذه الكبيرة، وقال في آخر الآية فمن عفي له من أخيه شيء فسمى القاتل أخا المقتول، وقال ذلك تخفيف من ربكم ورحمة وهما [يخصان] المؤمنين دون الكافرين.

يروى أن مسروقا سئل هل للقاتل توبة؟

فقال: لا أغلق بابا فتحه الله.

ولكم في القصاص حياة بقاء لأنه إذا علم أنه إن قتل أمسك وارتدع عن القتل. ففيه حياة للذي يهم بقتله، وحياة للهام ولهذا قيل في المثل: القتل قلل القتل.

وقال قتادة: كم رجل قد هم بداهية لولا مخافة القصاص لوقع بها ولكن الله تعالى حجر عباده بعضهم عن بعض هذا قول أكثر المفسرين.

وقال السدي: كانوا يقتلون بالواحد الاثنين والعشرة والمائة فلما قصروا بالواحد على الواحد كان في ذلك حياة وقيل: أراد في الآخرة لأن من أقيد منه في الدنيا حيي في الآخرة، وإذا لم يقتص منه في الدنيا اقتص منه في الآخرة ويعني الحياة سلامته من قصاص الآخرة، وقرأ أبو الجوزاء: ولكم في القصاص حياة أراد القرآن فيه **حياة القلوب**.

قال يا أولي الألباب يا ذوي العقول.

لعلكم تتقون القتل مخافة القود.

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٥/٣١٠

[سورة البقرة (٢) : الآيات ١٨٠ الى ١٨٢]

كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين (١٨٠) فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم (١٨١) فمن خاف من موص جنفا أو إثما فأصلح بينهم فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم (١٨٢)

كتب فرض ووجب. عليكم إذا حضر جاء.

أحدكم الموت يعني اسباب الموت وآثاره ومقدماته من العلل والأمراض ولم يرد المعاينة.." (١)

"{أو كصيب} أو كأصحاب مطر شديد {من السماء} : من السحاب {فيه} : في ذلك السحاب {ظلمات ورعد} وهو صوت ملك موكل بالسحاب {وبرق} وهي النار التي تخرج منه {يجعلون أصابعهم في آذانهم} يعني: أهل هذا المطر {من الصواعق} من شدة صوت الرعد يسدون آذانهم بأصابعهم كيلا يموتوا بشدة ما يسمعون من الصوت فالمطر مثل للقرآن لما فيه من **حياة القلوب** والظلمات مثل لما في القرآن من ذكر الكفر والشرك وبيان الفتن والأهوال والرعد مثل لما خوفوا به من الوعيد وذكر النار والبرق مثل لحجج القرآن وما فيه من البيان وجعل الأصابع في الآذان حذر الموت مثل لجعل المنافقين أصابعهم في آذانهم كيلا يسمعوا القرآن مخافة ميل القلب إلى القرآن فيؤدي ذلك إلى الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك عندهم كفر والكفر موت {والله محيط بالكافرين} مهلكهم وجامعهم في النار." (٢)

"فيه تأملا وتفكيرا زادت هداية وتبصيرا، وكلما بجست (١) معينه فجر لها ينابيع الحكمة تفجيرا، فهو نور البصائر من عماها، وشفاء الصدور من أدوائها وجواها (٢)، **وحياة القلوب.**، ولذة النفوس" (٣). ولذلك عكف العلماء على مائدة القرآن منذ نزوله، تلاوة وحفظا، وتدبرا واستنباطا، وتفسيرا وبيانا، وتأليفا وبحثا عن أسراره وعجائبه التي لا تنفد ولا تنقضي، لذلك تعددت الدراسات حول القرآن؛ فمنهم من عني بقراءاته وعللها، ومنهم من عني بغريبه ومعانيه، ومنهم من عني بإعرابه وبلاغته، ومنهم من عني بأحكامه وتشريعاته، ومنهم من عني بمشكله ومتشابهه، ومنهم من عني بأسباب نزوله وناسخه ومنسوخه، وقد استأثر التفسير بالنصيب الأوفى من هذه الدراسات، حيث ألفت في هذا الباب كتب عديدة ومصنفات عجيبة، ما بين مطيل متوسع، ومختصر موجز، ومتوسط مقتصد.

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٢/٥٦

(٢) الوجيز للواحدي الواحدي ص/٩٤

وممن وفقهم الله لذلك العلامة المفسر اللغوي: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، حيث ألف في التفسير فأكثر ولون، وبسط وأوجز، وجمع وحقق، وزين ونمق، واشتهر بين الناس بمصنفاته في التفسير، وسارت بها الركبان، وتداولها شداة العلم، وأفادوا منها، وأثنوا عليها غاية الثناء، وذلك أنه كما قال عن نفسه: "وأظنني لم آل جهدا في إحكام أصول هذا العلم، على حسب ما يليق بزماننا هذا، ويسعه سنو عمري، على قلة

(١) بجست: فجرت. ينظر: "اللسان" ١/ ٢١٢.

(٢) جواها: الجوى: الحرقة وشدة الوجد من عشق أو حزن، والجوى السل وتطاول المرض. انظر: "اللسان" ٢/ ٧٣٠٤.

(٣) "مدارج السالكين" ١/ ٣.." [1]

"فلم يستجبه عند ذاك مجيب (١)

وقوله تعالى: {إذا دعاكم لما يحييكم} قال السدي: هو الإيمان والإسلام، وفيه الحياة (٢)، وعلى هذا معنى الآية: أجيبوا الرسول إذا دعاكم إلى الإيمان، والإيمان **حياة القلب**، والكفر موته، ويدل عليه قوله تعالى: {يخرج الحى من الميت} (٣) قيل: المؤمن من الكافر، وقال قتادة: يعني: القرآن، أي: أجيبوه إلى ما في القرآن ففيه الحياة والنجاة والعصمة (٤)، وعلى هذا القول: القرآن يحيي؛ لأنه سبب الحياة بالعلم، والجاهل حياته موت؛ لأنه يعيش بجهل (٥)، والقرآن لما كان سببا للإقتداء كان فيه الحياة النافعة.

والأكثرون على أن معنى قوله: {لما يحييكم} هو الجهاد (٦) وهو

(١) هذا عجز بيت، وصدره:

وداع دعا يا من يجيب إلى الندى

والبيت للغنوي كما في "الأصمعيات" ص ٩٦، و"نوادر أبى زيد" ص ٣٧، و"مجاز القرآن" ١/ ٦٧، و"شواهد الكشاف" ٤/ ٣٣٠.

(٢) رواه بلفظ مقارب ابن جرير ٩/ ٢١٣، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٨٠، والثعلبي ٦/ ٥٠ ب.

(٣) الأنعام: ٩٥، يونس: ٣١، الروم: ١٩.

(١) التفسير البسيط الواحدي ١/١٠

(٤) رواه بلفظ مقارب ابن جرير ٩/ ٢١٤، والثعلبي ٦/ ٥٠ ب.

(٥) هذا التعليل فيه نقص بين، والأولى أن يقال: إن القرآن يحيي؛ لأنه شامل لجميع ما ذكره المفسرون من أسباب الحياة، فالقرآن داع إلى الإيمان، وداع إلى العمل، وداع إلى الجهاد، وداع إلى الحق، وداع إلى النعيم المقيم، وكل واحد من هذه الأمور سبب للحياة المذكورة في الآية.

(٦) هذا قول عروة بن الزبير وابن إسحاق وابن قتيبة، ولم يذكر المفسرون غيرهم.

انظر: "تفسير ابن جرير" ٩/ ٢١٤، والثعلبي ٦/ ٥٠ ب، والبغوي ٣/ ٣٤٤، والماوردي ٢/ ٣٠٧، و"الدر المنثور" ٣/ ٣٢٠.." (١)

"فدليله قوله: {نزل به الروح الأمين (١٩٣) على قلبك} [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤]، وقال مجاهد: الروح: خلق ليسوا بالملائكة على سورة بني آدم، يأكلون، ولهم أيد وأرجل ورؤوس (١).

وقال أبو صالح: يشبهون الناس، وليسوا بالناس (٢).

وقال قوم: هو القرآن (٣)، وذلك أن المشركين قالوا: يا محمد، من أتاك بهذا القرآن، فبين الله أنه من عنده، فقال: {قل الروح من أمر ربي} قال أبو إسحاق: ودليل هذا القول قوله: {وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا} [الشورى: ٥٢]، وتأويل تسمية القرآن بالروح أن القرآن **حياة القلوب**

= قتادة، وورد بلفظه في "معاني القرآن" للنحاس ٤/ ١٩٠، عن الحسن، و"تفسير السمرقندي" ٢/ ٢٨٢، عنهما، و"الثعلبي" ٧/ ١١٩ ب، عنهما، ولا وجه البتة لتفسيره بجبريل هنا.

(١) أخرجه "الطبري" ٣٠/ ٢٣، بنحوه، وأبو الشيخ في "العظمة" ص ١٩٧، بنحوه، وورد بنحوه في: "تفسير السمرقندي" ٢/ ٢٨٢، و"الثعلبي" ٧/ ١١٩ ب، انظر: "تفسير البغوي" ٥/ ١٢٥، قال الفخر الرازي -تعقيبا على هذا القول والذي يليه-: ولم أجد في القرآن ولا في الأخبار الصحيحة شيئا يمكن التمسك به في إثبات هذا القول، وأيضا فهذا شيء مجهول فيبعد صرف هذا السؤال إليه. "تفسير الفخر الرازي" ٢١/ ٣٩.

(٢) أخرجه "الطبري" ٣٠/ ٢٣ بنصه، وأبو الشيخ في "العظمة" ص ١٩٥ بنصه، والبيهقي في "الأسماء والصفات" ص ٤٦٣، بنحوه، وورد في "تفسير الثعلبي" ٧/ ١١٩ ب، بنحوه، وهو كسابقه.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٠/٨٧

(٣) أخرجه بلفظه "الطبري" ٣٠/ ٢٣، عن ابن زيد، وأبو الشيخ في "العظمة" ص ١٩٦، عن الضحاك، وورد بلفظه في "معاني القرآن" للنحاس ٤/ ١٩٠، و"تفسير السمرقندي" ٢/ ٢٨٢، و"هود الهواي" ٢/ ٤٤٠، عن الحسن، و"الثعلبي" ٧/ ١٢٠ أو"الماوردي" ٣/ ٢٦٩، عن الحسن، و"الطوسي" ٦/ ٥١٥، عن الحسن، وهو أيضا بعيد هنا.." (١)

"وشبهه (١) بالمطر لما فيه من **حياة القلوب**، وعنى بالظلمات: ما في القرآن من ذكر الكفر والشرك وبيان الفتن والأهوال، فشبهها بما في المطر من الظلمات، وشبه ما خوفوا به من الوعيد وذكر النار بما في المطر من الرعد، وشبه حجج القرآن وما فيه من البيان والنور والشفاء والهدى بما في المطر من البرق. وشبه جعل المنافقين أصابعهم في آذانهم لكيلا يسمعوا (٢) القرآن مخافة ميل القلب إلى القرآن فيؤدي ذلك إلى الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك عندهم كفر، والكفر موت (٣)، أو لكيلا يسمعوا ما ينزل من القرآن بما فيه افتضاحهم بجعل (٤) الذي في هذا المطر أصابعه في أذنه. وتلخيص معناه: أن أصحاب الصيب إذا اشتد (٥) عليهم وقع الصاعقة وصوت الرعد خافوا على أنفسهم الهلاك، فسدوا آذانهم بأصابعهم، كذلك هؤلاء المنافقين يسدون آذانهم للمعنيين اللذين ذكرنا.

= لظلمات ما هم مستبطنون من الشرك والتكذيب ومرض القلب. وأما الرعد والصواعق، فلما هم عليه من الوجل من وعيد الله إياهم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم في آي كتابه ...) "الطبري" في "تفسيره" ١/ ١٥٦.

(١) في (ب): (وشبه).

(٢) في (أ)، (ج): (يسمعون).

(٣) ذكره الثعلبي في "تفسيره" ١/ ٥٦ أ.

(٤) قوله: (بجعل الذي في هذا المطر ... إلخ) متعلق بقوله: (وشبه جعل المنافقين ... إلخ) وقد ضعف هذا المعنى ابن جرير ورجح أن المراد بجعل أصابعهم في آذانهم مثلا لاتقائهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، بالإقرار بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم مخافة على أنفسهم من الهلاك ونزول النقمات فيتقون بما يبدون بألسنتهم من ظاهر الإقرار، كما يتقي الخائف أصوات الرعد بتصيير أصابعه في

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٤٦٣/١٣

أذنيه. "الطبري" ١/ ١٥٧.

(٥) في (ب): (استدعاهم).." (١)

"والبرق: مصع ملك يسوق السحاب، وقال علي، رضي الله عنه: البرق: مخاريق بأيدي الملائكة.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأى البرق وسمع الصواعق قال: «اللهم لا تهلكنا بعذابك، ولا تقتلنا بغضبك، وعافنا قبل ذلك» .

وأما معنى الآية، فقال المفسرون: إن الله تعالى ضرب للمنافقين مثلا آخر وشبههم بأصحاب مطر.

ومعنى أو كصيب: أو كأصحاب صيب، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، وأراد بالمطر: القرآن، وشبهه بالمطر لما فيه من **حياة القلوب**، وبالظلمات: لما في الكفر من ذكر الكفر والشرك، وبيان الفتن والأهوال، وبالرعد: لما خوفوا به من الوعيد وذكر النار، وبالبرق: حجج القرآن وما فيه من البيان والنور والشفاء والهدى، وشبه جعل المنافقين أصابعهم في آذانهم لكيلا يسمعوا ما ينزل من القرآن ما فيه افتضاحهم بجعل الذي في هذا المطر أصابعه في أذنه كيلا يسمع صوت الرعد.

والصواعق: وهي جمع صاعقة، والصاعقة والصعقة: الصيحة، يغشى منها على من يسمعها أو يموت، قال الله تعالى: {ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء} [الرعد: ١٣] .

ويقال للرعد والبرق إذا قتل إنسانا: أصابته صاعقة.

وقيل: الصاعقة: الصوت الشديد من الرعد يسقط معها قطعة نار.

وقوله: {حذر الموت} [البقرة: ١٩] : قال الزجاج: إنما نصب حذر لأنه في تأويل المصدر، كأنه قيل: يحذرون حذرا، لأن جعل الأصابع في الآذان يدل على الحذر.

وقوله: {والله محيط بالكافرين} [البقرة: ١٩] : قال مجاهد: جامعهم يوم القيامة، يقال: أحاط بكذا إذا لم يشذ منه شيء." (٢)

"لأسمعهم إياها سماع تفهم وتعليم، ولو أسمعهم بعد أن علم أن لا خير فيهم ما انتفعوا بذلك، و {لتولوا وهم معرضون} [الأنفال: ٢٣] لعنادهم وجحودهم الحق بعد ظهوره.

{يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢/٢٠٧

(٢) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٩٦/١

إليه تحشرون {٢٤} واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب {٢٥} واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون {٢٦} } [الأنفال: ٢٤-٢٦] قوله: {يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول} [الأنفال: ٢٤] أجيبوهما بالطاعة، إذا دعاكم الرسول لما يحييكم قال السدي: هو الإيمان وهو **حياة القلب**، والكفر موته.

وقال قتادة: يعني القرآن، وفيه الحياة والنجاة والعصمة، والقرآن سبب الحياة بالعلم.

والأكثرون على أن معنى قوله: لما يحييكم الجهاد، قال الفراء: إذا دعاكم إلى إحياء أمركم بالجهاد لأن أمرهم إنما يقوى به.

وقال الزجاج: أي: لما يكون سببا للحياة الدائمة في نعيم الآخرة وهو الجهاد.

وقال ابن قتيبة: يعني: الشهادة لأن الشهداء أحياء عند ربهم وسبب الشهادة الجهاد.

وقوله: {واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه} [الأنفال: ٢٤] يحول بين المؤمن والكفر، وبين الكافر والإيمان.

وهذا قول ابن عباس، وسعد بن جبير، وعطاء، وقال السدي: يحول بين الإنسان وقلبه فلا يستطيع أن يؤمن ولا أن يكفر إلا بإذنه.

وقوله: {وأنه إليه تحشرون} [الأنفال: ٢٤] أي: للجزاء على الأعمال.

قوله: واتقوا فتنة قال الزبير بن العوام: نزلت هذه الآية ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر، وعمر، وعثمان، وما أرانا من أهلها، وإذا نحن المعنيون بها.

يعني: ما كان يوم الجمل، قال السدي، ومقاتل، والضحاك، والحسن، وقتادة: هذا في قوم مخصوصين من أصحاب." (١)

"وقفوته، بالتخفيف، بمعنى، وهو الإتباع. والتقفية بالشيء: إردافه وإتباعه، ولهذا سميت القافية قافية (١).

و (الرسل): جمع رسول (٢)، كالزبور والزبر. والرسالة: المألكة، والإرسال: إنفاذ، وقد يكون إطلاقا.

{وآتينا عيسى ابن مريم البينات:} عيسى هو الذي أنزل عليه الإنجيل. ومريم هي ابنة عمران المحررة

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٢/٤٥٢

الحبيسة لعبادة الله، التي أرسل الله إليها روحه، فتمثل لها بشرا سويا، ونفخ في ما أحصنت (٣)، فحبلت العذراء البتول بالمسيح الرسول.

و (البينات): جمع بينة، وهي ما يشهد من المعاني لثبوت حق. وبينات عيسى إبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى بإذن الله، والإنباء بما يأكلون وما يدخرون (٤) في بيوتهم.

{وأيدناه:} "قويناه" (٥)، والتأييد هو جعل الشيء ذا (٦) الأيد والقوة.

{بروح القدس:} والروح من أمر الله تعالى، ويسمى (٧) ما يحيا به الجسد والنفس روحا، ويعبر به عن القرآن أيضا (٨)، وعن الملك النازل بالقرآن كذلك أعني: جبريل عليه السلام (٩)؛ لأن حياة القلب وهو الإيمان بسببهما. وكان عيسى عليه السلام روح الله (١٠)، والملائكة يسمون الروحانيين (١١). والفلاسفة يسندون (١٢) علم النبوة والتنسك (٢١ ظ) وعلم المصالح والكهانة إلى روح القدس، وعلم السحر والنيرنجات إلى الأرواح الخبيثة، والكهانة عندنا من الخبر (١٣) النوع الثاني. ومثال روح القدس من الأسماء: زيد الخيل وامرؤ القيس وملك الموت. وفي الحديث:

---

(١) ينظر: النكت والعيون ١/ ١٣٤، وتفسير القرطبي ٢/ ٢٣.

(٢) في ك: رسل، وهو خطأ. وينظر: تفسير الطبري ١/ ٥٦٧، والتبيان في تفسير القرآن ١/ ٣٣٩، ومجمع البيان ١/ ٢٩٤.

(٣) في ع: أحسنت، وهو تحريف.

(٤) في الأصل. وع: تدخرون. وينظر: تفسير الطبري ١/ ٥٦٨، ومعاني القرآن وإعرابه ١/ ١٦٨، وتفسير القرآن الكريم ١/ ٤١٣.

(٥) غريب القرآن وتفسيره ٧٥، والعمدة في غريب القرآن ٧٩، والمحرر الوجيز ١/ ١٧٦.

(٦) النسخ الأربع: ذو، والصواب ما أثبت. وينظر: تفسير الطبري ١/ ٥٦٨، والزاهر في معاني كلمات الناس ١/ ٥٠٥، والتبيان في تفسير القرآن ١/ ٣٤٠.

(٧) في ع: وتسمي.

(٨) ينظر: تفسير الطبري ١/ ٥٦٩، والتبيان في تفسير القرآن ١/ ٣٤٠، وتفسير البغوي ١/ ٩٢.

(٩) ينظر: تفسير الطبري ١/ ٥٦٩، والنكت والعيون ١/ ١٣٥، والوجيز ١/ ١١٧.

(١٠) ينظر: تفسير الطبري ١/ ٥٧٠، والقرطبي ٢/ ٢٤.

(١١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن ١/ ٣٤١، ومجمع البيان ١/ ٢٩٥، والبحر المحيط ١/ ٤٦٨.

(١٢) ساقطة من ك.

(١٣) في ع: الخير.." [1]

"و (الأداء): اسم من التأدية، وهي التسليم (١).

و {ذلك:} إشارة إلى حكم العقوبة (٢).

والمراد بالاعتداء (٣): الرجوع إلى القصاص (٤). ويحتمل أن المراد به أي الثلاثة: الرجوع، والامتناع من الأداء، والاتباع بالمنكر (٥).

{عذاب أليم:} أي: الاقتصاص من الراجع إلى القصاص (٦)، وقيل (٧): عذاب الآخرة.

١٧٩ - {ولكم في القصاص حياة:} ليس المراد بالحياة منع (٨) اخترام الآجال؛ لأنه محال لقوله تعالى: {وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله} [آل عمران:١٤٥]، ولقوله: {لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض} الآية [آل عمران:١٥٦]، لكن المراد طيب الحياة بعد الممات بالنجاة من النار، وتهنئة الحياة في الدنيا بالأمن من الغوائل بعد القصاص، والأمن من المقدمين على سفك الدماء إذا علموا (٤١ ظ) بالقصاص، أو **حياة القلب** بنور الاتقاء عن حدود الله (٩).

(أولو) (١٠): جمع لا واحد له، وتأنيثه: أولات، ومعناهما: ذوو وذوات (١١).

و (اللب) من كل شيء خالصه (١٢)، قاله (١٣) أبو عبيد.

١٨٠ - {إذا حضر أحدكم الموت:} الحالة (١٤) تعرض من أسباب الموت قبل زوال التكليف بزوال القدرة (١٥).

---

(١) ينظر: البحر المحيط ١/ ٦٧٢.

(٢) ينظر: الكشاف ١/ ٢٢٢، والتفسير الكبير ٥/ ٥٥، والبحر المحيط ٢/ ١٧.

---

[1] درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ١/١٩٤

(٣) في الآية نفسها: فمن اعتدى بعد ذلك.

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ١/ ٢٤٨، وتفسير البغوي ١/ ١٤٦، والمحرر الوجيز ١/ ٢٤٦.

(٥) ينظر: مجمع البيان ١/ ٤٩١، والتفسير الكبير ٥/ ٥٥.

(٦) ينظر: تفسير الطبري ٢/ ١٥٤، والنكت والعيون ١/ ١٩١ - ١٩٢، وتفسير البغوي ١/ ١٤٦.

(٧) ينظر: الكشاف ١/ ٢٢٢، ومجمع البيان ١/ ٤٩١، والتفسير الكبير ٥/ ٥٥.

(٨) في ب: مع، والنون ساقطة.

(٩) ينظر: تفسير الطبري ٢/ ١٥٦ - ١٥٧، والبغوي ١/ ١٤٦، والكشاف ١/ ٢٢٢ - ٢٢٣.

(١٠) في الآية نفسها: يا أولي الألباب.

(١١) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ١/ ١٤٦، والبحر المحيط ١/ ٦٧٢، والدر المصون ٢/ ٢٥٧ - ٢٥٨.

(١٢) ينظر: التبيان في تفسير القرآن ٢/ ١٠٦، ولسان العرب ١/ ٧٢٩ (لبب).

(١٣) النسخ الأربع: قال، والصواب ما أثبت.

(١٤) في ك وع: للحالة.

(١٥) ينظر: تفسير البغوي ١/ ١٤٦، والبيان في غريب إعراب القرآن ١/ ١٤١، والبحر المحيط ٢/ ١٩.." (١)

"وتأييد عيسى بجبريل عليهما السلام أنه أمر أن يسير معه حيث سار حتى صعد به الله {إلى السماء} (١) وقيل: سمي جبريل عليه السلام روحا للطافته ولمكانته من الوحي الذي هو سبب **حياة القلوب**، وقال ابن عباس وسعيد بن جبير: روح القدس هو اسم الله تعالى الأعظم به كان يحيي الموتى ويري الناس به العجائب، وقيل: هو الإنجيل جعل له روحا كما {جعل القرآن روحا لمحمد صلى الله عليه وسلم لأنه سبب **لحياة القلوب}** (٢) قال تعالى: "وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا" (٥٢-الشورى) فلما سمع اليهود ذكر عيسى عليه السلام فقالوا: يا محمد لا مثل عيسى -كما تزعم- عملت، ولا كما تقص علينا من الأنبياء فعلت، فأتنا بما أتى به عيسى إن كنت صادقا.

قال الله تعالى: {أفكلما جاءكم} يا معشر اليهود {رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم} تكبرتم وتعظمتم

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٢٨٢/١

عن الإيمان {ففريقا} طائفة {كذبتم} مثل عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم {وفريق تقتلون} أي قتلتم مثل زكريا ويحيى وشعيبا وسائر من قتلوه من الأنبياء عليهم السلام

{وقالوا} يعني اليهود {قلوبنا غلف} جمع الأغلف وهو الذي عليه غشاء، معناه عليها غشاوة فلا تعي ولا تفقه ما تقول، قاله مجاهد وقتادة، نظيره قوله تعالى: "وقالوا قلوبنا في أكنة" (٥-فصلت) وقرأ ابن عباس غلف بضم اللام وهي قراءة الأعرج وهو جمع غلاف أي قلوبنا أوعية لكل علم فلا تحتاج إلى علمك قاله ابن عباس وعطاء وقال الكلبي: معناه أوعية لكل علم فلا تسمع حديثا إلا تعيه إلا حديثك لا تعقله ولا تعيه ولو كان فيه {خير} (٣) لوعته وفهمته.

قال الله عز وجل {بل لعنهم الله} طردهم الله وأبعدهم عن كل خير {بكفرهم فقليلا ما يؤمنون} قال قتادة: معناه لن يؤمن منهم إلا قليل لأن من آمن من المشركين أكثر ممن آمن من اليهود، أي فقليلا يؤمنون، ونصب قليلا [على الحال وقال معمر: لا يؤمنون إلا بقليل مما في أيديهم ويكفرون بأكثره، أي فقليل يؤمنون ونصب قليلا] (٤) بنزع الخافض، و (ما) صلة على قولهما، وقال الواقدي: معناه لا يؤمنون قليلا ولا كثيرا كقول الرجل للآخر: ما أقل ما تفعل كذا أي لا تفعله أصلا

{ولما جاءهم كتاب من عند الله} يعني القرآن {مصدق} موافق {لما معهم} يعني التوراة {وكانوا} يعني اليهود {من قبل} قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم {يستفتحون} يستنصرون {على الذين كفروا} على مشركي العرب، وذلك أنهم كانوا يقولون إذا حزبهم أمر ودهمهم عدو: اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث في آخر الزمان، الذي نجد صفته في التوراة، فكانوا ينصرون، وكانوا يقولون لأعدائهم من المشركين قد أظل زمان نبي يخرج

---

(١) في الأصل: إلى موسى وفي (ب) إلى السماء.

(٢) في الأصل: كما جعل له القرآن روحا مع نقص الآية: (وكذلك.......) .

(٣) ساقط من الأصل.

(٤) ساقط من الأصل أ.." (١)

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ١٢٠/١

"لا تجد قوما من باب التخييل. خيل أن من الممتنع المحال: أن تجد قوما مؤمنين يوالون المشركين، والغرض به أنه لا ينبغي أن يكون ذلك، وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال، مبالغة في النهى عنه والزجر عن ملابسته، والتوصية بالتصلب في مجانبة أعداء الله ومباعدتهم والاحتراس من مخالطتهم ومعاشرتهم، وزاد ذلك تأكيدا وتشديدا بقوله ولو كانوا آباءهم وبقوله أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وبمقابلة قوله أولئك حزب الشيطان بقوله أولئك حزب الله فلا تجد شيئا أدخل في الإخلاص من موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه، بل هو الإخلاص بعينه كتب في قلوبهم الإيمان أثبته فيها بما وفقهم فيه وشرح له صدورهم وأيدهم بروح منه بلطف من عنده حييت به قلوبهم. ويجوز أن يكون الضمير للإيمان، أى: بروح من الإيمان، على أنه في نفسه روح **لحياة القلوب** به. وعن الثوري أنه قال: كانوا يرون أنها نزلت فيمن يصحب السلطان. وعن عبد العزيز بن أبى رواد: أنه لقيه المنصور في الطواف فلما عرفه هرب منه وتلاها. وعن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه كان يقول: اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي نعمة، «١» فإنى وجدت فيما أوحيت إلى: لا تجد قوما. وروى أنها نزلت في أبى بكر رضى الله عنه، وذلك أن أبا قحافة سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فصكه صكة سقط منها، فقال له رسول الله «أو فعلته» ؟ قال: نعم، قال: «لا تعد» قال: والله لو كان السيف قريبا منى لقتلته «٢» . وقيل في أبى عبيدة بن الجراح: قتل أباه عبد الله الجراح يوم أحد، وفي أبى بكر: دعا ابنه يوم بدر إلى البراز، وقال لرسول الله: دعني أكر في الرعلة»
الأولى، قال: متعنا بنفسك يا أبا بكر، أما تعلم أنك عندي بمنزلة سمعي وبصرى «٤» .
وفي مصعب بن عمير: قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد. وفي عمر: قتل خاله العاص بن هشام يوم بدر.
وفي على وحمزة وعبيدة بن الحرث: قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر.
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة» «٥»

---

(١) . ذكره صاحب الفردوس من حديث معاذ. وأورده ابن مردويه من رواية جعفر الأحمر عن كثير بن عطية عن رجل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يذكر ولا لفاسق.
(٢) . نقله الثعلبي عن ابن جريج قال «حدثت أن أبا قحافة ... فذكره.
(٣) . قوله «دعني أكر في الرعلة» هي القطعة من الخيل، كما في الصحاح. (ع)

(٤) . هو في تفسير مقاتل بن حيان عن مرة الهمداني عن ابن مسعود، وذكره الثعلبي عن تفسير مقاتل.

(٥) . أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي بأسانيدهم إلى أبي بن كعب رضى الله عنه.." (١)

"ما دعا الله إليه ورغب فيه فهو مشتمل على ثواب، فكان هذا الحكم عاما في جميع الأوامر وذلك يفيد المطلوب.

المسألة الثالثة: ذكروا في قوله: إذا دعاكم لما يحييكم وجوها: الأول: قال السدي: هو الإيمان والإسلام وفيه الحياة لأن الإيمان حياة القلب والكفر موته، يدل عليه قوله تعالى: يخرج الحي من الميت [الروم: ١٩] قيل المؤمن من الكافر. الثاني: قال قتادة: يعني القرآن أي أجيبوه إلى ما في القرآن ففيه الحياة والنجاة والعصمة، وإنما سمي القرآن بالحياة لأن القرآن سبب العلم. والعلم حياة، فجاز أن يسمى سبب الحياة بالحياة. الثالث: قال الأكثرون: لما يحييكم هو الجهاد، ثم في سبب تسمية الجهاد بالحياة وجوه: أحدها: هو أن وهن أحد العدوين حياة للعدو الثاني. فأمر المسلمين إنما يقوى ويعظم بسبب الجهاد مع الكفار. وثانيها: أن الجهاد سبب لحصول الشهادة وهي توجب الحياة الدائمة قال تعالى: ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون [آل عمران: ١٦٩] وثالثها: أن الجهاد قد يفضي إلى القتل، والقتل يوصل إلى الدار الآخرة، والدار الآخرة معدن الحياة. قال تعالى: وإن الدار الآخرة لهي الحيوان [العنكبوت: ٦٤] أي الحياة الدائمة.

والقول الرابع: لما يحييكم أي لكل حق وصواب، وعلى هذا التقدير فيدخل فيه القرآن والإيمان والجهاد وكل أعمال البر والطاعة. والمراد من قوله: لما يحييكم الحياة الطيبة الدائمة قال تعالى: فلنحيينه حياة طيبة [النحل: ٩٧] .

المسألة الرابعة: قوله تعالى: واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه يختلف تفسيره بحسب اختلاف الناس في الجبر والقدر. أما القائلون بالجبر، فقال الواحدي حكاية عن ابن عباس والضحاك: يحول بين المرء الكافر وطاعته، ويحول بين المرء المطيع ومعصيته، فالسعيد من أسعده الله، والشقي من أضله الله. والقلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء، فإذا أراد الكافر أن يؤمن والله تعالى لا يريد إيمانه يحول بينه وبين قلبه. وإذا أراد المؤمن أن يكفر والله لا يريد كفره حال بينه وبين قلبه. قلت: وقد دللنا بالبراهين العقلية على صحة أن الأمر كذلك وذلك لأن الأحوال القلبية إما العقائد وإما الإرادات والدواعي. أما العقائد: فهي إما العلم، وإما

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٤/٤٩٧

الجهل.
أما العلم فيمتنع أن يقصد الفاعل إلى تحصيله إلا إذا علم كونه علما ولا يعلم ذلك إلا إذا علم كون ذلك الاعتقاد مطابقا للمعلوم ولا يعلم ذلك إلا إذا سبق علمه بالمعلوم وذلك يوجب توقف الشيء على نفسه وأما الجهل فالإنسان البتة لا يختاره ولا يريده إلا إذا ظن أن ذلك الاعتقاد علم، ولا يحصل له هذا الظن/ إلا بسبق جهل آخر، وذلك أيضا يوجب توقف الشيء على نفسه، وأما الدواعي والإرادات فحصولها إن لم يكن بفاعل يلزم الحدوث لا عن محدث، وإن كان بفاعل فذلك الفاعل إما العبد وإما الله تعالى، والأول باطل، وإلا لزم توقف ذلك القصد على قصد آخر وهو محال، فتعين أن يكون فاعل الاعتقادات والإرادات والدواعي هو الله تعالى، فنص القرآن دل على أن أحوال القلوب من الله، والدلائل العقلية دلت على ذلك، فثبت أن الحق ما ذكرناه. أما القائلون بالقدر فقالوا: لا يجوز أن يكون المراد من هذه الآية ما ذكرتم، وبيانه من وجوه:
الوجه الأول: قال الجبائي: إن من حال الله بينه وبين الإيمان فهو عاجز، وأمر العاجز سفه، ولو جاز ذلك لجاز أن يأمرنا الله بصعود السماء، وقد أجمعوا على أن الزمن لا يؤمر بالصلاة قائما، فكيف يجوز ذلك." (١)

"الخلق، وظهر بهذا الترتيب الذي لخصناه أن هذه الآيات منتظمة على أحسن الوجوه والله أعلم.
وفي الآية مسائل:
المسألة الأولى: قرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائي: (ينزل) بالياء وكسر الزاي وتشديدها، والملائكة بالنصب، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ينزل بضم الياء وكسر الزاي وتخفيفها، والأول من التفعيل، والثاني من الإفعال، وهما لغتان:
المسألة الثانية: روي عن عطاء عن ابن عباس قال: يريد بالملائكة جبريل وحده. قال الواحدي: وتسمية الواحد باسم الجمع إذا كان ذلك الواحد رئيسا مقدما جائز كقوله تعالى: إنا أرسلنا نوحا إلى قومه.
[نوح: ١] وإنا أنزلناه [يوسف: ٢] . وإنا نحن نزلنا الذكر [الحجر: ٩] وفي حق الناس كقوله: الذين قال لهم الناس [آل عمران: ١٧٣] وفيه قول آخر سيأتي شرحه بعد ذلك وقوله: بالروح من أمره فيه قولان:
القول الأول: أن المراد من الروح الوحي وهو كلام الله ونظيره قوله تعالى: وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٤٧٢/١٥

[الشورى: ٥٢] وقوله: يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده
[غافر: ١٥] قال أهل التحقيق: الجسد موات كثيف مظلم، فإذا اتصل به الروح صار حيا لطيفا نورانيا. فظهرت آثار النور في الحواس الخمس، ثم الروح أيضا ظلمانية جاهلة، فإذا اتصل العقل بها صارت مشرقة نورانية، كما قال تعالى، والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة [النحل: ٧٨] ثم العقل أيضا ليس بكامل النورانية والصفاء والإشراق حتى يستكمل بمعرفة ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله ومعرفة أحوال عالم الأرواح والأجساد، وعالم الدنيا والآخرة، ثم إن هذه المعارف الشريفة الإلهية لا تكمل ولا تصفو إلا بنور الوحي والقرآن.
إذا عرفت هذا فنقول: القرآن والوحي به تكمل المعارف الإلهية، والمكاشفات الربانية وهذه المعارف بها يشرق العقل ويصفو ويكمل، والعقل به يكمل جوهر الروح، والروح به يكمل حال الجسد، وعند هذا يظهر أن الروح الأصلي الحقيقي هو الوحي والقرآن، لأن به يحصل الخلاص/ من رقدة الجهالة، ونوم الغفلة، وبه يحصل الانتقال من حضيض البهيمية إلى أوج الملكية، فظهر أن إطلاق لفظ الروح على الوحي في غاية المناسبة والمشاكلة، ومما يقوي ذلك أنه تعالى أطلق لفظ الروح على جبريل عليه السلام في قوله: نزل به الروح الأمين على قلبك [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤] وعلى عيسى عليه السلام في قوله: روح الله [يوسف: ٨٧] وإنما حسن هذا الإطلاق، لأنه حصل بسبب وجودهما **حياة القلب** وهي الهداية والمعارف، فلما حسن إطلاق اسم الروح عليهما لهذا المعنى، فلأن يحسن إطلاق لفظ الروح على الوحي والتنزيل كان ذلك أولى.
والقول الثاني: في هذه الآية وهو قول أبي عبيدة إن الروح هاهنا جبريل عليه السلام، والباء في قوله: بالروح بمعنى مع كقولهم خرج فلان بثيابه، أي مع ثيابه وركب الأمير بسلاحه أي مع سلاحه، فيكون المعنى: ينزل الملائكة مع الروح وهو جبريل، والأول أقرب، وتقرير هذا الوجه: أنه سبحانه وتعالى ما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم جبريل وحده، بل في أكثر الأحوال كان ينزل مع جبريل أفواجا من الملائكة، ألا ترى أن في يوم بدر وفي كثير من الغزوات كان ينزل مع جبريل عليه السلام أقوام من الملائكة، وكان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم تارة ملك الجبال. وتارة ملك البحار. وتارة رضوان. وتارة غيرهم. وقوله: من أمره يعني أن ذلك التنزيل." (١)

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٩/١٦٩

"وما اجتمع قوم في مسجد من مساجد الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفت بهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده» رواه مسلم في الصحيح

«ح»

قال عليه الصلاة والسلام «يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء» .

قال الراوي: فأعظم مرتبة هي واسطة بين النبوة والشهادة «ط»

معاذ بن جبل قال عليه الصلاة والسلام «تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه صدقة، وبذله لأهله قربة

لأنه معالم الحلال والحرام ومنار سبل الجنة والأنيس من الوحشة والصاحب في الوحدة والمحدث في الخلوة والدليل على السراء والضراء والسلاح على الأعداء، والدين عند الاختلاف يرفع الله به أقواما فيجعلهم في الخير قادة هداة يهتدى بهم، وأئمة في الخير يقتفى بآثارهم ويقتدى بأفعالهم، وينتهى إلى آرائهم ترغب الملائكة في خلقتهم وبأجنحتها تمسحهم وفي صلاتها تستغفر لهم حتى كل رطب ويابس وحيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه والسماء ونجومها. لأن العلم **حياة القلوب** من العمى ونور الأبصار من الظلمة وقوة الأبدان من الضعف يبلغ بالبعيد منازل الأحرار ومجالس الملوك والدرجات العلى في الدنيا والآخرة والتفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام به يطاع الله ويعبد وبه يمجد ويوحد وبه توصل الأرحام وبه يعرف الحلال والحرام» «ي»

أبو هريرة قال عليه الصلاة والسلام «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له بالخير»

«يا»

قال عليه الصلاة والسلام «إذا سألتم الحوائج فاسألوها الناس قيل يا رسول الله ومن الناس؟ قال أهل القرآن قيل ثم من؟ قال أهل العلم قيل ثم من؟ قال الصباح الوجوه»

قال الراوي والمراد بأهل القرآن من يحفظ معانيه «يب»

قال عليه الصلاة والسلام: «من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه وخليفة كتابه وخليفة رسوله والدنيا سم الله القتال لعباده فخذوا منها بقدر السم في الأدوية لعلكم تنجون»

قال الراوي والعلماء داخلون فيه لأنهم يقولون هذا حرام فاجتنبوه وهذا حلال فخذوه «يج»

في الخبر: العالم نبي لم يوح إليه

«يد»

قال عليه الصلاة والسلام «كن عالما، أو متعلما، أو مستمعا، أو محبا، ولا تكن الخامس فتهلك»

قال الراوي:

وجه التوفيق بين هذه الرواية وبين الرواية الأخرى وهي

قوله عليه الصلاة والسلام «الناس رجلان عالم ومتعلم وسائر الناس همج لا خير فيهم»

إن المستمع والمحب بمنزلة المتعلم وما أحسن قوله بعض الأعراب لولده: كن سبعا خالسا أو ذئبا خانسا أو كلبا حارسا، وإياك وأن تكون إنسانا ناقصا، «يه»

قال عليه الصلاة والسلام: «من اتكأ على يده عالم كتب الله له بكل خطوة عتق رقبة ومن قبل رأس عالم كتب الله له بكل شعرة حسنة»

«يو»

قال عليه الصلاة والسلام برواية أبي هريرة «بكت السموات/ السبع ومن فيهن ومن عليهن والأرضون السبع ومن فيهن ومن عليهن لعزيز ذل وغني افتقر وعالم يلعب به الجهال»

«يز»

وقال عليه السلام: «حملة القرآن عرفاء أهل الجنة والشهداء قواد أهل الجنة والأنبياء سادة أهل الجنة

«يح»

وقال عليه السلام: «العلماء مفاتيح الجنة وخلفاء الأنبياء»

قال الراوي الإنسان لا يكون مفتاحا إنما المعنى أن عندهم من العلم مفتاح الجنان والدليل عليه أن من رأى في النوم أن بيده مفاتيح الجنة فإنه يؤتى علما في الدين. «يط»

وقال عليه الصلاة والسلام «إن لله تعالى في كل يوم وليلة ألف رحمة على جميع خلقه الغافلين والبالغين وغير البالغين، فتسعمائة وتسعة وتسعون رحمة للعلماء وطالبي العلم والمسلمين، والرحمة الواحدة لسائر الناس» .

«ك»

وقال عليه الصلاة والسلام: «قلت يا جبريل أي الأعمال أفضل لأمتي؟ قال: العلم، قلت ثم أي؟ قال:

النظر إلى العالم، قلت: ثم أي؟ قال: زيارة العالم، ثم قال: ومن كسب العلم لله وأراد به صلاح نفسه وصلاح المسلمين، ولم يرد به عرضا من الدنيا، فأنا." (١)

"النكتة

أنه عليه السلام قال من أحيا أرضا ميتة فهي له

فالعبد لما أحيا أرضا فهي له فالرب لما خلق القلب وأحياه بنور الإيمان فكيف يجوز أن يكون لغيره فيه نصيب: قل الله ثم ذرهم [الأنعام: ٩١] وكما أن الإيمان **حياة القلب** فالكفر موته: أموات غير أحياء وما يشعرون [النحل: ٢١] . وثانيها: الشفاء: ويشف صدور قوم مؤمنين [التوبة: ١٤] فلما رغب موسى في الشفاء رفع الأيدي قال: رب اشرح لي صدري والنكتة أنه تعالى لما جعل الشفاء في العسل بقي شفاء أبدا فههنا لما وضع الشفاء في الصدر فكيف لا يبقى شفاء أبدا.

وثالثها: الطهارة: أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى [الحجرات: ٣] فلما رغب موسى عليه السلام في تحصيل طهارة التقوى قال: رب اشرح لي صدري والنكتة أن الصائغ إذا امتحن الذهب مرة فبعد ذلك لا يدخله في النار فههنا لما امتحن الله قلب المؤمن فكيف يدخله النار ثانيا ولكن الله يدخل في النار قلب الكافر:

ليميز الله الخبيث من الطيب [الأنفال: ٣٧] . ورابعها: الهداية ومن يؤمن بالله يهد قلبه فرغب موسى عليه السلام في طلب زوائد الهداية فقال: رب اشرح لي صدري والنكتة أن الرسول يهدي نفسك والقرآن يهدي روحك والمولى يهدي قلبك فلما كانت الهداية من الكفر من محمد صلى الله عليه وسلم لا جرم تارة تحصل وأخرى لا تحصل:

إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء [القصص: ٥٦] وهداية الروح لما كانت من القرآن فتارة تحصل وأخرى لا تحصل: يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا [البقرة: ٢٦] أما هداية القلب فلما كانت من الله تعالى فإنها لا تزول لأن الهادي لا يزول: ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم [يونس: ٢٥] . وخامسها:

الكتابة: أولئك كتب في قلوبهم الإيمان [المجادلة: ٢٢] فلما رغب موسى عليه السلام في تلك الكتابة قال:

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٤٠٩/٢

رب اشرح لي صدري وفيه نكت: الأولى: أن الكاغدة ليس لها خطر عظيم وإذا كتب فيها القرآن لم يجز إحراقها فقلب المؤمن كتب فيه جميع أحكام ذات الله تعالى وصفاته فكيف يليق بالكريم إحراقه. الثانية: بشر الحافي أكرم كاغدا فيه اسم الله تعالى فنال سعادة الدارين فإكرام قلب فيه معرفة الله تعالى أولى بذلك. والثالثة:

كاغد ليس فيه خط إذا كتب فيه اسم الله الأعظم عظم قدره حتى إنه لا يجوز للجنب والحائض أن يمسه بل قال الشافعي رحمه الله تعالى ليس له أن يمس جلد المصحف، وقال الله تعالى: لا يمسه إلا المطهرون [الواقعة: ٧٩] فالقلب الذي فيه أكرم المخلوقات: ولقد كرمنا بني آدم [الإسراء: ٧٠] كيف يجوز للشيطان الخبيث أن يمسه والله أعلم. وسادسها: السكينة: هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين [الفتح: ٤] فلما رغب موسى عليه السلام في طلب السكينة قال: رب اشرح لي صدري والنكتة إن أبا بكر رضي الله عنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان خائفا فلما نزلت السكينة عليه قال: لا تحزن فلما نزلت سكينة/ الإيمان فرجوا أن يسمعوا خطاب: ألا تخافوا ولا تحزنوا [فصلت: ٣٠] وأيضا لما نزلت السكينة صار من الخلفاء: وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض [النور: ٥٥] أي أن يصيروا خلفاء الله في أرضه.

وسابعها: المحبة والزينة: ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم [الحجرات: ٧] والنكتة أن من ألقى حبة في أرض فإنه لا يفسدها ولا يحرقها فهو سبحانه وتعالى ألقى حبة المحبة في أرض القلب فكيف يحرقها. وثامنها: فألف بين قلوبكم [الأنفال: ٦٣] والنكتة أن محمدا صلى الله عليه وسلم ألف بين قلوب أصحابه ثم إنه ما تركهم [في] غيبة ولا حضور: «سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» فالرحيم كيف يتركهم. وتاسعها:

الطمأنينة: ألا بذكر الله تطمئن القلوب [الرعد: ٢٨] وموسى طلب الطمأنينة فقال: رب اشرح لي صدري والنكتة أن حاجة العبد لا نهاية لها فلهذا لو أعطي كل ما في العالم من الأجسام فإنه لا يكفيه لأن." (١)

"أما قوله تعالى: وأيدناه بروح القدس ففيه مسائل:

المسألة الأولى: قرئ وأيدناه قرأ ابن كثير «القدس» بالتخفيف والباقون بالتثقيل وهما لغتان مثل رعب ورعب.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٩/٢٢

المسألة الثانية: اختلفوا في الروح على وجوه. أحدها: أنه جبريل عليه السلام وإنما سمي بذلك لوجوه.
الأول: أن المراد من روح القدس الروح المقدسة كما يقال: حاتم الجود ورجل صدق فوصف جبريل بذلك تشريفا له وبيانا لعلو مرتبته عند الله تعالى. الثاني: سمي جبريل عليه السلام بذلك لأنه يحيا به الدين كما يحيا البدن بالروح فإنه هو المتولي لإنزال الوحي إلى الأنبياء والمكلفون في ذلك يحيون في دينهم. الثالث: أن الغالب عليه الروحانية وكذلك سائر الملائكة غير أن روحانيته أتم وأكمل. الرابع: سمي جبريل عليه السلام روحا، لأنه ما ضمته أصلاب الفحول وأرحام الأمهات، وثانيها: المراد بروح القدس الإنجيل، كما قال في القرآن: روحا من أمرنا [الشورى: ٥2] وسمي به لأن الدين يحيا به ومصالح الدنيا تنتظم لأجله. وثالثها:
أنه الاسم الذي كان يحيي به عليه السلام الموتى، عن ابن عباس وسعيد بن جبير، ورابعها: أنه الروح الذي نفخ فيه والقدس هو الله تعالى فنسب روح عيسى عليه السلام إلى نفسه تعظيما له وتشريفا، كما يقال: بيت الله وناقة الله، عن الربيع، وعلى هذا المراد به الروح الذي يحيا به الإنسان.
واعلم أن إطلاق اسم الروح على جبريل وعلى الإنجيل وعلى الاسم الأعظم مجاز لأن الروح هو الريح المتردد في مخارق الإنسان ومنافذه ومعلوم أن هذه الثلاثة ما كانت كذلك إلا أنه سمي كل واحد من هذه الثلاثة بالروح على سبيل التشبيه من حيث أن الروح كما أنه سبب لحياة الرجل، فكذلك جبريل عليه السلام سبب **لحياة القلوب** بالعلوم، والإنجيل سبب لظهور الشرائع وحياتها، والاسم الأعظم سبب لأن يتوسل به إلى تحصيل الأغراض إلا أن المشابهة بين مسمى الروح وبين جبريل أتم لوجوه. أحدها: لأن جبريل عليه السلام مخلوق من هواء نوراني، لطيف فكانت المشابهة أتم، فكان إطلاق اسم الروح على جبريل أولى. وثانيها: أن هذه التسمية فيه أظهر منها فيما عداه، وثالثها: أن قوله تعالى: وأيدناه بروح القدس يعني قويناه، والمراد من هذه التقوية الإعانة وإسناد الإعانة إلى جبريل عليه السلام حقيقة وإسنادها إلى الإنجيل والاسم الأعظم مجاز، فكان ذلك أولى، ورابعها: وهو أن اختصاص عيسى بجبريل عليهما السلام من آكد وجوه الاختصاص بحيث لم يكن لأحد من الأنبياء عليهم السلام مثل ذلك لأنه هو الذي بشر مريم/ بولادتها وإنما ولد عيسى عليه السلام من نفخة جبريل عليه السلام وهو الذي رباه في جميع الأحوال وكان يسير معه حيث سار وكان معه حين صعد إلى السماء.
أما قوله تعالى: أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم فهو نهاية الذم لهم، لأن اليهود من

بني إسرائيل كانوا إذا أتاهم الرسول بخلاف ما يهوون كذبوه، وإن تهيأ لهم قتله قتلوه. وإنما كانوا كذلك لإرادتهم الرفعة في الدنيا وطلبهم لذاتها والترؤس على عامتهم وأخذ أموالهم بغير حق، وكانت الرسل تبطل عليه ذلك فيكذبونهم لأجل ذلك ويوهمون عوامهم كونهم كاذبين ويحتجون في ذلك بالتحريف وسوء التأويل، ومنهم من كان يستكبر على الأنبياء استكبار إبليس على آدم.." (١)

"إن شر الدواب عند الله شر ما يدب على الأرض، أو شر البهائم. الصم عن الحق. البكم الذين لا يعقلون إياه، عدهم من البهائم ثم جعلهم شرها لإبطالهم ما ميزوا به وفضلوا لأجله.

ولو علم الله فيهم خيرا سعادة كتبت لهم أو انتفاعا بالآيات. لأسمعهم سماع تفهم. ولو أسمعهم وقد علم أن لا خير فيهم. لتولوا ولم ينتفعوا به، أو ارتدوا بعد التصديق والقبول. وهم معرضون لعنادهم. وقيل كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم: أحي لنا قصيا فإنه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك. والمعنى لأسمعهم كلام قصي.

[سورة الأنفال (٨) : آية ٢٤]

يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون (٢٤)

يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول بالطاعة. إذا دعاكم وحد الضمير فيه لما سبق ولأن دعوة الله تسمع من الرسول.

وروي أنه عليه الصلاة والسلام مر على أبي وهو يصلي فدعاه فعجل في صلاته ثم جاء فقال: ما منعك عن إجابتي قال: كنت أصلي، قال: «ألم تخبر فيما أوحي إلي»

استجيبوا لله وللرسول. واختلف فيه فقيل هذا لأن إجابته لا تقطع الصلاة فإن الصلاة أيضا إجابة. وقيل لأن دعاءه كان لأمر لا يحتمل التأخير وللمصلي أن يقطع الصلاة لمثله وظاهر الحديث يناسب الأول. لما يحييكم من العلوم الدينية فإنها **حياة القلب** والجهل موته. قال:

لا تعجبن الجهول حلته ... فذاك ميت وثوبه كفن

أو مما يورثكم الحياة الأبدية في النعيم الدائم من العقائد والأعمال، أو من الجهاد فإنه سبب بقائكم إذ لو

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٥٩٦/٣

تركوه لغلبهم العدو وقتلهم، أو الشهادة لقوله تعالى: بل أحياء عند ربهم يرزقون. واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله تعالى: ونحن أقرب إليه من حبل الوريد وتنبيه على أنه مطلع على مكنونات القلوب مما عسى يغفل عنه صاحبها، أو حث على المبادرة إلى إخلاص القلوب وتصفيتها قبل أن يحول الله بينه وبين قلبه بالموت أو غيره، أو تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده ويحول بينه وبين الكفر إن أراد سعادته، وبينه وبين الإيمان إن قضى شقاوته. وقرئ بين المر بالتشديد على حذف الهمزة وإلقاء حركتها على الراء وإجراء الوصل الوقف على لغة من يشدد فيه. وأنه إليه تحشرون فيجازيكم بأعمالكم.

[سورة الأنفال (٨) : آية ٢٥]

واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب (٢٥)

واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اتقوا ذنبا يعمكم أثره كإقرار المنكر بين أظهركم والمداهنة في الأمر بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل في الجهاد على أن قوله لا تصيبن إما جواب الأمر على معنى أن أصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة بل تعمكم، وفيه أن جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله تعالى: ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم وأما صفة ل فتنة، ولا للنفي وفيه شذوذ لأن النون لا تدخل المنفي في غير القسم، أو لنهي على إرادة القول كقوله:

حتى إذا جن الظلام واختلط ... جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط

وإما جواب قسم محذوف كقراءة من قرأ لتصيبن وإن اختلفا في المعنى، ويحتمل أن يكون نهيا بعد الأمر باتقاء الذنب عن التعرض للظلم فإن وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه، ومن في منكم على الوجوه." (١)

"أعداء الله، والمراد أنه لا ينبغي أن يوادوهم. ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ولو كان المحادون أقرب الناس إليهم. أولئك أي الذين لم يوادوهم. كتب في قلوبهم الإيمان أثبته فيها، وهو دليل على خروج العمل من مفهوم الإيمان، فإن جزء الثابت في القلب يكون ثابتا فيه، وأعمال الجوارح لا

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٥٥/٣

تثبت فيه. وأيدهم بروح منه أي من عند الله وهو نور القلب أو القرآن، أو بالنصر على العدو. قيل الضمير ل الإيمان فإنه سبب **لحياة القلب**. ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم بطاعتهم. ورضوا عنه بقضائه أو بما وعدهم من الثواب. أولئك حزب الله جنده وأنصار دينه. ألا إن حزب الله هم المفلحون الفائزون بخير الدارين.

عن النبي صلى الله عليه وسلم «من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة» .." (١)

"يقال حاتم الجود ووصفها بالقدس للاختصاص والتقريب أو بجبريل عليه السلام لأنه يأتي بما فيه **حياة القلوب** وذلك لأنه رفعه إلى السماء حين قصد اليهود قتله أو بالإنجيل كما قال في القرآن روحا من أمرنا أو باسم الله الأعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره {أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى} تحب {أنفسكم استكبرتم} تعظمتم عن قبوله {ففريقا كذبتم} كعيسى ومحمد عليهما السلام {وفريقا تقتلون} كزكريا ويحيي عليهما السلام ولم يقل قتلتم لوفاق الفواصل أو لأن المراد وفريقا تقتلونه بعد لأنكم تحومون حول قتل محمد عليه السلام لولا أني أعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة والمعنى ولقد آتينا يابني إسرائيل أنبياءكم ما آتيناهم فكلما جاءكم رسول منهم بالحق استكبرتم عن الإيمان به فوسط بين الفاء وما تعلقت به همزة التوبيخ والتعجب من شأنهم." (٢)

"الروح الأمين على قلبك وعن الحسن القرآن دليله وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ولأن به **حياة القلوب** ومن أمر ربي أي من وحيه وكلامه ليس من كلام البشر وروي أن اليهود بعثت إلى قريش أن سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فإن أجاب عن الكل أوسكت عن الكل فليس بنبي وإن أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وأبهم أمر الروح وهو مبهم في التوارة فندموا على سؤالهم وقيل كان السؤال عن خلق الروح يعني أهو مخلوق أم لا وقوله من أمر ربي دليل خلق الروح فكان هذا جوابا {وما أوتيتم من العلم إلا قليلا} الخطاب عام فقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب أم أنت معنا فيه فقال بل نحن وأنتم لم نؤت من العلم إلا قليلا وقيل هو خطاب لليهود خاصة لأنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم قد أوتينا التوارة وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا فقيل لهم ان علم التوارة قليل في جنب علم الله فالقلة

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ١٩٧/٥

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ١٠٨/١

والكثرة من الأمور الإضافية فالحكمة التي أوتيها العبد خير كثير في نفسها إلا أنها إذا أضيفت إلى علم الله تعالى فهي قليلة." (١)

"لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون (٢٢) {لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون} هو مفعول ثان لتجد أو حال أو صفة لقوما نجد بمعنى تصادف على هذا {من حاد الله} خالفه وعاداه {ورسوله} أي من الممتع أن نجد قوما مؤمنين يوالون المشركون والمراد أنه لا ينبغي أن يكون ذلك وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال مبالغة في الزجر عن مجانبة أعداء الله ومباعدتهم والاحتراز عن مخالطتهم ومعاشرتهم وزاد ذلك تأكيد وتشديد بقوله {ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم} وبقوله {أولئك كتب في قلوبهم الإيمان} أي وأثبته فيها وبمقابلة قوله أولئك حزب الشيطان بقوله أولئك حزب الله {وأيدهم بروح منه} أي بكتاب أنزله فيه حياة لهم ويجوز أن يكون الضمير للإيمان أي بروح من الإيمان على أنه في نفسه روح **لحياة القلوب** به وعن الثوري أنه قال كانوا يرون أنها نزلت فيمن يصحب السلطان وعن عبد العزيز بن أبي رواد أنه لقيه المنصور فلا عرفه هرب منه وتلاها وقال سهل من صحح ايمانه وأخاص توحيده فإنه لا يأنس بمبتدع ولا يجالسه ويظهر له من نفسه العداوة ومن داهن مبتدعا سلبه الله حلاوة السنن ومن أجاب مبتدعا لطلب عز الدنيا أو غناها أذله الله بذلك العزو أفقر بذلك الغنى ومن ضحك إلى مبتدع نزع الله نور الإيمان من قلبه ومن لم يصدق فليجرب {ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم} بتوحيدهم الخالص وطاعتهم {ورضوا عنه} بثوابه الجسيم في الآخرة أو بما قضى عليهم في الدنيا {أولئك حزب الله} أنصار حقه ودعاة خلقه {ألا إن حزب الله هم المفلحون} الباقون في النعيم المقيم الفائزون بكل محبوب الآمنون من كل مرهوب." (٢)

"استلاب الشيء بسرعة كلما أي متى ما جاء أضاء لهم يعني البرق مشوا فيه أي في إضاءته ونوره وإذا أظلم عليهم قاموا أي وقفوا متحيرين، وهذا مثل آخر ضربه الله تعالى للمنافقين، ووجه التمثيل أن الله

(١) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٢/٢٧٥

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٣/٤٥٣

عز وجل شبههم في كفرهم ونفاقهم بقوم كانوا في مفازة في ليلة مظلمة أصابهم مطر فيه ظلمات وهي ظلمة الليل وظلمة المطر وظلمة السحاب من صفة تلك الظلمات أن الساري لا يمكنه المشي فيها، ورعد من صفته أن يضم سامعوه أصابعهم إلى آذانهم من هوله، وبرق من صفته أن يخطف أبصارهم ويعميها من شدته فهذا مثل ضربه الله تعالى للقرآن وصنيع الكافرين والمنافقين معه، فالمطر هو القرآن لأنه **حياة القلوب** كما أن المطر حياة الأرض، والظلمات ما في القرآن من ذكر الكفر والشرك والنفاق. والرعد ما خوفوا به من الوعيد وذكر النار والبرق ما فيه من الهدى والبيان والوعد وذكر الجنة فالكافرون والمنافقون يسدون آذانهم عند قراءة القرآن وسماعه مخافة أن تميل قلوبهم إليه لأن الإيمان به عندهم كفر والكفر موت، وقيل هذا مثل ضربه الله تعالى للإسلام، فالمطر هو الإسلام، والظلمات ما فيه من البلاء والمحن، والرعد ما فيه من ذكر الوعيد والمخاوف في الآخرة، والبرق ما فيه من الوعد، يجعلون أصابعهم في آذانهم يعني المنافقين إذا رأوا في الإسلام بلاء وشدة هربوا حذرا من الهلاك والله محيط بالكافرين يعني لا ينفعهم الهرب لأن الله من ورائهم يجمعهم ويعذبهم.

[سورة البقرة (٢): الآيات ٢٠ الى ٢٣]

يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير (٢٠) يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون (٢١) الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون (٢٢) وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين (٢٣)

يكاد البرق يعني دلائل الإسلام تزعجهم إلى النظر لولا ما سبق لهم من الشقاوة كلمة أضاء لهم يعني المنافقين، وإضاءته لهم هو تركهم بلا ابتلاء ولا امتحان مشوا فيه يعني على المسالمة بإظهار كلمة الإيمان وقيل كلما نالوا غنيمة وراحة في الإسلام ثبتوا وقالوا إنا معكم، وإذا أظلم عليهم قاموا يعني إذا رأوا شدة وبلاء تأخروا ولو شاء الله لذهب بسمعهم أي بصوت الرعد وأبصارهم بوميض البرق. وقيل: أي لذهب بأسماعهم وأبصارهم الظاهرة كما أذهب أسماعهم وأبصارهم الباطنة إن الله على كل شيء قدير أي هو الفاعل لما يشاء لا منازع له فيه. قوله عز وجل: يا أيها الناس قال ابن عباس: يا أيها الناس خطاب لأهل مكة ويا أيها

الذين آمنوا خطاب لأهل المدينة، وهو هنا خطاب عام لسائر المكلفين اعبدوا ربكم قال ابن عباس: وحدوا ربكم وكل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناه التوحيد. وأصل العبودية التذلل والعبادة غاية التذلل ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال والإنعام وهو الله تعالى الذي خلقكم أي ابتدع خلقكم على غير مثال سبق والذين من قبلكم أي وخلق الذين من قبلكم لعلكم لعل وعسى حرفا ترج وهما أي كل منهما من الله واجب تتقون أي لكي تنجوا من العذاب، وقيل معناه تكونوا على رجاء التقوى بأن تصيروا في ستر ووقاية من عذاب الله وحكم الله من ورائكم يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد الذي جعل لكم الأرض فراشا أي خلق لكم الأرض بساطا ووطاء مذللة ولم يجعلها حزنة لا يمكن القرار عليها، والحزن ما غلط من الأرض والسماء بناء أي سقفا مرفوعا قيل إذا تأمل الإنسان المتفكر في العالم وجده كالبيت المعمور فيه كل ما يحتاج إليه فالسماء مرفوعة كالسقف والأرض مفروشة كالبساط والنجوم كالمصابيح والإنسان كمالك البيت وفيه ضروب النبات المهيأة لمنافعه وأصناف الحيوان مصروفة في مصالحه، فيجب على الإنسان المسخر له هذه الأشياء شكر الله." (١)

"تقاتلونهم ثم تفدونهم؟ فقالوا: إنا أمرنا أن نفديهم فقالوا: كيف تقاتلونهم؟ فقالوا: إنا نستحي أن تذل حلفاؤنا فعيرهم الله تعالى فقال: ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وفي الآية تقديم وتأخير تقديره وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وهو محرم عليكم إخراجهم وإن يأتوكم أسارى تفدوهم فكان الله تعالى أخذ عليهم أربعة عهود ترك القتل وترك الإخراج وترك المظاهر مع أعدائهم وفك أسراهم فأعرضوا عن الكل إلا الفداء قال الله عز وجل: أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض معناه إن وجدتموهم في يد غيركم فديتموهم وأنتم تقتلونهم بأيديكم فكان إيمانهم الفداء وكفرهم قتل بعضهم بعضا فذمهم على مناقضة أفعالهم لا على الفداء لأنهم أتوا ببعض ما وجب عليهم وتركوا البعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم يعني يا معشر اليهود إلا خزي في الحياة الدنيا أي عذاب وهوان فكان خزي بني قريظة القتل والسبي وخزي بني النضير الإجلاء والنفي من منازلهم إلى أريحاء وأذرعات من أرض الشام ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب يعني عذاب النار وما الله بغافل عما تعملون فيه وعيد وتهديد عظيم.

[سورة البقرة (٢): الآيات ٨٦ الى ٨٨]

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٣٠/١

أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون (٨٦) ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون (٨٧) وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون (٨٨)

أولئك الذين اشتروا أي استبدلوا الحياة الدنيا بالآخرة لأن الجمع بين لذات الدنيا والآخرة غير ممكن فمن اشتغل بتحصيل لذات الدنيا فاتته لذات الآخرة فلا يخفف عنهم العذاب أي فلا يهون عليهم ولا هم ينصرون أي ولا يمنعون من عذاب الله تعالى. قوله عز وجل: ,لقد آتينا أي أعطينا موسى الكتاب يعني التوراة جملة واحدة وقفينا أي وأتبعنا من التقفية وهو أن يقفو أثر الآخر من بعده بالرسل يعني رسولا بعد رسول وكانت الرسل بعد موسى إلى زمن عيسى عليهم السلام متواترة يظهر بعضهم في أثر بعض، والشريعة واحدة: قيل إن الرسل بعد موسى يوشع بن نون وأشمويل وداود وسليمان وأرمياء وحزقيل وإلياس ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم، وكانوا يحكمون بشريعة موسى إلى أن بعث الله تعالى عيسى عليه السلام فجاءهم بشريعة جديدة، وغير بعض أحكام التوراة فذلك قوله تعالى: وآتينا عيسى ابن مريم البينات أي الدلالات الواضحات وهي المعجزات من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، وقيل هي الإنجيل. واسم عيسى بالسريانية أيشرع ومريم بمعنى الخادم وقيل هو اسم علم لها كزيد من الرجال وأيدناه أي وقويناه بروح القدس قيل:

أراد بالروح الذي نفخ فيه والقدس هو الله تعالى وأضاف روح عيسى إليه تشريفا وتكريما وتخصيصا له كما تقول عبد الله وأمة الله وبيت الله وناقة الله وقال ابن عباس هو اسم الله الأعظم الذي كان عيسى يحيي به الموتى وقيل هو الإنجيل لأنه **حياة القلوب** سماه روحا كما سمى القرآن روحا وقيل هو جبريل ووصف بالقدس وهو الطهارة لأنه لم يفترق ذنبا قط وقيل القدس هو الله تعالى والروح جبريل كما تقول عبد الله، سمي جبريل روحا للطافته لأنه روحاني خلق من النور وقيل سمى روحا لمكانه من الوحي الذي هو سبب **حياة القلوب** وحمل روح القدس هنا على جبريل أولى لأنه تعالى قال وأيدناه أي قويناه بجبريل وذلك أنه أمر أن يكون مع عيسى ويسير معه حيث سار فلم يفارقه حتى صعد به إلى السماء فلما سمعت اليهود بذكر عيسى قالوا يا محمد لا مثل عيسى كما تزعم عملت ولا كما يقص علينا من أخبار الأنبياء فعلت

فأتنا بما أتى به عيسى إن كنت صادقا قال الله تعالى: أفكلما جاءكم يعني يا معشر اليهود رسول بما لا تهوى تقبل أنفسكم استكبرتم أي تعظمتم عن الإيمان به." (١)

"قيل هذه الإجابة مختصة بالنبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا ليس لأحد أن يقطع صلاته لدعاء أحد آخر وقيل لو دعاه أحد لأمر مهم لا يحتمل التأخير فله أن يقطع صلاته.

وقوله تعالى: لما يحييكم يعني إذا دعاكم إلى ما فيه حياتكم. قال السدي: هو الإيمان، لأن الكافر ميت فيحيا بالإيمان. وقال قتادة: هو القرآن، لأنه **حياة القلوب** وفيه النجاة والعصمة في الدارين. وقال مجاهد: هو الحق وقال محمد بن إسحاق: هو الجهاد لأن الله أعزه به بعد الذل. وقيل: هو الشهادة لأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون: واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه قال ابن عباس: يحول بين المؤمن وبين الكفر ومعاصي الله ويحول بين الكافر وبين الإيمان وطاعة الله. وهذا قول سعيد بن جبير والضحاك ومجاهد. وقال السدي:

يحول بين الإنسان وقلبه فلا يستطيع أن يؤمن أو يكفر إلا بإذنه وقد دلت البراهين العقلية على هذا القول لأن أحوال القلوب اعتقادات ودواعي وتلك الاعتقادات والدواعي لا بد أن تتقدمها الإرادة وتلك الإرادة لا بد لها من فاعل مختار وهو الله سبحانه وتعالى فثبت بذلك أن المتصرف في القلب كيف شاء هو الله تعالى (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إن قلوب بين آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك» عن أنس بن مالك قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقلنا يا رسول الله قد آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا قال: نعم إن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء». أخرجه الترمذي وهذا الحديث من أحاديث الصفات، فيجب على المرء المسلم أن يمره على ما جاء مع الاعتقاد الحازم بتنزيه الله تعالى عن الجارحة والجسم. وقيل في معنى الآية: إن الله عز وجل يحول بين المرء وقلبه حتى لا يدري ما يصنع ولا يعقل شيئا. وقيل: إن القوم لما دعوا إلى القتال والجهاد وكانوا في غاية الضعف والقلة خافت قلوبهم وضاقت صدورهم فقيل لهم: قاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه فيبدل الخوف أمنا والجبن جراءة.

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ١/٥٩

وقوله تعالى: وأنه إليه تحشرون يعني في الآخرة فيجزي كل عامل بعمله فيثيب المحسن ويعاقب العاصي.
قوله سبحانه وتعالى:

[سورة الأنفال (٨): آية ٢٥]
واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب (٢٥)
واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة لما أخبر الله عز وجل أنه يحول بين المرء وقلبه حذر من وقوع المرء في الفتن والمعنى واحذروا فتنة إن نزلت بكم لم تقتصر على الظالم خاصة بل تتعدى إليكم جميعا وتصل إلى الصالح والطالح وأراد بالفتنة الابتلاء والاختبار وقيل: تقديره واتقوا فتنة إن لم تتقوها أصابتكم جميعا الظالم وغير الظالم.
قال الحسن: نزلت هذه الآية في علي وعمار وطلحة والزبير. قال الزبير: لقد قرأنا هذه الآية زمانا وما نرى أنا من أهلها فإذا نحن المعنيون بها يعني ما كان منهم في يوم الجمل. وقال السدي ومجاهد والضحاك وقتادة:
هذا في قوم مخصوصين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أصابتهم الفتنة يوم الجمل. وقال ابن عباس: أمر الله عز وجل المؤمنين أن لا يقروا المنكر بين أظهرهم فيعمهم الله بالعذاب فيصيب الظالم وغير الظالم روى البغوي بسنده عن عدي بن عدي الكندي قال حدثني مولى لنا أنه سمع جدي يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه فإذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة» والذي ذكره ابن الأثير في جامع الأصول عن عدي بن عميرة الكندي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا." (١)
"اثنتين ولم يجب عن واحد فهو نبي فسألوه عن فتية فقدوا في الزمن الأول ما كان شأنهم، فإنه كان لهم حديث عجيب، وعن رجل بلغ مشرق الأرض ومغربها ما خبره وعن الروح قال فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أخبركم بما سألتم غدا، ولم يقل إن شاء الله فلبث الوحي. قال مجاهد: اثني عشر يوما وقيل: خمسة عشر يوما وقيل أربعين يوما وأهل مكة يقولون: قد وعدنا محمد غدا وقد أصبحنا لا يخبرنا بشيء، حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكث الوحي وشق عليه ما يقوله أهل مكة ثم نزل

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٣٠٤/٢

جبريل عليه السلام بقوله تعالى: ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله ونزل في الفتية أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ونزل فيمن بلغ المشرق والمغرب، قوله ويسئلونك عن ذي القرنين ونزل في الروح ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي واختلفوا في الذي وقع السؤال عنه، فروي عن ابن عباس أنه جبريل وعن علي أنه ملك له سبعون ألف وجه في كل وجه سبعون ألف لسان لكل لسان سبعون ألف لغة يسبح الله تعالى بكلها. وقال مجاهد: خلق على صورة بني آدم، لهم أيد وأرجل ورؤوس ليسوا بملائكة ولا ناس يأكلون الطعام. وقال سعيد بن جبير: لم يخلق الله خلقا أعظم من الروح غير العرش لو شاء أن يبتلع السموات والأرض ومن فيها بلقمة واحدة لفعل ذلك صورة خلقه على صورة الملائكة، وصورة وجهه على صورة وجه الآدميين، يقوم يوم القيامة على يمين العرش، وهو أقرب الخلق إلى الله تعالى اليوم عند الحجب السبعين وأقرب الخلق إلى الله يوم القيامة وهو ممن يشفع لأهل التوحيد، ولولا أن بينه وبين الملائكة سترا من نور لاحترق أهل السموات من نوره. وقيل: الروح هو القرآن لأن الله سماه روحا ولأن به **حياة القلوب**. وقيل: هو الروح المركب في الخلق الذي به يحيى الإنسان وهو أصح الأقوال. وتكلم قوم في ماهية الروح فقال بعضهم: هو الدم ألا ترى أن الإنسان إذا مات لا يفوت منه شيء إلا الدم. وقال قوم: هو نفس الحيوان بدليل أنه يموت باحتباس النفس. وقال قوم: هو عرض. وقال قوم: هو جسم لطيف يحيا به الإنسان. وقيل: الروح معنى اجتمع فيه النور والطيب والعلم والعلو والبقاء، ألا ترى أنه إذا كان موجودا يكون الإنسان موصوفا بجميع هذه الصفات إذا خرج منه ذهب الكل. وأقاويل الحكماء والصوفية في ماهية الروح كثيرة، وليس هذا موضع استقصائها وأولى الأقاويل أن يوكل علمه إلى الله عز وجل وهو قول أهل السنة قال عبد الله بن بريدة: إن الله لم يطلع على الروح ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا بدليل قوله: قل الروح من أمر ربي أي من علم ربي الذي استؤثر به وما أوتيتم من العلم من علم ربي إلا قليلا أي في جنب علم الله عز وجل الخطاب عام. وقيل: هو خطاب لليهود فإنهم كانوا يقولون: أوتينا التوراة وفيها العلم الكثير، فقيل لهم: إن علم التوراة قليل في جنب علم الله. وقيل إن القلة والكثرة تدوران مع الإضافة فوصف الشيء بالقلة مضافا إلى ما فوقه، وبالكثرة مضافا إلى ما تحته وقيل: إن النبي صلى الله عليه وسلم علم معنى الروح ولكن لم يخبر به لأن ترك الإخبار به كان علما لنبوته. والقول الأصح هو أن الله عز وجل استأثر بعلم الروح. قوله عز وجل ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ومعناه أنا كما منعنا علم الروح عنك وعن غيرك، إن شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من الصدور والمصاحف، فلم نترك له أثرا وبقيت كما كنت ما

تدري ما الكتاب ثم لا تجد لك به علينا وكيلا معناه لا تجد بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده عليك، وإعادته محفوظا مستورا إلا رحمة من ربك معناه إلا أن يرحمك ربك فيرده عليك، وقيل هو على الاستثناء المنقطع. معناه لكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به، وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا، فإن قلت كيف يذهب بالقرآن وهو كلام الله عز وجل؟ قلت: المراد منه محو ما في المصاحف وإذهاب ما في الصدور وقال عبد الله بن مسعود: «اقرءوا القرآن قبل أن يرفع فإنه لا تقوم الساعة حتى يرفع» قيل: هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الناس قال:
يسرى عليه ليلا فيرفع ما في صدورهم فيصبحون لا يحفظون شيئا، ولا يجدون مما في المصاحف شيئا ثم يفيضون في الشعر وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال «لا تقوم الساعة حتى يرفع القرآن من حيث نزل. له." (١)

"قراءة الجمهور: بضم القاف والدال. وقرأ مجاهد: وابن كثير: بسكون الدال حيث وقع، وفيه لغة فتحها. وقرأ أبو حيوة: القدوس، بواو. والروح هنا: اسم الله الأعظم الذي كان به عيسى عليه السلام يحيي الموتى، قاله ابن عباس، أو الإنجيل، كما سمى الله القرآن روحا، قال تعالى: وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا «١» قاله ابن زيد، أو الروح التي نفخها تعالى في عيسى عليه السلام، أو جبريل عليه السلام، قاله قتادة والسدي والضحاك والربيع، ونسب هذا القول لابن عباس، قاله ابن عطية، وهذا أصح الأقوال.
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت «اهج قريشا وروح القدس معك»
، ومرة
قال له: «وجبريل معك» .
انتهى كلامه. قالوا: ويقوي ذلك قوله تعالى: إذ أيدتك بروح القدس «٢» . وقال حسان:
وجبريل رسول الله فينا ... وروح القدس ليس له كفاء
وتسمية جبريل بذلك، لأن الغالب على جسمه الروحانية، وكذلك سائر الملائكة، أو لأنه يحيا به الدين، كما يحيا البدن بالروح، فإنه هو المتولي لإنزال الوحي، أو لتكوينه روحا من غير ولادة. وتأييد الله عيسى بجبريل عليهما السلام لإظهار حجته وأمر دينه، أو لدفع اليهود عنه، إذ أرادوا قتله، أو في جميع أحواله. واختار الزمخشري أن معناه: بالروح المقدسة، قال: كما يقال حاتم الجود، ورجل صدق. ووصفها بالقدس

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ١٤٥/٣

كما قال: وروح منه، فوصفه بالاختصاص والتقريب للكرامة. انتهى كلامه. وقد تقدم معنى القدس أنه الطهارة أو البركة. وقال مجاهد والربيع: القدس من أسماء الله تعالى، كالقدوس. قالوا:

وإطلاق الروح على جبريل وعلى الإنجيل وعلى اسم الله الأعظم مجاز، لأن الروح هو الريح المتردد في مخارق الإنسان في منافذه. ومعلوم أن هذه الثلاثة ما كانت كذلك، إلا أن كلا منها أطلق الروح عليه على سبيل التشبيه، من حيث إن الروح سبب للحياة، فجبريل هو سبب **لحياة القلوب** بالعلوم، والإنجيل سبب لظهور الشرائع وحياتها، والاسم الأعظم سبب لأن يتوصل به إلى تحصيل الأغراض. والمشابهة بين جبريل والروح أتم، ولأن هذه التسمية فيه أظهر، ولأن المراد من أيدناه: قويناه وأعناه، وإسنادها إلى جبريل حقيقة، وإلى الإنجيل والاسم الأعظم مجاز. ولأن اختصاص عيسى بجبريل من آكد وجوه الاختصاص، إذ لم يكن لأحد من الأنبياء مثل ذلك، لأنه هو الذي بشر مريم بولادته، وتولد

---

(١) سورة الشورى: ٤٢/ ٥٢.

(٢) سورة المائدة: ٥/ ١١٠.." (١)

"وتركوا القتال، فكان لهم في ذلك حياة، وكم قتل مهلهل بأخيه كليب حتى كاد يفني بكر بن وائل. وقيل: حياة لغير القاتل، لأنه لا يقتل غير خلاف ما كان يفعله أهل الجاهلية. وقيل:

حياة للقاتل. وقيل: حياة لارتداع من يهم به في الآخرة إذ استوفي منه القصاص في الدنيا فإنه في الآخرة لا يقتص منه، وإن لم يقتص اقتص منه في الآخرة. فلا تحصل له تلك الحياة التي حصلت لمن اقتص منه.

وقرأ أبو الجوزاء، أوس بن عبد الله الربعي: ولكم في القصص، أي: فيما قص عليكم من حكم القتل والقصاص، وقيل: القصص: القرآن، أي: لكم في القرآن **حياة القلوب**، كقوله: روحا من أمرنا «١» وكقوله: أومن كان ميتا فأحييناه «٢» .

وقال ابن عطية: ويحتمل أن يكون مصدرا كالقصاص، أي: أنه إذا قص أثر القاتل قصصا قتل كما قتل.

وقال الزمخشري: ولكم في القصاص حياة كلام فصيح لما فيه من الغرابة، وهو أن القصاص قتل وتفويت للحياة، وقد جعل مكانا وظرفا للحياة، ومن إصابة محز البلاغة بتعريف، القصاص، وتنكير: الحياة، لأن المعنى: ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حياة عظيمة، أو نوع من الحياة، وهو الحياة

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٤٨١/١

الحاصلة بالارتداع عن القتل.

لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل، انتهى كلامه.

وقالت العرب فيما يقرب من هذا المعنى: القتل أوقى للقتل، وقالوا: أنفى للقتل، وقالوا: أكف للقتل.

وذكر العلماء تفاوت ما بين الكلامين من البلاغة من وجوه. أحدها: أن ظاهر قول العرب يقتضي كون وجود الشيء سببا لانتفاء نفسه، وهو محال. الثاني: تكرير لفظ القتل في جملة واحدة. الثالث: الاقتصار على أن القتل هو أنفى للقتل. الرابع: أن القتل ظلما هو قتل، ولا يكون نافيا للقتل. وقد اندرج في قولهم: القتل أنفى للقتل، والآية المكرمة بخلاف ذلك.

أما في الوجه الأول: ففيه أن نوعا من القتل وهو القصاص سبب لنوع من أنواع

---

(١) سورة الشورى: ٤٢/ 25.

(٢) سورة الأنعام: ٦/ ١٢٢.." (١)

"سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله «١» واحتمل أن يكون قوله: وهو الواحد القهار، داخلا تحت الأمر بقل، فيكون قد أمر أن يخبر بأنه تعالى هو الواحد المنفرد بالألوهية، القهار الذي جميع الأشياء تحت قدرته وقهره. واحتمل أن يكون استئناف إخبار فيه يقال بهذين الوصفين: الوحدانية، والقهر. فهو تعالى لا يغالب، وما سواه مقهور مربوب له عز وجل.

أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال. للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد: قال الزمخشري: هذا مثل ضربه الله للحق وأهله، والباطل وحزبه، كما ضرب الأعمى والبصير، والظلمات والنور، مثلا لهما. فمثل الحق وأهله بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به أودية للناس فيحيون به وينفعهم أنواع المنافع، وبالفلز الذي ينتفعون به في صوغ الحلي منه واتخاذ الأواني والآلات المختلفة، ولو لم يكن إلا الحديد الذي فيه البأس الشديد لكفى فيه، وإن ذلك ماكث في الأرض باق بقاء ظاهرا يثبت الماء في منافعه،

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ١٥٤/٢

وتبقى آثاره في العيون والبئار والجبوب والثمار التي تنبت به مما يدخر ويكثر، وكذلك الجواهر تبقى أزمنة متطاولة. وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله ووشك زواله وانسلاخه عن المنفعة بزبد السيل الذي يرمى به، وبزبد الفلز الذي يطفو فوقه إذا أذيب. وقال ابن عطية: صدر هذه الآية تنبيه على قدرة الله تعالى، وإقامة الحجة على الكفرة به، فلما فرغ ذكر ذلك جعله مثالا للحق والباطل، والإيمان والكفر، والشك في الشرع واليقين به انتهى. وقيل: هذا مثل ضربه الله تعالى للقرآن، والقلوب، والحق، والباطل. فالماء مثل القرآن لما فيه من **حياة القلوب**، وبقاء الشرع والدين والأودية مثل للقلوب، ومعنى بقدرها على سعة القلوب وضيقها، فمنها ما انتفع به فحفظه ووعاه وتدبر فيه، فظهرت ثمرته وأدرك تأويله ومعناه، ومنها دون ذلك بطبقة، ومنها دونه بطبقات. والزبد مثل الشكوك والشبه وإنكار الكافرين أنه كلام الله، ودفعهم إياه بالباطل. والماء الصافي المنتفع به مثل الحق انتهى. وفي الحديث الصحيح ما

(١) سورة لقمان: ٣١/ ٢٥.." (١)

"والمراد به جبريل عليه السلام لقول حسان:

٦٠٤ - وجبريل رسول الله فينا ... وروح القدس ليس له كفاء

سمي بذلك لأن بسببه **حياة القلوب**.

قوله: {أفكلما جآءكم رسول} الهمزة هنا للتوضيح والتقريع، والفاء للعطف عطفت هذه الجملة على ما قبلها، واعتني بحرف الاستفهام فقدم، وقد مر تحقيق ذلك، وأن الزمخشري يقدر بين الهمزة وحرف العطف جملة ليعطف عليها. وهذه الجملة يجوز أن تكون معطوفة على ما قبلها من غير حذف شيء، كأنه قال: ولقد آتينا يا بني إسرائيل أنبياءكم ما آتيناهم فكلما جاءكم رسول. ويجوز أن يقدر قبلها محذوف أي: ففعلتم ما فعلتم فكلما جاءكم رسول. وقد تقدم الكلام في» كلما «عند قوله:

{كلما أضآء} [البقرة: ٢٠] . والناصب لها هنا «استكبرتم» ، و «رسول» فعول بمعنى مفعول أي مرسل، وكون فعول بمعنى المفعول قليل، جاء منه الركوب والحلوب أي: المركوب والمحلوب، ويكون مصدرا بمعنى الرسالة قاله الزمخشري. وأنشد:

٦٠٥ - لقد كذب الواشون ما فهت عندهم ... بسر ولا أرسلتهم برسول

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٣٧٢/٦

أي: برسالة، ومنه عنده: {إنا رسول رب العالمين} [الشعراء: ١٦] .

قوله: {بما لا تهوى أنفسكم} متعلق بقوله «جاءكم» ، و «جاء» يتعدى بنفسه تارة كهذه الآية، وبحرف الجر أخرى نحو: جئت إليه، و «ما» موصولة." (١)

"كفر بعد الحجة، لما رأى من الآية والعبرة، ويؤمن من آمن على مثل ذلك.

وهذا تفسير جيد. وبسط ذلك أنه (١) تعالى يقول: إنما جمعكم مع عدوكم في مكان واحد على غير ميعاد، لينصركم عليهم، ويرفع كلمة الحق على الباطل، ليصير الأمر ظاهرا، والحجة قاطعة، والبراهين ساطعة، ولا يبقى لأحد حجة ولا شبهة، فحينئذ {يهلك من هلك} أي: يستمر في الكفر من استمر فيه على بصيرة من أمره أنه مبطل، لقيام الحجة عليه، {ويحيى من حي} أي: يؤمن من آمن {عن بينة} أي: حجة وبصيرة. والإيمان هو **حياة القلوب**، قال الله تعالى: {أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس} [الأنعام: ١٢٢] ،وقالت عائشة في قصة الإفك: في هلك من هلك أي: قال فيها ما قال من الكذب والبهتان والإفك.

وقوله: {وإن الله لسميع} أي: لدعائكم وتضرعكم واستغاثتكم به {عليم} أي: بكم وأنكم تستحقون النصر على أعدائكم الكفرة المعاندين.

{إذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور (٤٣) وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا وإلى الله ترجع الأمور (٤٤) }

قال مجاهد: أراه الله إياهم في منامه (٢) قليلا فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بذلك، فكان تثبيتا لهم.

وكذا قال ابن إسحاق وغير واحد. وحكى ابن جرير عن بعضهم أنه رآهم بعينه التي ينام بها.

وقد روى ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا يوسف بن موسى المدبر، حدثنا أبو قتيبة، عن سهل السراج، عن الحسن في قوله: {إذ يريكهم الله في منامك قليلا} قال: بعينك.

وهذا القول غريب، وقد صرح بالمنام هاهنا، فلا حاجة إلى التأويل الذي لا دليل عليه (٣)

وقوله: {ولوأراكهم كثيرا لفشلتم} أي: لجبنتم عنهم واختلفتم فيما بينكم، {ولكن الله سلم} أي: من ذلك:

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٤٩٨/١

بأن أراكهم قليلا {إنه عليم بذات الصدور} أي: بما تجنه الضمائر، وتنطوي عليه الأحشاء، فيعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

وقوله: {وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا} وهذا أيضا من لطفه تعالى بهم، إذ أراهم إياهم قليلا في رأي العين، فيجرؤهم عليهم، ويطمعهم فيهم.

---

(١) في أ: "أن الله".

(٢) في جميع النسخ: "أراهم الله في منامه" والمثبت من الطبري.

(٣) في أ: "له".." (١)

"{وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا (٨) فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا (٩) أعد الله لهم عذابا شديدا فاتقوا الله يا أولي الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكرا (١٠) رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا (١١) }

يقول تعالى متوعدا لمن خالف أمره، وكذب رسله، وسلك غير ما شرعه، ومخبرا عما حل بالأمم السالفة بسبب ذلك، فقال: {وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله} أي: تمردت وطغت واستكبرت عن اتباع أمر الله ومتابعة رسله، {فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا} أي: منكرا فظيعا.

{فذاقت وبال أمرها} أي: غب مخالفتها، وندموا حيث لا ينفعهم الندم، {وكان عاقبة أمرها خسرا أعد الله لهم عذابا شديدا} أي: في الدار الآخرة، مع ما عجل لهم في الدنيا.

ثم قال بعد ما قص من خبر هؤلاء: {فاتقوا الله يا أولي الألباب} أي: الأفهام المستقيمة، لا تكونوا مثلهم فيصيبكم ما أصابهم يا أولي الألباب، {الذين آمنوا} أي: صدقوا بالله ورسله، {قد أنزل الله إليكم ذكرا} يعني: القرآن. كقوله {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} [الحجر: ٩]

وقوله: {رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات} قال بعضهم: {رسولا} منصوب على أنه بدل اشتمال وملابسة؛ لأن الرسول هو الذي بلغ الذكر.

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٤/٦٩

وقال ابن جرير: الصواب أن الرسول ترجمة عن الذكر، يعني تفسيرا له ولهذا قال تعالى: {رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات} أي في حال كونها بينة واضحة جلية {ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور} كقوله تعالى {كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور} [إبراهيم: ١] وقال تعالى {الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور} [البقرة: ٢٥٧] أي من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم وقد سمى الله تعالى الوحي الذي أنزله نورا لما يحصل به من الهدى كما سماه روحا لما يحصل به من **حياة القلوب** فقال: تعالى {وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم} [الشورى: ٥٢] وقوله: {ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا}." (١)

"وقرأ ابن كثير: «القدس» بإسكان الدال، والباقون بضمها، وهما لغتان: الضم ل «الحجاز» والإسكان ل «تميم» ، وقد تقدم ذلك، وقرأ أبو حيوة: «القدوس» بواو، فيه لغة فتح القاف والدال معناه: الطهارة أو البركة كما [تقدم عند قوله: {ونقدس لك} [البقرة: ٣٠]] و «الروح» في الأصل: اسم للجزء الذي تحصل به الحياة في الحيوان، قاله الراغب.

فصل في المارد ب، «روح القدس»

اختلفوا في «روح القدس» هنا على وجوه:

أحدها: أنه جبريل عليه السلام؛ لقول حسان: [الوافر]

٦٥٠ - وجبريل رسول الله فينا ... وروح القدس ليس به كفاء

قال الحسن: القدوس هو الله عز وجل، وروحه: جبريل، قال تعالى: {قل نزله روح القدس} [النحل: ١٠٢]

وقيل: سمي جبريل روحا للطافته ولمكانته من الوح] ي الذي هو سبب **حياة القلوب**.

قال النحاس: وسمي جبريل روحا أو أضيف إلى القدس؛ لأنه كان بتكوين الله عز وجل له روحا من غير ولادة والد والده [وقيل: المارد بروح القدس الإنجيل كما قال في القرآن «روحا من أمرنا» لأنه الذي يوحى به] ، وكذلك سمي عيسى روحا لهذا.

وقال ابن عباس وسعيد بن جبير: «هو الاسم الأعظم الذي كان يحيي به عيسى الموتى» .

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ١٥٥/٨

وقيل: هو الروح الذي نفخ فيه.

والقدس والقدوس هو الله، فنسب روح عيسى إلى نفسه تعظيما وتشريفا، كما يقال: بيت الله، وناقة الله؛ قاله الربيع وغيره، كقوله: {فنفخنا فيه من روحنا} [التحريم: ١٢] وعلى هذا المراد به الروح الذي يحيى به الإنسان.

[واعلم أن إطلاق الروح على «جبريل» وعلى الإنجيل والاسم الأعظم مجاز] .." (١)

"وبأجنحتها تمسحهم، ويستغفر لهم كل رطب ويابس، وحيتان البحر وهوامه، وسباع البر وأنعامه لأن العلم حياة القلوب من الجهل، ومصابيح الأبصار من الظلم، يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار، والدرجات العلى في الدنيا والآخرة، الفكر فيه يعدل الصيام، ومدارسته تعدل القيام، به توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال من الحرام، هو إمام العمل، والعمل تابعه، يلهمه السعداء، ويحرمه الأشقياء» «١» ، قال أبو عمر: هكذا حدثنيه عبيد بن محمد مرفوعا بالإسناد الذي رويناه به عنه، وهو حديث حسن جدا، ولكن ليس له إسناد قوي، ورويناه من طرق شتى موقوفا على معاذ. انتهى من كتاب «فضل العلم» «٢» ، قال الشيخ العارف أبو القاسم عبد الرحمن بن يوسف اللجائي (رحمه الله) ، ومن علامة نور العلم، إذا حل بالقلب: المعرفة والمراقبة والحياء والتوبة والورع والزهد والتوكل والصبر والرضى والأنس والمجاهدة والصمت والخوف والرجاء والقناعة وذكر الموت. اهـ.

وقوله تعالى: كل من عند ربنا: فيه ضمير عائد على كتاب الله محكمه ومتشابهه، والتقدير: كله من عند ربنا.

ثم قال تعالى: وما يذكر إلا أولوا الألباب، أي: ما يقول هذا، ويؤمن ويقف حيث وقف، ويدع اتباع المتشابه إلا ذو لب، وهو العقل و «أولو» : جمع: «ذو» .

[سورة آل عمران (٣) : الآيات ٨ الى ١١]

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب (٨) ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد (٩) إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك هم وقود النار (١٠) كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢/٢٦٦

شديد العقاب (١١)

وقوله تعالى: ربنا لا تزغ قلوبنا ... الآية: لما ذكر الله سبحانه أهل الزيغ، وذكر نقيضهم، وظهر ما بين الحالتين، عقب ذلك بأن علم عباده الدعاء إليه في ألا يكونوا من الطائفة الذميمة التي ذكرت، وهم أهل الزيغ، ويحتمل أن يكون هذا من تمام قول الراسخين، وتزغ: معناه: تمل قلوبنا عن الهدى والحق، ومن لدنك: معناه: من عندك تفضلا، لا عن سبب منا، ولا عمل، وفي هذا استسلام وتطارح، والمراد: هب لنا نعيما صادرا عن الرحمة.

وقوله تعالى: ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه: إقرار بالبعث ليوم القيامة،

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» رقم (٢٦٨) . [.....]

(٢) ينظر: المصدر السابق.." (١)

"ما لا يفعل موجب مقت الله تعالى، ولذلك فر كثير من العلماء عن الوعظ والتذكير وآثروا السكوت، /- قلت-: وهذا بحسب فقه الحال إن وجد الإنسان من يكفيه هذه المئونة في وقته، فقد يسعه السكوت وإلا فلا يسعه، قال الباجي في «سنن الصالحين» له: قال الأصمعي: بلغني أن بعض الحكماء كان يقول: إني لأعظكم وإني لكثير الذنوب، ولو أن أحدا لا يعظ أخاه حتى يحكم أمر نفسه لترك الأمر بالخير، واقتصر على الشر، ولكن محادثة الإخوان **حياة القلوب** وجلاء النفوس وتذكير من النسيان، وقال أبو حازم: إني لأعظ الناس وما أنا بموضع للوعظ «١» ، ولكن أريد به نفسي، وقال الحسن لمطرف: عظ أصحابك، فقال: إني أخاف أن أقول ما لا أفعل فقال: رحمك الله وأينا يفعل ما يقول، ود الشيطان أنه لو ظفر منكم بهذه فلم يأمر أحد منكم بمعروف، ولم ينه عن منكر، انتهى.

[سورة الصف (٦١) : الآيات ٤ الى ٩]

إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص (٤) وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين (٥) وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ١٣/٢

من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين (٦) ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام والله لا يهدي القوم الظالمين (٧) يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون (٨)

هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون (٩)

وقوله تعالى: إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله ... الآية، قال معاذ بن جبل: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من قاتل في سبيل الله فواق ناقة فقد وجبت له الجنة، ومن سأل الله القتل من نفسه صادقا، ثم مات أو قتل فإن له أجر شهيد» «٢» ،

---

(١) في د: للموعظ.

(٢) أخرجه أبو داود (٢/ ٢٥) ، كتاب «الجهاد» باب: فيمن سأل الله تعالى الشهادة (٢٥٤١) ، والترمذي (٤/ ١٨٣) ، كتاب «فضائل الجهاد» باب: ما جاء فيمن سأل الشهادة (١٦٥٤) مختصرا، والنسائي (٦/ ٢٥- ٢٦) ، كتاب «الجهاد» باب: ثواب من قاتل في سبيل الله فواق ناقة (٣١٤١) ، وابن ماجه (٢/ ٩٣٣- ٩٣٤) ، كتاب «الجهاد» باب: القتال في سبيل الله سبحانه (٢٧٩٢) ، والحاكم (٢/ ٧٧) ، وابن حبان (١٠/ ٤٧٨- ٤٧٩) ، كتاب «السير» باب: فضل «الجهاد» : ذكر إيجاب الجنة لمن قاتل في سبيل الله قل ثباته فيه أو كثر (٤٦١٨) مختصرا، وأخرجه البيهقي (٩/ ١٧٠) ، كتاب «السير» باب: تمني الشهادة ومسألتها، وأحمد (٥/ ٢٣٠- ٢٣١، ٢٣٥، ٢٤٣- ٢٤٤) ، وعبد الرزاق في «المصنف» (٥/ ٢٥٥) ، كتاب «الجهاد» باب: الفرار من الزحف (٩٥٣٤) ، والدارمي (٢/ ٢٠١) ، كتاب «الجهاد» باب: من قاتل في سبيل الله فواق ناقة. -." (١)

"(بإذنه) أي: الله (ما يشاء) أي: الله، ووحيا وأن يرسل بمعنى: موحيا ومرسلا، ويقدر مسمعا قبل من وراء الحجاب، وكل منها حال، أو الكل مصدر، فإن الوحي والإرسال نوعان من التكلم، ويقدر قبل من وراء حجاب إسماعا، أو تقديره: بأن يوحي أو يسمع من وراء حجاب، أو يرسل فنصبه بنزع الخافض (إنه علي) عن مماثلة خلقه (حكيم) فيفعل ما يقتضيه حكمته (وكذلك أوحينا إليك) يا محمد (روحا) أي: وحيا، فإن حياة القلوب بما أوحى إليه (من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان) على التفصيل الذي

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٤٢٥/٥

عرفت بعد الوحي، وعن بعضهم المراد من الإيمان ها هنا الصلاة، كقوله: " وما كان الله ليضيع إيمانكم " [البقرة: ١٤٣] (ولكن جعلناه) الكتاب أو الإيمان (نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله) بدل (الذي له ما في السماوات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور) فيحكم فيها بمقتضى عدله وفضله.

والحمد لله رب العالمين.

* * *." (١)

"{والبلد الطيب} أي الأرض الكريمة التربة {يخرج نباته بإذن ربه} بمشيئته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لنه أوقعه في مقابلة قوله تعالى {والذى خبث} من البلاد كالسبخة والحرة {لا يخرج إلا نكدا} قليلا عديم النفع ونصبه على الحال والتقدير والبلد الذي خبث لا يخرج نباته إلا نكدا فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرىء لا يخرج إلا نكدا أي لا يخرجه البلد إلا نكدا فيكون إلا نكدا مفعوله وقرىء نكدا على المصدر أي ذا نكد ونكدا بالإسكان للتخفيف {كذلك} أي مثل ذلك التصريف البديع {نصرف الآيات} أي نرددها ونكررها {لقوم يشكرون} نعمة الله تعالى فيتفكرون فيها ويعتبرون بها وهذا كما ترى مثل لإرسال الرسل عليهم بالشرائع التي هي ماء **حياة القلوب** إلى المكلفين المنقسكمين إلى المقتبسين من أنوارها والمحرومين من مغانم آثارها وقد عقب ذلك بما يحققه ويقرره من قصص الأمم الخالية بطريق الاستئناف فقيل." (٢)

"{يا أيها الذين آمنوا} تكرير النداء مع وصفهم بنعت الإيمان لتنشيطهم إلى الإقبال على الامتثال بما يرد بعده من الأوامر وتنبيههم على أن فيهم ما يوجب ذلك ٢

{استجيبوا لله وللرسول} بحسن الطاعة

{إذا دعاكم} أي الرسول إذ هو المباشر لدعوة الله تعالى

{لما يحييكم} من العلوم الدينية التي هي مناط الحياة الأبدية كما أن الجهل مدار الموت الحقيقي أو هي ماء **حياة القلب** كما أن الجهل موجب موته وقيل لمجاهدة الكفار لأنهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم كما في قوله تعالى ولكم في القصاص حياة

---

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٧٤/٤

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٢٣٤/٣

روي أنه صلى الله عليه وسلم مر على أبي بن كعب وهو يصلي فدعاه فعجل في صلاته ثم جاء فقال صلى الله عليه وسلم ما منعك من إجابتي قال كنت في الصلاة قال ألم تخبر فيما أوحي إلي استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم الخ واختلف فيه فقيل هذا من خصائص دعائه صلى الله عليه وسلم وقيل لأن إجابته صلى الله عليه وسلم لا تقطع الصلاة وقيل كان ذلك الدعاء لأمر مهم لا يحتمل التأخير وللمصلي أن يقطع الصلاة لمثله

{واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه} تمثيل لغاية قربه تعالى من العبد كقوله تعالى ونحن أقرب إليه من حبل الوريد وتنبيه على أنه تعالى مطلع من مكنونات القلوب على ما عسى يغفل عنه صاحبها أو حث على المبادرة إلى إخلاص القلوب وتصفيتها قبل إدراك المنية فإنها حائلة بين المرء وقلبه أو تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه بحيث يفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ويحول بينه وبين الكفر إن إراد سعادته ويبدله بالأمن خوفا وبالذكر نسيانا وما أشبه ذلك من الأمور المعترضة المفوتة للفرصة وقرىء بين المر بتشديد الراء على حذف الهمزة وإلقاء حركتها على الراء وإجراء الوصل مجرى الوقف وأنه أي الله عز وجل أو الشأن إليه تحشرون لا إلى غيره فيجازيكم بحسب مراتب أعمالكم فسارعوا إلى طاعته تعالى وطاعة رسوله وبالغوا في الاستجابة لهما." (١)

"سورة الحشر

{

ينفى الوجدان لنفى الموادة على معنى أنه لا ينبغي أن يتحقق ذلك وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال وإن جد في طلبه كل أحد {ولو كانوا} أي من حاد الله ورسوله والجمع باعتبار معنى من كما أن الإفراد فيما قبله باعتبار لفظها {آباءهم} آباء الموادين {أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم} فإن قضية الإيمان بالله تعالى أن يهجر الجميع بالمرة والكلام في لو قد مر على التفصيل مرارا {أولئك} إشارة إلى الذين لا يوادونهم وإن كانوا أقرب الناس إليهم وأمس رحما وما فيه من معنى البعد لرفعة درجتهم في الفضل وهو مبتدأ خبره {كتب فى قلوبهم الإيمان} أي أثبته فيها وفيه قطعا ولا شئ من أعمال الجوارح يثبت فيه {وأيدهم} أي قواهم {بروح منه} أي من عند الله تعالى وهو نور القلب أو القرآن أو النصر على العدو وقيل الضمير

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ١٦/٤

للإيمان الحياة القلوب به فمن تجريدية وقوله تعالى {ويدخلهم} الخ بيان لآثار رحمته الأخروية إثر بيان ألطافه الدنيوية أي ويدخلهم في الآخرة {جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها} أبد الآبدين وقوله تعالى {رضى الله عنهم} استئناف جار مجرى التعليل لما أفاض عليهم من آثار رحمته العاجلة والآجلة وقوله تعالى {ورضوا عنه} بيان لابتهاجهم بما أوتوه عاجلا وآجلا وقوله تعالى {أولئك حزب الله} تشريف لهم ببيان اختصاصهم به عز وجل وقوله تعالى {إلا أن حزب الله هم المفلحون} بيان لاختصاصهم بالفوز بسعادة الدارين والفوز بسعادة النشأتين والكلام في تحلية الجملة بفنون التأكيد كما مر في مثلها عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة

سورة الحشر

{بسم الله الرحمن الرحيم}." (١)

"وقال آخر «١» :

ما للحجاب مكان في وجودكم ... إلا بسر حروف (انظر إلى الجبل)

أنتم دللتم عليكم منكم ولكم ... ديمومة عبرت عن غامض الأزل

عرفتم بكم هذا الخبير بكم ... أنتم هم يا حياة القلب يا أملي

ولما كانت المحبة تزيد وتنقص باعتبار شهود الوحدانية، فكلما قوي التوحيد في القلب قويت المحبة لانحصارها في واحد، ذكرها بأثر التوحيد، فقال:

[سورة البقرة (٢) : الآيات ١٦٥ الى ١٦٧]

ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب (١٦٥) إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب (١٦٦) وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار (١٦٧)

قلت: ويحتمل في وجه المناسبة، أن يكون الحق تعالى لما ذكر دلائل التوحيد ذكر من أعرض بعد وضوحها فأشرك معه، ليرتب بعد ذلك ما أعد له من العذاب، والأنداد: جمع ند وهو المثل، والمراد هنا الأصنام أو

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٨/٢٢٤

الرؤساء، والإضافة في كحب الله من إضافة المصدر إلى مفعوله، والحب: ميل القلب إلى المحبوب، وسيأتي في الإشارة، إن شاء الله.

يقول الحق جل جلاله: ومن الناس من يتخذ من دون الله أشباها وأمثالا من الأصنام والرؤساء يحبونهم، وينقادون إليهم، كما يحبون الله تعالى، فيسوون في المحبة بين الله تعالى العلي الكبير، وبين المصنوع الذليل الحقير، والذين آمنوا بالله ووحدوه أشد حبا لله لأن المؤمنين لا يلتفتون عن محبوبهم في الشدة ولا في الرخاء، بخلاف الكفار فإنهم يعبدونهم في وقت الرخاء، فإذا نزل البلاء التجئوا إلى الله. قال تعالى: ثم إذا مسكم الضر فإليه تجئرون الآية، وأيضا: المؤمنون يعبدون الله بلا واسطة، والكفار يعبدونه بواسطة أصنامهم م نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى وأيضا المؤمنون يعبدون ربا واحدا فاتحدت محبتهم.

قال سعيد بن جبير: (إن الله تعالى يأمر يوم القيامة من عبد الأصنام أن يدخلوا النار مع أصنامهم، فيمتنعون لعلمهم بالخلود فيها، ثم يقول للمؤمنين بين يدي الكفار: إن كنتم أحبائي فادخلوا، فيقتحم المؤمنون النار، وينادي منأد من تحت العرش: والذين آمنوا أشد حبا لله. وفي ذلك يقول ابن الفارض:

---

(١) وهو الششترى. [.....]."(١)

"قلت: (قائما) : حال من (الله) ، وإنما جاز من بعض المعطوفات لعدم اللبس، كقوله: ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة ... ، ولا يجوز: جاء زيد وعمرو راكبا لعدم القرينة، أو من (هو) ، والعامل الجملة لأنه حال مؤكدة، أي: تفرد قائما، أو حقه قائما، (بالقسط) أي: العدل، و (إن الدين) : جملة مستأنفة مؤكدة للأولى، أي: لا دين مرضى عند الله سوى الإقرار بالشهادة والدخول فيما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، ومن قرأ بالفتح فهو بدل من (أنه) ، بدل الكل، إن فسر الإسلام بالإيمان، وبدل الاشتمال إن فسر بالشريعة.

يقول الحق جل جلاله: شهد الله أنه لا إله إلا هو أي: بين وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها، وإنزال الآيات الناطقة بها، أو بتدبيره العجيب وصنعته المتقنة وأموره المحكمة، وفي ذلك يقول القائل:

يا عجبا كيف يعصى الإله ... أم كيف يجحده الجاحد؟!

ولله في كل تحريكة ... وتسكينة أبدا شاهد

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١٩٣/١

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد «١»

وقيل لبعض العرب: ما الدليل على أن للعالم صانعا؟ فقال: البعرة تدل على البعير، وآثار القدم تدل على المسير، فهيكل علوي بهذه اللطافة، ومركز سفلي بهذه الكثافة، أما يدلان على الصانع الخبير؟! وشهدت الملائكة أيضا بالإقرار بالوحدانية والإخبار بها، وأولوا العلم وهم: الأنبياء والعلماء بالله، بالإيمان بها والاحتجاج عليها، شبه ذلك في البيان والكشف بشهادة الشاهد. وفيه دليل شرف أهل العلم وفضلهم، حيث قرن شهادتهم بشهادته لأن العلم صفة الله العليا ونعمته العظمى، والعلماء أعلام الإسلام، والسابقون إلى دار السلام، وسرج الأمكنة وحجج الأزمنة.

وعن جابر قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ساعة من عالم يتكىء على فراشه، ينظر في علمه، خير من عبادة العابد سبعين عاما» . وعن معاذ قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية، ومدارسته تسبيح، والبحث فيه جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقة، وتذكره في أهله قربة» . ثم قال في آخر الحديث في فضل أهل العلم: «وترغب الملائكة في خلتهم، وبأجنحتها تمسحهم، وفي صلاتها تستغفر لهم، وكل رطب ويابس يستغفر لهم. حتى حيتان البحر وهوامه، وسباع الأرضين وأنعامها، والسماء ونجومها، ألا وإن العلم **حياة القلوب** من العمى، ونور الأبصار من الظلم، وقوة الأبدان من الضعف، يبلغ بالعبد منزل الأحرار ومجالسة الملوك، والفكر فيه يعدل بالصيام، ومدارسته بالقيام، وبه يعرف الحلال والحرام، وبه توصل الأرحام، العلم إمام والعمل تابعه، يلهمه السعداء، ويحرمه الأشقياء» .

---

(١) الأبيات لأبى العتاهية، انظر ديوانه ١٢٢. وذكرها الأصبهانى فى محاضرات الأدباء ٣/ ٣٩٨ منسوبة للبيد.." (١)

"كفر من الأمم، وإقامة الحجة عليهم، فيقولون له في الجواب: لا علم لنا مع علمك، تأدبوا فوكلوا العلم إليه، أو علمنا ساقط في جنب علمك إنك أنت علام الغيوب لأن من علم الخفيات لا تخفي عليه الظواهر والبواطن، وقرىء بنصب علام، على إن الكلام قد تم بقوله: إنك أنت أي: إنك الموصوف بصفاتك المعروفة، وعلام نصب على الاختصاص أو النداء. قاله البيضاوي.

الإشارة: من حجة الله على عباده، أن بعث في كل أمة نذيرا يدعو إلى الله، أما عارفا يعرف بالله، أو عالما

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١/٣٣٣

يعلم أحكام الله، ثم يجمعهم يوم القيامة فيسألهم: ماذا أجيبوا، وهل قوبلوا بالتصديق والإقرار، أو قوبلوا بالتكذيب والإنكار؟ فتقوم الحجة على العوام بالعلماء، وعلى الخواص بالعارفين الكبراء، أهل التربية النبوية، فلا ينجو من العتاب إلا من ارتفع عنه الحجاب، بصحبة العارفين وتعظيمهم وخدمتهم، إذ لا يتخلص من العيوب إلا من صحبهم وأحبهم وملك نفسه إليهم. والله تعالى أعلم.

ثم خص عيسى عليه السلام بتذكير النعم يوم الجمع توطئة لتوبيخ من عبده من دون الله، فقال:

[سورة المائدة (٥) : الآيات ١١٠ الى ١١١]

إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين (١١٠) وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون (١١١)

قلت: (إذ) : بدل من (يوم يجمع) ، أو باذكر، وجملة (تكلم) : حال من مفعول (أيدتك) .

يقول الحق جل جلاله: واذكر إذ يقول الله- جل وعز- يوم القيامة: يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك بالنبوة والرسالة، وعلى أمك بالاصطفائية والصديقية، وذلك حين أيدتك أي: قويتك بروح القدس، وهو جبريل عليه السلام كان لا يفارقك في سفر ولا حضر، أو بالكلام الذي تحيا به الأنفس والأرواح، الحياة الأبدية. كنت تكلم الناس في المهد أي: كائنا في المهد وكهلا أي: تكلم في الطفولة والكهولة بكلام يكون سببا في **حياة القلوب**، وبه استدل أنه ينزل، لأنه رفع قبل أن يكتهل، واذكر إذ علمتك الكتاب أي: الكتابة." (١)

"ثم صرفه عن نفسه إلى غيره، يصدق عليه قوله تعالى: ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون وكان من شر الدواب التي أشار إليهم تعالى بقوله:

[سورة الأنفال (٨) : الآيات ٢٢ الى ٢٣]

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢/٨٨

إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون (٢٢) ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون (٢٣)

يقول الحق جل جلاله: إن شر الدواب عند الله وهو كل من يدب على وجه الأرض، الصم عن سماع الحق، البكم عن النطق به، الذين لا يعقلون الحق ولا يعرفونه، عدهم من البهائم ثم جعلهم شرها لإبطالهم ما ميزوا به وفضلوا لأجله، وهو استعمال العقل فيما ينفعهم من التفكر والاعتبار. قال ابن قتيبة: نزلت هذه الآية في بني عبد الدار، فإنهم جدوا في القتال مع المشركين، يعني يوم بدر، وحكمها عام.

ولو علم الله فيهم خيرا سعادة كتبت لهم، أو انتفاعا بالآيات، لأسمعهم سماع تفهم، ولو أسمعهم، مع كونه قد علم الأخير فيهم، لتولوا عنه، ولم ينتفعوا به، وارتدوا بعد التصديق والقبول، وهم معرضون عنه، لعنادهم، وقيل: إنهم طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يحيي لهم قصي بن كلاب، ويشهد له بالرسالة، حتى يسمعوا منه ذلك، فأنزل الله: ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم كلامه بعد إحيائه، ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون، لسبق الشقاوة في حقهم.

الإشارة: اعلم أن الأمر الذي شرف به الآدمي وفضل غيره هو معرفة خالقه، واستعمال العقل فيما يقربه إليه، وسماع الوعظ الذي يزجره عن غيه، فإذا فقد هذا كان كالبهائم أو أضل، ولله در ابن البنا، حيث يقول في مباحثه:

واعلم أن عصبة الجهال ... بهائم في صور الرجال

واعلم أيضا أن بعض القلوب لا تقبل علم الحقائق، فأشغلها بعلم الشرائع، ولو علم فيها خيرا لأسمعها تلك الأسرار، ولو أسمعها، مع علمه بعدم قبولها، لتولت عنها وأعرضت لضيق صدرها وعدم التفرغ لها.

ثم دل على ما فيه **حياة القلوب**، فقال:

[سورة الأنفال (٨) : آية ٢٤]

يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون (٢٤)." (١)

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣١٧/٢

"يقول الحق جل جلاله: يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله أي: أجيبوه فيما دعاكم إليه، وللرسول فيما دلكم عليه من الطاعة والإحسان، إذا دعاكم لما يحييكم من العلوم الدينية فإنها **حياة القلب**، كما أن الجهل موته، أو إذا دعاكم لما يحييكم الحياة الأبدية، في النعيم الدائم، من العقائد والأعمال، أو من الجهاد، فإنه سبب بقائكم إذ لو تركتموه لغلبكم العدو وقتلكم، أو الشهادة، لقوله تعالى: أحياء عند ربهم يرزقون «١» ، ووحد الضمير في قوله: إذا دعاكم باعتبار ما ذكر، أو لأن دعوة الله تسمع من الرسول.

وفي البخاري: أن الرسول صلى الله عليه وسلم دعا أبي بن كعب، وهو في الصلاة، فلم يجب، فلما فرغ أجاب، فقال له صلى الله عليه وسلم:

«ما منعك أن تجيبني؟ فقال: كنت أصلي، فقال: ألم تسمع قوله: استجيبوا لله وللرسول.» «٢» فاختلف فيه العلماء، فقيل لأن إجابته صلى الله عليه وسلم لا تقطع الصلاة، فيجيب، ويبقى على صلاته، وقيل: إن دعاءه كان لأمر لا يقبل التأخير، وللمصلي أن يقطع الصلاة لمثله، كإنقاذ أعمى وشبهه.

ثم قال تعالى: واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه فينقله من الإيمان إلى الكفر، ومن الكفر إلى الإيمان، ومن اليقين إلى الشك، ومن الشك إلى اليقين، ومن الصفاء إلى الكدر، ومن الكدر إلى الصفاء. قال البيضاوي: هو تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله تعالى: ونحن أقرب إليه من حبل الوريد «٣» ، وتنبيه على أنه مطلع على مكنونات القلوب، مما عسى أن يغفل عنها صاحبها، أو حث على المبادرة إلى إخلاص القلوب وتصفيتها، قبل أن يحول الله بينه وبين قلبه بالموت أو غيره، أو تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه فيفسخ عزائمه، ويغير مقاصده، ويحول بينه وبين الكفر، إن أراد سعادته، وبينه وبين الإيمان، إن قضى شقاوته. هـ. واعلموا أيضا أنه إليه تحشرون فيجازيكم بأعمالكم وعقائدكم.

الإشارة: قد جعل الله، من فضله ورحمته، في كل زمان وعصر، دعاة يدعون الناس إلى ما تحيا به قلوبهم، حتى تصلح لدخول حضرة محبوبهم، فهم خلفاء عن الله ورسوله، فمن استجاب لهم وصحبهم حيي قلبه، وتطهر سره ولبه، ومن تنكب عنهم ماتت روحه في أودية الخواطر والأوهام.

---

(١) من الآية ١٦٩ من سورة آل عمران.

(٢) أخرجه البخاري فى (تفسير سورة الأنفال- باب قول الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول..) وفيه أن المدعو هو «أبو سعيد المعلى» وليس «أبى» أما حديث أبى فأخرجه الترمذي فى:

(فضائل القرآن- باب ما جاء فى فضل فاتحة الكتاب) وأحمد فى المسند ٥/ ١١٤ والدارمي فى (فضائل القرآن- باب فضل فاتحة الكتاب) والحاكم فى المستدرك (١/ ٥٥٨) وصححه ووافقه الذهبي. وقال الحافظ ابن حجر: وجمع البيهقي بأن القصة وقعت لأبى بن كعب ولأبى سعيد بن المعلى. راجع الفتح ٨/ ١٥٨.

(٣) الآية ١٦ من سورة ق.." [١]

"وقوله: بالروح أي: بالوحي، أو القرآن فإنه سبب **حياة القلوب** والأرواح الميتة بالجهل والحجاب، أو سبب حياة الدين بعد موته واندراسه بالكفر فإن الوحي يقوم في الدين مقام الروح من الجسد. ينزل ذلك من أمره أي: من أجل أمره وبيان شأنه، أو بأمره وإذنه، على من يشاء من عباده أن يصطفيه للرسالة، قائلا لهم:

أن أنذروا: خوفوا أهل الشرك، أو أعلموا عبادي أنه أي: الأمر والشأن، لا إله إلا أنا فاتقون بترك الكفر والمعاصي، أي: اجعلوا بينكم وبين غضبه وقاية، بأن توحدوه، وتطيعوه فيما أمر به.

قال البيضاوي: والآية تدل على أن نزول الوحي بواسطة الملائكة، وأن حاصله: التنبيه على التوحيد، الذي هو القوة العلمية، والأمر بالتقوى الذي هو أقصى كمالات القوة العملية. وأن النبوة عطائية- أي: لا كسبية- ، والآيات التي بعدها دليل على وحدانيته، من حيث إنها تدل على أنه تعالى هو الموجد لأصول العالم وفروعه، على وفق الحكمة والمصلحة، ولو كان له شريك لقدر على ذلك، فيلزم التمانع. هـ.

الإشارة: قوله تعالى: بالروح: قال الورتجبي: الروح: الوحي الإلهي، سماه بالروح لأنه كلامه صدر من ذاته، وهو حياة قلوب الصديقين من المكلمين والمحدثين، وهو سبب حياة قلوب المؤمنين، يحييهم بعلمه من موت الجهالة. هـ.

وقال القشيري في قوله: على من يشاء من عباده: على الأنبياء بالوحي والرسالة، وعلى أسرار أرباب التوحيد، وهم المحدثون بالتعريف والعلم. فالتعريف للأولياء من حيث الإلهام والخواطر، أي: الواردات. وإنزال الملائكة على قلوبهم غير ممنوع، ولكنهم لا يؤمرون أن يتكلموا بذلك، ولا يحملون الرسالة إلى الخلق. هـ.

قلت: وكأنه ينظر إلى قوله- عليه الصلاة والسلام-: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل» ، فهم يشاركون الأنبياء في الوحي الإلهامي، ولا يبلغون ذلك إلا لمن صدقهم وتبعهم في طريقهم. والله تعالى أعلم.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢/٣١٨

ثم عرف بنفسه، بما أظهر من تجلياته العلوية والسفلية، فقال:

[سورة النحل (١٦) : الآيات ٣ الى ٩]
خلق السماوات والأرض بالحق تعالى عما يشركون (٣) خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين (٤) والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون (٥) ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون (٦) وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤف رحيم (٧)
والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون (٨) وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين (٩)." (١)

"يكثر في غيرهم. ورزقناهم من الطيبات ما أحل الله لهم من اللذائذ، كالمن والسلوى، وغيره من الأرزاق، وفضلناهم على العالمين على عالمي زمانهم.
وآتيناهم بينات من الأمر دلائل ظاهرة من أمر الدين، ومعجزات قاهرة. قال ابن عباس: هو العلم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم، وما بين لهم من أمره، وأنه يهاجر من تهامة إلى يثرب، ويكون أنصاره أهل يثرب، فما اختلفوا في ذلك الأمر إلا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقته وحقيته، فجعلوا ما يوجب زوال الخلاف موجبا له، بغيا بينهم أي: عداوة وحسدا، حدث بينهم، لا شك وقع لهم فيه، إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة بالمؤاخذة والجزاء فيما كانوا فيه يختلفون من أمر الدين.
الإشارة: كانت بنو إسرائيل في أول أمرها متمسكة بكتاب ربها، عاملة بما شرعت لها أنبياؤها، فرفع الله بذلك قدرها، حتى تحاسدوا، وتهاجروا على الدنيا والرئاسة، فأعقبهم الله ذل الأبد، فهذه سنة الله تعالى في عباده، من تمسك بالكتاب والسنة، وزهد في الدنيا، وتواضع لعباد الله، رفعه الله وأعزه، فإذا خرج عن هذا الوصف انعكس حاله إلى أسفل، والعياذ بالله.
ولما ذكر شريعة موسى أعقبه بشريعة نبينا- صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فقال:

[سورة الجاثية (٤٥) : الآيات ١٨ الى ٢٠]
ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون (١٨) إنهم لن يغنوا عنك من الله

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١٠٩/٣

شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين (١٩) هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون (٢٠)

يقول الحق جل جلاله: ثم جعلناك يا محمد بعد اختلاف أهل الكتاب، على شريعة على طريقة عظيمة الشأن، ومنهاج واضح من الأمر الدين، وأصل الشريعة في اللغة: مورد الماء، أي: الطريق الموصلة إليه، ثم جعل للطريق الموصلة إلى **حياة القلوب** والأرواح لأن الماء به حياة الأشباح، فاتبعها بإجراء أحكامها في نفسك وفي غيرك، من غير إخلال بشيء منها. قال ابن عرفة: الخطاب له عليه السلام، والمراد غيره لأنه معلوم الاتباع التام، أو: دم على اتباعها. هـ.

ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون أي: لا تتبع آراء الجهلة واعتقاداتهم الزائغة التابعة للشهوات، وهم رؤساء قريش، كانوا يقولون له صلى الله عليه وسلم: ارجع إلى دين آبائك. إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا مما أراد بك إن اتبعتهم، أي: لن ينفعونك بدفع ما ينزل بك بدلا من الله شيئا إن اتبعت أهواءهم، وإن الظالمين بعضهم أولياء." (١)

"وزوال الريب ملاك الإيمان أفرد بالذكر بعد تقدم الإيمان، تنبيها على علو مكانه، وعطف على الإيمان بثم إشعارا باستقراره في الأزمنة المتراخية المتطاولة غضا جديدا. وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أي:

جاهدوا ما ينبغي جهاده من الكفار والأنفس والهوى، بالإعانة بأموالهم، والمباشرة بأنفسهم في طلب رضا الله.

أولئك هم الصادقون أي: الذين صدقوا فى قولهم: آمنا، لم يكذبوا كما كذب أعراب بني أسد بل إيمانهم إيمان صدق وحق. والله تعالى أعلم.

الإشارة: مذهب الصوفية: أن العمل إذا كان حده الجوارح الظاهرة يسمى مقام الإسلام، وإذا انتقل لتصفية البواطن بالرياضة والمجاهدة يسمى مقام الإيمان، وإذا فتح على العبد بأسرار الحقيقة يسمى مقام الإحسان، وقد جعل الساحلي مقام الإسلام مركبا من ثلاثة التوبة والتقوى والاستقامة، والإيمان مركبا من الإخلاص والصدق والطمأنينة، والإحسان مركبا من المراقبة ,المشاهدة والمعرفة، ولكل زمان ورجال تربية واصطلاح في السير، والمقصد واحد، وهو المعرفة العيانية.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣٠٨/٥

قال القشيري: الإيمان هو **حياة القلوب**، والقلوب لا تحيا إلا بعد ذبح النفوس، والنفوس لا تموت، ولكنها تغيب. هـ. أي: المقصود بقتل النفوس هو الغيبة عنها في نور التجلي، فإذا وقع الفناء في شهود الحق عن شهود الخلق فلا مجاهدة. وقال القشيري في مختصره: قالت الأعراب آمنا ... الخ، يشير إلى أن حقيقة الإيمان ليست مما يتناول باللسان، بل هو نور يدخل القلوب، إذا شرح الله صدر العبد للإسلام كما قال تعالى: فهو على نور من ربه «١» ، وقال عليه السلام في صفة ذلك النور: «إن النور إذا وقع في القلب انفسح له واتسع» ، قالوا: يا رسول الله هل لذلك النور من علامة؟ قال: «بلى التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله» «٢» . لهذا قال تعالى: ولما يدخل الإيمان في قلوبكم أي: نور الإيمان. هـ.

(وإن تطيعوا الله ورسوله) في الأوامر والنواهي بعد ذبح النفوس بسيف الصدق (لا يلتكم عن أعمالكم شيئا) بل كل ما تتقربون به إلى الله من مجاهدة النفوس ترون جزاءه عاجلا، من كشف غطاء، وحلاوة شهود، إن الله غفور

---

(١) من الآية ٢٢ من سورة الزمر.

(٢) أخرجه الحاكم (٤/ ٣١١) والبيهقي فى الشعب (ح ١٠٥٥٢) وابن أبى شيبة فى مصنفه (الزهد، باب ٦، ح ١٤) والبغوي فى التفسير (٧/ ١١٤- ١١٥) وابن جرير (٨/ ٢٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، «والحديث سكت عند الحاكم، وتعقبه الذهبي» ورواه البيهقي فى الأسماء (ص ١٥٦) وقال: «هذا منقطع» وابن المبارك فى الزهد (رقم ٣١٥، ص ١٠٦) عن أبى جعفر المدائني، مرسلا، ورواه بنحوه الحكيم الترمذي فى النوادر (الأصل السادس والثمانين) من حديث ابن عمر رضي الله عنه. وقد ذكر ابن كثير (٢/ ١٧٦) لهذا الحديث طرقا كثيرة، متصلة ومرسلة، ومال إلى تقويته لتعدد طرقه.." (١)

"قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه، كأنه قيل: ما أكبر مقتا قولهم بلا عمل.

ثم بين ما هو مرضي عنده، بعد بيان ما هو ممقوت بقوله: {إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله} ، وهو المقصود بالذات من السورة؛ وقوله: {صفا} أي: صافين أنفسهم، أو مصفوفين، مصدر وقع موقع الحال، {كأنهم بنيان مرصوص} ؛ لاصق بعضه ببعض، وقيل: أريد: استواء نياتهم في حرب عدوهم، حتى يكونوا

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤٣٩/٥

في اجتماع الكلمة كالبنيان الذي رص بعضه إلى بعض، وهو حال أيضا، أي: مشبهين بالبنيان الملاصق. قال ابن عرفة: التشبيه في الثبات وعدم الفرار كثبوت البناء ولزومه. هـ.

الإشارة: {سبح لله} ، قال الورتجبي: لما عاينوا آيات الله طلبوا فيها مشاهدة الله، فوجدوا في نفوسهم تأثير مباشرة نور قدرة الله، فقدسوه أنه باين بوجوده من الحدثان. هـ. قوله تعالى: {كبر مقتا} ... الخ، قال القشيري: خلف الوعد مع كل أحد قبيح، ومع الله أقبح، ويقال: إظهار التجلد من غير شهود مواضع الفقر إلى الحق في كل نفس يؤذن بالبقاء مع ما حصل به الدعوى، والله يحب التبري من الحول والقوة. ويقال: لم يتوعد على زلة بمثل ما توعد على هذا، بقوله: {كبر مقتا عند الله} . هـ. ولذا فر كثير من العلماء عن الوعظ والتذكير، وآثروا السكوت، كما قال بعضهم:

لو كان ينفعني وعظي وعظتكم

أنا الغريق فما خوفي من البلل

قال أبو زيد الثعالبي: وهذا إن وجد من يكفيه ويقوم عنه في الوعظ، وإلا فلا ينبغي السكوت. قال الباجي في سنن الصالحين، عن الأصمعي: بلغني أن بعض الحكماء كان يقول: إني لأعظكم، وإني لكبير الذنوب، ولو أن أحدا لا يعظ أخاه حتى يحكم أمر نفسه لترك الأمر بالخير، واقتصر على الشر، ولكن محادثة الإخوان **حياة القلوب** وجلاء النفوس، وتذكير من النسيان. وقال أبو حازم: إني لأعظ الناس، وما أنا بموضع الوعظ، ولكن أريد به نفسي. هـ. قلت: وكان شيخ شيوخنا سيدي على الجمل العمراني رضي الله عنه يقول حين يذكر: نحن ما ننبح إلا على نفوسنا. هـ.

ثم قال: وقال الحسن لمطرف: عظ أصحابك، فقال: أخاف أن أقول ما لا أفعل، فقال: يرحمك الله، وأينا يفعل ما يقول، ود الشيطان لو ظفر منكم بهذه، فلم يأمر أحد منكم بمعروف ولم ينه عن منكر. هـ. وفي حديث الجامع: " مروا بالمعروف وإن لم تفعلوه، وانهوا عن المنكر وإن لم تتجنبوه " وقال الغزالي: من ترك العمل خوف الآفة والرياء، فإن ذلك منتهى بغية الشيطان منه، إذ المراد منه ألا يفوته الإخلاص، ومهما ترك العمل فقد ضيع العمل والإخلاص. هـ. قلت: ولا شك أن الوعظ من المخلصين وأهل." (١)

"الحق والباطل تفسير مقاتل بن سليمان (٤) / (٥٤٣) - اختلف في تأويل قوله تعالى: (فالفارقات فرقا) على أربعة أقوال: الأول: أنها الملائكة التي تفرق بين الحق والباطل - والثاني: أنها الرسل الذين يفرقون

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣٤/٧

بين الحلال والحرام - والثالث: أنها الرياح - والرابع: أن المقصود: القرآن - وذهب ابن جرير ((٢٣) / (٥٨٨)) إلى العموم، فقال: «الصواب من القول في ذلك أن يقال: أقسم ربنا - جل ثناؤه - بالفارقات، وهي الفاصلات بين الحق والباطل، ولم يخصص بذلك منهن بعضا دون بعض، فذلك قسم بكل فارقة بين الحق والباطل؛ ملكا كان أو قرآنا أو غير ذلك» - وذهب ابن كثير ((١٤) / (٢٢١)) إلى القول الأول، فقال: «قوله تعالى: (فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا أو نذرا)، يعني: الملائكة - قاله ابن مسعود، وابن عباس، ومسروق، ومجاهد، وقتادة، والربيع بن أنس، والسدي، والثوري، ولا خلاف هاهنا؛ فإنها تنزل بأمر الله على الرسل تفرق بين الحق والباطل، والهدى والغي، والحلال والحرام، وتلقي إلى الرسل وحيا فيه إعذار إلى الخلق، وإنذار لهم عقاب الله إن خالفوا أمره» - ولم يذكر مستندا - وذكر ابن القيم ((٣) / (٢٤٥)) أن أكثر المفسرين على أنها الملائكة؛ ويدل عليه عطف الملقيات ذكرا عليها بالفاء، وهي الملائكة بالاتفاق، وعلى هذا فيكون القسم بالملائكة التي تنشر أجنحتها عند النزول، ففرقت بين الحق والباطل، فألقت الذكر على الرسل إعذارا وإنذارا - ثم انتقد القول الثالث لدلالة السياق، فقال: «ومن جعل الناشرات الرياح جعل الفارقات صفة لها، وقال: هي تفرق السحاب ههنا وههنا، ولكن يأبى ذلك عطف الملقيات بالفاء عليها» - وعلق على القول الثاني بقوله: «ومن قال: هي جماعات الرسل، فإن أراد الرسل من الملائكة فظاهر، وإن أراد الرسل من البشر فقد تقدم بيان ضعف هذا القول» - وعلق على القول الرابع بقوله: «من قال: الفارقات: أي: القرآن يفرق بين الحق والباطل، فقوله يلتئم مع كون الناشرات الملائكة أكثر من التئامه إذا قيل: إنها الرياح» - وقال ابن القيم ((٣) / (٢٤٥)): «ويظهر - والله أعلم بما أراد من كلامه - أن القسم في هذه الآية وقع على النوعين؛ الرياح والملائكة، ووجه المناسبة: أن حياة الأرض والنبات وأبدان الحيوان بالرياح فإنها من روح الله، وقد جعلها الله تعالى نشورا، وحياة القلوب والأرواح بالملائكة، فبهذين النوعين يحصل نوعا الحياة، ولهذا - والله أعلم - فصل أحد النوعين من الآخر بالواو، وجعل ما هو تابع لكل نوع بعده بالفاء» - .

(فالملقيات ذكرا (٥))

(٨٠٦٧٢) ". [1]

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٤٦/٤٢

"{إنما يستجيب الذين يسمعون}، أي: لا يستجيب دعوتك إلى الإيمان إلا الذين يسمعون فيفهمون ويتدبرون، دون الموتى، وهؤلاء الذين تحرص على إيمانهم موتى، كقوله تعالى: {إنك لا تسمع الموتى} [النمل: ٨٠].

{والموتى} استعار (الموتى) للجهال؛ لأن العلم **حياة القلب**، فالذين لا يسمعون إنما لا يسمعون لأن قلوبهم موتى بالحقيقة.

* * *

(١) في (م) و (ك): "أو".

الجزء: ٣ - الصفحة: ٣٠٥

{يبعثهم الله} فيعلمهم حين لا ينفعهم الإيمان، وأنت لا تقدر على إعلامهم.

{ثم إليه يرجعون} للجزاء.

* * *

(٣٧) - {وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل إن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون}.

{وقالوا لولا نزل (١) عليه آية من ربه} مع كثرة ما أنزل إليه من الآيات، لعدم اعتدادهم بها عنادا كأنه لم ينزل عليه شيء، أو آية مما اقترحوها (٢).

{قل إن الله قادر على أن ينزل} وقرئ بالتشديد (٣)، على أن نزل بمعنى أنزل.

{آية} مما (٤) اقترحوا، أو: آية إن جحدوها أخذهم العذاب، وهو من لوازم الآيات الملجئة (٥).

{ولكن أكثرهم لا يعلمون} أن الله تعالى قادر على إنزالها، ولكن يفعل على مقتضى حكمته.

* * *

(٣٨) - {وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون}.

* * *". (١)

"(١) كذا في النسخ: "عنها" والأنسب بالسياق: (عليها). وفي "تفسير البيضاوي" (٣/ ٥٥): (ما ميزوا وفضلوا لاجله). (٢) في هامش (ف): "فلا حاجة إلى قيد اعتبره من قال: وقد علم الله أن لا خير فيهم. منه".

الجزء: ٤ - الصفحة: ٢٤٩

{لما يحييكم} من العلوم الدينية؛ فإنها **حياة القلب**، والجهل موته: الجاهل ميت وإن لم يدفن ... بيته قبر وثوبه كفن (١) وقيل: لجهاد الكفار؛ لأنهم لو تركوه لغلبوهم وقتلوهم (٢)، فهو سبب حياتهم، كقوله: {ولكم في القصاص حياة} [البقرة: ١٧٩].

وقيل: للشهادة؛ لقوله: {بل أحياء عند ربهم} [آل عمران: ١٦٩].

---

(١) تفسير ابن كمال باشا ١٥٢/٣

المراد بالاستجابة: الطاعة والامتثال، وبالدعوة: البعث والتحريض.

{واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه} تحذير عن تأخير الاستجابة.

وزيادة {واعلموا} لمزيد التأكيد؛ أي: إن القلوب بيد الله تعالى يقلبها كيف يشاء، فعجلوا بالاستجابة قبل أن يحدث الله تعالى في قلوبكم م يشغلنا عنها (٣)، ويمنعكم عن الامتثال بالأمر.

وقرئ: (بين المر) بتشديد الراء على حذف الهمزة وإلقاء حركتها على الراء وإجراء الوصل مجرى الوقف (٤)، على لغة من يشدد فيه.

* * *". (١)

"لا يحصل السماع المحمود إلا عند [ز١/ ٥/ب] ذكر الصفات الموجبة للأحوال السنية والصفات المرضية، ا. هـ.

قال الأذرعي: ولأبي القاسم القشيري - وهو من أئمة الشافعية - مصنف في السماع ذكر فيه أن من شرائطه معرفة الأسماء والصفات ومدلولاتها وما يليق بالحق - تعالى - منها، هذا على لسان أهل التحصيل من ذوي العقول، وأما على لسان أهل الحقائق فمن شرائطه [بقاء النفس] (١) بصدق المجاهدة ثم **حياة القلب** بروح المشاهدة، فمن لم يتقيد بالصحة معاملته، ولم يحصل بالصدق منازلته، فسماعه ضياع له، وتواجده طباع، والسماع فتنة يدعو إليها استيلاء العشق إلا عند سقوط الشهوة، وحصول الصفوة ... وأطال بما يطول ذكره.

قال الأذرعي: وبما ذكره تبين تحريم السماع والرقص على أكثر متصوفة الزمان؛ لفقد شروط القيام بآدابه، ا. هـ.

ووقع لبعض من لا تحقيق له أنه أنكر سماع الغناء من غير تفصيل، وليس كما زعم؛ ومن ثم قال أبو طالب

---

(١) تفسير ابن كمال باشا ٤/ ١٠

المكي: من أنكره أنكر على سبعين صديقا، وأراد بالسبعين الكثرة، وإلا فالصديقون – وهم العلماء [لا غير – السبعون] (٢) له بشرطه الآتي لا ينحصرون، قال الإمام السهروردي: هذا المنكر إما جاهل بالسنن والآثار، وإما جاهل الطبع لا ذوق له، وأشار بالسنن إلى ما صح عنه – صلى الله عليه وسلم – أنه كان له شعراء يصغي إليهم في المسجد وغيره، منهم: حسان، وابن رواحة – رضي الله تعالى

---

(١) في (ز٢): فناء النفس.

(٢) في (ز٢): لا غير السامحون.." (١)

"يجعل قدمها راسخة في الشرك والرذيلة كل الرسوخ، أما العز والأمن، أما السيادة والغنى، أما الإباء والشمم؛ فتلك صفات ذهب بها أمس، وتوارت عن الحس، لم يعرفها جيلنا حتى ينشدها، ولم يتذوقها حتى يألم لفقدها، بل انعكست حقائقها لديه فيما انعكس عليه من الحقائق؛ فالعز جبروت، والأمن جبانة، والسيادة وظيف حكومي، والغنى فسوق عمومي، والإباء جناية، والشمم كبر.

إن للشرك آثارا تختفي في العقائد الباطنة، وتجري مع الأقوال اللفظية، وتظهر في الأفعال البدنية، وتبدو في النفقات المالية.

وفي الفصول الآتية نعرض- إن شاء الله- لفصول من تلك الآثار، ونفصل منها ما يلتبس شركيه وشرعيه ببيان فيه مقمع للمكابر، ومقنع للمتردد الحائر، وجلاء للعقول الصدئة، وطهارة للنفوس الدنسة، وحياة للقلوب الآثمة.

- نصيحة:

ومن شعر عبد الله بن المبارك:

رأيت الذنوب تميت القلوب ... وقد يورث الذل إدمانها

وترك الذنوب **حياة القلوب** ... وخير لنفسك عصيانها

وتلك هي التقوى التي قال فيها ابن المعتز:

---

(١) كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع، ابن حجر الهيتمي ص/٣١

خل الذنوب صغيرها ... وكبيرها فهو التقى

واصنع كماش فوق أر ... ض الشوك يحذر ما يرى

لا تحقرن صغيرة ... إن الجبال من الحصى

• • • • •." (١)

"المشهور اللعان السباب المعروف - يذكر ذلك في كتابه "**حياة القلوب**" نقلا عن ابن بابويه القمي بسنده الصحيح المعتمد عليه بقوله:

إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولد له من خديجة القاسم، وعبد الله الملقب بالطاهر، وأم كلثوم، ورقية، وزينب، وفاطمة، وتزوج علي من فاطمة، وأبو العاص بن ربيعة من زينب، وكان رجلا من بني أمية (*) كما تزوج

(*) [تعليق]

المصاهرات بين بني أمية وبني هاشم:

وهذا يدل على أنه لم يكن بين بني هاشم وبني أمية من المباغضة والمنافرة والعداوة التي اخترعها وابتكرها أعداء الإسلام والمسلمين، ونسجوا الأساطير والقصص حولها، ولقد رأينا بني أمية مع بني هاشم بالعكس أنهم أبناء أعمام وإخوان، وخلان، بل هم أقرب الناس ما بينهم يتبادلون الحب والأفكار، ويتقاسمون الهموم والآلام، ويمشون ويتماشون جنبا إلى جنب وحتى نقل علماء الشيعة ومؤرخوها أن أبا سفيان وهو رئيس بني أمية وسيد قومه أيامه كان من كبار أنصار علي، ومؤيدي بني هاشم يوم السقيفة، ولقد ذكر اليعقوبي كان ممن تخلف عن بيعة أبي بكر أبو سفيان بن حرب، وقال: أرضيتم يا بني عبد مناف أن يلي هذا الأمر عليكم غيركم؟ وقال لعلي بن أبي طالب: امدد يدك أبايعك، وعلي معه قصي، وقال:

بني هاشم لا تطمعوا الناس فيكم ... ولا سيما تيم بن مرة أو عدي

فما الأمر إلا فيكم وإليكم ... وليس لها إلا أبو حسن علي

أبا حسن، فاشدد بها كف حازم ... فإنك بالأمر الذي يرتجى ملي

---

(١) رسالة الشرك ومظاهره، مبارك الميلي ص/١٦٦

وإن امرأ يرمي قصي وراءه ... عزيز الحمى، والناس من غالب قصي (١).

ويذكر ابن بابويه القمي أن الأنصار المخلصين لعلي كانوا اثنى عشر رجلا من المهاجرين والأنصار، وكان واحد من هؤلاء خالد بن سعيد بن العاص الأموي، وادعى هو أمام الملأ. =

---

(١) "تاريخ اليعقوبي" ج٢ ص١٢٦، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد أيضا." (١)

"إلى بدر زوجه من رقية" (١).

= وحفيدة علي الثانية وابنة الحسين فاطمة كانت متزوجة من حفيد عثمان الآخر "محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان. . . . وأمه فاطمة بنت الحسين كان عبد الله بن عمرو تزوجها بعد وفاة الحسن بن الحس بن علي بن أبي طالب" (٢).

ثم تزوجت حفيدة ابن علي، حسن بن علي من حفيد عثمان، مروان بن أبان "وكانت أم القاسم بنت الحسن (المثنى) بن الحسن عند مروان بن أبان بن عثان بن عفان (٣) فولدت له محمد بن مروان" (٤).

هذا وكانت أم حبيبة بنت أبي سفيان سيد بني أمية متزوجة من سيد بني هاشم وسيد ولد آدم رسول الله الصادق الأمين كما هو معروف لا نحتاج إلى إثباته من كتاب.

ثم "هند بنت أبي سفيان كانت متزوجة من الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم فولدت له ابنه محمدا" (٥).

وأيضا "تزوجت لبابة بنت عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب، العباس بن علي بن أبي طالب، ثم خلف عليها الوليد بن عتبة (ابن أخ معاوية) بن أبي =

---

(١) "حياة القلوب" للمجلسي ج٢ ص٥٨٨ باب ٥١

(٢) "مقاتل الطالبين" للأصفهاني ص٢٠٢، "ناسخ التواريخ" ج٦ ص٥٣٤، "نسب قريش" ج٤ ص١١٤، "المعارف" ص٩٣، "طبقات" ج٨ ص٣٤٨

(٣) وهل هناك دليل أصرح وأكبر من هذا بأن عثمان انتقل إلى جوار رحمة ربه وكان أهل البيت راضين عنه

---

(١) الشيعة وأهل البيت، ص/١٤٠

وعن أهل بيته وإلا لم تكن هذه المصاهرات والقرابات والأرحام، فهل من متفكر يتفكر، ومنصف ينصف، ومتدبر يتدبر، أم على قلوب أقفالها؟

(٤) "نسب قريش" ج٢ ص٥٣، "جمهرة أنساب العرب" ج١ ص٨٥، "المحبر" للبغدادي ص٤٣٨

(٥) "الإصابة" ج٣ ص٥٨، ٥٩، "طبقات ابن سعد" ج٥ ص١٥." [1]

"عليه وسلم -: ما كان ليفعل، فلما جاء عثمان قال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: أطفت بالبيت؟ فقال: ما كنت لأطوف بالبيت ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يطف به، ثم ذكر القصة وما فيها" (١).

وهل هناك إطاعة فوق هذه الطاعة بأن شخصا يدخل الحرم ولا يطوف بالبيت لأن سيده ومولاه رسول الله عليه الصلاة والسلام لم يطف به.

وذكر مثل ذلك المجلسي في كتابه "**حياة القلوب**" قال: لما وصل الخبر إلى رسول الله بأن عثمان قتله المشركون. قال الرسول: لا أتحرك من ههنا إلا بعد قتال من قتلوا عثمان فاتكأ بالشجرة، وأخذ البيعة (٢) لعثمان، ثم ذكر القصة بتمامها" (٣).

فهذا هو الإمام الشهيد المظلوم الثالث رضي الله عنه وأرضاه.

مبايعة علي له

وكان علي يرى صحة إمامته وخلافته لاجتماع المهاجرين والأنصار عليه، وكان يعد خلافته من الله رضى، ولم يكن لأحد الخيار أن يرد بيعته بعد ذلك، أو ينكر إمامته حاضرا كان أم غائبا كما قال في إحدى خطاباته ردا على معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما: إنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماما كان لله رضى، فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى" (٤).

---

(١) "كتاب الروضة من الكافي" ج٨ ص٣٢٥، ٣٢٦

(٢) هنالك وآنذاك نزلت الآية {لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم

---

(١) الشيعة وأهل البيت، ص/١٤٢

فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا مبينا} (السورة التح الآية١٨) وأيضا {إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم} (الآية١٠)

(٣) "حياة القلوب" ج٢ ص٤٢٤ ط طهران

(٤) "نهج البلاغة" ص٣٦٨ تحقيق صبحي." (١)

"هذا وإن كان عثمان كافرا فلماذا يمنع علي رضي الله عنه ابن أخيه من تزويج ابنته من ابن عثمان أبان، ولماذا لم تمتنع سكينة بنت الحسن من زواجها من حفيده زيد وغير ذلك، ولماذا سمي علي ابنه باسمه؟.

ويمشي العياشي في غلوائه وبغضه للخلفاء الراشدين، فيخرع الخرافات والأكاذيب والقصص ويقول: فلما قبض نبي الله – صلى الله عليه وسلم – كان الذي كان لما قد قضى من الاختلاف، وعمد عمر فبايع أبا بكر ولم يدفن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعد، فلما رأى ذلك علي عليه السلام ورأى الناس قد بايعوا أبا بكر خشي أن يفتتن الناس ففرغ إلى كتاب الله وأخذ يجمعه في مصحف، فأرسل أبو بكر إليه أن تعال فبايع، فقال علي: لا أخرج حتى أجمع القرآن، فأرسل إليه مرة أخرى فقال: لا أخرج حتى أفرغ، فأرسل إليه الثالثة ابن عم له يقال قنفذ، فقامت فاطمة بنت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عليها تحول بينه وبين علي عليه السلام فضربها فانطلق قنفذ وليس معه علي، فخشي أن يجمع علي الناس فأمر بحطب فجعل حوالي بيته، ثم انطلق عمر بنار فأراد أن يحرق على علي بيته وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم، فلما رأى علي ذلك خرج فبايع كارها غير طائع" (١).

شجاعة علي

وهذا مع قول علي: إني والله لو لقيتهم واحدا وهو طلاع الأرض كلها ما باليت ولا استوحشت" (٢).

وهو الذي يحكون عنه أن أبا وائلة يقول: كنت أماشي فلانا – أي عمر كما صرح باسمه المجلسي في حياة القلوب – إذ سمعت منه همهمة، فقلت له: مه،

---

(١) الشيعة وأهل البيت، ص/١٤٨

(١) "تفسير العياشي" ج٢ ص٣٠٧، ٣٠٨، أيضا "البحار" ج٨ ص٤٧

(٢) "نهج البلاغة" ص٤٥٢ تحقيق صبحي." (١)

"يصل علي عليه" (١).

هذا ومثل هذا لا تعد ولا تحصى، ولا أستطيع حتى وأن أنقلها، ثم وهذا الكلب العقور لا يذكر الصديق والفاروق وذا النورين وحتى أمهات المؤمنين، الصديقة، وحفصة اللاتي هن أمهات لعلي، وسائر المؤمنين من بني هاشم بنص القرآن، لا يذكرهم المجلسي هذا إلا ويذكرهم ويذكرهن موصوفون وموصوفات باللعن، وقل أن يذكرهن خاصة بدون هذه الشتيمة.

وقبل أن ننقل عبارة لتمثيل هذا نسأل جميع من لهم قلوب يفقهون بها من الشيعة، هل يمكن لابن الحلال أن يسب ويشتم أمه، ويلعنها؟

فكيف استطاع أن يلعن أم جميع المؤمنين وأهل البيت أيضا؟

فهل اللاعن علي أم أهل البيت مؤمن ومسلم؟ فعدلا يا عباد الله.

أو منكر ولاية علي بن أبي طالب كافر؟ وهو منكر المعنى الذي يقرها الشيعة.

ومنكر أمه وشاتمها، ولاعنها ومكفرها، ماذا تقولون فيه؟

وإليك قصة بديعة لم يكن أن يختلقها إلا مثل المجلسي الأفاك الكذاب الأثيم بعبارته والترجمة، فيقول:

إن العياشي روى بسند معتبر عن الصادق (ع) أن عائشة وحفصة لعنة الله عليهما وعلى أبويهما – يا رباه! إلى متى هؤلاء يأكلون أجساد الأتقياء البررة، وإلى متى تمهلهم من شديد عذابك، وبطشك؟ – قتلتا رسول الله بالسم دبرتاه" (٢).

هذه خرافة واحدة من الكثيرة الكثيرة التي كتب القوم منها مليئة، ولا يخلوا كتاب من كتبهم إلا وفيه ما ذكرناه من شتم صريح وسب قبيح، وتفسيق

---

(١) "حق اليقين" للمجلسي ص٢٧٣، ٢٧٤ ط طهران إيران

(٢) "حياة القلوب" للمجلسي ج٢ ص٧٠٠ ط جديد طهران." (٢)

---

(١) الشيعة وأهل البيت، ص/١٥٩

(٢) الشيعة وأهل البيت، ص/٢٠٥

"وابن النبي

هذا ولقد رووا رواية باطلة أخرى فيها تصغير لشأن ابن النبي، وتحقيره إياه مقابل حفيده من فاطمة رضي الله عنهم أجمعين وخلاصة ما قالوا إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان جالسا وعلى فخذه الأيسر إبراهيم ولده، وعن يمينه حسين حفيده، وكان يقبل هذا تارة وذاك تارة أخرى، فنظر جبريل وقال: إن ربك أرسلني وسلم عليك، وقال: لا يجتمع هذان في وقت واحد، فاختر أحدهما على الآخر، وافد الثاني عليه، فنظر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى إبراهيم وبكى، ونظر إلى سيد الشهداء – انظر إلى التعبير الرقيق، والموازنة بين ابن علي وابن نبي – وبكى، ثم قال: إن إبراهيم أمه مارية، فإن مات لا يحزن أحد عليه غيري، وأما الحسن فأمه فاطمة وأبوه علي فإنه ابن عمي وبمنزلة روحي، وإنه لحمي ودمي، فإن مات ابنه يحزن وتحزن فاطمة، فخاطب جبريل وقال: يا جبريل! أفديت إبراهيم الحسين، ورضيت بموته كي يبقى الحسين ويحيى" (١).

وبنات النبي

وأهانوا بنات النبي – صلى الله عليه وسلم – الثلاثة حيث نفوا عنهن أبويته، وقالوا: إن النبي لم ينجبهن، بل كن ربيبات، فيذكر حسن الأمين الشيعي:

"ذكر المؤرخون أن للنبي أربع بنات، ولدى التحقيق في النصوص التاريخية لم نجد دليلا على ثبوت بنوة غير الزهراء (ع) منهن، بل الظاهر أن البنات الأخريات كن بنات خديجة من زوجها الأول قبل محمد (– صلى الله عليه وسلم –) " (٢).

وعلي أيضا

هذا وعلي – الإمام المزعوم عند القوم، والمعصوم الأول عندهم – شأنه شأن الآخرين، فلقد أهانوه، وصغروه، واحتقروه، ونسبوه إلى الجبن والذل، واتهموه بالتذلل والمسكنة وقالوا: إن أبا بكر رضي الله عنه لما بويع بالخلافة، وأنكر علي خلافته، وامتنع عن بيعته فقال أبو بكر لقنفذ:

---

(١) "**حياة القلوب**" للمجلسي ص٥٩٣ أيضا "المناقب" لابن شهر آشوب

(٢) "دائرة المعارف الإسلامية الشيعية" ج١ ص٢٧ ط دار المعارف للمطبوعات بيروت." [(١)]

"فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا} وفيم نزلت {ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم} وفيم نزلت {يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا} فأتاه الرجل وقال وددت الذي أمرك بهذا واجهني به فأسأله، ولكنه سله ما العرش ومتى خلق وكيف هو؟ فانصرف الرجل إلى أبي فقال له ما قال، فقال (زين العابدين) وهل أجابك في الآيات، قال لا، قال ولكني أجيبك فيها بنور وعلم غير المدعى والمنتحل، أما الأوليان فنزلتا في أبيه (العباس عم النبي) وأما الآخرة فنزلت في أبي وفينا" (١).

ويذكر الكشي عن زين العابدين أيضا أنه قال لابن العباس: "فأما أنت يا بن عباس ففيمن نزلت هذه الآية {فلبئس المولى ولبئس العشير} في أبي أوفى أبيك، ثم قال: أما والله لولا ما تعلم لأعلمتك عاقبة أمرك ما هو وستعلمه. . . . ولو أذن لي في القول لقلت ما لو سمع عامة هذا الخلق لجحدوه وأنكروه" (٢).

ويروي الملا باقر عن الكليني عن محمد الباقر أنه قال: قال علي رضي الله عنه: "ومن كان بقي من بني هاشم إنما كان جعفر وحمزة، فمضيا وبقي معه رجلان، ضعيفان، ذليلان، حديثا عهد بالإسلام عباس وعقيل" (٣).

هذا ما قالوا في عم النبي، وأما ابنه عبد الله ابن عباس،

---

(١) "رجال الكشي" ص٥٣ تحت ترجمة عبد الله بن عباس

(٢) "رجال الكشي" ص٥٤

(٣) "**حياة القلوب**" للملا باقر المجاسي ص ٧٥٦ ج٢ ط الهند." [(٢)]

"وحكى العطار عن فتح الموصلي أنه كان يبكي كثيرا حتى جرى الدم من عينيه ، فسئل: لماذا هذا البكاء الشديد؟

قال: خوفا من الله (١).

---

(١) الشيعة وأهل البيت، ص/٢٦٨

(٢) الشيعة والسنة، ص/٤٣

ومثل ذلك نقل عنه ابن الملقن أيضا حكاية عن أبي إسماعيل أنه قال:

" دخلت عليه يوما ، وقد مد كفه يبكي ، حتى رأيت الدموع من بين أصحابه تتحدر ، فدنوت منه لأنظر إليه ، فإذا دموعه قد خالطها صفرة ، فقلت: بالله يا فتح ، بكيت الدم؟

فقال: نعم ، ولولا أنك حلفتني بالله ما أخبرتك ، فقلت: على ماذا بكيت الدموع ثم الدم؟
فقال: بكيت الدموع على تخلفي عن واجب حق الله ، وبكيت الدم بعد الدموع حزنا ألا تكون قد صحت لي توبتي (٢).

وقال عماد الدين الأموي:

" حكي أن الحسن البصري أقام ثلاثين سنة لم يضحك ".

وقيل: " إن عطاء السلمي لم يضحك أربعين سنة ، وهذا كان حال سائر عباد البصرة غلبت عليهم المخاوف فكان حالهم الحزن " (٣).

وقد عد المتصوفة الحزن الدائم وعدم الضحك من علائم الخشية والتقوى مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم – وهو أتقى العالمين وأخشاهم لله – كان يضحك ويبستم ، وقد روى عن عبد الله بن الحارث أنه قال:

" ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم " (٤).

---

(١) تذكرة الأولياء للعطار ص ١٥٧.
(٢) طبقات الأولياء لأبن الملقن ص ٢٧٩.
(٣) **حياة القلوب** في كيفية الوصول إلى المحبوب لعماد الدين الأموي ص ١٥ بهامش قوت القلوب لأبي

طالب المكي ط دار صادر بيروت.

(٤) رواه الترمذي.." (١)

"وحكى الكلاباذي عن التستري أنه قال:

" من غمض عن الله طرفة عين فلا يهتدي طول عمره " (١).

وقال الشبلي كما نقل عنه السلمي في طبقاته:

" سهو طرفة عين عن الله لأهل المعرفة شرك بالله " (٢).

وحكى عماد الدين الأموي إبراهيم الخواص أنه كان يتكلم في العلم وحوله جماعة إلى أن طلعت عليه الشمس وحميت حتى وجدت حرها وهو جالس لا يعبأ بها. فلما أشتدت قلت له: يا سيدي ، ما ترى أن تقوم إلى الظل؟

فقال: ويلك ، ما تدلني إلا على الشرك (٣).

وقال الشاذلي:

" لو حجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين " (٤).

وقال إبراهيم المتبولي:

" من رفع بصره إلى شيء بغير نية الاعتبار كتبت عليه خطيئة " (٥).

وأخيرا ننقل من القوم أنهم قالوا:

---

(١) دراسات في التصوف، ص/٥٧

" مبنى التصوف على أخلاق ثمانية من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

السخاء وهو لإبراهيم ، والرضا وهو لإسحاق ، والصبر وهو لأيوب ، الإشارة وهي لزكريا ، والغربة وهي ليحيى ، ولبس الصوف وهو لموسى ، والسياحة وهي لعيسى ، والفقر وهو لمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين " (٦).

فهذه هي دعواهم ، وتلك هي أقاويلهم وأفاعيلهم مبنية على مخالفة الكتاب والسنة

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي ص ٧٨.

(٢) طبقات الصوفية للسلمي ص ٨٣.

(٣) **حياة القلوب** في كيفية الوصول إلى المحبوب لعماد الدين الأسوي.

(٤) الأخلاق المتبولية للشعراني.

(٥) الأخلاق المتبولية للشعراني.

(٦) المصدر السابق.." (١)

"ولا شاهدا للجد ... فيكون متدينا ... بالمراياة

فإن هذه الأوصاف كلها شعب من عبادة النفس (١).

وقال أيضا تحت عنوان الرجاء:

" الرجاء أضعف منازل المريد لأنه معارضة من وجه ، واعتراض من وجه ، وهو وقوع في الرعونة في مذهب هذه الطائفة " (٢).

---

(١) دراسات في التصوف، ص/٧٠

وحكى عماد الدين الأموي وغيره أن داود عليه السلام أوحى إليه الرب تبارك وتعالى أن أود الأولاد إلي عبدني بغير نوال ... ومن أظلم ممن عبدني لجنة أو نار ، لو لم أخلق جنة ولا نارا ألم أكن أهلا لأن أطاع " (٣).

ومن احتقارهم وأزدرائهم بالجنة ما ذكروا عن الصوفي عثمان بن عاشوراء أنه قال:

" خرجت من بغداد أريد الموصل فأنا أسير ، وإذا أنا بالدنيا قد عرضت لي بعزها وجاهها ورفعتها ومراكبها وملابسها ومزيناتها ومشتهياتها فأعرضت عنها ، فعرضت علي الجنة بحورها وقصورها وأنهارها وثمارها فلم أشتغل بها ، فقيل لي: ياعثمان ، لو وقفت مع الأولى لجبناك عن الثانية ، ولو وقفت مع الثانية لحجبناك عنا " (٤).

ومثل نقل عن البسطامي أنه قال:

" الجنة هي الحجاب الأكبر لأن أهل الجنة سكنوا إلى الجنة ، وكل من سكن إلى سواه فهو محجوب " (٥).

وقال الأموي:

" الخواص من الأولياء زهدوا في الحور العين وغيرهم من النعيم للنظر إلى وجه الله تعالى ، ثم أعرضوا عن الحور العين والقصور والإتكاء على الفرش والأرائك واللحوم والفواكه إلى مشاهدة كمال إله الكل " (٦).

وفي هذا المعنى نقل الشعراني عن محمد الحنفي أنه دخل الحمام يوما مع الفقراء ،

---

(١) منازل السائرين للخواجة عبد الله الأنصاري الهروي ص ٦٨ ط إنتشارات مولى نشر أفغانستان ١٣٥٠هـ.

(٢) أيضا ص ٦٠.

(٣) **حياة القلوب** لعماد الدين الأموي ج ٢ ص ٢١٥ بهامش قوت القلوب ، أيضا غيث المواهب العلية.

(٤) غيث المواهب العلية ج ١ ص ١٨٠.

(٥) النور من كلمات أبي طيفور للسهلجي ص ١٦٣.

(٦) **حياة القلوب** للأموي ج ٢ ص ١٢٩.." (١)

"" علامة الإفلاس الاستئناس بالناس " (١)

وهذا كله رغم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره السهروردي أيضا في عوارفه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

" المؤمن بألف ويؤلف ، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف " (٢).

وهل تأتي الألفة بالتنافر والوحدة والعزلة والفرار من الناس أم بالمعاشرة والمخالطة والالتقاء والمصاحبة؟.

هذا وذكر الأموي عن الجنيد أنه قال:

" من أراد أن يسلم له دينه ويستريح بدنه وقلبه فليعتزل الناس ، فإن هذا زمان وحشة " (٣).

ولم يأمر الصوفية معتقديهم بالتنافر والفرار عن عامة الناس فحسب ، بل عن الأقرباء وذوي الرحم أيضا كما أنشد عجيبة الحسني:

أستغن عن كل ذي قرب وذي رحم ... الغني من استغنى عن الناس

وأين يذهب بعد الاعتزال عن الناس والاستغناء عنهم ، يبين ذلك صاحب " الأنوار القدسية " حيث يقول:

" من شأن المريد الصادق محبة العزلة عن الناس ، واستغناؤه الجلوس في البراري والمواضع الخربة حتى يتقوى ويصبر ولا يتدنس بالأغيار " (٤).

---

(١) دراسات في التصوف، ص/٨٣

ويقول: " المريد الصادق يحب الخلوة البعيدة عن مرور الناس كخلاوي السطوح ويجب أن تكون ضيقة حتى لا يصلح له مد رجله فيها ، ويجب أن تكون مظلمة لا يدخلها نور الشمس " (٥).

ولماذا يعتزل؟ يصرح بذلك الدمياطي حيث يقول:

---

(١) جامع الأصول للكمشخانوي ص ١٧٤.

(٢) أنظر عوراف المعارف للسهروردي ص ١١٢.

(٣) حياة القلوب لعماد الدين الأموي بهامش قوت القلوب للمكي ج ٢ ص ٩٣ ط ... دار صادر بيروت.

(٤) الأنوار القدسية للشعراني ج ١ ص ١٤٠.

(٥) أيضا ج ١ ص ١٤١.." [١]

"وبلغت بهم الجرأة والكراهة للحديث وأهلة إلى أن قالوا: إن رجلا استشار معروفا الكرخي في صحبة إمام أهل السنة أحمد بن حنبل فقال له جوابه:

" لا تصحبه ، فإن أحمد صاحب حديث ، وفي الحديث اشتغال بالناس ، فإن صحبته ذهب ما تجد في قلبك من حلاوة الذكر وحب الخلوة (١).

وابن عجيبة الحسني يحذر من مجالسة العلماء والاستماع إليهم بقوله:

" الجلوس معهم اليوم أقبح من سبعين عاميا غافلا وفقيرا جاهلا ، لأنهم لا يعرفون إلا ظاهر الشريعة ، ويرون أن من خالفهم في هذا الظاهر مخطئ أو ضال ، فيجهدون في رد من خالفهم ، يعتقدون أنهم ينصحون وهم يغشون. فليحذر المريد من صحبهم والقرب منهم ما استطاع. فإن توقف في مسألة ولم يجد من يسأل عنها من أهل الباطن فليسأله على حذر ، ويكون معه كالجالس مع العقرب والحية. والله ما رأيت أحدا من الفقراء قرب منهم وصحبهم فأفلح أبدا في طريق الخصوص " (٢).

وهذا مع إدعائهم " علمنا هذا مؤيد بالكتاب والسنة " (٣).

والجدير بالذكر أن المتصوفة كما يخالفون العلم والعلماء وطلب الحديث ، يخالفون كذلك إسناد الحديث

---

(١) دراسات في التصوف، ص/١٠١

الذي ليس هو إلا من قوائمه ، فلا يقوم إلا به ، رغبة في ترويج أباطيلهم وأضاليلهم ، وزيغهم وضلالهم كذبا على نبي الله ، وزورا على رسوله صلوات الله وسلامه عليه كيلا يعرف الحق من الباطل ، والصدق من الكذب ، ويميز الصحيح من السقيم ، وعلى ذلك نرى أن كتب أكثرهم مليئة بالأحاديث الموضوعة والروايات المختلقة المزورة المكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كتب الغزالي فيلسوف الإسلام وفقيه المسلمين ، ولما سئلوا عنها وعن مواردها ورواتها قالوا: روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام أو في اليقظة ، مدعين تصحيحها عن النبي صلى الله عليه وسلم أو

---

(١) انظر ((قوت القلوب)) لأبي طالب المكي ج٢ ص٢٣٦.

(٢) ((ايقاظ الهمم)) لابن عجيبة الحسني ص ٩٧ ط مصطفى البابي الحلبي الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ.

(٣) انظر ((الرسالة القشيرية)) ج١ ص١١٨ ، ((طبقات الأولياء)) لابن الملقن ص١٢٧ ، ((حياة القلوب)) للأموي ص ٢٩٢ ، ((اليواقيت والجواهر)) للشعراني ج٢ ص٩٣ ، ((تنبيه المغتربين)) للشعراني ص٦ ، ((جمهرة الأولياء)) للمنوفي ج٢ ص ١٤٩ ، ((شرح كلمات الصوفية)) لمحمد الغراب ص ٢٠٧.." (١)

"منانة ، كانت ضرابة لها بجميع أنواع الضرب يقول لها:

يا منانة دق الدلوكة ... خادم الله الماك مملوكة " (١).

وقد ذكر الشعراني أيضا صوفية كانوا يضربون آلآت (٢).

والدباغ أيضا ذكر صوفيا طبالا كن يضرب بالطبل ففتح الله عليه فبقي على حالته ولم يرجع عنها (٣).

وكتب الشعراني عن عمر بن الفارض أنه "كانت له جواري يغنين له ، فيقوم ويتواجد ، وكان يتغالى في شرائهن لأجل حسن أصواتهن (٤).

---

(١) دراسات في التصوف، ص/١٣٣

وأتهموا عطاء أنه "كانت له جاريتان يلحنان ، فكان إخوانه يستمعون إليهما " (٥).

وعلى ذلك قال الفيتوري:

" يجوز ضرب البندير (من آلات الغناء) والرقص كذلك إذا كان من تواجد " (٦).

وقال عماد الدين الأموي:

" لا بأس إذا كان في السماع آلة من دف أو شبابة ، ولا بأس بالرقص في السماع " (٧).

ثم ذكروا آدابا لهذا السماع أو الغناء لا تقل عن آداب سماع القرآن ، بل وتفوقها كما يكتب القشيري في رسالته تحت عنوان " ما آداب السماع "؟ فيقول:

القعود بالهيبة عند صحوك إلى أن تصل إلى الخمود والغيبة لمحوك ثم الأناخة بحقوة الخضوع بقلبك ناسيا أو متناسيا لخطاب من ربك ثم استشعار الخجل فيما يرقيك إليه الحق أو يلقيك به من وجود حال أو شهود مقام أو روية وصال أو توهم

---

(١) أيضا ص ٩٣.

(٢) أنظر طبقات الشعراني ج ٢ ص ١٠٠.

(٣) أنظر الإبريز للدباغ ص ٢٣٥ طبعة قديمة مصر.

(٤) الأنوار القدسية للشعراني ج ٢ ص ١٨٦.

(٥) قوت القلوب لأبي طالب المكي ج ٢ ص ٦٢ ، عوارف المعارف للسهروردي ص ١٧٧ ، مكاشفة القلوب للغزالي ص ٢٣٩.

(٦) الوصية الكبرى لعبد السلام الفيتوري ص ١٩ و ٦٨.

(٧) **حياة القلوب** لعماد الدين الأموي ج ٢ ص ١٧٩ بهامش قوت القلوب لأبي طالب المكي.." [١]

---

(١) دراسات في التصوف، ص/١٧١

"يعود " (١).

والبدعة تفضي إلى بدعة ، بل إلى بدع ومستحدثات ، وليس لها نهاية ، كما أن السيئة تفضي وتؤدي إلى سيئة وسيئات أخرى.

فمن ثمار الوجد ولواحقه: الرقص ، فيقول السهروردي:

" ربما صار الرقص عبادة بحسن النية إذا نوى به استجمام النفس " (٢).

ويقول عماد الدين الأموي:

" لا بأس بالرقص في السماع إذا لم يكن فيه تكسر " (٣).

ويكتب الفيتوري:

" يجوز الرقص في السماع إذا كان من تواجد وحالة " (٤).

ويصرح ابن عجيبة الحسني:

" والأصل في الرقص هو الإباحة. . . وقد صح القيام والرقص في مجالس الذكر والسماع عن جماعة من أكابر الأئمة.

وقد تواتر النقل عن الصوفية قديما وحديثا ، شرقا وغربا ، أنهم كانوا يجتمعون لذكر الله ويقولون ويرقصون ، ولم يبلغنا عن أحد من العلماء المعتبرين أنه أنكر عليهم.

وقد رأيت بفاس بزاوية الصقليين جماعة يذكرون ويرقصون من صلاة العصر يوم الجمعة إلى المغرب ، مع

توفر العلماء ، فلم ينكر أحد عليهم " (٥).

وقد أحل الرقص أبو حامد الغزالي أيضا في إحيائه (٦).

وأما أبو الحسن الخرقاني فيعرف ويمدح الرقص بقوله:
" الرقص هو مشاهدة ما تحت الثرى بوقوع القدم على الأرض ، ومشاهدة العرش

---

(١) كتاب اللمع للطوسي ص ٣٥٦ ، ٣٥٧.
(٢) عوارف المعارف للسهروردي ص ١٨٠.
(٣) **حياة القلوب** لعماد الدين الأموي ص ١٧٩ بهامش قوت القلوب.
(٤) الوصية الكبرى للفيتوري ص ١٩.
(٥) الفتوحات الإلهية لابن عجيبة الحسني ص ١٩٢ ، ١٩٣.
(٦) أنظر إحياء علوم الدين للغزالي ج ٢ ص ٢٧٨.." [١]

"وتقطعت في المفازة بك ، والساعة تقول: رأيتك مرة " (١).

وذلك لأنه كان غائبا عن نفسه:

وحكى عن أبي عقال أنه " دخل عليه بعض الفقراء فقال له: سلام عليكم.
فقال له أبو عقال: وعليكم السلام ، فقال الرجل: أنا فلان فقال أبو عقال:
أنت فلان ، كيف أنت؟ وكيف حالك؟ وغاب عن حالته.

قال هذا الرجل ، فقلت له: سلام عليكم.

فقال: وعليكم السلام ، وكأنه لم يرني قط.

---

(١) دراسات في التصوف، ص/١٩٢

ففعلت مثل هذا غير مرة ، فعلمت أن الرجل غائب فتركته ، وخرجت من عنده (٢).

وحكاية أخرى حكاها كل من القشيري وابن الملقن وعماد الدين الأموي ، وتبين حقيقة هذا المصطلح ، فينقلون عن الجنيد أنه:

"كان قاعدا ، وعنده أمرأته ، فدخل عليه الشبلي ، فأرادت أمرأته أن تستتر ، فقال لها الجنيد: لا خبر للشبلي عنك ، فاقعدي.

فلم يزل يكلمه الجنيد ، حتى بكى الشبلي ، فلما أخذ الشبلي في البكاء قال الجنيد لامرأته: أستتري ، فقد أفاق الشبـلي من غيبته (٣).

هذا بالنسبة لغيبة الصوفي عن ذهنه وفكره ووجوده ، وأما غيبته هو عن الخلق ووصوله إلى الله كما يدعون ، فيروي الأموي " أن الحسن رحمه الله أختفى عند حبيب العجمي من الحجاج ، فسعى به ، فدخل عليه الشرط ، فقالوا: أين الحسن؟ قيل لنا إن الحسن عندك فقال: هل ترون شيئا؟

ففتشوا الدار كلها وخرجوا وهم لا يرونه ، لأنه كان عند الله فلم يروه " (٤).

فهذه هي أقاويل المتصوفة في " الغيبة " إحدى مصطلحاتهم.

---

(١) الرسالة القشيرية ج ١ ص ٢٣٤.

(٢) أيضا ص ٢٢١.

(٣) أنظر الرسالة القشيرية ج ١ ص ٢٣٣ ، أيضا طبقات الأولياء لابن الملقن ٢١١ ، أيضا **حياة القلوب**

لعماد الدين الأموي ج ٢ ص ٢٧٣ بهامش قوت القلوب لأبي طالب المكي ط دار صادر بيروت.

(٤) **حياة القلوب** لعماد الدين الأموي ج ٢ ص ٦٩ بهامش قوت القلوب.." (١)

"ومثلها " السكر "كما يقولون: " السكر هو أن يغيب الإنسان عن تمييز الأشياء " (١).

ويقول شهاب الدين يحيى السهروردي المقتول: " السكر سانح قدسي للنفس يؤدي إلى إبطال النظام عن الحركات " (٢).

ويذكره المنوفي الحسيني بقوله:

" السكر غيبة بوارد شهود الخلق " (٣).

ويقول: روزبهان:

" السكر هو كثرة شرب أقداح حسن التجلي " (٤).

ويقول الطوسي: " السكر معناها قريب من معنى الغيبة غير أن السكر أقوى من الغيبة " (٥).

وقريبا من معنى اصطلاح الغيبة والسكر " المحو "كما يقول الكمشخانوي:

" إذا غلب عليه (الصوفي) المحو فلا علم ولا عقل فهم ولا حس كما روى مسندا أن أبا عقال المغربي أقام بمكة أربع سنين ولم يأكل ولم يشرب إلى أن مات ، وكان يسلم عليه خاص أصحابه فلم يعرفه نفسه ، ثم يغيب عنه الشيخ حتى لو عاوده بالكلام لم يعرفه الشيخ ، ومنهم من يعود إلى حال أداء الفرض فقط " (٦).

ومثل ذلك ذكروا عن أبي عبد الله التروغندي أنه " ما كان يفيق إلا في أوقات الصلاة ، يصلي الفريضة ثم يعود إلى حالته ، فلم كذلك إلى أن مات " (٧).

---

(١) دراسات في التصوف، ص/٣٠٢

ومنها " الصولة ": وهي أن لا يرى أحد إلا الله (٨).

---

(١) التعرف إلأى مذهب اهل التصوف للكلاباذي ص ١٣٨.

(٢) كلمة التصوف للسهروردي ضمن رسالة أز شيخ إشراق فصل في شرح بعض مصطلحات الصوفية ص ١٢٥ ط مؤسسة انتشارات إسلامي لاهور باكستان.

(٣) جمهرة الأولياء لأبي الفيض المنوفي الحسيني ج ١ ص ٣٠٤.

(٤) شرح الحجب والأستار لروزبهان ص ١٩.

(٥) كتاب اللمع للطوسي ص ٤١٦.

(٦) جامع الأصول في الأولياء للكمشخانوي ص ١٢٦.

(٧) الرسالة القشيرية ج ١ ص ٣٢١.

(٨) **حياة القلوب** لعماد الدين الأموي ج ٢ ص ٢٧٤.." (١)

"ويقول نجم الدين الكبري:

" تتجلى سبحات وجهه الكريم ويجري على لسان السيار (الصوفي) بحكم الاضطرار: سبحاني سبحاني ما أعظم شأني " (١).

لماذا هذا التستر وراء كلمة " التجلي " ولم يصرحون ويقولون " تحل " وما التجلي غير الحلول باختلاف لفظي والمعنى واحد.

ونقل عن البسطامي أيضا الهجويري يرى أنه كان يوما في الصومعة ، فجاءه رجل وقال:

هل أبو يزيد في البيت؟

فقال: هل في البيت إلا الله (٢).

---

(١) دراسات في التصوف، ص/٣٠٣

ونقلوا عنه أنه قال:

" ما في الجبة غير الله " (٣).

وذكر الوزير لسان الدين عنه أيضا أنه قال:

" قال لي الحق: يا أبا يزيد ، كل هؤلاء خلقي إلا أنت ، أنت أنا ، وأنا أنت " (٤).

وقال أيضا: " رفعني مرة فأقامني بين يديه وقال لي: يا أبا يزيد ، إن خلقي يحبون أن يروك.

فقلت: زيني بوحدانيتك ، وألبسني أنانيتك ، وأرفعني إلى أحديتك حتى إذا رآني خلقك قالوا: رأيناك ، فتكون أنت ذاك ، ولا أكون أنا هنا " (٥).

فهذا النص صريح في معناه ، جلي في محتواه ، يدل على اتحاد اللاهوت بالناسوت ، فالعجب ممن يؤولون مثل هذه النصوص بتأويلات سخيفة لتبرئة ساحة المتصوفة ويسمونها شطحات ويقولون: " لاعبرة بها لأن حكم أصحابها المغمي عليهم " (٦).

مع أن هذه العبارات ومثلها تقضي خروج أصحابها عن الدين ، وأنها ضلال عن قصد السبيل ، ونتيجة للاشتغال بالفلسفات الاشراقية وغيرها وإلا فلم لم تصدر

---

(١) فوائح الجمال لنجم الدين الكبري ص ٥٥.

(٢) كشف المحجوب للهجويري ص ٤٩٩.

(٣) أنظر جمهرة الأولياء ع للمنوفي الحسيني ص ٢٣٤.

(٤) روضة التعريف بالحب الشريف للوزير لسان الدين بن الخطيب ص ٣٥٣.

(٥) أنظر كتاب اللمع للطوسي ص ٤٦١.

(٦) أنظر **حياة القلوب** لعماد الدين الأموي ج ٢ص ٣٧٣ بهامش قوت القلوب.." (١)

"وطارحني غنج اللحاظ معانيا

أغار عليها أن تلم بمسمعي

فكررت طرفي في الوجود بأسره

فلم أر فيه غير معناك مقنعي

وطالعت في سر الهوى فإذا التي

أطوف عليها في معالمها معي " (١).

ويذكر في موضع آخر من كتابه قاعدة من قواعد الحب ثم يستدل عليها من حكايات غزلية عشقية ، فيقول:

" سئل سري السقطي: هل يجد المحب طعم الألم؟

فقال: لا ، قيل: وإن ضرب بالسيف؟

قال: وإن ضرب بالسيف سبعين ضربة على ضربه.

وحكى أن بعض الشطار ضرب مائة سوطا فما تألم بذلك ، ثم ضرب بعد ذلك سوطا واحدا فتألم وصاح ، فسئل عن ذلك فقال: العين التي كنت أضرب من أجلها كانت معي ناظرة إلي فلم أجد للضرب ألما ، فلما غابت عني رجعت إلى جسمي فوجد الألم.

وكذلك أيضا حكي أن بشر بن الحارث قال: رأيت شخصا ببغداد قد ضرب ألف سوط ولم يتكلم ، فلما حمل إلى السجن تبعته فسألته عن سكوته ، فقال: معشوقي الذي كنت أضرب من أجله كان حذائي ينظر إلي ، قلت: فلو نظرت إلى المعشوق الأكبر؟

---

(١) دراسات في التصوف، ص/٣١٠

قال: فزعق زعقة وخر ميتا " (٢).

وكذلك عماد الدين الأموي يبين أصلا من أصول المحبة ثم يدعمها بحكاية غزلية ، فيقول:

" وأصل حال المحب أن يقطع تشوقه عن كل شيء سوى محبوبه ، فمن نظر إلى سواء فهو محجوب من مولاه.

يحكى أن بعض الناس رأى امرأة جميلة فاشتغل قلبه بها فقال لها: كلي بك مشغول ، فقالت: إن كان كلك بكلي مشغول ، فكلي لك مبذول ، لكن لي أخت لو رأيت حسنها وجمالها لم تذكرني ، فقال: أين هي؟

فقالت: وراءك ، فالتفت وراءه فلطمته لطمة وقالت: يا كذاب ، لو كنت صادقا فيما قلت لم يلتفت إلى غيري " (٣).

---

(١) مشارق ص ٣٧.

(٢) نفس المصدر ص ٧٥.

(٣) **حياة القلوب** لعماد الدين الأموي ج ٢ ص ١١٩.." (١)

"٧١. الحلاج لطه عبد الباقي سرور. ط دار نهضة مصر القاهرة.

٧٢. **حياة القلوب** في كيفية الوصول إلأى المحجوب بهامش قوت القلوب. ط دار صادر بيروت.

٧٣. الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد للسيوطي مخطوط.

٧٤. ختم الولاية للحكيم الترمذي. ط المطبعة الكاثوليكية بيروت.

٧٥. خزينة الأصفياء (أردو) لمفتي غلام سرور. ط باكستان.

٧٦. خزينة معرفت (أردو) للصوفي محمد إبراهيم قصوري. ط باكستان.

٧٧. درر الغواص على فتاوى سيدي علي الخواص لعبد الوهاب الشعراني. بهامش الإبريز للدباغ. ط مصر.

---

(١) دراسات في التصوف، ص/٣٢٤

٧٨. الدرر الثمين والمورد المعين لمحمد بن أحمد المالكي. ط مصطفى البابي الحلبي ١٩٥٤م.

٧٩. الدرر السنية في الطريقة التيجانية لمحمد سعد الرباطابي. ط مكتبة القاهرة.

٨٠. دلائل الخيرات ط مصطفى البابي الحلبي ١٣٤٦هـ.

٨١. ديوان ابن عربي. ط مكتبة محمد ركابي الرشيدي القاهرة.

٨٢. ديوان ابن الفارض. ط مكتبة القاهرة ١٣٩٩هـ.

٨٣. ديوان البرعي. ط مصطفى البابي الحلبي القاهرة.

٨٤. ديوان البويصيري لشرف الدين بوصيري. ط مصطفى البابي الحلبي مصر.

٨٥. ديوان الحلاج الطبعة الثانية بغداد ١٤٠٤ هـ.

٨٦. ديوان منصور حلاج (فارسي) انتشارات كتابخانه سنائي طهران.

٨٧. ديوان فريد الدين عطار نيشابوري (فارسي) ط كتابخانه سنائي طهران

٨٨. ذخائر الأعلاق لابن عربي. ط مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة.

٨٩. راحة القلوب ملفوظات فريد الدين كنج شكر (أردو) ط باكستان.

٩٠. الرسالة القشيرية لعبد الكريم القشيري. ط دار الكتب الحديثة القاهرة ١٩٧٤م.

٩١. رسالة النصوص لمحمد بن إسحاق القونوي. ط ... مشهد إيران.." (١)

"هذا القبيل، ويدل على هذا قوله عليه السلام في حديث طلحة إن أخذتم بما فيه نجوتم من النار ودخلتم الجنة فإن فيه حجتنا وبيان حقنا وفرض طاعتنا" (١).

ومحدثهم الكبير ولعانهم الذي لا يوجد له نظير، يكتب في كتابه (**حياة القلوب**) شاتما، سابا أصحاب رسول الله وخاصة الصديق والفاروق، تحت عنوان (بيان حجة الوداع) أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أعلن:

"إن علي بن أبي طالب وليي، ووصيي، وخليفتي من بعدي، ولكن أصحابه عملوا عمل قوم موسى، فاتبعوا عجل هذه الأمة وسامريها أعني أبا بكر وعمر – أستغفر الله من نقل هذه الخرافة والخبث الذي يتدفق من القوم ويظهر ما في باطنهم – (إلى أن قال) فغضب المنافقون خلافته، خلافة رسول الله من خليفته، وتجاوزوا إلى خليفة الله أي الكتاب الذي أنزله فحرفوه، وغيروه، وعملوا به ما أرادوه" (٢).

---

(١) دراسات في التصوف، ص/٣٣٤

ومثل في كتابه هذا وفي كتبه الأخرى أيضا أمثلة عديدة للتغيير الذي حصل، والتحريف الذي وقع، مستندا إلى أحاديث وروايات من أئمته ومعصوميه" (٣).

ولقد نقل هذا المجلسي أيضا في كتابه عن (تفسير كازر (٤) السورة التي أخرجها عثمان بن عفان – رضي الله عنه – من القرآن، وخاصة من مصحف عبد الله بن مسعود حسب زعمه الباطل. ونصها:

"يا أيها الذين آمنوا بالنبي وبالولي الذي بعثناهما يهديانكم إلى صراط مستقيم، نبي وولي بعضهما من بعض وأنا العليم الخبير، إن الذين يوفون بعهد

---

(١) "الصافي في تفسير القرآن" للفيض الكاشاني ص٣٤،٣٣ ط إيران

(٢) "**حياة القلوب**" للمجلسي ج٢ ص٥٤١ وما بعد

(٣) انظر لذلك "**حياة القلوب**" تحت عنوان "الآيات التي أنزلت في الإمامة" ج٣ ص١٢٥ وما بعد

(٤) قد ذكر هذا التفسير الطهراني في كتابه "الذريعة" ج٤ ص٣٠٩." (١)

"الباب الخامس

الشيعة الإثنا عشرية وعقائدهم

الفصل الأول

الرجعة

من الأفكار اليهودية المدسوسة بين المسلمين والتي تولى كبر إثمها ابن اليهودية. البار بها عبد الله بن سبأ .. فكرة الرجعة، أي رجوع الأموات قبل البعث والنشور عند ظهور القائم الشيعي المعدوم المزعوم، من أئمتهم وأتباعهم، مع أعدائهم ومخالفيهم لينتقموا منهم ويشفوا صدورهم كما ذكر المجلسي خاتمة محدثي الشيعة:

ويرجع للدنيا يوم ظهور حضرة القائم عليه السلام من محض الإيمان محضا أو محض الكفر محضا، فيرجع أعداؤه لينتم منهم في هذا العالم ويشاهدون من ظهور كلمة الحق وعلو كلمة أهل البيت ما أنكروه عليهم، فتكون رجعة الكفار لينالهم عقاب شديد" (١).

وهذا الاعتقاد كاد أن يكون من المجمع عليه عند الشيعة، لا خلاف بينهم في ذلك، ولم يشذ فيه أحد

---

(١) الشيعة والقرآن، ١٠٤/١

ممن يعتد به ويعتمد على قوله كما ذكر الحر العاملي مستدلا على صحة الرجعة وإمكانها ,ووقوعها. بإجماع جميع الشيعة الإمامية وإطباق الشيعة الاثنى عشرية على صحة اعتقاد الرجعة فلا يظهر منهم مخالف يعتد به من العلماء السابقين ولا اللاحقين، وقد علم دخول المعصوم في هذا الإجماع بورود الأحاديث الواردة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – وعن الأئمة عليهم السلام، الدالة على اعتقادهم بصحة

(١) **حياة القلوب** للمجلس ج٣ فصل ٣٥ ص٣٠٣ نقلا عن (عقيدة الشيعة) لدونالدس ط عربي." (١)

"ويثبت وعنده أم الكتاب }(٦) فالمحو والإثبات بالنسبة لما في علم الملك ، وما في أم الكتاب هو الذي في علم الله– تعالى– فلا محو فيه ألبته).

فحمل الزيادة على الحقيقة أمر يقبله العقل ، ويؤيده النقل ، لما في هذا القول من وجاهة ، واحتمال للصواب ، وذلك بالتفريق بين علم الله الأزلي ، وما هو معروف عند الملك الموكل بالأجل والرزق وما إلى غير ذلك.

وهذا التفسير اختاره الغماري(١) واقتصر عليه فقال (٢) : (للمسلم عمران ؛ عمر محدد عند الله لا يعلم غيره ، وعمر مردد بين الزيادة والنقص عند ملك الموت ، يقال له : عمر فلان سبعون سنة إن تصدق أو بر والديه ، وخمسون سنة إن لم يفعل ذلك ، وهذا هو المراد في الحديث).

٢– الزيادة المجازية ، أي إن هذه الزيادة كناية عن البركة في العمر بسبب التوفيق إلى الطاعة وعمارة وقته بما ينفعه في الآخرة(٣) ، وفي " نوادر الأصول "(٤) : " إن العبد إذا عمر بالإيمان **وبحياة القلب** فذلك كثير وإن قل مدته ، لأن القصر من العمر إذا احتشى من الإيمان أربى على الكثير لأن المتبقي من العمر العبودية لله– تعالى– ، كي يصير عند الله وجيها".

أو السعة والزيادة في الرزق وعافية البدن ، وقد قيل : " الفقر هو الموت الأكبر"(٥) وانفرد ابن فورك بتفسير للزيادة فقال (٦) : " إن معنى الزيادة في العمر: نفي الآفات عنهم والزيادة في أفهامهم وعقولهم وبصائرهم .." (٢)

(١) الرد على الدكتور عبد الواحد وافي في كتابه بين الشيعة وأهل السنة، ص/١٤٣

(٢) التعارض في الحديث، ص/٥

" الحديث بكسر ففتح جمع حكمة أي حكمة وكلاما نافعا في المواعظ وذم الدنيا والتحذير من غرورها ونحو ذلك انتهى

قوله (هذا حديث حسن صحيح) وأخرجه أبو داود وبن ماجه والبخاري في الأدب المفرد

٤٠ -

(باب ما جاء في إنشاد الشعر)

قال في القاموس أنشد الشعر قرأه وأنشد بهم هجاهم

قوله (يضع لحسان منبرا في المسجد) أي يأمر بوضعه وحسان هو بن ثابت أنصاري خزرجي شاعر رسول الله صلى الله عليه و سلم وهو من فحول الشعراء أجمعت العرب على أن أشعر أهل المدر حسان بن ثابت (يقوم عليه قائما) أي قياما

ففي المفصل قد يرد المصدر على وزن اسم الفاعل نحو قمت قائما (يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه و سلم) أي لأجله وعن قبله (أو) شك من الراوي (ينافح) بنون ثم فاء فحاء مهملة أي يدافع عنه صلى الله عليه و سلم ويخاصم المشركين ويهجوهم مجازاة لهم (يؤيد حسان بروح القدس) بضم الدال ويسكن أي بجبريل سمى به لأنه كان يأتي الأنبياء بما فيه **حياة القلوب** فهو كالمبدأ **لحياة القلب** كما أن الروح مبدأ حياة الجسد

والقدس صفة للروح وإنما أضيف إليه لأنه مجبول على الطهارة والنزاهة عن العيوب وقيل القدس بمعنى المقدس وهو الله فإضافة الروح إليه للتشريف ثم تأييده إمداده له بالجواب وإلهامه لما هو الحق والصواب (ما يفاخر أو ينافح عن رسول الله صلى الله عليه و سلم) أي ما دام مشتغلا بتأييد دين الله وتقوية رسول الله صلى الله عليه و سلم ." (١)

"في هذا الحديث دلالة صريحة على أهمية العلم الشرعي وعظيم أثره، حيث جعل النبي صلى الله عليه وسلم صاحبه كالأرض التي قبلت الماء وأنبتت الكلأ والعشب، ومن هنا سنقف من أهمية طلب العلم وفضائله وما ينبغي لطالب العلم أن يتحلى به ليكون كالأرض المذكورة، فينفع نفسه وأسرته ومجتمعه، ملخصا له من رسالة: قواعد منهجية في طلب العلم.

أهمية طلب العلم:

---

(١) تحفة الأحوذي، ٨/١١١

الحديث عن العلم والتعلم حديث تحبه النفوس المؤمنة، وترغبه الأنفس الطموحة، وتهواه العقول النيرة، فديننا الإسلامي دين العلم والمعرفة، دين النظر والتفكر، دين البحث والإنتاج، فالدين كله مبني على العلم، فلا يعبد العبد ربه على بصيرة إلا بالعلم، ولا تستقيم الأمة على المنهاج الصحيح إلا بالعلم، ولا تسير الدعوات الإصلاحية سيرا سليما إلا بالعلم، وبالعلم تنتشر الرحمات، وتزال الضلالات.

والعلم **حياة القلوب**، ونور البصائر، وشفاء الصدور، ودليل الحائرين، والحاجة إليه أعظم من الحاجة إلى الطعام والشراب.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه مبينا فضل العلم: كفى بالعلم شرفا أن يدعيه من لا يحسنه، ويفرح به إذا نسب إليه، وكفى بالجهل ذما أن يتبرأ منه من هو فيه.

بعض فضائل طلب العلم :

إن العلم ميراث الأنبياء، والعلماء ورثة الأنبياء،كما صح بذلك الخبر عن سيد البشر (١).

---

(١) فعن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «... وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر» وبداية الحديث: «من سلك طريقا يلتمس فيه علما».." (١)

"العلم: إنه لا يخفى على كل عاقل أن العلم ضروري لكل فرد من أفراد المجتمع، فالعلم غاية كبرى وهدف أسمى يسعى إليه الموفقون المجدون في هذه الحياة، والعلم **حياة القلوب**، وشفاء الصدور، ونور البصائر، ودليل الحائرين، وهو الميزان الذي توزن به الأقوال والأفعال والأحوال، وهو الهادي إلى الهدى والرشد، والمنقذ من الضلال والهلاك، والحاجة إليه أعظم من الحاجة إلى الطعام والشراب. كيف لا؟ وهو ميراث النبوة، والذي ورثه محمد صلى الله عليه وسلم، فالأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر، والعلماء ورثة الأنبياء. ومن هنا كان للعلم مكانة لا يوازيها شيء. وهذا العلم: هو العلم الشرعي: العلم بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، العلم بتوحيده ومعرفة أحكام حلاله وحرامه. فلا بد للداعية أن ينهل من معين العلم.

وتتضح أهميته في الشريعة بأن أول سورة نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم تدل على العلم حيث قال

---

(١) مثل ما بعثني الله، ص/٢٤

تعالى: { اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم } [سورة العلق: ١-٥].

ففي هذه الآيات الكريمة بيان أن أول أمر أمر الله نبيه بعد تشريفه بالوحي والنبوة هو القراءة والعلم والعمل.

وكما نبه في موضع آخر أن العالم والجاهل لا يستويان، فقال تعالى: { قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون } [سورة الزمر: ٩].

وبين أن العالم أرفع درجة عند الله من الجاهل، فقال تعالى: { يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات } [سورة المجادلة: ١١].." (١)

""""""""" صفحة رقم ٥٣٠ """""""

باب : اللبن

/ ١٥ - فيه : ابن عمر ، قال النبى (صلى الله عليه وسلم) : (بينا أنا نائم ، أتيت بقدح لبن فشربت منه حتى إنى لأرى الرى يخرج من أظفارى ، ثم أعطيت فضلى عمر بن الخطاب) ، قالوا : فما أولته يا رسول الله ؟ قال : (العلم) . قال المهلب : رؤية اللبن فى النوم تدل على السنة والفطرة والعلم والقرآن ؛ لأنه أول شيء ناله المولود من طعام الدنيا ، وهو الذى يفتق معاه ، وبه تقوم حياته كما تقوم بالعلم **حياة القلوب** ، فهو يشاكل العلم من هذه الناحية . وقد يدل على الحياة ؛ لأنها كانت به فى الصغر ، وقد يدل على الثواب ؛ لأنه من نعيم الجنة إذا رئى نهر من لبن ، وقد يدل على المال الحلال ، وإنما أوله عليه السلام فى عمر بالعلم والله أعلم ؛ لعلمه بصحة فطرته ودينه ، والعلم زيادة فى الفطرة على اصل معلوم .

باب : القميص فى المنام

/ ١٦ - قال أبو سعيد : قال النبي (صلى الله عليه وسلم) : (بينما أنا نائم ، رأيت الناس يعرضون على ، وعليهم قمص ، منها ما يبلغ الثدي ، ومنها ما يبلغ دون ذلك ، ومر على عمر بن الخطاب ، وعليه قميص يجره) ، قالوا : ما أولته يا رسول الله ؟ قال : (الدين) . وترجم له : باب جر القميص فى المنام . قال المهلب : أصل عبارته عليه السلام للقميص بالعلم فى كتاب الله فى قوله تعالى : (وثيابك فطهر) يريد صلاح العمل." (٢)

---

(١) مثل ما بعثني الله، ص/٤٩

(٢) شرح صحيح البخارى . لابن بطال، ٥٣٠/٩

"""""""" صفحة رقم ٥٣١ """""""

وتطهير الأحوال التى كانت أهل الجاهلية تستبيحها ، هذا قول ابن عباس ، والعرب تقول : فلان نقى الثوب إذا كان صالحا فى دينه . وفيه دليل على أن الرؤيا لاتخرج كلها على نص مارؤيت عليه ، وإنما تخرج على ضرب الأمثال ، فضرب المثل على الدين بالقميص ، وعلى الإيمان والعلم باللبن من أجل اشتراك ذلك فى المعانى ، وذلك أن القميص يستر العورات كما يستر الدين الأعمال التى كان الناس فى حال الكفر يأتونها ، وفى حال الجهل يقترفونها . وقد تقدم أن اللبن حياة الأجسام كما بالعلم **حياة القلوب** ، هذا وجه اشتباه المعانى فى هذه الأمثال التى لها ضربت ؛ لأن المثل يقتضى المماثلة ، فإذا كان مثل لا مماثلة فيه لم يصح التعبير به . فإن قيل : فإذا كان التعبير يقتضى المماثلة فما وجه كون جر القميص فى النوم حسنأط ، وجره فى اليقظة منهى عنه وهو من الخيلاء ؟ قال المهلب : فالجواب أن القميص فى الدنيا ستر وزينة كما سماه الله ، وأنه فى الآخرة لباس لاتقوى . فلما كان فى الدنيا زينة حرم منها ماكان مخرجا إلى الخيلاء والكبرياء الذى لايجمل بمخلوق مربوب ضعيف الخلقة سفيه الشهوة . فالكبر مع هذه الحال لا يجمل به ولا يصح له لا ضراره إلى مدبر يديره ورازق يرزقه ، و دافع يدفع عنه ما لا امتناع له منه ، ويحميه من الآفات ، فوجب أن تكون تلك الزينة فى الدنيا مقرونة بدليل الذلة وعلامة العبودية ، هذا معنى وجوب تقصيرها فى الدنيا . ولما خلصت فى الآخرة من أن يقترن بها كبر أو يخطر منه خارط على قلب بشر ، حصلت لباس التقوى كما سماها الله فحسن فيها." (١)

".

وقيل: هي **حياة القلب** مع الله.

وقيل: نسيان غير الله، وقد دل على فضلها ومدحها الكتاب والسنة، قال الله تعالى: وما قدروا الله حق قدره[الأنعام: ٩١] أي: ما عرفوا حق معرفته، وقال: وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين[المائدة: ٨٣].

وجاء في الحديث عن عائشة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «إن دعامة البيت أساسه، ودعامته الدين المعرفة بالله تعالى».

وقد تكلم المشايخ الصوفية فيها، فكل منهم نطق بما وقع له منها، وأشار إلى ما وجده منها في وقته.

---

(١) شرح صحيح البخارى ـ لابن بطال، ٥٣١/٩

قال الأستاذ أبو علي الدقاق: من أمارة المعرفة بالله حصول الهيبة من الله تعالى فمن ازدادت معرفته ازدادت هيبته منه، ومن ازدادت هيبته استقامت حالته، وعظمت بين الخليقة حرمته.

وقال الشبلي(١): ليس للعارف بالله علاقة أي: حظ في غير مولاه.

وقال بعضهم: من عرف الله انقطع بل خرس وانقمع.

وقال آخر: من كان بالله اعرف كان له أخوف.

وقال بعضهم: من عرف الله تبرم بالبقاء أي: كره البقاء، وضاقت عليه الدنيا بسعتها.

قال بعضهم: للعارف أمارة وهي: قلبه إذا نظر فيها تجلي فيها مولاه.

---

(١) الشبلي هو: دلف بن جحدر الشبلي : ناسك، كان في مبدأ أمره واليا في دنباوند من نواحي رستاق الري، وولي الحجابة للموفق العباسي، وكان أبوه حاجب الحجاب، ثم ترك الولاية وعكف على العبادة، فاشتهر بالصلاح، وله شعر جيد، ومتفرقات في آداب السلوك تناقلها الناس، سلك به مسالك المتصوفة، مولده سنة: ٢٤٧هـ، وأصله من خراسان، ونسبته إلى قرية شبلة من قرى ما وراء النهر،، ووفاته ببغداد سنة: ٣٣٤هـ، واختلف في اسمه ونسبه، فقيل: دلف بن جعفر، وقيل: جحدر بن دلف، وقيل: دلف ابن جعترة، وقيل: دلف بن جعونة وقيل: جعفر ابن يونس.." (١)

"وقال يحيى بن معاذ: العلماء أرحم بأمه محمد من آبائهم وأمهاتهم، قيل: وكيف ذلك؟ قال: لأن آبائهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا، وهم يحفظونهم من نار الآخرة (١).

قال حجة الإسلام الغزالي(٢): وقال معاذ بن جبل ورأيته أيضا مرفوعا: «تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقه، وبذله لأهله قربة، لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار سبيل الجنة، والأنس في الوحشة، وهو الأنس في الوحدة، والصاحب في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والوزير عند الأخلاء، والقريب عند الغرباء، ومنار سبيل الجنة، يرفع الله تعالى به أقواما فيجعلهم في الخير قادة، وهداة يقتدى بهم، وأدلة في الخيرات تقتفى آثارهم، وترفق أفعالهم، ترغب الملائكة خلتهم، وبأجنحتها تمسحهم، ويستغفر لهم كل رطب ويابس، وحيتان البحر وهوامه، وسباع البر وأنعامه، لأن العلم حياة القلوب من الجهل، ومصابيح الأبصار من الظلم، يبلغ العبد

---

(١) شرح صحيح البخاري لشمس الدين السفيري، ١١/٢٤

بالعلم منازل الأخيار، والدرجات العلى في الدنيا والآخرة، التفكر فيه يعدل الصيام، ومدارسته تعدل القيام، به توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال من الحرام، وهو إمام، والعمل تابعه يلهمه السعداء، ويحرمه الأشقياء» (٣).

والنوع الثاني: وهو الذي ينفع الناس ولا ينتفع، نوع كالأرض التي تمسك الماء فقط للناس، ينتفعوا به وهي لا تنتفع نفسها، فلا تنبت الكلأ، مذموم قبيح، فإنه يقبح بالعالم أن ينفع الناس بعلمه فيعملوا به وهو لا ينتفع به ولا يعمل به، بل ينبغي أن يكون فعله موافقا لقوله، فإذا مر بشيء عمل به، وإذا نهى عن شيء انتهى عنه قبل غيره.

وقد دلت الأخبار من الكتاب والسنة على ذم من علم الناس ولم يعمل بعلمه.

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين (١/١١).

(٢) انظر: إحياء علوم الدين (١/١١).

(٣) أخرجه الديلمي في الفردوس (٢/٤١، رقم ٢٢٣٧) عن معاذ.." [١]

"الدنيا وبه تقوم حياته كما تقوم بالعلم **حياة القلوب** فهو يناسب العلم من هذه الجهة وقد يدل على الحياة لأنها كانت في الصغر وقد يدل على الثواب لأنه من نعيم الجنة إذ روى نهر من اللبن وقد يدل على المال والحلال قال وإنما أوله النبي بالعلم في عمر رضي الله عنه لصحة فطرته ودينه والعلم زيادة في الفطرة فإن قلت رؤيا الأنبياء عليهم السلام حق فهل كان هذا الشراب وما يتعلق به واقعا حقيقة أو هو على سبيل التخيل قلت واقع حقيقة ولا محذور فيه إذ هو ممكن والله على كل شيء قدير

بيان البيان فيه الاستعارة الأصلية وهي قوله إني لأري الري لأن الري لا يرى ولكنه شبه بالجسم وأوقع عليه الفعل ثم أضيف إليه ما هو من خواص الجسم وهو كونه مرئيا

ومما يستفاد منه فضيلة عمر رضي الله عنه وجواز تعبير الرؤيا ورعاية المناسبة بين التعبير وما له التعبير." (٢)

---

(١) شرح صحيح البخاري لشمس الدين السفيري، ٥/٣٤

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٣/١٠١

"لأمنكم قال المفسرون ذكرهم الله بما أنعم به عليهم من إلقائه النعاس عليهم أمانا من خوفهم الذي حصل لهم من كثرة عدوهم وقلة عددهم وقال أبو طلحة كنت ممن أصابه النعاس يوم أحد ولقد سقط السيف من يدي مرارا ولقد نظرت إليهم يمتدون وهم تحت الجحف وقال سفيان الثوري عن أبي عاصم عن أبي رزين عن عبد الله بن عباس أنه قال النعاس في القتال أمنة من الله وفي الصلاة وسوسة من الشيطان وقال قتادة النعاس في الرأس والنوم في القلب وقال سهل بن عبد الله هو يحل في الرأس مع **حياة القلب** والنوم يحل في القلب بعد نزوله من الرأس قوله وينزل عليكم إلى قوله الأقدام وعن ابن عباس نزل المسلمون يوم بدر على كثيب أعفر سوخ فيه الأقدام وحوافر الدواب وسبقهم المشركون إلى ماء بدر وغلبوهم عليه وأصبح المسلمون بعضهم محدثين وبعضهم

". (١)

"٦٧٣٨ - قوله (محمد بن عبادة)

بفتح المهملة وتخفيف الموحدة ، واسم جده البختري بفتح الموحدة وسكون المعجمة وفتح المثناة من فوق ، ثقة واسطي يكنى أبا جعفر ما له في البخاري إلا هذا الحديث وآخر تقدم في "كتاب الأدب " وهو من الطبقة الرابعة من شيوخ البخاري ، و " يزيد " شيخه هو ابن هارون ،

قوله (حدثنا سليم بن حيان وأثنى عليه)

أما سليم فبفتح المهملة وزن عظيم وأبوه بمهملة ثم تحتانية ثقيلة والقائل " وأثنى عليه " هو محمد وفاعل أثنى هو يزيد .

قوله (قال حدثنا أو سمعت)

القائل ذلك سعيد بن ميناء والشاك هو سليم بن حيان ، شك في أي الصيغتين قالها شيخه سعيد ، ويجوز في جابر أن يقرأ بالنصب وبالرفع والنصب أولى .

قوله (جاءت ملائكة)

لم أقف على أسمائهم ولا أسماء بعضهم ، ولكن في رواية سعيد بن أبي هلال المعلقة عقب هذا عند الترمذي أن الذي حضر في هذه القصة جبريل وميكائيل ، ولفظه " خرج علينا رسول الله صلى الله عليه

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٢٠٣/٢٥

وسلم يوما فقال : إني رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي وميكائيل عند رجلي " فيحتمل أنه كان مع كل منهما غيره . واقتصر في هذه الرواية على من باشر الكلام منهم ابتداء وجوابا ، ووقع في حديث ابن مسعود عند الترمذي وحسنه وصححه ابن خزيمة : أن النبي صلى الله عليه وسلم توسد فخذه فرقد ، وكان إذا نام نفخ ؛ قال فبينا أنا قاعد إذ أنا برجال عليهم ثياب بيض ، الله أعلم بما بهم من الجمال ، فجلست طائفة منهم عند رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وطائفة منهم عند رجليه .

قوله (إن لصاحبكم هذا مثلا قال فاضربوا له مثلا)

كذا للأكثر وسقط لفظ " قال " من رواية أبي ذر .

قوله (فقال بعضهم إنه نائم إلى قوله يقظان)

قال الرامهرمزي هذا تمثيل يراد به **حياة القلب** وصحة خواطره ، يقال رجل يقظ إذا كان ذكي القلب ؛ وفي حديث ابن مسعود فقالوا بينهم : ما رأينا عبدا قط أوتي مثل ما أوتي هذا النبي ، إن عينيه تنامان وقلبه يقظان ، اضربوا له مثلا ، وفي رواية سعيد بن أبي هلال ، . فقال أحدهما لصاحبه اضرب له مثلا ، فقال " اسمع سمع أذنك واعقل عقل قلبك إنما مثلك " ونحوه في حديث ربيعة الجرشي عند الطبراني زاد أحمد في حديث ابن مسعود فقالوا اضربوا له مثلا ونؤول أو نضرب وأولوا ، وفيه ليعقل قلبك .

قوله (مثله كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مأدبة)

في حديث ابن مسعود " مثل سيد بنى قصرا " وفي رواية أحمد " بنيانا حصينا ثم جعل مأدبة فدعا الناس إلى طعامه وشرابه ، فمن أجابه أكل من طعامه وشرب من شرابه ومن لم يجبه عاقبه – أو قال – عذبه " وفي رواية أحمد " عذب عذابا شديدا " والمأدبة بسكون الهمزة وضم الدال بعدها موحدة وحكي الفتح ، وقال ابن التين : عن أبي عبد الملك الضم والفتح لغتان فصيحتان ، وقال الرامهرمزي نحوه في حديث " القرآن مأدبة الله " قال : وقال لي أبو موسى الحامض : من قاله بالضم أراد الوليمة ، ومن قاله بالفتح أراد أدب الله الذي أدب به عباده . قلت : فعلى هذا يتعين الضم .

قوله (وبعث داعيا)

في رواية سعيد " ثم بعث رسولا يدعو الناس إلى طعامه فمنهم من أجاب الرسول ومنهم من تركه " .

قوله (فقال بعضهم أولوها له يفقهها)

قيل يؤخذ منه حجة لأهل التعبير أن التعبير إذا وقع في المنام اعتمد عليه " قال ابن بطال : قوله " أولوها

له " يدل على أن الرؤيا على ما عبرت في النوم " انتهى . وفيه نظر لاحتمال الاختصاص بهذه القصة لكون الرائي النبي صلى الله عليه وسلم والمرئي الملائكة ، فلا يطرد ذلك في حق غيرهم .

قوله (فقال بعضهم إنه نائم)

هكذا وقع ثالث مرة .

قوله (فقالوا الدار الجنة)

أي الممثل بها زاد في رواية سعيد بن أبي هلال " فالله هو الملك والدار الإسلام والبيت الجنة وأنت يا محمد رسول الله " وفي حديث ابن مسعود عند أحمد " أما السيد فهو رب العالمين ، وأما البنيان فهو الإسلام والطعام الجنة ومحمد الداعي " فمن اتبعه كان في الجنة .

قوله (فمن أطاع محمدا فقد أطاع الله)

أي لأنه رسول صاحب المأدبة فمن أجابه ودخل في دعوته أكل من المأدبة ، وهو كناية عن دخول الجنة ووقع بيان ذلك في رواية سعيد ولفظه " وأنت يا محمد رسول الله فمن أجابك دخل الإسلام ، ومن دخل الإسلام دخل الجنة ، ومن دخل الجنة أكل ما فيها "

قوله (ومحمد فرق بين الناس)

كذا لأبي ذر بتشديد الراء فعلا ماضيا ، ولغيره بسكون الراء والتنوين وكلاهما متجه ، قال الكرماني : ليس المقصود من هذا التمثيل تشبيه المفرد بالمفرد ، بل تشبيه المركب بالمركب ، مع قطع النظر عن مطابقة المفردات من الطرفين انتهى ، وقد وقع في غير هذه الطريق ما يدل على المطابقة المذكورة ، زاد في حديث ابن مسعود " فلما استيقظ قال : سمعت ما قال هؤلاء ، هل تدري من هم ؟ . قلت : الله ورسوله أعلم ، قال هم الملائكة ، والمثل الذي ضربوا الرحمن بنى الجنة ودعا إليها عباده " الحديث .

(تنبيه)

تقدم في "كتاب المناقب " من وجه آخر عن سليم بن حيان بهذا الإسناد " قال النبي صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل الأنبياء كرجل بنى دارا فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة " الحديث ، وهو حديث آخر وتمثيل آخر ، فالحديث الذي في المناقب يتعلق بالنبوة وكونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، وهذا يتعلق بالدعاء إلى الإسلام وبأحوال من أجاب أو امتنع ، وقد وهم من خلطهما كأبي نعيم في " المستخرج " فإنه لما ضاق عليه مخرج حديث الباب ولم يجده مرويا عنده أورد حديث اللبنة ظنا منه أنهما حديث واحد

وليس كذلك لما بينته ، وسلم الإسماعيلي من ذلك فإنه لما لم يجده في مروياته أورده من روايته عن الفربري بالإجازة عن البخاري بسنده ، وقد روى يزيد بن هارون بهذا السند حديث اللبنة أخرجه أبو الشيخ في " كتاب الأمثال " من طريق أحمد ابن سنان الواسطي عنه ، وساق بهذا السند حديث " مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد نارا " الحديث ، لكنه عن أبي هريرة لا عن جابر وقد ذكر الرامهرمزي ، حديث الباب في " كتاب الأمثال " معلقا فقال : وروى يزيد ابن هارون فساق السند ولم يوصل سنده بيزيد وأورد معناه من مرسل الضحاك بن مزاحم .

قوله (تابعه قتيبة عن ليث)

يعني ابن سعد

(عن خالد)

يعني ابن يزيد وهو أبو عبد الرحيم المصري أحد الثقات .

قوله (عن سعيد بن أبي هلال عن جابر قال خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم)

هكذا اقتصر على هذا القدر من الحديث وظاهره أن بقية الحديث مثله ، وقد بينت ما بينهما من الاختلاف ، وقد وصله الترمذي عن قتيبة بهذا السند ووصله أيضا الإسماعيلي عن الحسن بن سفيان ، وأبو نعيم من طريق أبي العباس السراج ، كلاهما عن قتيبة ونسب السراج في روايته الليث وشيخه كما ذكرته ، قال الترمذي بعد تخريجه : هذا حديث مرسل ، سعيد بن أبي هلال لم يدرك جابر بن عبد الله . قلت : وفائدة إيراد البخاري له رفع التوهم عمن يظن أن طريق سعيد بن ميناء موقوفة ، لأنه لم يصرح برفع ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأتى بهذه الطريق لتصريحها ؛ ثم قال الترمذي وجاء من غير وجه عن النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد أصح من هذا . قال وفي الباب عن ابن مسعود ، ثم ساقه بسنده إلى ابن مسعود وصححه ، وقد بينت ما فيه أيضا بحمد الله تعالى . ووصف الترمذي له بأنه مرسل : يريد أنه منقطع بين سعيد وجابر ، وقد اعتضد هذا المنقطع بحديث ربيعة الجرشي عند الطبراني فإنه بنحو سياقه وسنده جيد ، وسعيد بن أبي هلال غير سعيد بن ميناء الذي في السند الأول ، وكل منهما مدني لكن ابن ميناء تابعي بخلاف ابن أبي هلال ، والجمع بينهما إما بتعدد المرئي وهو واضح أو بأنه منام واحد حفظ فيه بعض الرواة ما لم يحفظ غيره ، وتقدم طريق الجمع بين اقتصاره على جبريل وميكائيل في حديث وذكره الملائكة بصيغة الجمع في الجانبين الدال على الكثرة في آخر ، وظاهر رواية سعيد بن أبي هلال أن الرؤيا كانت في

بيت النبي صلى الله عليه وسلم لقوله " خرج علينا فقال إني رأيت في المنام " وفي حديث ابن مسعود أن ذلك كان بعد أن خرج إلى الجن فقرأ عليهم ، ثم أغفى عند الصبح فجاءوا إليه حينئذ ، ويجمع بأن الرؤيا كانت على ما وصف ابن مسعود ، فلما رجع إلى منزله خرج على أصحابه فقصها ، وما عدا ذلك فليس بينهما منافاة إذ وصف الملائكة برجال حسان ، يشير إلى أنهم تشكلوا بصورة الرجال ، وقد أخرج أحمد والبزار والطبراني من طريق علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس نحو أول حديث سعيد بن أبي هلال لكن لم يسم الملكين ، وساق المثل على غير سياق من تقدم قال : إن مثل هذا ومثل أمته ، كمثل قوم سفر انتهوا إلى رأس مفازة فلم يكن معهم من الزاد ما يقطعون به المفازة ولا ما يرجعون به ، فبينما هم كذلك إذ أتاهم رجل فقال أرأيتم إن وردت بكم رياضا معشبة وحياضا رواء ، أتتبعونني ؟ قالوا : نعم ؛ فانطلق بهم فأوردهم ، فأكلوا وشربوا وسمنوا ، فقال لهم إن بين أيديكم رياضا هي أعشب من هذه ، وحياضا أروى من هذه فاتبعوني ، فقالت طائفة صدق والله لنتبعنه ، وقالت طائفة قد رضينا بهذا نقيم عليه " وهذا إن كان محفوظا قوي الحمل على التعدد إما للمنام وإما لضرب المثل ، ولكن علي بن زيد ضعيف من قبل حفظه . قال ابن العربي في حديث ابن مسعود : إن المقصود " المأدبة " وهو ما يؤكل ويشرب ففيه رد على الصوفية الذين يقولون لا مطلوب في الجنة إلا الوصال ، والحق أن لا وصال لنا إلا بانقضاء الشهوات الجثمانية والنفسانية والمحسوسة والمعقولة وجماع ذلك كله في الجنة انتهى ، وليس ما ادعاه من الرد بواضح ، قال وفيه من أجاب الدعوة أكرم ومن لم يجبها أهين ، وهو خلاف قولهم من دعوناه فلم يجبنا فله الفضل علينا فإن أجابنا فلنا الفضل عليه . فإنه مقبول في النظر ، وأما حكم العبد مع المولى فهو كما تضمنه هذا الحديث .." (١)

" ١٤٥٢ - (اللهم رب) أي يا رب (جبريل) قال الحراني : اسم عبودية لأن إيل اسم الله في الملأ الأعلى وهو يد بسط لروح الله في القلوب بما يحييها الله من روح أمره إرجاعا إليه في هذه الدار قبل إرجاع روح الحياة بيد القبض من عزرائيل [ص ١٠٢] (وميكائيل) اسم عبودية أيضا وهو يد بسط للأرزاق المقيمة للأجسام (وإسرافيل) وهو بسط يد للأرواح التي بها الحياة قال الجزولي في شرح الرسالة : إنه إنما سمي إسرافيل لكثرة أجنحته وميكائيل لأنه موكل بالمطر والنبات يكيله ويزنه (ومحمد) الذي هو روح الأرواح (نعوذ) أي نعتصم (بك من النار) أي من عذابها فوجه تخصيص الأملاك الثلاثة أنها

---

(١) فتح الباري لابن حجر، ٣٣٣/٢٠

أشرف الملائكة وأنها الموكلة بالحياة وعليها مدار نظام هذا الوجود فجبريل موكل بالوحي الذي هو **حياة القلوب** وميكائيل بالقطر والنبات الذي هو حياة الأرض والحيوان وإسرافيل بالنفخ في الصور الذي هو سبب حياة العالم وعود الأرواح إلى الأشباح فالتوسل إليه سبحانه بربوبية هذه الأرواح الموكلة بالحياة له تاثير كبير في حصول المطلوب وهذا كما ترى أدق من قول البعض خص هؤلاء لكمال اختصاصهم واصطفائهم وكونهم أفضل الملائكة والأول والأخير أفضل من الثاني وفي التفضيل بينهما أقوال : ثالثها الوقف

(طب ك) في المناقب وكذا ابن السني في عمل اليوم والليلة (عن والد أبي المليح) واسمه عامر بن أسامة قال : صليت مع رسول الله صلى الله عليه و سلم ركعتي الفجر فسمعته يقول : اللهم . . . إلخ ثلاثا . قال الهيثمي : وفيه من لم أعرفه اه وبه يعرف أن رمز المصنف لصحته غير صواب ." (١)

" ٢٢٧٣ - (إن روح القدس) أي الروح المقدسة وهو جبريل عليه السلام سمي به لأنه يأتي بما فيه **حياة القلب** فإنه المتولي لإنزال الكتب الإلهية التي بها تحيا الأرواح الربانية والقلوب الجسمانية فهو كالمبدأ **لحياة القلب** كما أن الروح مبدأ لحياة الجسد وأضيف إلى القدس لأنه مجبول على الطهارة والنزاهة من العيوب وخص بذلك وإن كانت جميع الملائكة كذلك لأن روحانيته أتم وأكمل ذكره الإمام الرازي قال وإطلاق الروح عليه مجاز لأن الروح هو المتردد في مخارق الإنسان ومنافذه وجبريل عليه السلام لا كذلك فتسميته بالروح على منهج التشبيه من حيث أن الروح كما أنه سبب لحياة الإنسان فجبريل سبب **لحياة القلوب** بالعلوم والمعارف وقال الحرالي : الروح لمحة من لمحات الله وأمر الله قيومته في كليته خلقا وملكوتا فما هو قوام الخلق كله هو الإله الحق وما هو قوام صوره من جملة الخلق هو الروح الذي هو لمحة من ذلك الأمر ولقيام عالم الملكوت وخصوصا حملة العرش بعالم الملكوت وخصوصا أمر الدين الباقي سماهم الله روحا ومن أخصهم روح القدس والقدس الطهارة العلمية الدائمة التي لا يلحقها نجس ظاهر ولا رجس باطن (نفث) بفاء ومثلثة تفل بغير ريق (في روعي) بضم الراء أي ألقى الوحي في خلدي وبالي أو في نفسي أو قلبي أو عقلي من غير أن أسمعه ولا أراه والنفث ما يلقيه الله إلى نبيه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إلهاما كشفيا بمشاهدة عين اليقين أما الروع بفتح فهو الفزع لا دخل له هنا (إن نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها) الذي كتبه لها الملك وهي في بطن أمها فلا وجه للوله والتعب والحرص والنصب

(١) فيض القدير، ٢/١٠١

إلا عن شك في الوعد (وتستوعب رزقها) كذلك فإنه سبحانه وتعالى قسم الرزق وقدره لكل أحد بحسب إرادته لا يتقدم ولا يتأخر ولا يزيد ولا ينقص بحسب علمه القديم الأزلي ولهذا سئل حكيم عن الرزق فقال إن قسم فلا تعجل وإن لم يقسم فلا تتعب (فاتقوا الله) أي ثقوا بضمانه لكنه أمرنا تعبدا بطلبه من حله فلهذا قال (وأجملوا في الطلب) بأن تطلبوه بالطرق الجميلة المحللة بغير كد ولا حرص ولا تهافت على الحرام والشبهات (ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق) أي حصوله (أن يطلبه بمعصية الله (١) فإن الله تعالى لا ينال عنده) من الرزق [ص ٤٥١] وغيره (إلا بطاعته) قال الطيبي رحمه الله : والاستبطاء يعني الإبطاء والسير للمبالغة وفيه أن الرزق مقدر مقسوم لا بد من وصوله إلى العبد (٢) لكنه إذا سعى وطلب على وجه مشروع وصف بأنه حلال وإذا طلب بوجه غير مشروع فهو حرام فقوله ما عنده إشارة إلى أن الرزق كله من عند الله الحلال والحرام وقوله أن يطلبه بمعصية إشارة إلى ما عند الله إذا طلب بمعصية سمي حراما وقوله إلا بطاعته إشارة إلى أن ما عند الله إذا طلب بطاعته مدح وسمي حلالا وفيه دليل ظاهر لأهل السنة أن الحرام يسمى رزقا والكل من عند الله تعالى خلافا للمعتزلة روي أنه لما نزل قوله سبحانه وتعالى { وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون } قالت الملائكة هلكت بنو آدم أغضبوا الرب حتى أقسم لهم على أرزاقهم قال الرافعي رحمه الله : واحتج به الشافعي رضي الله عنه على أن من الوحي ما يتلى قرآنا ومنه غيره كما هنا وله نظائر انتهى ثم إن النفث المذكور هو أحد أنواع الوحي فإنه ستة أنواع أحدها كان يأتيه كصلصلة الجرس وهو أشد جاءه مرة وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فثقل على زيد حتى كاد يرض فخذه الثاني يتمثل له الملك رجلا فيكلمه الثالث النومية الرابع الإلقاء في القلب الخامس يأتيه جبريل عليه السلام في صورته الأصلية له ست مئة جناح تسد الأفق السادس يكلمه الله تعالى كما كلمه ليلة الإسراء وهو أسمى درجاته [1] جعلهم نفخ الروح في الروع من أقسام الوحي يؤذن باختصاصه بالأنبياء لكن صرح العارف ابن عربي رضي الله عنه بأنه يقع للأولياء أيضا وعبارته العلوم ثلاث مراتب علم العقل وهو كل علم يحصل ضرورة أو عقب نظر في دليل بشرط العثور على وجه ذلك الدليل الثاني علم الأحوال ولا سبيل له إلا بالرزق فلا يمكن عاقل وجدانه ولا إقامة دليل معرفة كالعلم بحلاوة العسل ومرارة الصبر ولذة الجماع والوجد والشوق فهذه علوم لا يعلمها إلا من يتصف

---

(١) تنبيه

بها ويذوقها الثالث علم الأسرار وهو فوق طور العقل وهو علم نفث روح القدس في الروع ويختص به النبي والولي وهو نوعان والعالم به يعلم العلوم كلها ويستغرقها وليس أصحاب تلك العلوم كذلك انتهى

(حل عن أبي أمامة) الباهلي ورواه عنه أيضا الطبراني ورواه ابن أبي الدنيا والحاكم عن ابن مسعود ورواه البيهقي في المدخل وقال منقطع

---

(١) أي على طلبه بمعصيته فلا يطلبوه بها وإن أبطأ عليكم وهذا وارد مورد الحث على الطاعة والتنفير من المعصية فليس مفهومه مرادا

(٢) فائدة : ذكر المقريزي أن بعض الثقات أخبره أنه سار في بلاد الصعيد على حائط العجوز ومعه رفقة فاقتلع أحدهما منها لبنة فإذا هي كبيرة جدا فسقطت فانفلقت عن حبة فول في غاية الكبر وكسروها فوجدوها سالمة من السوس كأنها كما حصدت فأكل كل منهم قطعة فكانت ادخرت لها من زمن فرعون فإن حائط العجوز بنيت عقب غرقه فلن تموت نفس حتى تستوفي رزقها ." [١]

" ٣٥٩٥ - (جعلت لي كل أرض طيبة) بالتشديد من الطيب الطاهر أي نظيفة غير خبيثة (مسجدا وطهورا) قال الزين العراقي : أراد بالطيبة الطاهرة وبالطهور المطهر لغيره فلو كان معنى طهورا طاهرا لزم تحصيل الحاصل وفيه أن الأصل في الأشياء الطهارة وإن غلب ظن النجاسة وأن الصلاة بالمسجد لا تجب وإن أمكن بسهولة وكان جارا بالمسجد وخبر لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد لم يثبت وبفرضه المراد لا صلاة كاملة وهذا الخبر وما بعده قد احتجت به الحنفية على جواز التيمم بسائر ما على وجه الأرض ولو غير تراب وأخذ منه بعض المجتهدين أنه يصح التيمم بنية الطهارة المجردة لأنه لو لم يكن طهارة لم تجز الصلاة به وخالف الشافعي ورد ذلك بأنه مجاز لتبادر غيره والأحكام تناط باسم الحقيقة دون المجاز وبأنه لا يلزم من نفي الطهارة الحقيقية نفي المجازية . [٢]قال القاضي : قد جاء فعول في كلام العرب لمعان مختلفة منها المصدر وهو قليل كالقبول والولوغ ومنها الفاعل كالصفوح والشكور وفيه مبالغة ليست في الفاعل ومنها المفعول كالركوب والحلوب ومنها ما يفعل به كالوضوء والغسول والفطور ومنها الإسمية كالذنوب وقد حمل الشافعي { وأنزلنا من السماء ماء طهورا } على المعنى الرابع لقوله {

---

(١) فيض القدير، ٤٥٠/٢

(٢) تنبيه

ليطهركم به } ولقوله في هذا الخبر جعلت إلى آخره وهو ههنا بمعنى المصدر . (تتمة) قال في الاختيار : إنما جعلت الأرض له مسجدا بوفور الحظ البارز على جميع الرسل منه تعالى ولأمته من حظه ما برزوا به على جميع الأمم حتى أقبل الله عليهم فإقباله عليهم طهرت بقاع الأرض حيثما انتصبوا فإذا كبروا رفعت الحجب ودخلوا في ستره وطهرت البقاع لهم حيثما وقفوا وإنما جعلت طهورا فإنهم إذا لم يجدوا الماء الذي جعله الله طهورا للخلق تطهروا بالصعيد فجعل ما تحت أقدامهم طهورا لهم عند فقد ما فوق رؤوسهم من الماء المذكور في قوله { وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به } وهو ماء الحياة الراكد تحت العرش خلقه الله حياة لكل شيء فمنه **حياة القلوب** ومنه حياة الأرواح

(حم والضياء) المقدسي (عن أنس) بن مالك ورواه عنه أيضا ابن المنذر وابن الجارود قال ابن حجر : وإسناده صحيح ." (١)

" ٤٥٠١ - (الرؤيا ستة : المرأة خير والبعير حرب) وفي رواية حزن (واللبن فطرة) أي يدل على السنة والعلم والقرآن لأنه أول شيء يناله المولود من طعام الدنيا وهو الذي يقوته ويفتق أمعاءه وبه تقوم حياته كما يقوم بالعلم **حياة القلوب** وقد يدل على الحياة لأنها كانت به في الصغر وقال ابن الدقاق : اللبن يدل على ظهور الإسلام والعلم والتوحيد وهذا في اللبن الحليب : أما الرايب فهم . والمخيض أشد غلبة منه ولبن ما لا يؤكل حرام وديون وأمراض ومخاوف على قدر جوهر الحيوان وقال بعضهم : أراد باللبن هنا لبن الإبل والبقر والغنم ولبن الوحش شك في الدين ولبن السباع غير محمود لكن لبن اللبؤة مال مع عداوة . وقال بعضهم : لبن اللبؤة يدل على الظفر بالعدو ولبن الكلب يدل على الخوف ولبن السنور والثعلب يدل على مرض ولبن النمر يدل على عداوة (والخضرة جنة والسفينة نجاة والتمر رزق) يعني أن هذه الأشياء إذا رؤيت في النوم تؤول بما ذكر

(٢) قال ابن بطال : بعض الرؤيات لا يحتاج إلى تفسير وما فسر في النوم فهو تفسيره في اليقظة وفيه أن أصل التعبير من الأنبياء وأنه توقيف لكن الوارد عنهم وإن كان أصلا فلا يعم جميع المرائي فلا بد للحاذق في هذا الفن أن يستدل بحسب نظره فيرد ما لم ينص عليه إلى حكم التمثيل ويحكم له بحكم التشبيه الصحيح فيجعل أصلا يلحق به غيره كما يفعل الفقيه في الفروع الفقهية وقال المسيحي الفيلسوف

---

(١) فيض القدير، ٣٤٩/٣

(٢) تنبيه

: لكل علم أصول لا تتغير وأقيسة مطردة لا تضطرب إلا تعبير الرؤيا فإنها تختلف باختلاف أحوال الناس وهيئاتهم وصناعتهم ومراتبهم ومقاصدهم ومللهم ونحلهم وعاداتهم وينبغي كون المعبر مطلعا على جميع العلوم عارفا بالأديان والملل والنحل والمراسم والعادات بين الأمم عارفا بالأمثال والنوادر ومأخذ اشتقاق الألفاظ فطنا ذكيا حسن الاستنباط خبيرا بعلم الفراسة وكيفية الاستدلال من الهيئات الخلقية على الصفات حافظا للأمور التي تختلف باختلاف تعبير الرؤيا فمن أمثلة التعبير بحسب الاشتقاق أن رجلا رأى أنه يأكل سفرجلا فقال له المعبر : تسافر سفرا عظيما لأن أول جزء السفرجل سفر ورأى آخر أن رجلا أعطاه غصن سوسن فقال : يصيبك من المعطي سوء سنة لأن السوء يدل على الشدة والسنة اسم للعام التام لكن التعبير بحسب الاشتقاق للألفاظ العربية إنما هو للعرب وغيرهم إنما ينظر إلى اللفظ في لغتهم

(ع في معجمه) والديلمي من طريقه (عن رجل من الصحابة) من أهل الشام قال : كنا جلوسا عند ابن عبد العزيز فجاء رجل من أهل الشام فقال : يا أمير المؤمنين ههنا رجل رأى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقام عمر وقمنا معه فقال : أنت رأيت رسول الله قال : نعم قال : سمعته يقول فذكره ." [١]

" ٤٨٤٥ - (السلام تحية لملتنا) أي سبب لبقائها ودوام ملكها **وحياة القلوب** فيها وبقاء الألفة بين أهل الإسلام بإفشاء السلام وبذل السلامة من بعضهم لبعض على الدوام (وأمان لذمتنا) أي يشعر بأمانك لمن سلمت عليه ووفاء بعهد الإسلام وضمانه الذي عاهدت عليه وهو سلامة من يده ولسانه فكأن المسلم جدد العهد فيجب ألا يخفر لذمته بعد السلام [٢] قال ابن دقيق العيد : فيظهر أن التحية بغير لفظ السلام من باب ترك المستحب لا مكروه إلا إن قصد به العدول عن السلام إلى ما هو أظهر في التعظيم من أجل أكابر أهل الدنيا وكان تحية من قبلنا السجود لمن يلقونه فحرم علينا السجود لغير الله وأعطينا مكانه السلام فهو من خصوصياتنا على ما اقتضاه هذا الخبر قال في شرح رسالة ابن أبي زيد : كان للناس في جاهليتهم ألفاظ يتلاقون بها ويتراحبون بها التماسا منهم للبقاء على أحسن الحالات والبعد عن الآفات سيما في حق من لم يتمكن من أسباب الدنيا فلا يشتهي إلا دعوة تقتضي بقاءه على حاله أو كلمة يسمعها يتفاءل بها لذلك كقول بعضهم عم صباحا عم مساء ابق ببقاء الليالي فقال المصطفى صلى الله عليه و سلم : " السلام تحية لملتنا " يعني به [ص ١٥١] أن الملتمس من كلمات مرت هو البقاء على صفة

---

(١) فيض القدير، ٤/٤٩

(٢) تنبيه

محبوبة مشتهاة عند الأنام وأفضل من ذلك كله الاتصاف بالسلامة المبعدة عن الظلامة ولذلك سمى الله به الجنة بقوله : { والله يدعو إلى دار السلام } وقال الإمام الرازي : عادة العرب قبل الإسلام إذا لقي بعضهم بعضا أن يقولوا حياك الله واشتقاقه من الحياة كأنه يدعو له بالحياة فلما جاء الإسلام أبدل الله ذلك بالسلام وقال الراغب : أصل التحية الدعاء بطول الحياة ثم استعملت في كل دعاء وكانت العرب إذا لقي بعضهم بعضا يقول حياك الله ثم استعملها الشرع في السلام قالوا : في السلام مزية على التحية لأنه دعاء بالسلامة من الآفات الدينية والدنيوية وهي مستلزمة بطول الحياة وليس في الدعاء بطولها ذلك

(القضاعي) في مسند الشهاب (عن أنس) ظاهر صنيع المصنف أنه لم يره لأشهر من القضاعي وهو عجب فقد خرجه الطبراني والديلمي باللفظ المزبور عن أبي أمامة ." (١)

" ٧٤٣٩ - (لو تعلمون ما أعلم) من الأحوال والأهوال مما يؤول إليه حالكم (لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا) حث [ص ٣١٧] وتحريض على البكاء وترك الضحك فإن البكاء ثمرة حياة القلب (يظهر النفاق وترتفع الأمانة وتقبض الرحمة ويتهم الأمين ويؤتمن غير الأمين أناخ بكم الشرف) بالفاء وقيل بالقاف (الجون الفتن كأمثال الليل المظلم) شبه الفتن في اتصالها وامتداد أوقاتها بالنوق المسنمة السود كذا روي بسكون الواو وهو جمع قليل في جمع فاعل وروي الشرق بالقاف يعني الفتن التي تأتي من جهة المشرق والجود من الألوان يقع على الأسود والأبيض والمراد هنا الأسود بقرينة التشبيه بالليل

(ك) في الأهوال (عن أبي هريرة) قال الحاكم : صحيح وأقره الذهبي ." (٢)

" ٨١٩٢ - (مفتاح الجنة الصلاة) أي مبيح دخولها الصلاة لأن أبواب الجنة مغلقة فلا يفتحها إلا الطاعة والصلاة أعظمها [ص ٥٢٧] فيه استعارة وذلك أن الحدث لما منع من الصلاة شبه بالغلق المانع من الدخول والطهور لما رفع الحدث وكان سبب الإقدام على الصلاة شبه بالمفتاح (ومفتاح الصلاة) أي مجوز الدخول فيها (الطهور) بضم الطاء وجوز الرافعي فتحها لأن الفعل لا يمكن بدون آلته . وقال الولي العراقي : ضبطناه في أصلنا بالفتح وهو الماء على الأشهر واشتهر على الألسنة بالضم والمراد به الفعل . قال : والأول أظهر لأن الماء مفتاح واستعماله فتح قال الطيبي : جعلت الصلاة مقدمة لدخول الجنة كما جعل الوضوء مقدمة للصلاة فكما لا تمكن الصلاة بدون وضوء لا يتهيأ دخول الجنة بدون صلاة . قال

---

(١) فيض القدير، ٤/١٥٠

(٢) فيض القدير، ٥/٣١٦

بعضهم : فيه دليل لمن كفر تارك الصلاة اه . وقال غيره : فيه اشتراط الطهارة بصحة الصلاة لدلالة حصر المبتدأ في الخبر على انحصار مفتاح الصلاة في الطهور فدل على أنها مغلقة ممنوع منها لا يفتح غلقها ويزيل المنع منها إلا الطهور وفيه استعمال المجاز في الكلام فإن مفتاح الصلاة مجاز عما يفتحها من غلقها فالحدث كالفعل موضوع على المحدث كالقفل حتى إذا توضأ انحل قال ابن العربي : وهذه استعارة بديعة

[(١)] قد جعل الله لكل مطلوب مفتاحا يفتح به فجعل مفتاح الصلاة الطهور ومفتاح الحج الإحرام ومفتاح البر الصدقة ومفتاح الجنة التوحيد ومفتاح العلم حسن السؤال والإصغاء ومفتاح الظفر الصبر ومفتاح المزيد الشكر ومفتاح الولاية والمحبة الذكر ومفتاح الفلاح التقوى ومفتاح التوفيق الرغبة والرهبة ومفتاح الإجابة الدعاء ومفتاح الرغبة في الآخرة الزهد في الدنيا ومفتاح الإيمان التفكر في مصنوعات الله ومفتاح الدخول على الله استسلام القلب والإخلاص له في الحب والبغض ومفتاح **حياة القلوب** تدبر القرآن والضراعة بالأسحار وترك الذنوب ومفتاح حصول الرحمة الإحسان في عبادة الحق والسعي في نفع الخلق ومفتاح الرزق السعي مع الاستغفار ومفتاح العز الطاعة ومفتاح الاستعداد للآخرة قصر الأمل ومفتاح كل خير الرغبة في الآخرة ومفتاح كل شر حب الدنيا وطول الأمل . وهذا باب واسع من أنفع أبواب العلم وهو معرفة مفاتيح الخير والشر ولا يقف عليه إلا الموفقون

(حم هب عن جابر) بن عبد الله رمز المصنف لحسنه ." (٢)

" ٩٦٧٩ - (الوضوء مما خرج) من أحد السبيلين عند المالكية والشافعية ولو رأس إبرة ودودة وعادة وريحا من قبل وقال الحنابلة بعمومه فأوجبوا الوضوء بخروج النجاسة من غيرهما إذا فحش (وليس مما دخل) تمامه عند الطبراني والصوم مما دخل وليس مما خرج وفي رواية الدارقطني يدخل ويخرج بصيغة المضارع

[(٣)] قال السهرودي كالحكيم الترمذي : حكمة وجوب الوضوء أن الشيطان قد وجد سبيلا إلى جوف ابن آدم كما أشار إليه الخبر المار وهو أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم في الجسد فأمر آدم

---

(١) تنبيه

(٢) فيض القدير، ٥/٥٢٦

(٣) تنبيه

ووله بالوضوء لمجرى الشيطان ونجاسته فأمر بغسل أطرافه وهي خمسة الجناحان والرأس والقدمان فجعل الله الماء طهورا من آفاته الظاهرة وهي ما يخرج من الأذى من بول أو غائط ورائحتها ومعدته في مجمع الطعام وموضع الروث مجلسه وهو ينفخ فيه فإذا خرج الصوت هيج عليك الضحك فإذا ضحك أحد منك سخر الشيطان ولذلك جعل بعض الأئمة الضحك في الصلاة حدثا فجعل الله الماء طهورا للمؤمن من آفاته الظاهرة والباطنة فالظاهرة لتطهير جوارحه من تلك الأقذار والباطنة ليرد عليه ما ذهب من **حياة القلب** بطهارته

(هق) من رواية إدريس الخولاني عن الفضل بن المختار عن ابن أبي ذؤيب عن شعبة مولى ابن عباس (عن ابن عباس) ثم قال عقبه أعني البيهقي : هذا لا يثبت اه قال الذهبي في المهذب : وشعبة ضعفوه والفضل واه وصوابه موقوف اه وقال ابن الجوزي : حديث لا يصح وقال ابن عدي : لعل البلاء فيه من الفضل بن المختار وقال ابن حجر : فيه الفضل بن المختار وهو ضعيف جدا وشعبة مولى ابن عباس وهو ضعيف ورواه الطبراني من حديث أبي أمامة وسنده أضعف من الأول اه وقال الغرياني في حاشية مختصر الدارقطني : فيه الفضل بن المختار مجهول يحدث عن ابن أبي ذؤيب بالأباطيل ." (١)

"١٤٤- قوله : (وعن جابر قال : جاءت ملائكة) أي جماعة منهم ، وهذه حكاية سمعها جابر عن النبي {صلى الله عليه وسلم} فحكاها فحديث جابر هذا مرفوع لما في رواية الترمذي عن جابر قال : ((خرج علينا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يوما فقال. إني رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي ، وميكائيل عند رجلي...)) الخ. لا يستشكل اقتصاره على ذكر اثنين من الملائكة جبريل وميكائيل في رواية الترمذي هذه ؛ لأنه يحتمل أنه كان مع كل منهما غيره ، واقتصر في رواية الترمذي على من باشر الكلام منهم ابتداء وجوابا. (إن لصاحبكم هذا) أي لمحمد ، والمخاطب بعض الملائكة (مثلا) أي صفة عجيبة الشأن (فأضربوا له) أي بينوا له. (إنه نائم) أي فلا يسمع ، فلا يفيد ضرب المثل شيئا. (إن العين نائمة والقلب يقظان) غير منصرف ، وقيل منصرف لمجيء فعلانة. أي فلا يفوته شيء مما تقولون ، فإن المدار على المدارك الباطنية دون الحواس الظاهرية. وقيل : هذا تمثيل يراد به **حياة القلب** وصحة خواطره ، يقال : "رجل يقظ" إذا كان ذكي القلب. قال البيضاوي : هذه مناظرة جرت بينهم بيانا وتحقيقا لما أن النفوس القدسية الكاملة لا يضعف إدراكها بضعف الحواس الظاهرة واستراحة الأبدان ، بل ربما يقوى إدراكها عند

---

(١) فيض القدير، ٦/٣٧٥

ضعفها. (مثله كمثل رجل بني دارا) قال القاري : يعني قصته كهذه القصة عن آخرها ، لا أن حاله كحال هذا الرجل ، فإنه في مقابلة الداعي لا الباني ، اللهم إلا أن يقدر مضاف ، ويقال : كمثل داعي رجل بني دارا –انتهى. وقال الكرماني : ليس المقصود من هذا التمثيل تشبيه المفرد بالمفرد ، بل تشبيه المركب بالمركب مع قطع النظر عن مطابقة المفردات عن الطرفين – انتهى. وقد وقع في رواية الترمذي ، وكذا في حديث ابن مسعود عند الترمذي وأحمد وابن خزيمه ما يدل على المطابقة المذكورة. (مأدبة) بفتح الميم وسكون الهمزة وضم الدال وتفتح ، وبعده موحدة ، طعام عام." (١)

"يعلموا ، ومنها ما استأثر به في علم الغيب عنده فلم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا وهذه الوسيلة أعظم الوسائل وأحبها إلى الله وأقربها تحصيلا للمطلوب (أن تجعل القرآن) مفعول أسألك (ربيع قلبي) شبه القرآن بزمان الربيع في ظهور آثار رحمه الله **وحياة القلب** وارتياحه به . قال الشوكاني : أي أسألك أن تجعل القرآن كالربيع الذي يرتع فيه الحيوان ، وكذلك القرآن ربيع القلوب ، أي يجعل قلبه مرتاحا إلى القرآن مائلا إليه راغبا في تلاوته وتدبره ، وقيل أي منتزهه ومكان رعيه وانتفاعه بأنواره وأشجاره وثماره المشبه بها أنواع العلوم والمعارف وأصناف الحكم والأحكام واللطائف . قال الطيبي : هذا هو المطلوب والسابق وسائل إليه ، فأظهر أولا غاية ذلته وصغاره ونهاية عجزه وافتقاره ، وثانيا بين عظمة شأنه وجلالة اسمه سبحانه بحيث لم يبق فيه بقية ، وألطف في المطلوب حيث جعل المطلوب وسيلة إلى إزالة الهم المطلوب أولا ، وجعل القرآن ربيع القلب وهو عبارة عن الفرح ،

وجلاء همي وغمي . ما قالها عبد قط إلا أذهب الله غمه وأبدله به فرجا . رواه رزين .

". (٢)

"النبي لا كذب بفتح الباء وأنا ابن عبد المطلب بالخفض وكذا قوله دميت من غير مد حرصا منه على أنه بغير الرواية ليستغني عن الاعتذار وإنما الرواية بإسكان الباء والمد اه وسبق أن القصر ما يضر بالوزن وأما ما في بعض النسخ من ضبط قوله دميت ولقيت على صيغة الغائبة وإن كان يخرجه عن حيز الوزن لكن لا أصل له أصلا متفق عليه وعن البراء أي ابن عازب رضي الله عنه قال قال النبي يوم قريظة أي

(١) مشكاة المصابيح مع شرح مرعاة المفاتيح، ٥٧٢/١

(٢) مشكاة المصابيح مع شرح مرعاة المفاتيح، ٤٤٥/٨

يوم محاصرة بني قريظة طائفة من اليهود في أطراف المدينة لحسان بغير الصرف على الأصح ابن ثابت قال المؤلف أنصاري خزرجي شاعر رسول الله وهو من فحول الشعراء أجمعت العرب على أن أشعر أهل المدر حسان بن ثابت روى عنه عمر وأبو هريرة وعائشة مات في خلافة علي وله مائة وعشرون سنة عاش منها ستين سنة في الجاهلية وستين في الإسلام اهج المشركين أمر بالهجو ابتداء أو جوابا فإن جبريل بكسر الجيم وفيه أربع قرآن متواترات ذكرناها سابقا أي الروح الأمين معك أي معين لك وملهم إياك والحديث إلى هنا متفق عليه من حديث البراء وأما ما بعده فمتفق عليه من حديث أبي هريرة كما سيأتي بيانه وكان رسول الله يقول لحسان أجب عني أي من قبلي وعوضا عن جانبي اللهم أيده أي قو حسان بروح القدس بضم الدال ويسكن أي بجبريل سمي به لأنه كان يأتي الأنبياء بما فيه **حياة القلوب** فهو كالمبدأ **لحياة القلب** كما أن الروح مبدأ حياة الجسد والقدس صفة للروح وإنما أضيف إليه لأنه مجبول على الطهارة والنزاهة عن العيوب وقيل القدس بمعنى المقدس وهو الله فإضافة الروح إليه للتشريف ثم تأييده إمداده له بالجواب وإلهامه لما هو الحق والصواب قيل لما دعاه أعانه جبريل تسعين بيتا متفق عليه أي من حديث أبي هريرة ورواه أبو داود والنسائي أيضا من حديث أبي هريرة وقد حقق ميرك شاه رحمه الله حيث قال ظاهر إيراد المؤلف يقتضي أن قوله وكان رسول الله يقول لحسان أجب الخ من حديث البراء وليس كذلك بل يفهم من الصحيحين إن حديث." (١)

"باب البكاء والخوف

جمع بينهما تنبيا لتلازمهما غالبا وقدم البكاء ولو سببه الخوف لظهوره أولا أو أريد بالخوف التعميم فذكره بعد البكاء كالتتميم ثم البكاء بالقصر خروج الدمع مع الحزن وبالمد

خروجه مع رفع الصوت كذا قيل والمد أشهر والظاهر أن المراد به ههنا المعنى الأعم فحمله على التجريد في أحد معينيه هو ألا تم

$الفصل الأول

عن أبي هريرة قال قال أبو القاسم والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم أي من عقاب الله للعصاة وشدة المناقشة يوم الحساب للعتاة وكشف السرائر وخبث النيات لبكيتم جواب القسم السادس جواب لو كثيرا

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٦١/١٤

أي بكاء كثيرا أو زمانا كثيرا أي من خشية الله ترجيحا للخوف على الرجاء وخوفا من سوء الخاتمة ولضحكتم قليلا وكأن الحديث مقتبس من قوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا التوبة هذا قال الغزالي رحمه الله هذا الحديث من الأسرار التي أودعها قلب محمد الأمين الصادق ولا يجوز إفشاء السر فإن صدور الأحرار قبور الأسرار بل كان يذكر ذلك لهم حتى يبكوا ولا يضحكوا فإن البكاء ثمرة شجرة **حياة القلب** الحي بذكر الله واستشعار عظمته وهيبته وجلاله والضحك نتيجة القلب الغافل عن ذلك فبيان الحقيقة حث الخلق على طلب القلب الحي والتعوذ من القلب الغافل رواه البخاري أي من حديث أبي هريرة وهو متفق عليه من حديث أنس وكذا رواه الترمذي والنسائي ذكره ميرك وفي الجامع رواه أحمد والشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أنس والحاكم عن أبي هريرة ورواه الضياء عن أبي ذر وزاد ولما ساغ لكم الطعام والشراب ورواه الطبراني والحاكم والبيهقي عن أبي الدرداء ولفظه لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى لا تدرون تنجون أو لا تنجون وسيأتي هذا الحديث في الفصل الثاني مطولا وروي أن المنادي ينادي من السماء ليت هذا الخلق لم يخلقوا وليتهم إذ خلقوا علموا لماذا خلقوا وعن الصديق الأكبر أنه قال وددت." (١)

"١٧٧٢ - قوله (من قام ليلتي العيدين)

ظاهره أن يحيي كل الليلة بالعبادة والمرجو أن قيام التهجد يكفي

(يوم تموت القلوب)

أي لكثرة الذنوب والمراد إن أدركه ذلك اليوم يكون هو مخصوصا من بين الناس **بحياة القلب** وفي الزوائد إسناده ضعيف لتدليس بقية والله تعالى أعلم .." (٢)

"للخائف أمان ويدل على حصول الثواب وتكفير الخطايا.

٣٣ - باب الطواف بالكعبة فى المنام

(باب الطواف) أي من رأى أنه يطوف (بالكعبة في المنام).

٧٠٢٦ - حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهرى، أخبرنى سالم بن عبد الله بن عمر أن عبد الله بن

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٢٦٥/١٥

(٢) حاشية السندي على ابن ماجه، ٤٢/٤

عمر - رضى الله عنهما - قال: قال: رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «بينا أنا نائم رأيتنى أطوف بالكعبة، فإذا رجل آدم سبط الشعر بين رجلين ينطف رأسه ماء، فقلت: من هذا؟ قالوا: ابن مريم، فذهبت ألتفت فإذا رجل أحمر جسيم جعد الرأس أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية قلت: من هذا؟ قالوا: هذا الدجال أقرب الناس به شبها ابن قطن» وابن قطن رجل من بنى المصطلق من خزاعة.

وبه قال: (حدثنا أبو اليمان) الحكم بن نافع قال: (أخبرنا شعيب) هو ابن أبي حمزة (عن الزهري) محمد بن مسلم أنه قال: (أخبرني) بالإفراد (سالم بن عبد الله بن عمر أن) أباه (عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-):

(بينا) بغير ميم (أنا نائم رأيتني) أي رأيت نفسي (أطوف بالكعبة فإذا رجل آدم) أسمر (سبط الشعر) بسكون الموحدة وكسرها أي مسترسله غير جعد يمشي متمايلا (بين رجلين ينطف) بضم الطاء المهملة وكسرها يقطر (رأسه ماء) بالنصب على التمييز (فقلت: من هذا؟ قالوا: ابن مريم) عيسى عليه السلام (فذهبت ألتفت فإذا رجل أحمر) اللون (جسيم جعد الرأس أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية) بارزة عن نظائرها (قلت: من هذا؟ قالوا: هذا) الرجل (الدجال أقرب الناس به شبها ابن قطن) بفتح القاف والطاء آخره نون عبد العزى واسم جده عمرو (وابن قطن رجل من بني المصطلق) بسكون الصاد وفتح الطاء المهملتين وبعد اللام المكسورة قاف ابن سعد (من خزاعة) بالخاء والزاي المعجمتين، وفي باب {واذكر في الكتاب مريم} [مريم: ١٦] من أحاديث الأنبياء: قال

الزهري رجل من خزاعة هلك في الجاهلية. قيل في الحديث أن الدجال يدخل مكة دون المدينة لأن الملائكة الذين على أنقابها يمنعونه من دخولها ورده بعضهم بأن الحديث لا دلالة فيه على ذلك والنفي الوارد بأنه لا يدخلها محمول على الزمن الآتي وقت ظهور شوكته لا السابق.

ومطابقة الحديث في قوله: رأيتني أطوف. قال المعبرون: الطواف بالبيت ينصرف على وجوه فمن رأى أنه يطوف به فإنه يحج وعلى التزويج وعلى أمر مطلوب من الإمام لأن الكعبة إمام الخلق كلهم وقد يكون تطهيرا من الذنوب لقوله تعالى: {وطهر بيتي للطائفين} [الحج: ٢٦] وقد يكون لمن يريد التسري أو التزوج بامرأة حسناء دليلا على تمام إرادته.

وهذا الحديث سبق في أحاديث الأنبياء.

٣٤ - باب إذا أعطى فضله غيره فى النوم

هذا (باب) بالتنوين (إذا) رأى الشخص أنه (أعطى فضله) من اللبن (غيره في النوم).

٧٠٢٧ - حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب أخبرنى حمزة بن عبد الله بن عمر أن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «بينا أنا نائم أتيت بقدح لبن، فشربت منه حتى إنى لأرى الرى يجرى، ثم أعطيت فضله عمر» قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: «العلم».

وبه قال: (حدثنا يحيى بن بكير) المخزومي مولاهم ونسبه لجده واسم أبيه عبد الله قال: (حدثنا الليث) بن سعد الإمام (عن عقيل) بضم أوله ابن خالد (عن ابن شهاب) محمد بن مسلم الزهري أنه قال: (أخبرني) بالإفراد (حمزة بن عبد الله بن عمر) بن الخطاب المدني شقيق سالم (أن) أباه (عبد الله بن عمر) رضي الله عنهما (قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول):

(بينا) بغير ميم (أنا نائم أتيت) بضم الهمزة (بقدح لبن) بالإضافة أي بقدح فيه لبن (فشربت منه حتى إني) بكسر الهمزة (لأرى الري يجري) زاد في الرواية السابقة قريبا من أطرافي. وفي العلم وفي المغازي وأرى بفتح الهمزة والري بكسر الراء وتشديد التحتية أي ما يتروى به وهو اللبن أو هو إطلاق على سبيل الاستعارة وإسناد الجري إليه قرينة وقيل الري اسم من أسماء اللبن قاله في الكواكب (ثم أعطيت فضله) أي فضل اللبن (عمر) بن الخطاب وسقط لابن عساكر لفظ فضله (قالوا: فما أولته يا رسول الله قال): أولته (العلم).

قال المهلب: رؤية اللبن في النوم تدل على السنة والفطرة والعلم والقرآن لأنه أول شيء يناله المولود من طعام الدنيا وهو الذي يفتق أمعاءه وبه تقوم حياته كما تقوم بالعلم **حياة القلوب** فهو يشاكل العلم من هذا الوجه، وقد يدل على الحياة لأنها كانت به في الصغر وإنما أوله الشارع في عمر بالعلم والله أعلم لعلمه صحة فطرته ودينه والعلم زيادة في الفطرة اهـ.

وقال ابن الدقاق: اللبن يدل على الحمل وظهور الأسرار والعلم والتوحيد وعلى الدواء للأدواء، واللبن الرائب هم والمخيض أشد غلبة منه، ولبن ما لا يؤكل لحمه مال حرام وديون وأمراض ومخاوف على قدر جوهر الحيوان.

وسبق مزيد لذلك في باب اللبن.

٣٥ - باب الأمن وذهاب الروع فى المنام

(باب) رؤية (الأمن وذهاب الروع) بفتح الراء الخوف (في المنام).

٧٠٢٨ – حدثنى عبيد الله بن سعيد، حدثنا عفان بن مسلم، حدثنا صخر بن جويرية، حدثنا نافع أن ابن عمر قال: إن رجالا من أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– كانوا يرون الرؤيا على عهد رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فيقصونها على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فيقول فيها رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ما شاء الله وأنا غلام حديث السن وبيتى المسجد قبل أن أنكح فقلت فى نفسى: لو كان فيك خير لرأيت مثل ما يرى هؤلاء؟ فلما اضطجعت ليلة قلت: اللهم إن كنت تعلم فى خيرا فأرنى رؤيا، فبينا أنا كذلك إذ جاءنى ملكان فى يد كل واحد منهما مقمعة من حديد، يقبلا بى إلى جهنم وأنا بينهما أدعو الله اللهم أعوذ بك من جهنم، ثم أرانى لقينى ملك فى يده مقمعة من حديد فقال: لن تراع نعم الرجل أنت لو تكثر الصلاة، فانطلقوا بى حتى وقفوا بى على شفير جهنم فإذا هى مطوية كطى البئر له قرون كقرن البئر بين كل قرنين ملك بيده مقمعة من حديد، وأرى فيها رجالا معلقين بالسلاسل رءوسهم أسفلهم، عرفت فيها رجالا من قريش فانصرفوا بى عن ذات اليمين.

وبه قال: (حدثني) بالإفراد، ولأبي ذر: بالجمع (عبيد الله بن سعيد) بضم العين في الأول." (١)

"(قالوا يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى). قل في شرح المشكاة: ومن يأبى معطوف على محذوف أي عرفنا الذين يدخلون الجنة والذي أبى لا نعرفه وكان من حق الجواب أن يقال من عصاني فعدل إلى ما ذكره تنبيها به على أنهم ما عرفوا ذاك ولا هذا، إذ التقدير من أطاعني وتمسك بالكتاب والسنة دخل الجنة ومن اتبع هواه وزل عن الصواب وضل عن الطريق المستقيم دخل النار فوضع أبى موضعه وضعا للسبب موضع المسبب قال: ويعضد هذا التأويل إيراد محيي السنة هذا الحديث في باب الاعتصام بالكتاب والسنة والتصريح بذكر الطاعة فإن المطيع هو الذي يعتصم بالكتاب والسنة ويجتنب الأهواء والبدع.

والحديث من أفراده.

٧٢٨١ – حدثنا محمد بن عبادة، أخبرنا يزيد، حدثنا سليم بن حيان وأثنى عليه، حدثنا سعيد بن ميناء، حدثنا أو سمعت جابر بن عبد الله يقول: جاءت ملائكة إلى النبي –صلى الله عليه وسلم- وهو نائم فقال بعضهم: إنه نائم وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلا، فاضربوا له مثلا، فقال بعضهم: إنه نائم وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان فقالوا: مثله كمثل رجل بنى دارا،

---

(١) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ١٠/١٥١

وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا فمن أجاب الداعى دخل الدار. وأكل من المأدبة، ومن لم يجب الداعى لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة، فقالوا: أولوها له يفقهها فقال بعضهم: إنه نائم وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: فالدار الجنة، والداعى محمد -صلى الله عليه وسلم-، فمن أطاع محمدا -صلى الله عليه وسلم- فقد أطاع الله، ومن عصى محمدا -صلى الله عليه وسلم- فقد عصى الله، ومحمد فرق بين الناس. تابعه قتيبة عن ليث، عن خالد عن سعيد بن أبى هلال، عن جابر خرج علينا النبى -صلى الله عليه وسلم-.

وبه قال: (حدثنا محمد بن عبادة) بفتح العين المهملة وتخفيف الموحدة الواسطي واسم جده البختري بفتح الموحدة وسكون المعجمة وفتح الفوقية وليس له في البخاري سوى هذا الحديث وآخر سبق في الأدب ومن عداه في الصحيحين فبضم العين قال: (أخبرنا يزيد) بن هارون قال: (حدثنا سليم بن حيان) بفتح السين المهملة وكسر اللام بوزن عظيم وفي الفرع مكتوب على كشط سليمان، وكذا في اليونينية بزيادة ألف ونون وضم النون وكذا هو في عدة نسخ وهو سليمان بن حيان أبو خالد الأحمر الكوفي والذي في فتح الباري وعمدة القارئ والكواكب سليم وحيان بفتح الحاء المهملة وتشديد التحتية الهذلي البصري قال محمد بن عبادة: (وأثنى عليه) يزيد بن هارون

خيرا قال: (حدثنا سعيد بن ميناء) بكسر الميم وسكون التحتية بعدها نون فهمزة ممدودا أبو الوليد قال: (حدثنا أو) قال (سمعت جابر بن عبد الله) الأنصاري -رضي الله عنهما- القائل حدثنا أو سمعت سعيد بن ميناء والشاك سليم بن حيان شك في أي الصيغتين قالها شيخه سعيد ويجوز في جابر الرفع على تقدير حدثنا والنصب على تقدير سمعت جابرا (يقول: جاءت ملائكة إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو نائم) ذكر منهم الترمذي في جامعه اثنين جبريل وميكائيل، فيحتمل أن يكون مع كل واحد منهما غيره أو اقتصر فيه على من باشر الكلام ابتداء وجوابا. وفي حديث ابن مسعود عند الترمذي وحسنه وصححه ابن خزيمة أنه -صلى الله عليه وسلم- توسد فخذه فرقد وكان إذا نام نفخ قال فبينا أنا قاعد إذ أنا برجال عليهم ثياب بيض الله أعلم بما بهم من الجمال فجلست طائفة منهم عند رأس رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وطائفة منهم عن رجليه (فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان) قال الرامهرمزي: هذا تمثيل يراد به حياة القلب وصحة خواطره، وقال البيضاوي فيما حكاه في شرح المشكاة قول بعضهم إنه نائم الخ مناظرة جرت بينهم بيانا وتحقيقا لما أن النفوس القدسية الكاملة لا يضعف إدراكها بضعف

الحواس واستراحة الأبدان (فقالوا: إن لصاحبكم هذا) يعنون النبي -صلى الله عليه وسلم- (مثلا فاضربوا له مثلا فقال بعضهم: إنه نائم وقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان فقالوا مثله) عليه الصلاة والسلام (كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مأدبة) بفتح الميم وسكون الهمزة وضم الدال وفتحها بعدها موحدة مفتوحة فهاء تأنيث وقيل بالضم الوليمة وبالفتح أدب الله الذي أدب به عباده وحينئذ فيتعين الضم هنا (وبعث داعيا يدعو الناس إليها (فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة).

وفي حديث ابن مسعود عند أحمد بنى بنيانا حصينا ثم جعل مأدبة فدعا الناس إلى طعامه وشرابه فمن أجابه أكل من طعامه وشرب من شرابه ومن لم يجبه عاقبه (فقالوا: أولوها) بكسر الواو المشددة أي فسروا الحكاية أو التمثيل (له) -صلى الله عليه وسلم- (يفقهها) من أول تأويلا إذا فسر الشيء بما يؤول إليه والتأويل في اصطلاح العلماء تفسير اللفظ بما يحتمله احتمالا غير بين (فقال بعضهم: إنه نائم وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان) كرر فقال بعضهم إنه." (١)

"ذلك حتى يبكوا ولا يضحكوا فإن البكاء ثمرة شجرة **حياة القلب** الحي بذكر الله واستشعار عظمته وهيبته وجلاله والضحك نتيجة القلب الغافل عن ذلك اهـ.

وفي الحديث كما قال في الكواكب: من البديع مقابلة الضحك بالبكاء والقلة بالكثرة ومطابقة كل منهما بالآخر.

٢٨ - باب حجبت النار بالشهوات

هذا (باب) بالتنوين (حجبت النار بالشهوات) فمن هتك الحجاب بارتكاب الشهوات المحرمة كالزنا وغيره مما منع الشرع منه كان ذلك سببا لوقوعه في النار أعاذنا الله من ذلك ومن سائر المهالك بمنه وكرمه.

٦٤٨٧ - حدثنا إسماعيل قال: حدثنى مالك عن أبى الزناد عن الأعرج، عن أبى هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال: «حجبت النار بالشهوات، وحجبت الجنة بالمكاره».

وبه قال: (حدثنا إسماعيل) بن أبي أويس قال: (حدثني) بالإفراد (مالك) الإمام ابن أنس بن مالك الأصبحي أبو عبد الله المدني (عن أبي الزناد) عبد الله بن ذكوان (عن الأعرج) عبد الرحمن بن هرمز (عن أبي هريرة)

---

(١) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ٣٠٣/١٠

-رضي الله عنه- (أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال):
(حجبت النار بالشهوات) المستلذة مما منع الشارع من تعاطيه بالأصالة كالخمر والزنا والملاهي وإما لكون فعله يستلزم ترك شيء من الواجبات ويلتحق بذلك الشبهات والإكثار مما أبيح خشية أن يوقع في المحرم، والمعنى لا توصل إلى النار إلا بتعاطي الشهوات إذ هي محجوبة بها فمن هتك الحجاب وصل إلى المحجوب ومثل ذلك ابن العربي هذا المتعاطي للشهوات الأعمى عن التقوى الذي قد أخذت الشهوات بسمعه وبصره فهو يراها ولا يرى النار التي هي فيها لاستيلاء الجهالة والغفلة على قلبه بالطائر الذي يرى الحبة في داخل الفخ وهي محجوبة به، ولا يرى الفخ لغلبة شهوة الحبة على قلبه وتعلق باله بها (وحجبت الجنة بالمكاره) مما أمر المكلف به كمجاهدة نفسه في العبادات والصبر على مشاقها والمحافظة عليها وكظم الغيظ ،والعفو والإحسان إلى المسيء والصبر على المصيبة والتسليم لأمر الله فيها واجتناب المنهيات، وأطلق عليها مكاره لمشقتها على العامل وصعوبتها عليها، ولمسلم "حفت" بالحاء المهملة المضمومة والفاء المفتوحة المشددة في الموضعين من الحفاف وهو ما يحيط بالشيء حتى لا يتوصل إليه إلا بتخطيه فالجنة لا يتوصل إليها إلا بقطع مفاوز المكاره والنار لا ينجى منها إلا بترك الشهوات.
وهذا الحديث من جوامع كلمه -صلى الله عليه وسلم- وبديع بلاغته في ذم الشهوات وإن مالت إليها النفوس والحض على الطاعات وإن كرهتها النفوس وشقت عليها.
والحديث من أفراده وليس هو في الموطأ.

٢٩ - باب الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك
هذا (باب) بالتنوين (الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله) وهو السير الذي يدخل فيه إصبع الرجل ويطلق أيضا على كل سير وقي به القدم من الأرض (والنار مثل ذلك).
٦٤٨٨ - حدثنى موسى بن مسعود، حدثنا سفيان، عن منصور، والأعمش عن أبى وائل، عن عبد الله - رضى الله عنه - قال: قال النبى -صلى الله عليه وسلم-: «الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك».
وبه قال: (حدثني) بالإفراد ولأبي ذر حدثنا (موسى بن مسعود) النهدي بفتح النون أبو حذيفة البصري قال: (حدثنا سفيان) الثوري (عن منصور) هو ابن المعتمر (والأعمش) سليمان كلاهما (عن أبي وائل) شقيق بن سلمة (عن عبد الله) بن مسعود (-رضي الله عنه-) أنه (قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-):

(الجنة أقرب إلى أحدكم) إذا أطاع ربه (من شراك نعله والنار) إذا عصاه (مثل ذلك) فلا يزهدن في قليل من الخير فلعله يكون سببا لرحمة الله به ولا فى قليل من الشر أن يجتنبه فربما يكون فيه سخط الله تعالى أسأل الله تعالى العافية.

والحديث من أفراده.

٦٤٨٩ - حدثنى محمد بن المثنى، حدثنا غندر، حدثنا شعبة، عن عبد الملك بن عمير، عن أبى سلمة، عن أبى هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «أصدق بيت قاله الشاعر:

ألا كل شىء ما خلا الله باطل»

وبه قال: (حدثني) بالإفراد (محمد بن المثنى) بن عبيد العنزي بفتح النون بعدها زاي البصري المعروف بالزمن قال: (حدثنا غندر) محمد بن جعفر البصري قال: (حدثنا شعبة) بن الحجاج (عن عبد الملك بن عمير) بضم العين مصغرا (عن أبي سلمة) بن عبد الرحمن بن عوف (عن أبي هريرة) -رضي الله عنه- (عن النبي -صلى الله عليه وسلم-) أنه (قال):

(أصدق بيت قاله الشاعر) لبيد بن ربيعة العامري ثم الكلابي ثم الجعفري يكنى أبا عقيل ذكره البخاري وابن خيثمة وغيرهما في الصحابة سكن الكوفة ومات بها في خلافة عثمان وعاش مائة وخمسين سنة وقيل أكثر (ألا كل شيء ما خلا الله) أي ما عداه تعالى وعدا صفاته الذاتية والفعلية." (١)

"وقوله : (من الشيطان) ، أي : لكونه على هواه ، ومراده ولأنه الذي يخيل فيه ولا حقيقة له في نفس الأمر.

قوله : (فإذا حلم) : بفتح اللام.

قوله : (فليبصق عن يساره) أي : طردا للشيطان الذي حضر رؤياه المكروهة وتحقيرا له.

قوله : (وليستعذ بالله) أي : من الحلم أو من الشيطان أو منهما.

٤١٠

١٥ . باب اللبن

قوله : (الري) : بكسر الراء وتشديد الياء الاسم وبفتحها المصدر.

١٧ . باب القميص في المنام

---

(١) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ٢٧٩/٩

قوله : (قال : العلم) عبر عن اللبن بالعلم باشتراكهما في كثرة النفع بهما ، وكونهما سببي الصلاح ، ولأن اللبن أول ما يتناوله المولود من طعام الدنيا وبه تقوم حاجته ، والعلم أول كل عبادة ، وبه **حياة القلوب**.

٤١١

١٩ . باب الخضر في المنام ، والروضة الخضراء

قوله : (منصف) : بكسر الميم ، وقوله : الوصيف ، أي : الخادم.

قوله : (فرقيت) : بكسر القاف على الأصح.

قوله : (وهو آخذ بالعروة الوثقى) أي : عاقد لنفسه من الدين عقدا وثيقا لا تحله شبهة.

٢٠ . باب كشف المرأة في المنام

قوله : (إذا رجل) هو جبريل جاء في صورة رجل.

٤١٢

قوله : (يمضه) أي : ينفذه.

٢١ . باب ثياب الحرير في المنام

قوله : (فقلت له : اكشف) قضيته أن الكاشف هو الملك ، ولا ينافيه ما مر في الباب السابق أن الكاشف هو النبى {صلى الله عليه وسلم} لأن نسبة الكشف إلى النبي ثم مباشرة والي الملك سببية أو لأن كلا منهما كشف شيئا.

٢٢ . باب المفاتيح في اليد

قوله : (باب المفاتيح في اليد) أي : بيان رؤيتها في المنام ، وتعبر بالمال والعز والسلطان ، والصلاح ، والعلم ، والحكمة ، اهـ شيخ الإسلام.

٤١٣

٢٤ . باب عمود الفسطاط تحت وسادته

". (١)

"١٤ . باب الحلم من الشيطان ، فإذا حلم فليبصق عن يساره ، وليستعذ بالله عز وجل

قوله : (الحلم) : بضم اللام وسكونها وهو ما يراه النائم من الأمر الفظيع المهول.

---

(١) حاشية السندى على صحيح البخارى، ١٠١/٤

(٤/١٠٠)

وقوله : (من الشيطان) ، أي : لكونه على هواه ، ومراده ولأنه الذي يخيل فيه ولا حقيقة له في نفس الأمر.

قوله : (فإذا حلم) : بفتح اللام.

قوله : (فليبصق عن يساره) أي : طردا للشيطان الذي حضر رؤياه المكروهة وتحقيرا له.

قوله : (وليستعذ بالله) أي : من الحلم أو من الشيطان أو منهما.

٤١٠

١٥ . باب اللبن

قوله : (الري) : بكسر الراء وتشديد الياء الاسم وبفتحها المصدر.

١٧ . باب القميص في المنام

قوله : (قال : العلم) عبر عن اللبن بالعلم باشتراكهما في كثرة النفع بهما ، وكونهما سببي الصلاح ، ولأن اللبن أول ما يتناوله المولود من طعام الدنيا وبه تقوم حاجته ، والعلم أول كل عبادة ، وبه **حياة القلوب**.

٤١١

١٩ . باب الخضر في المنام ، والروضة الخضراء

قوله : (منصف) : بكسر الميم ، وقوله : الوصيف ، أي : الخادم.

قوله : (فرقيت) : بكسر القاف على الأصح.

قوله : (وهو آخذ بالعروة الوثقى) أي : عاقد لنفسه من الدين عقدا وثيقا لا تحله شبهة.

٢٠ . باب كشف المرأة في المنام

قوله : (إذا رجل) هو جبريل جاء في صورة رجل.

٤١٢

قوله : (يمضه) أي : ينفذه.

٢١ . باب ثياب الحرير في المنام

قوله : (فقلت له : اكشف) قضيته أن الكاشف هو الملك ، ولا ينافيه ما مر في الباب السابق أن الكاشف هو النبي {صلى الله عليه وسلم} لأن نسبة الكشف إلى النبي ثم مباشرة والي الملك سببية أو لأن كلا

منهما كشف شيئا.

٢٢ . باب المفاتيح في اليد

قوله : (باب المفاتيح في اليد) أي : بيان رؤيتها في المنام ، وتعبر بالمال والعز والسلطان ، والصلاح ، والعلم ، والحكمة ، اهـ شيخ الإسلام.

٤١٣." (١)

"٢٦٨٢ . (وعن عمران بن حصين)بضم المهملة الأولى مصغرا (ورضي الله عنهما قال: قال رسول الله : الحياء) بالمد: أي الاستحياء (لا يأتي إلا بخير) فإنه يمنع لكونه مؤديا **لحياة القلب** بنور الإيمان عن مزاولة المخالفة ومحاولة العصيان. قال الواحدي: الاستحياء من الحياة واستحياء الرجل من قوة الحياة فيه لشدة علمه بمواقع العيب قال: والحياء من قوة الحس ولطفه وقوة الحياة (متفق عليه) رواه البخاري في الأدب من «صحيحه»، ومسلم في الإيمان.

(وفي رواية لمسلم) في كتاب الإيمان من حديث عمران المذكور (الحياء خير كله، أو) شك من الراوي (قال الحياء كله خير) والشك في تأخير خير قال: عن التأكيد لفظا، وإلا فخير خبر الحياء في الروايتين، وكل تأكيد الحياء على المختار مع منع تأكيد النكرة كما قال البصريون، وعلى ما أجاز الكوفيون من تأكيدها فتكون الروايتان مختلفتين في ذلك فعلى الأول هو تأكيد الخير ويكون كقول الشاعر:

يا ليت عدة حول كله رجب

وعلى الثاني تأكيد الحياء. قال المصنف: كونه خيرا أو لا يأتي إلا بخير، يشكل على بعض الناس من حيث أن صاحب الحياء قد يمتنع عن أن يواجه بالحق من يستحي منه فيترك إنكار المنكر عليه وأمره بالمعروف، وقد يحمله الحياء على الإخلال ببعض الحقوق وغير ذلك مما هو معروف في العادة. والجوب ما أجاب به ابن الصلاح وغيره من أن ذلك المانع ليس حياء حقيقيا بل صوريا وإنما هو عجز وخور ومهانة، وتسميته حياء من إطلاق بعض أهل العرف، أطلقوه مجازا لمشابهته الحياء الحقيقي، وإنما حقيقة الحياء خلق يبعث على ترك القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق ونحو هذا، ويدل عليه ما ذكرنا عن

---

(١) حاشية السندى على صحيح البخارى، ٥/٢٢٨

الجنيد أي مما يأتي اهـ.

". (١)

"وذكر الشعراني عن ابن عربي أنه قال:

(من أراد فهم المعاني الغامضة من كلام الله عز وجل وكلام رسوله وأوليائه فليزهد في الدنيا حتى يصير ينقبض خاطره من دخولها ، ويفرح لزوالها) (١).

وينقل أيضا عن إبراهيم المتبولي أنه قال:

(كل فقير لا يحصل له جوع ولا عري فهو من أبناء الدنيا) (٢).

وذكر الصوفي عماد الدين الأموي في كتابه (**حياة القلوب**) أن رجلا دخل على بعض الصوفية يتكلم في الزهد وعنده قميص معلق وعليه آخر ، فقال:

يا شيخ ، أما تستحي أن تتكلم في الزهد ولك قميصان (٣).

وزجر السري السقطي رجلا كان يملك عشرة دراهم وقال:

أنت تقعد مع الفقراء ومعك عشرة دراهم (٤).

وذكر الكلاباذي عن أحمد بن السمين أنه قال:

كنت أمشي في طريق مكة ، فإذا أنا برجل يصيح: أغثني يا رجل ، الله ، الله. قلت مالك ، مالك؟ خذ مني هذه الدراهم ، فإني ما أقدر أن أذكر الله وهي معي ، فأخذتها منه فصاح: لبيك اللهم لبيك ، وكانت أربعة عشر درهما (٥).

وقال سهل بن عبد الله التستري:

اجتمع الخير كله في هذه الأربع خصال ، وبها صار الأبدال أبدالا: أخماص البطون ، والصمت والخلوة ، والسهر (٦).

وينقل الهجويري عن أبي بكر الشبلي أن واحدا من علماء الظاهر سأله على سبيل التجربة عن الزكاة قائلا:

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ١٦٥/٥

(ما الذي يجب أن يعطى من الزكاة؟.

قال: حين يكون البخل موجودا ويحصل المال فيجب أن يعطى خمسة دراهم

---

(١) اليواقيت والجواهر للشعراني ج١ ص ٢٦ مصطفى البابي ١٣٧٨ هـ.

(٢) الأخلاق المتبولية للشعراني ج ٢ ص ٩٤ تحقيق منيع عبد الحليم محمود ط مطبعة حسان – القاهرة.

(٣) **حياة القلوب** في كيفية الوصول على إلى المحبوب لعماد الدين الأموي ج٢ ص١٢٢ على هامش قوت القلوب.

(٤) طبقات الأولياء لابن الملقن المتوفى ٨٠٤ هـ نشر مكتبة الخانجي القاهرة ١٣٩٣ هـ.

(٥) التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي ص ١٨٥ ط القاهرة ١٤٠٠ هـ.

(٦) غيث المواهب العلية للنفزي الرندي المتوفى ٧٩٢ هـ ص٩٢ ، ٩٣ ط القاهرة.." [١]

"ومما يجدر ذكره أن المحقق كتب في تعليقاته عن جميع تلك الروايات في فضل الجوع أنه لم يجد لها أصلا (١).

هذا ، ونقل عماد الدين الأموي عن عيسى عليه السلام أنه قال:

(طوبى للجياع العطاش فإنهم هم الذين يرون الله) (٢).

وقال السهر وردي:

(قد اتفق المشائخ على أن بناء أمرهم على أربعة أشياء: قلة الطعام ، وقلة المنام ، وقلة الكلام ، والاعتزال على الناس) (٣).

ثم بين طريق التدرب على الجوع ، وهي تشبه تماما طريقة يوجا الهندية حذو القذة بالقذة ، وطبق النعل ، فيقول:

(وقد اتفق مشايخ الصوفية على أن بناء أمرهم على أربعة أشياء: قلة الطعام وقلة المنام وقلة الكلام والاعتزال

---

(١) التصوف – المنشأ والمصادر، ص/٧٦

عن الناس ، وقد جعل للجوع وقتان ، أحدهما: آخر الأربع والعشرين ساعة فيكون من الرطل لكل ساعتين أوقية بأكلة واحدة يجعلها بعد العشاء الآخرة أو يقسمها أكلتين ، كما ذكرنا ، والوقت الآخر: على رأس اثنتين وسبعين ساعة ، فيكون الطي ليلتين والإفطار في الليلة الثالثة ، ويكون لكل يوم ثلث رطل ، وبين هذين الوقتين وقت وهو أن يفطر من كل ليلتين ليلة ، ويكون لكل يوم وليلة نصف رطل ، وهذا ينبغي أن يفعله إذا لم ينتج عليه سآمة وضجرا وقلة انشراح في الذكر والمعاملة ، فإذا وجد شيئا من ذلك فليفطر كل ليلة ويأكل الرطل في الوقتين أو في الوقت الواحد ، فالنفس إذا أخذت بالإفطار من كل ليلتين ليلة ، ثم ردت إلى الإفطار كل ليلة تقنع ، وإن سومحت بالإفطار كل ليلة لا تقنع بالرطل وتطلب الإدام والشهوات ، وقس على هذا ، فهي إن أطمعت طمعت ، وإن أقنعت قنعت ، وقد كان بعضهم ينقص كل ليلة بقدر نشاف العود ، ومنهم من كان ينقص كل ليلة ربع سبع الرغيف حتى يفنى الرغيف في شهر ، ومنهم من كان يؤخر الأكل ولا يعمل في تقليل القوت ولكن يعمل في تأخيره بالتدريج حتى تندرج ليلة في ليلة ، وقد فعل ذلك طائفة حتى انتهى

---

(١) أيضا.

(٢) **حياة القلوب** لعماد الدين الأموي بهامش قوت القلوب ج٢ ص ٩.

(٣) عوارف المعارف للسهروردي ص ٢٢٣ ط دار الكتاب العربي الطبعة الثانية ١٩٨٣ م.." (١)

"وحكى عبد العزيز الدباغ عن صوفي أنه (رمى بنفسه في بداية مجاهدته من حلقة داره إلى أسفل تسعين مرة) (١).

ويحكي عماد الدين الأموي قصة صوفي هندي دمعت إحدى عينية ولم تبك الأخرى ، فقال لعينه التي لم تدمع:

(لأحرمنك النظر إلى الدنيا ، وغمض عينه ، فلم يفتح عينه أكثر من ستين سنة) (٢).

وذكر عن صوفي هندي خضر سيوستاني القادري أنه (كان يسكن في المقابر ، ولا يلبس إلا رداء واحدا ، وكان يأكل العشب وأوراق الأشجار ، كان له تنور يحميه ويتعبد فيه ، وكانت حيوانات البادية تجالسه

---

(١) التصوف – المنشأ والمصادر، ص/١٠١

وتأوي إليه ، وكان يتعبد في فصل الصيف على حجر حار خصه لنفسه) (٣).

ويذكر الميرزه محمد أختر الدهلوي عن الصوفي فخر الدين رازي أنه (كان يسكن ليل نهار في الغابات) (٤).

وحكى عن صوفي هندي مشهور ميان أمير أنه (كان يسكن الجبال بعيدا عن الناس) (٥).

وهناك صوفي مشهور فريد الدين الملقب بكنج شكر فيحكي عنه أنه)علق نفسه معكوسة في بئر ، ولم يزل على هذه الحال أربعين سنة لم يأكل ولم يشرب شيئا) (٦).

وصوفي هندي آخر أحمد عبد الحق (حفر لنفسه قبرا ، واشتغل فيه بالعبادة ستة أشهر) (٧).

وأما حبس الدم فيذكر القشيري:
(المبتدئ في الأحوال يجب أن يسكن حواسه ، ولا يتحرك أنفاسه) (٨).

---

(١) انظر الإبريز للدباغ ص ١٠٥.
(٢) **حياة القلوب** للأموي ص ٢١٩ بهامش قوت القلوب.
(٣) انظر تذكرة أولياء بر صغير لميرزه محمد أختر الدهلوي ج٣ ص ٣١ ط باكستان.
(٤) نفس المصدر ج١ ص ١٥٧.
(٥) تذكرة أولياء باك وهند للدكتور ظهور الحسن شارب ص ٢٨٢ ط باكستان.
(٦) تذكرة أولياء بر صغير لميرزه الدهلوي ج١ ص ٩٦ ط باكستان.
(٧) انظر تذكرة أولياء باك وهند للدكتور ظهور الحسن شارب ص ١٧٩ ط باكستان.
(٨) انظر رسالة ترتيب السلوك من الرسائل القشيرية ص ٦ ، ط باكستان.." [١]

---

(١) التصوف – المنشأ والمصادر، ص/١١٢

"ويذكر الصوفي الهندي الدكتور ظهور حسن شارب أن الصوفي الهندي المشهور ميان مير (كان يقضي الليل كله في نفس واحدة) (١).

ويذكر عن صوفي آخر ملا شاه أنه كان (يقضي الليل كله في نفسين فقط) (٢).

وهذا كله عملا بقول الصوفية:
(مقام المريد المجاهدات والمكابدات ، وتحمل المشاق ، وتجرع المرارات) (٣).

وأيضا بقولهم: (إن الصوفية يلزمون أنفسهم بالأغلظ والأشق من أقوال العلماء) (٤).

هذا ومثل هذه الأمور كثيرة جدا ، التي لم تؤخذ ولم تقتبس إلا من الديانات الهندية ولا وجود لها في تعاليم الإسلام ، ولم تنقل إلى الصوفية إلا منها.

وقبل أن ننتقل إلى فكرة أخرى نريد أن نبين أمرا آخر ، وهو أن الصوفية بمختلف مشاربهم وطرقهم يتباهون بحبهم للجميع ، وعدم الاعتراض على مذهب دون مذهب ومسلك دون مسلك. وإنهم لا يفرقون بين ديانة وديانة ، ولا يميزون بين طائفة وطائفة وجماعة وجماعة ، بل يحترمون جميع الآراء والمعتقدات وأصحابها ، وقد نقلوا فيها أقوالا عديدة.
مع أنها لا أساس لها في شريعة الإسلام وتعاليمها ، حيث أن هذا الأمر أصل من أصول فلسفة اليوجا التي ترى في كل الديانات وفي كل الفلسفات حقا ، ولا يعترض على دين وفلسفة مهما اختلفوا وتباعدوا في المشرب والمسلك ، ويسع مذهبه لمعتقدات الجميع ، ويأبى أن يتقيد بقيود أي منها (٥).

والجدير بالذكر أن هناك كتابا ترجم إلى اللغة العربية باسم (فلسفة راجايوجا) بطبع عبد الغني أحمد ، وترجمة حسن حسين ، فيه فصل خاص لمقارنة هذه الفلسفة الهندية بالفلسفة الصوفية وكما أن الكتاب كله يشتمل على الرياضات والمجاهدات

---

(١) تذكرة أولياء باك وهند ص ٢٨٦.

(٢) أيضا ص ٣٠٧.

(٣) **حياة القلوب** لعماد الدين الأموي ص ٢٦٨ بهامش قوت القلوب للمكي.

(٤) أيضا ص ٢٦٦.

(٥) انظر فلسفة اليوجا تأليف يوجي راما شاركه ص ١٩٨ نقلا عن أديان الهند الكبرى للدكتور أحمد الشلبي ص ١٧١ ط ١٩٦٤ م.." [١]

"فيسمع نطق الجمادات والنباتات والحيوانات ، وكلام الملائكة واختلاف اللغات ، وكان البعيد عنه كالقريب) (١).

وقال عماد الدين الأموي:

(إذا انكشفت الحجب عن القلب تجلى فيه شيء مما هو مستور في اللوح المحفوظ ، ولمع في القلب من وراء ستر الغيب شيء من غرائب العلم) (٢).

وأيضا: (يشرف على الملكوت الأعظم ، ويرى عجائبه ، ويشاهد غرائبه ، مثل اللوح ، والقلم ، واليمين الكاتبة ، وملائكة الله تعالى يطوفون ، حول العرش يسبحون بحمد ربهم ، وبالبيت المعمور ، ويسبحونه ويقدسونه ، ويفهم كلام المخلوقين من الحيوانات والجمادات ، ثم يتخطى منها إلى معرفة الخالق للكل والمالك للكل فتغشاهم الأنوار ، وتتجلى لقلوبهم الحقائق) (٣).

ويقول الدباغ وهو يذكر بعض ما يشاهده المفتوح عليه وهو الولي عنده ، فيقول:

(أما في المقام الأول فإنه يكاشف فيه بأمور ، منها: أفعال العباد في خلواتهم.

ومنها: مشاهدة الأرضين السبع والسموات السبع ، ومنها مشاهدة النار التي في الأرض الخامسة ، وغير ذلك مما في الأرض والسماء ... ومن الأشياء التي يشاهدونها: اشتباك الأرضين بعضها ببعض ، وكيف تخرج من أرض إلى أرض أخرى ، وما تمتاز به أرض عن أرض أخرى ، والمخلوقات التي في كل أرض.

ومنها: مشاهدة اشتباك الأفلاك بعضها ببعض ، ما نسبتها من السموات وكيف وضع النجوم التي فيها.

---

(١) التصوف – المنشأ والمصادر، ص/١١٣

ومنها: مشاهدة الشياطين وكيف توالدها.

ومنها: مشاهدة الجن وأين يسكنون؟

ومنها: مشاهدة سير الشمس والقمر والنجوم ... وأما ما يشاهده في المقام الثاني فإنه يكاشف بالأنوار الباقية كما كوشف في المقام الأول بالأمور الظلمانية الفانية ،

---

(١) الإنسان الكامل للجيلي ج١ ص ٦٣. ٦٤.

(٢) حياة القلوب في كيفية الوصول إلى الجنوب لعماد الدين الأموي ص ٢٦١ بهامش قوت القلوب لأبي طالب.

(٣) حياة القلوب ص ٢٧٥ ، ٢٧٦ بهامش قوت القلوب لأبي طالب المكي.." (١)

"(باب في الأئمة أنهم يعرفون منطق الطير).

(باب في الأئمة عليهم السلام أنهم يعرفون منطق البهائم ، ويعرفونهم ، ويجيبونهم إذا دعوهم) (١).

ثم يورد تحتها روايات كثيرة تنبئ وتدل على كل ما ذكره في العناوين.

فمثلا يروي عن جعفر بن الباقر أنه قال:

(قال الحسن بن علي عليه السلام: إن لله مدينتين ، إحداهما بالمشرق ، والأخرى بالمغرب ، عليهما سوران من حديد ، وعلى كل مدينة ألف ألف مصراع من ذهب ، وفيها سبعون ألف ألف لغة يتكلم كل لغة بخلاف لغة صاحبه ، وأنا أعرف جميع اللغات وما فيهما وما بينهما وما عليهما حجة غيري والحسين أخي) (٢).

ويروي عن محمد الباقر أنه قال:

(علمنا منطق الطير ، وأوتينا من كل شيء) (٣).

---

(١) التصوف – المنشأ والمصادر، ص/١٧٨

وغير ذلك من الروايات الكثيرة ، وأورد مثلها كل من الكليني في كافيه ، والحر العاملي في الفصول المهمة.

ومثل ذلك ذكر المتصوفة في كتبهم عن أوليائهم ومشائخهم ، فيقول الشعراني في طبقاته عن إبراهيم الدسوقي:

(وكان رضي الله عنه يتكلم بالعجمي والسرياني والعبراني والزنجي ، وسائر لغات الطيور والوحوش) (٤).

وقال عماد الدين الأموي: (العارفون يفهمون كلام المخلوقين من الحيوانات والجمادات) (٥).

وكتب الشعراني في كتابه (الأنوار المقدسية):

---

(١) انظر بصائر الدرجات الكبرى للصفار الجزء التاسع ص ٣٥٧ وما بعد ، ومثل ذلك في الفصول المهمة في أصول الأئمة للحر العاملي ص ١٥٥ ، كذلك في ألأصول من الكافي ج١ ص ٢٢٧.

(٢) انظر بصائر الدرجات الجزء السابع ص ٣٥٩.

(٣) أيضا ص ٣٦٢.

(٤) طبقات الشعراني ج١ ص ١٦٦.

(٥) انظر **حياة القلوب** لعماد الدين الأموي بهامش قوت القلوب لأبي طالب المكي ج٢ ص ٢٧٥.." (١)

"فهذه العبارات كلها لم تكن مقتبسة منقولة من التشيع وبل إنها شيعية وصرفة.

وبعد هذا كله نريد أن نبين توغل الصوفية في علم الباطن وعلاقتهم به ، وسبب إلتجائهم إليه ، فنقول:

(إن الصوفية يقولون: إن علم الباطن المسمى بعلم القلب وبعلم التصوف ، علم جليل شريف نفيس ، وهو أجل العلوم وأشرفها ، وهو الزبدة الممخوضة من الشريعة التي لم تبعث الأنبياء عليهم السلام إلا لأجلها ... وهو علم طريق الآخرة ، وهو العلم الذي درج عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم ، وهو العلم الذي لم يبعث الله الأنبياء إلا لأجله. وقد سماه الله تعالى في كتابه فقها وعلما وضياء ونورا وهدى ورشدا ، وهو مستخرج من القرآن والسنة ، ومدلول عليه منهما نصا وتصريحا وتلويحا وكتابة وإشارة وغير ذلك من أصناف الدلالة.

---

(١) التصوف – المنشأ والمصادر، ص/٢٢٢

قال الغزالي: علم الباطن هو علم يقين المقربين ، وثمرته الفوز برضا الله تعالى ، ونيل سعادة الأبد ، وبه تزكية النفس وتطهيرها ، وتنوير القلب وصفاؤه بحيث ينكشف بذلك النور أمور جليلة ، ويشهد أحوالا عجيبة ، ويعاين ما نمت عنه بصيرة) (١).

وقالوا:

(هل ظاهر الشرع وعلم الباطن ... إلا كجسم فيه روح ساكن
والعلم الظاهر هو علم العبودية ... والعلم الباطن هو علم الربوبية) (٢).

وقالوا:

(لا تجعلوا أحدا من أهل الظاهر حجة على أهل الباطن) (٣).

وخلاصة هذا أن علم الباطن هو التصوف بعينه ، وهو ما أشار الكلاباذي نقلا عن عبد الواحد بن زيد أنه قال:

(سألت الحسن عن علم الباطن فقال: سألت حذيفة بن اليمان عن علم الباطن فقال: سألت رسول الله عن علم الباطن فقال: سألت جبريل عن علم الباطن فقال: سألت الله عز وجل عن علم الباطن فقال هو سر من سري ، أجعله في

---

(١) **حياة القلوب** في كيفية الوصول إلى المحبب لعماد الدين الأموي ج١ ص ٢٥٩ ، ٢٦١ بهامش قوت القلوب لأبي طالب المكي. ط دار صادر بيروت.

(٢) الفتوحات الإلهية لابن عجيبة ص ٣٣٣.

(٣) قواعد التصوف.." (١)

"٥٦. جامع الأصول في الأولياء لأحمد الكمشخانوي. ط المطبعة الوهيبية طرابلس الشام ١٢٩٨ هـ.

---

(١) التصوف - المنشأ والمصادر، ص/٢٤٨

٥٧. جامع كرامات الأولياء لابن عربي. ط دار صادر بيروت.
٥٨. جامي (فارسي) لعلي أصغر حكمت. ط انتشارات توس إيران.
٥٩. جمهرة الأولياء لأبي الفيض المنوفي الحسيني. ط مؤسسة الحلبي القاهرة.
٦٠. الجواب المستقيم لابن عربي مخطوط.
٦١. الجواهر والدرر للشعراني. ط مصر.
٦٢. الجواهر اللماعة لعلي المرزوقي. ط مصطفى البابي الحلبي مصر.
٦٣. جهل مجلس لعلاء الدين سمناني بتصحيح عبد الرفيع حقيقت (فارسي).
٦٤. الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية. ط باكستان.
٦٥. الحب الإلهي في التصوف الإسلامي لمحمد مصطفى حلمي. ط القاهرة ١٩٦٠م.
٦٦. حضرات القدس (فارسي) لبدر الدين سرهندي. ط لاهور ١٩٧١ م.
٦٧. حقائق عن التصوف لعبد القادر عيسى الطبعة الرابعة. المطبعة الوطنية عمان ١٤٠١هـ.
٦٨. حكمة الإشراق لشهاب الدين السهروردي.
٦٩. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني. ط دار الكتاب العربي بيروت ١٩٨٠م.
٧٠. الحلاج لطه عبد الباقي سرور. ط دار نهضة مصر القاهرة.
٧١. **حياة القلوب** في كيفية الوصول إلى المحجوب بهامش قوت القلوب. ط دار صادر بيروت.
٧٢. الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد للسيوطي مخطوط.
٧٣. ختم الولاية للحكيم الترمذي. ط المطبعة الكاثوليكية بيروت.
٧٤. خزينة الأصفياء (أردو) لمفتي غلام سرور. طبعة باكستان.
٧٥. خزينة معرفت (أردو) للصوفي محمد إبراهيم قصوري. ط باكستان.
٧٦. درر الغواص على فتاوى سيدي علي الخواص لعبد الوهاب الشعراني. بهامش الإبريز للدباغ. ط مصر.." (١)

"@١٢٥ @بين الهدى والضلال ، ومنه التثبيت والإزالة ، له الحكم ، وإليه المصير ، وقلوب عامة المؤمنين تتقلب بين أحوال مختلفة بين يقين واضطراب ، وغفلة وتيقظ ، وسكون إلى الدنيا وميل إلى الآخرة

---

(١) التصوف - المنشأ والمصادر، ص/٢٨٠

، مرة إلى هذا ومرة إلى هذا.

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : إنما سمي القلب قلبا لانه يتقلب.

وقال بعض الحكماء : ما من شيء اشد على العبد من حفظ القلب بين ما يحول حول العرش حتى تراه يجول خوف [الجنس].

وقال سهل بن عبد الله رحمة الله عليه : إنما على العبد ذم جوارحه ، وحفظ حدود الله ، وكف النفس عن شهواتها ، فإذا فعل ذلك حفظ الله تعالى قلبه ، واصلح سره ، وفي بعض الروايات : من صلح ربانيته اصلح الله تعالى جوانبه ، معناه من اصلح ظاهرة بذم جوارحه ، وحفظ حركاته ، اعانه الله تعالى على حفظ قلبه.

وقال بعض الحكماء : استجلب نور القلب بدوام الحزن ، واستفتح باب الحزن بطول الذكر ، واطلب راحة البدن بإحجام القلب ، واطلب إحجام القلب بترك خلطاء السوء ، وقيل : موت القلب بالجهل ، **وحياة القلب** بالعلم.

قال : حدثنا موسى بن محمد بن سماك الفقيه ، قال : حدثنا ابي ، قال : حدثنا الحسين بن سهل البصري ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال : حدثنا أبو معمر ، عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن القلب يدثر كما يدثر السيف.

وحدثنا حاتم بن عقيل ، قال : حدثنا يحيى بن إسماعيل ، قال : حدثنا يحيى الحماني ، قال : حدثنا أبو بكر ، عن أبي المقلب ، عن عبيد الله بن زحر ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي امامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن لقمان قال لابنه : يا بني عليك مجالس العلماء ، واستمع كلام الحكماء ، فإن الله تعالى يحيي القلب الميت بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل المطر.." (١)

"- القول الثاني: الرحمن دال على صفته الذاتية، والرحيم دال على صفته الفعلية، وهذا حسن أحسن من الأول، أن الرحمن مدلوله الرحمة لكنها باعتبار كونها صفة للذات، والرحيم كذلك دال على الرحمة لكن باعتبار جهة الأخرى وهي كونها صفة فعلية. قال ابن القيم في ((البدائع)): الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه، يعني صفة ذاتية، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم - يعني إيصال الرحمة إلى المرحوم

---

(١) معاني الأخبار للكلاباذي ٣٨٤، ص/١٢٥

وهو المخلوق – كما قال تعالى: {وكان بالمؤمنين رحيما}. ولم يجيء قط رحمن بهم، ما جاء هكذا، إنما جاء ماذا؟ رحيم بهم، فكان الأول للوصف يعني الرحمن، والثاني الرحيم للفعل، فالأول دال على أن الرحمة وصفه، والثاني الذي هو الرحيم دال على أنه يرحم خلقه برحمته، وقد اجتمعا في بسم الله الرحمن الرحيم أنواع التوحيد الثلاثة:

توحيد الربوبية.

وتوحيد الإلوهية.

وتوحيد الأسماء والصفات.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: وتضمن بسم الله الرحمن الرحيم إثبات النبوات من جهات عديدة:

الأول: من اسم الله وهو المألوه المعبود، ولا سبيل إلى معرفة عبوديته إلا من طريق رسله صحيح؟ بسم الله. الله معناه المألوه المعبود، كيف نعرف العبادة؟ لا بد من طريق يدلنا على ذلك وهو الرسل.

الثاني: من اسمه الرحمن فإن رحمته تمنع إهمال عباده وعدم تعريفهم ما ينالون به غاية السعادة، فمن أعطى هذا الاسم حقه عرف أنه متضمن لإرسال الرسل وإنزال الكتاب أعظم من تضمنه علم إنزال الغيث وإنبات الكلأ وإخراج الحب، فاقتضاء الرحمة لما يحصل به **حياة القلوب** والأرواح أعظم من اقتضائها ما يحصل به حياة الأبدان والأشباح. والله المستعان.

(وقوله: {ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما} [غافر: ٧])..» (١)

"وجوب الإيمان بأن مع كل قطرة نازلة من السماء ملك نازل من السماء

قال المؤلف رحمه الله: [والإيمان بأن مع كل قطرة ملكا ينزل من السماء، حتى يضعها حيث أمر الله عز وجل].

جاء هذا من قول الحسن بن قتيبة والحسن البصري، وذلك أن الله تعالى وكل بالقطر ملكا وهو ميكائيل، وجبريل موكل بالوحي، وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور، فهؤلاء الأملاك الثلاثة هم رؤساء الملائكة وهم مقدمون عليهم؛ ولهذا توسل النبي صلى الله عليه وسلم بربوبية الله لهؤلاء الأملاك الثلاثة في حديث عائشة في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قام من الليل استفتح بهذا الاستفتاح: (اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٨/١٧

كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم).
قال العلماء: توسل النبي صلى الله عليه وسلم بربوبية الله لهؤلاء الأملاك الثلاثة؛ لأن كل ملك موكل بما فيه الحياة، فجبريل موكل بالوحي الذي فيه **حياة القلوب** والأرواح، وميكائيل موكل بالقطر والمطر الذي فيه حياة الأبدان والنبات والحيوان، وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور الذي فيه إعادة الأرواح إلى أجسادها فتعود الحياة إلى الأجسام.." (١)

"(«وجد بهن حلاوة الإيمان») لماذا؟ قال الشراح: لما يحصل به من لذة القلب ونعيمه وسروره وغذائه، هذا المراد بالحلاوة يعني طمأنينة القلب وانشراح الصدر، وهذا هو حلاوة الإيمان، فرحه بربه جل وعلا وبدينه وبنبيه وبطاعته وبمحبته لهما هذا يدركه الإنسان من نفسه يفرح به ويسمى في الشرع («حلاوة الإيمان») لما يحصل به من لذة القلب، والقلب يتلذذ، ونعيمه وسروره وغذائه، غذاء القلب هو طاعة الرحمن كما أن غذاء البدن هو الطعام والشراب، والحلاوة هنا هي التي يعبر عنها بالذوق - هكذا قال بعضهم يعبر عنها بالذوق - ولذلك تأتي في بعض الأحاديث «ذاق طعم الإيمان» والذوق الأصل فيه ماذا؟ بالفم كما مر معنا ذوق الطعم بالفم، لكن إذا ذاقه بقلبه حينئذ نقول: إما اللفظ يستعمل حقيقة في المعنيين، وإما أنه في أحدهما حقيقة وفي الآخر مجاز، فما يدرك بالحس فهو الحقيقة، وما يدرك بالقلب فهو مجاز ولا إشكال في هذه المسألة. والحلاوة هنا هي التي يعبر عنها بالذوق، وهي حلاوة محسوسة - هكذا قال بعض الشراح - المراد أنه يحسها يجدها شيء موجود، ليس هو أمرا اعتباريا يكون في الذهن بهذا المعنى يصح أنها محسوسة، يعني يشعر من قلبه أنه مسرور وأنه فرح، ويشعر بقلبه بطمأنينة إلى طاعة ربه جل وعلا، يجدها أهل الإيمان في قلوبهم أعلى من حلاوة المطعوم الحلو في الفم، ولا شك بل لا مقارنة، لأن الحياة الأصلية حقيقية هي **حياة القلب**، وحياة البدن هذه فرع عنها، فإذا كان كذلك فحينئذ لا مقارنة بين الحلاوتين، فيستلذ بالطاعات ويتحمل المشقات، يعني إذا وجدت حلاوة القلب حينئذ تلذذ بالطاعة، ولا تثقل الطاعات إلا على من فقد هذه الحلاوة، لأنه لا يجد إلا انقباضا، عكس حلاوة الإيمان انقباض القلب، وإذا انقبض القلب حينئذ لا تسأل عن نفوره من وعن الطاعات. فإذا كانت الحلاوة موجودة في القلب وأدركها وأحس بها حينئذ يتلذذ بالطاعات ويتحمل المشقات. من يجد لذتها في ذلك بكمالها،

---

(١) شرح كتاب السنة للبربهاري - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٨/٨

فيستلذ الطاعات ويتحمل المشقات في رضا الله تعالى ويحبه ويفعل طاعته ويترك مخالفته، يعني بالمحبة يترتب عليها فعل الطاعة واجتناب ماذا؟ اجتناب المنهي عنه، ويحبه يفعل طاعته ويترك مخالفته.." [١]

"أنواع المحبة وما يجوز إثباته لله منها

قال الشارح رحمه الله: [ومن المعلوم قطعا أنه لا يتنافس إلا في قرب من يحب قربه، وحب قربه تبع لمحبة ذاته، بل محبة ذاته أوجبت محبة القرب منه، وعند الجهمية والمعطلة ما من ذلك كله شيء، فإنه عندهم لا تقرب ذاته من شيء، ولا يقرب من ذاته شيء، ولا يحب، فأنكروا **حياة القلوب**، ونعيم الأرواح، وبهجة النفوس، وقرة العيون، وأعلى نعيم الدنيا والآخرة؛ ولذلك ضربت قلوبهم بالقسوة، وضرب دونهم ودون الله حجاب على معرفته ومحبته، فلا يعرفونه ولا يحبونه ولا يذكرونه إلا عند تعطيل أسمائه وصفاته، فذكرهم أعظم آثامهم وأوزارهم، بل يعاقبون من يذكره بأسمائه وصفاته ونعوت جلاله، ويرمونهم بالأدواء التي هم أحق بها وأهلها، وحسب ذي البصيرة **وحياة القلب** ما يرى على كلامهم من القسوة والمقت، والتنفير عن محبة الله تعالى ومعرفته وتوحيده، والله المستعان.

وقال رحمه الله تعالى أيضا: لا تحد المحبة بحد أوضح منها، فالحدود لا تزيدها إلا خفاء، فحدها وجودها، ولا توصف المحبة بوصف أظهر من المحبة، وإن تكلم الناس في أسبابها وموجباتها وعلاماتها وشواهدها وثمراتها وأحكامها].

المحبة قسمت أقساما كما هو معروف في لغة العرب، فلها أول، ولها وسط، ولها آخر، فأولها: الإرادة، وهي الميل إلى المحبوب بإرادته، وهي دون العلاقة التي تغني أن يتعلق قلبه به، ثم الصبابة وهي: أن ينصب القلب إلى المحبوب مثل انصباب الماء في منحدره، ثم المودة وهي: خالص الحب، ثم الشغف وهي: أن تصل المحبة إلى شغاف القلب وتتغلغل فيه، ثم بعد الشغف العشق وهو: الحب الذي فيه خطر على الإنسان، ولكن مثل هذا ما يوصف الله جل وعلا به، ولا يجوز أن يقول العبد: أنا عاشق لله؛ لأن العشق محبة فيها شهوة، وهذه لا يجوز أن يوصف بها الله جل وعلا أو تكون للعبد في الله تعالى.

ثم بعد ذلك التتيم وهو التعبد، ثم الخلة، وهي نهاية المحبة، ومعناها أن الحب تخلل جميع أجزاء القلب فلم يبق فيه مكان؛ ولهذا الله جل وعلا ما اتخذ خليلا إلا إبراهيم ومحمدا صلوات الله وسلامه عليهما؛ لأنهما اللذان كملا المحبة لله جل وعلا، وغيرهما لا يقدر على ذلك.

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٥/٧٢

ولا يجوز أن يوصف الله جل وعلا بأقسام هذه المحبة كلها، وإنما يوصف بما ورد به النص، فالذي ورد به النص يوصف به جل وعلا وتقدس؛ لأن صفاته تتوقف على النص، فما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم أثبت ووصف به وسمي به وإلا لا يجوز.

قال الشارح رحمه الله: [وأجمع ما قيل في ذلك: ما ذكره أبو بكر الكتاني عن الجنيد، قال أبو بكر: جرت مسألة في المحبة بمكة ـ أعزها الله ـ أيام الموسم. فتكلم الشيوخ فيها، وكان الجنيد أصغرهم سنا فقالوا: هات ما عندك يا عراقي! فأطرق رأسه، ودمعت عيناه ثم قال: عبد ذاهب عن نفسه، متصل بذكر ربه، قائم بأداء حقوقه، ناظر إليه بقلبه، أحرق قلبه أنوار هيبته، وصفا شرابه من كأس مودته، وانكشف له الحياء من أستار غيبه، فإن تكلم فبالله، وإن نطق فعن الله، وإن تحرك فبأمر الله، وإن سكن فمع الله]..." (١)

"رؤساء الملائكة

وهذا الحديث حديث عظيم، وفيه أن جبرائيل جاء للنبي صلى الله عليه وسلم في صورة رجل أعرابي ورآه الصحابة، فدل على أن الملك ملك الوحي، وهو أشرف الملائكة وأصل الملائكة، وأفضل الملائكة ورؤساء الملائكة ثلاثة: جبريل وميكائيل وإسرافيل، وهؤلاء الثلاثة هم رؤساء الملائكة، وذلك أن كل واحد من هؤلاء الثلاثة موكل بما فيه الحياة، فجبريل موكل بالوحي الذي به **حياة القلوب** والأرواح، وميكائيل موكل بالقطر والمطر والماء الذي فيه حياة الحيوانات والنباتات، وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور الذي فيه استعادة الأرواح إلى أجسادها بعد الموت، فكل واحد من هؤلاء الثلاثة موكل بما فيه الحياة، فهم رؤساء الملائكة وأصل الملائكة؛ ولهذا توسل النبي صلى الله عليه وسلم في دعاء الاستفتاح المذكور في صلاة الليل بربوبية الله لهؤلاء الأملاك الثلاثة، كما ثبت في صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قام من الليل للصلاة استفتح بهذا الاستفتاح: (اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم).

هذا دعاء استفتاح كان النبي صلى الله عليه وسلم يستفتح به في صلاة الليل، وفيه: أن النبي صلى الله عليه وسلم توسل إلى الله بربوبيته لهؤلاء الأملاك الثلاثة الذين وكلوا بما فيه الحياة، ويقال: جبرائيل وجبريل، وميكائيل وميكال.

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان ٨/٨٤

فجبريل جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم في صورة أعرابي، وسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام، ثم سأله عن الإيمان، ثم سأله عن الإحسان، وجاء أن سبب مجيء جبرائيل: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: سلوني سلوني، فهابوا، فأرسل الله جبرائيل وجاء فسأل النبي صلى الله عليه وسلم.

فدل هذا على أن الملك يتشكل ويتصور، وأعطاه الله القدرة على ذلك، فجاء جبريل على صورة أعرابي هنا، ورآه الصحابة، وكثيرا ما يأتي في صورة دحية الكلبي وكان رجلا جميلا، وأما صورته التي خلقه الله عليها فله ستمائة جناح، كل جناح يملأ ما بين السماء والأرض، ورآه النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الصورة مرتين: مرة في الأرض عند البعثة عند غار حراء، فقد رأى ملكا قاعدا بين السماء والأرض قد سد الأفق، فرعب منه رعبا شديدا، فغطه وقال له: اقرأ يا محمد، قال: ما أنا بقارئ، يعني: لست قارئا، قال: اقرأ، ثلاث مرات، ويذكر في كل مرة أنه يغطه حتى يبلغ منه الجهد، وهذه تهيئة لتحمل الرسالة وأعبائها، فذهب إلى زوجه خديجة وقال: خفت أن يختلج عقلي، قالت: كلا والله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق.

ورآه مرة ثانية على هذه الصورة ليلة المعراج، حينما جاوز السبع الطباق، ورآه مرات كثيرة بطرق متعددة، وهذه المرة جاء في صورة أعرابي.." (١)

"ضرورة التثبت من الأقوال المنسوبة إلى العلماء

Q ما صحة ما ينقل عن شيخ الإسلام رحمه الله أنه قال: من قال: يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث، أربعين مرة بين سنة الفجر إلى صلاة الفجر رزق **حياة القلب؟**

A لا أعلم صحة هذا، إذا كان ورد هذا عنه فليراجع، وعلى السائل أن يثبت هذا، فإذا ثبت بسند صحيح، وإلا فلا يقبل.." (٢)

"خامس عشر: الآثار الإيمانية لاسم الله الحي

أن المؤمن عندما يدرك أن الله تعالى حي بحياة وهي صفة لازمة له تعالى وله جميع معانيها الكاملة من السمع والبصر والقدرة والإرادة وغيرها من الصفات الذاتية الثابتة بالكتاب والسنة، والحي من أسمائه عز وجل، فإنه يسلم وجهه له إيمانا به وتوكلا عليه، ففيه رغبته ورهبته، ومعاذه وملاذه لأنه الحي الذي لا يموت

---

(١) شرح كتاب الإيمان الأوسط لابن تيمية - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ١٣/١

(٢) شرح كتاب الإيمان الأوسط لابن تيمية - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ١٧/٢

والجن والإنس يموتون، وحاديه في هذا كله قوله صلى الله عليه وسلم: ((اللهم لك أسلمت وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون)) (١).

ومن مقتضى الإيمان بهذا الاسم أن يلهج المؤمن به لما له من تأثير عظيم في **حياة القلوب**. قال الإمام ابن القيم: فذكر الله سبحانه وتعالى، ومحبته وطاعته والإقبال عليه ضامن لأطيب الحياة في الدنيا والآخرة، والإعراض عنه والغفلة ومعصيته: كفيل بالحياة المنغصة والمعيشة الضنك في الدنيا والآخرة (٢).

ومن تجريبات السالكين التي جربوها فألفوها صحيحة: أن من أدمن (يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت) أورثه ذلك **حياة القلب** والعقل، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية –قدس الله روحه- شديد الله جبها جدا وقال لي يوما: لهذين الاسمين – وهما (الحي القيوم) – تأثير عظيم في **حياة القلب**. وكان يشير إلى أنهما الاسم الأعظم، وسمعته يقول: من واظب على أربعين مرة كل يوم بين سنة الفجر وصلاة الفجر: (يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت برحمتك استغيث) حصلت له **حياة القلب** ولم يمت قلبه (٣). منهج الإمام ابن قيم الجوزية في شرح أسماء الله الحسنى لمشرف بن علي بن عبد الله الحمراني الغامدي – ص: ٣٩٩

(١) رواه مسلم (٢٧١٧). من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) ((مدارج السالكين)) (٣/ ٢٧٠، ٢٧١).

(٣) ((مدارج السالكين)) (١/ ٤٨٢)..". [١]

"إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الدالة على النهي عن دعاء غير الله، وأنه من الشرك الأكبر.

الثانية: أن ينسب حصول الأمطار إلى هذه الأنواء على أنها هي الفاعلة بنفسها دون الله ولو لم يدعها، فهذا شرك أكبر في الربوبية، والأول في العبادة، لأن الدعاء من العبادة، وهو متضمن للشرك في الربوبية، لأنه لم يدعها إلا وهو يعتقد أنها تفعل وتقضي الحاجة.

القسم الثاني

شرك أصغر، وهو أن يجعل هذه الأنواء سببا مع اعتقاده أن الله هو الخالق الفاعل، لأن كل من جعل سببا لم يجعله الله سببا لا بوحيه ولا بقدرة، فهو مشرك شركا أصغر.

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢/٣٤٥

وقال الله تعالى وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون [الواقعة: ٨٢].

قوله تعالى: وتجعلون. أي: تصيرون، وهي تنصب مفعولين: الأول: رزق، والثاني أن، وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول ثان، والتقدير: وتجعلون رزقكم كونكم تكذبون أو تكذيبكم.

والمعنى: تكذبون أنه من عند الله، حيث تضيفون حصوله إلى غيره.

قوله: رزقكم. الرزق هو العطاء، والمراد به هنا: ما هو أعم من المطر، فيشمل معنيين:

الأول: أن المراد به رزق العلم، لأن الله قال: فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون تنزيل من رب العالمين أفبهذا الحديث أنتم مدهنون وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون [الواقعة: ٧٥ – ٨٣]، أي: تخافونهم فتداهنونهم، وتجعلون شكر ما رزقكم الله به من العلم والوحي أنكم تكذبون به، وهذا هو ظاهر سياق الآية.

الثاني: أن المراد بالرزق المطر، وقد روي في ذلك حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم لكنه ضعيف، إلا أنه صح عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية: أن المراد بالرزق المطر، وأن التكذيب به نسبته إلى الأنواء (١)، وعليه يكون ما ساق المؤلف الآية من أجله مناسبا للباب تماما. والقاعدة في التفسير أن الآية إذا كانت تحتمل المعنيين جميعا بدون منافاة تحمل عليهما جميعا، وإن حصل بينهما منافاة طلب المرجح.

ومعنى الآية: أن الله يوبخ هؤلاء الذين يجعلون شكر الرزق التكذيب والاستكبار والبعد، لأن شكر الرزق يكون بالتصديق والقبول والعمل بطاعة المنعم، والفطرة كذلك لا تقبل أن تكفر بمن ينعم عليها، فالفطرة والعقل والشرع كل منها يوجب أن تشكر من ينعم عليك، سواء قلنا: المراد بالرزق المطر الذي به حياة الأرض، أو قلنا: إن به القرآن الذي به **حياة القلوب**، فإن هذا من أعظم الرزق، فكيف يليق بالإنسان أن يقابل هذه النعمة بالتكذيب؟!

واعلم أن التكذيب نوعان:

أحدهما: التكذيب بلسان المقال، بأن يقول هذا كذب، أو المطر من النوء ونحو ذلك.

والثاني: التكذيب بلسان الحال، بأن يعظم الأنواء والنجوم معتقدا أنها السبب، ولهذا وعظ عمر بن عبد العزيز الناس يوما، فقال: (أيها الناس! إن كنتم مصدقين، فأنتم حمقى، وإن كنتم مكذبين، فأنتم هلكى) (٢). وهذا صحيح، فالذي يصدق ولا يعمل أحمق، والمكذب هالك، فكل إنسان عاص نقول له الآن:

أنت بين أمرين: إما أنك مصدق بما رتب على هذه المعصية، أو مكذب، فإن كنت مصدقا، فأنت أحمق، كيف لا تخاف فتستقيم؟ ! وإن كنت غير مصدق، فالبلاء أكبر، فأنت هالك كافر.

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة)) (٣).

---

(١) [٣٦٨٧])) رواه مسلم (٧٣).

(٢) [٣٦٨٨])) رواه أبو نعيم في ((الحلية)) (٥/ ٢٩٠).

(٣) [٣٦٨٩])) رواه مسلم (٩٣٤).." [(١)]

"المبحث الثاني: عقيدة أهل السنة والجماعة في الإيمان بالملائكة

وأما الملائكة فهم الموكلون بالسماوات والأرض، فكل حركة في العالم فهي ناشئة عن الملائكة، كما قال تعالى: فالمدبرات أمرا [النازعات:٥]، فالمقسمات أمرا [الذاريات:٤]. وهم الملائكة عند أهل الإيمان وأتباع الرسل، وأما المكذبون بالرسل المنكرون للصانع فيقولون: هي النجوم. ولفظ الملك يشعر بأنه رسول منفذ لأمر مرسله، فليس لهم من الأمر شيء، بل الأمر كله للواحد القهار، وهم ينفذون أمره: لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون. يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم. ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون فهم عباد مكرمون، منهم الصافون، ومنهم المسبحون، ليس منهم إلا له مقام معلوم، ولا يتخطاه، وهو على عمل قد أمر به، لا يقصر عنه ولا يتعداه، وأعلاهم الذين عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون، ورؤساؤهم الأملاك الثلاثة: جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، الموكلون بالحياة، فجبرائيل موكل بالوحي الذي به **حياة القلوب** والأرواح، وميكائيل موكل بالقطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان، وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور الذي به حياة الخلق بعد مماتهم. فهم رسل الله في خلقه وأمره، وسفراؤه بينه وبين عباده، ينزلون الأمر من عنده في أقطار العالم، ويصعدون إليه بالأمر، قد أطت السماوات بهم، وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك قائم أو راكع أو ساجد لله، ويدخل البيت المعمور منهم كل يوم سبعون ألفا لا يعودون إليه آخر ما عليهم. والقرآن مملوء بذكر الملائكة وأصنافهم ومراتبهم، فتارة يقرن الله تعالى: اسمه باسمهم،

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣/١٠١

وصلاته بصلاتهم، ويضيفهم إليه في مواضع التشريف، وتارة يذكر حفهم بالعرش وحملهم له، ومراتبهم من الدنو، وتارة يصفهم بالإكرام والكرم، والتقريب والعلو والطهارة والقوة والإخلاص. قال تعالى: كل آمن بالله وملآئكته وكتبه ورسله [البقرة:٢٨٥]، شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم [آل عمران:١٧]، هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور [سورة الأحزاب:٤٣]، الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا [سورة غافر:٧]، وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم [سورة الزمر:٧٥]، بل عباد مكرمون [الأنبياء:٢٦] إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون [الأعراف:٢٠٦]، فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون [فصلت:٣٨] كراما كاتبين [الانفطار:١١]، كرام بررة [عبس:١٦] يشهده المقربون [المطففين:٢١]، لا يسمعون إلى الملإ الأعلى ويقذفون من كل جانب [الصافات:٨]، وكذلك الأحاديث النبوية طافحة بذكرهم. فلهذا كان الإيمان بالملائكة أحد الأصول الخمسة التي هي أركان الإيمان. شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي - ٢/ ٤٠٥." (١)

"المبحث الأول: التفاضل بين الملائكة

والملائكة متفاضلون بعضهم أفضل من بعض، وأفضلهم المقربون الذين قال الله فيهم: لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملآئكة المقربون [النساء: ١٧٢].

قال الرازي: (قوله: ولا الملآئكة المقربون يدل على أن طبقات الملائكة مختلفة في الدرجة والفضيلة، فالأكابر منهم مثل جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل، وحملة العرش) (١) والملائكة المقربون هم المسمون بالكروبيين) (٢).

قال ابن الأثير: (وفي حديث أبي العالية: ((الكروبيين سادة الملائكة)) هم المقربون) (٣).

قال ابن كثير وقد ذكر أقسام الملائكة: (ومنهم الكروبيون الذين هم حول العرش، وهم أشرف الملائكة مع حملة العرش، وهم الملائكة المقربون كما قال تعالى: لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملآئكة المقربون) (٤).

وأفضل المقربين رؤساء الملائكة الثلاثة الذين كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكرهم في دعائه الذي يفتتح به صلاته إذا قام من الليل فيقول: ((اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض ..))

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢٦٢/٣

(٥). الحديث

قال ابن القيم في هذا الحديث: (فذكر هؤلاء الثلاثة من الملائكة لكمال اختصاصهم واصطفائهم وقربهم من الله، وكم من ملك غيرهم في السماوات فلم يسم إلا هؤلاء الثلاثة، فجبريل صاحب الوحي الذي به حياة القلوب والأرواح، وميكائيل صاحب القطر الذي به حياة الأرض والحيوان والنبات، وإسرافيل صاحب الصور الذي إذا نفخ فيه أحيت نفخته بإذن الله الأموات وأخرجتهم من قبورهم) (٦). وقد خص الله جبريل وميكائيل في كتابه بالذكر وعطف ذكرهما على ذكر الملائكة فقال: من كان عدوا لله وملآئكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين [البقرة: ٩٨]. قيل إنما خصهما بالذكر تشريفا لهما (٧).

وأفضل الملائكة ومقدمهم جبريل عليه السلام، قال الله عز وجل فيه: قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين [البقرة: ٩٧]. فشرفه الله عز وجل بذكره وذم معاديه، وذكر سبحانه دليل فضله وتشريفه وهو وظيفته الشريفة الكريمة: تبليغ الوحي للرسل من الله، فهو الواسطة بين الله ورسوله، وقد سماه الله في كتابه بأسماء شريفة ووصفه بأوصاف كريمة، قال سبحانه: قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين [النحل: ١٠٢]. فسماه روح القدس، وقال: نزل به الروح الأمين [الشعراء: ١٩٣]. فسماه الروح الأمين، وقال سبحانه: إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين [التكوير: ١٩ – ٢١]. أي أن القرآن نزل به جبريل ووصف سبحانه جبريل بصفات كريمة كلها تقتضي تفضيله على سائر الملائكة، فهو رسول كريم، وذو قوة، وهو مكين المنزلة عند ذي العرش، ومطاع في السموات تطيعه الملائكة، وأمين على وحي الله ورسالاته (٨) , ولقد خصه الله بالذكر في مواضع من كتابه، قال سبحانه: فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير [التحريم: ٤].

فذكره سبحانه بعد ذكر نفسه ولم يذكر سواه من الملائكة، وقال سبحانه: تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر [القدر: ٤]. ففي هذه الآيات تخصيص من الله له في الذكر مع ذكر الملائكة، وقال صلى الله عليه وسلم: ((إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبدا نادى جبريل: إن الله قد أحب فلانا فأحبه، فيحبه جبريل ثم ينادي جبريل في السماء أن الله قد أحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء)) (٩). وفي هذا الحديث ما لا يخفى من بيان فضل جبريل عليه السلام وأنه ليس فقط مبلغ كلام الله إلى الرسل بل وإلى الملائكة أيضا.

ومن أفضل الملائكة أهل بدر منهم كما في الحديث أن جبريل سأل النبي صلى الله عليه وسلم: ((ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: من أفضل المسلمين – أو كلمة نحوها - قال: وكذلك من شهد بدرا من الملائكة)) (١٠). مباحث المفاضلة في العقيدة لمحمد بن عبدالرحمن الشظيفي – ص: ٣٥٠

---

(١) ((تفسير الرازي)) (١١/ ١١٩).

(٢) ((الفتاوى)) (٤/ ٣٥٧) و ((البداية والنهاية)) (١/ ٤٩) و ((معارج القبول)) (٢/ ٨٧).

(٣) ((النهاية)) (٤/ ١٦١).

(٤) ((البداية والنهاية)) (١/ ٤٩).

(٥) رواه مسلم (٧٧٠). من حديث أبي سلمة بن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهما.

(٦) ((زاد المعاد)) (١/ ٣٦).

(٧) ((تفسير القرطبي)) (٢/ ٣٦).

(٨) ((زاد المسير)) (٧/ ٤٣).

(٩) ((البخاري مع الفتح)) (١٣/ ٤٦١) و ((مسلم)) (٤/ ٢٠٣٠).

(١٠) رواه البخاري (٣٩٩٢). من حديث رفاعة بن رافع رضي الله عنه.." [١]

"المبحث الثاني: كلام ابن تيمية في حاجة البشرية إلى الرسل

وممن جلى هذه المسألة وبينها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى قال: (الرسالة ضرورية للعباد، لا بد لهم منها، وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء، والرسالة روح العالم ونوره وحياته، فأي صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور؟ والدنيا مظلمة ملعونة إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة، وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة، ويناله من حياتها وروحها فهو في ظلمة، وهو من الأموات، قال الله تعالى: أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها [الأنعام: ١٢٢]، فهذا وصف المؤمن كان ميتا في ظلمة الجهل، فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمان، وجعل له نورا يمشي به في الناس، وأما الكافر فميت القلب في الظلمات). وبين رحمه الله تعالى: (أن الله سمى رسالته روحا، والروح إذا عدم فقدت الحياة، قال الله تعالى: وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣/٣١٠

تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا [الشورى: ٥٢]، فذكر هنا الأصلين، وهما: الروح، والنور، فالروح الحياة، والنور النور) وبين رحمه الله تعالى: (أن الله يضرب الأمثال للوحي الذي أنزله حياة للقلوب ونورا لها بالماء الذي ينزله من السماء حياة للأرض، وبالنار التي يحصل بها النور، وهذا كما في قوله تعالى: أنزل من السمآء مآء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغآء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفآء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال [الرعد: ١٧].

يقول شيخ الإسلام رحمه الله معقبا على الآية: (فشبه العلم بالماء المنزل من السماء لأن به **حياة القلوب**، كما أن بالماء حياة الأبدان، وشبه القلوب بالأودية، لأنها محل العلم، كما أن الأودية محل الماء، فقلب يسع علما كثيرا، وواد يسع ماء كثيرا، وقلب يسع علما قليلا، وواد يسع ماء قليلا، وأخبر تعالى أنه يعلو على السيل من الزبد بسبب مخالطة الماء، وأنه يذهب جفاء، أي: يرمى به، ويخفى، والذي ينفع الناس يمكث في الأرض ويستقر، وكذلك القلوب تخالطها الشهوات والشبهات، ثم تذهب جفاء، ويستقر فيها الإيمان والقرآن الذي ينفع صاحبه والناس، وقال: ومما يوقدون عليه في النار ابتغآء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل [الرعد: ١٧]. فهذا المثل الآخر وهو الناري، فالأول للحياة، والثاني للضياء.

وبين رحمه الله أن لهذين المثالين نظيرا وهما المثالان المذكوران في سورة البقرة في قوله تعالى: مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمي فهم لا يرجعون أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين [البقرة: ١٧ - ١٩].." (١)

"المطلب الثاني: مفتاح الجنة

واعلم أن الباب لابد له من مفتاح، وأن مفتاح الجنة هي كلمة الإخلاص، وهي شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله.

أخرج الإمام أحمد عن معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعا: ((مفتاح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله)) (١).

قال الحافظ ابن رجب في كتابه (التوحيد): إسناده منقطع وسنده صحيح.

البخاري عن وهب بن منبه: (أنه قيل له: أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟ قال: بلى ولكن ليس من مفتاح

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١/٤

إلا له أسنان فإن أتيت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح) (٢).

.... وفي المسند عن معاذ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ألا أدلك على باب من أبواب الجنة؟ قلت: بلى. قال: لا حول ولا قوة إلا بالله)) (٣).

قال في حادي الأرواح: (ولقد جعل الله لكل مطلوب مفتاحا يفتح به، فجعل مفتاح الصلاة الطهارة، كما قال صلى الله عليه وسلم: ((مفتاح الصلاة الطهور)) (٤)، ومفتاح الحج الإحرام، ومفتاح البر الصدق، ومفتاح الجنة التوحيد، ومفتاح العلم حسن السؤال، وحسن الإصغاء، ومفتاح النصر والظفر الصبر، ومفتاح المزيد الشكر، ومفتاح الولاية المحبة، ومفتاح المحبة الذكر، ومفتاح الفلاح التقوى، ومفتاح التوفيق الرغبة والرهبة، ومفتاح الإجابة الدعاء، ومفتاح الإيمان التفكر فيما دعا الله عباده إلى التفكر فيه، ومفتاح الدخول على الله سلامة القلب، وسلامته له والإخلاص له في الحب والبغض والفعل والترك، ومفتاح **حياة القلب** تدبر القرآن، والتضرع بالأسحار، وترك الذنوب والأوزار، ومفتاح حصول الرحمة الإحساس في عبادة الخالق والسعي في نفع عبيده، ومفتاح حصول الرزق السعي مع الاستغفار والتقوى، ومفتاح العز طاعة الله ورسوله، ومفتاح الاستعداد للآخرة قصر الأمل، ومفتاح كل خير الرغبة في الله والدار الآخرة، ومفتاح كل شر حب الدنيا وطول الأمل، وهذا باب عظيم من أنفع أبواب العلم لمعرفة مفاتيح الخير والشر، فإن الله جعل للخير وللشر مفتاحا وبابا يدخل فيه إليه، كما جعل الشرك والكبر والإعراض عما بعث الله به رسوله والغفلة عن ذكره والقيام بحقه مفتاحا للنار، والخمر مفتاح كل إثم، والغناء مفتاح الزنا، وإطلاق النظرة في الصور مفتاح الطلب، والعشق والكسل والراحة مفتاح الخيبة والحرمان، والمعاصي مفتاح الكفر، والكذب مفتاح النفاق، والشح والحرص مفتاح البخل، وقطيعة الرحم وأخذ المال من غير حله والإعراض عما جاء به الرسول مفتاح كل بدعة وضلالة، فسبحان مسبب الأسباب والله الموفق) وإلى المفتاح أشار في النونية بقوله (٥):

هذا وفتح الباب ليس بممكن ... إلا بمفتاح على أسنان

مفتاحه بشهادة الإخلاص والتوحيد ... تلك شهادة الإيمان

أسنانه الأعمال وهي شرائع الإسلام ... والمفتاح بالأسنان

لا تلغين هذا المثال فكم به ... من حل إشكال لذي العرفان

@ البحور الزاخرة في علوم الآخرة لمحمد بن أحمد السفاريني – بتصرف – ٣/ ٩٦٢

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٢٤٢) (٢٢١٥٥). بلفظ: ((مفاتيح)) بدلا من: ((مفتاح)). قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (١/ ٢١): فيه انقطاع بين شهر ومعاذ وإسماعيل بن عياش روايته عن أهل الحجاز ضعيفة وهذا منها، وقال في (١٠/ ٨٥): رواه أحمد ورجاله وثقوا إلا أن شهرا لم يسمع من معاذ، وقال محمد جار الله الصعدي في ((النوافح العطرة)) (٣٣٥): رجاله موثقون.

(٢) رواه البخاري معلقا قبل حديث (١٢٣٧)، ووصله أبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (٤/ ٦٦). وانظر: ((تغليق التعليق)) لابن حجر (٢/ ٤٥٣ - ٤٥٤).

(٣) رواه أحمد (٥/ ٢٢٨) (٢٢٠٤٩)، ورواه النسائي (٦/ ٩٧)، والطبراني (٢٠/ ١٧٤) (١٧١٢٨) بلفظ: ((ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة))، والمنذري في ((الترغيب والترهيب)) (٢/ ٣٦٦). وقال: إسناده صحيح إن شاء الله، وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (١٠/ ١٠٠): رواه أحمد والطبراني ... رجالهما رجال الصحيح غير عطاء بن السائب وقد حدث عنه حماد بن سلمة قبل الاختلاط، وقال الألباني في ((صحيح الترغيب والترهيب)) (١٥٨١): صحيح لغيره.

(٤) رواه أبو داود (٦١)، والترمذي (٣)، وأحمد (١/ ١٢٣) (١٠٠٦). من حديث علي رضي الله عنه. والحديث سكت عنه أبو داود، وقال الترمذي: أصح شيء في هذا الباب وأحسن، وحسنه البغوي في ((شرح السنة)) (٢/ ١٨٤)، وقال ابن العربي في (عارضة الأحوذي)) (١/ ٣٦): رواه أبو داود بسند صحيح.

(٥) ((شرح ابن عيسى)) (٢/ ٤٧٤).." (١)

"قال ابن القيم رحمه الله: (وبالجملة فلا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر، فإنه جامع لجميع منازل السائرين وأحوال العاملين ومقامات العارفين، وهو الذي يورث المحبة والشوق والخوف والرجاء والإنابة والتوكل والرضا والتفويض والشكر والصبر، وسائر الأحوال التي بها **حياة القلب** وكماله، وكذلك يزجر عن جميع الصفات والأفعال المذمومة التي بها فساد القلب وهلاكه.

فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها، فإذا قرأه يتفكر حتى مر بآية وهو محتاج إليها في شفاء قلبه كررها ولو مائة مرة، ولو ليلة، فقراءة آية بتفكر وتفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم، وأنفع للقلب وأدعى إلى حصول الإيمان وذوق حلاوة القرآن ..) (١).

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٥/٧٩

وقال محمد رشيد رضا: (واعلم أن قوة الدين وكماله الإيمان واليقين لا يحصلان إلا بكثرة قراءة القرآن واستماعه مع التدبر بنية الاهتداء به والعمل بأمره ونهيه. فالإيمان الإذعاني الصحيح يزداد ويقوى وينمي وتترتب عليه آثاره من الأعمال الصالحة وترك المعاصي والفساد بقدر تدبر القرآن، وينقص ويضعف على هذه النسبة من ترك تدبره وما آمن أكثر العرب إلا بسماعه وفهمه، ولا فتحوا الأقطار ومصروا الأمصار، واتسع عمرانهم، وعظم سلطانهم، إلا بتأثير هدايته، وما كان الجاحدون المعاندون من زعماء مكة يجاهدون النبي ويصدونه عن تبليغ دعوة ربه إلا بمنعه من قراءة القرآن على الناس وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون [فصلت: ٢٦].

وما ضعف الإسلام منذ القرون الوسطى حتى زال أكثر ملكه إلا بهجر تدبر القرآن وتلاوته والعمل به) (٢).

فالقرآن الكريم هو من أعظم مقويات الإيمان، وأنفع دواعي زيادته، وهو يزيد إيمان العبد من وجوه متعددة.

قال ابن سعدي: (ويقويه من وجوه كثيرة، فالمؤمن بمجرد ما يتلو آيات الله، ويعرف ما رتب عليه من الأخبار الصادقة والأحكام الحسنة يحصل له من أمور الإيمان خير كبير، فكيف إذا أحسن تأمله، وفهم مقاصده وأسراره) (٣).

لكن ينبغي أن يعلم أن زيادة الإيمان التي تكون بقراءة القرآن لا تكون إلا لمن اعتنى بفهم القرآن وتطبيقه والعمل به، لا أن يقرأه قراءة مجردة دون فهم أو تدبر وإلا فكم قارئ للقرآن حجيجه وخصيمه يوم القيامة.

فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع آخرين) (٤).

وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (.. والقرآن حجة لك أو عليك) (٥).

فهو حجة لك ويزيد في إيمانك إن عملت به، وحجة عليك وينقص إيمانك إن فرطت به وأهملت حدوده.

قال قتادة: (لم يجالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان) (٦).

---

(١) ((مفتاح دار السعادة)) (ص: ٢٠٤).

(٢) ((مختصر تفسير المنار)) (٣/ ١٧٠).

(٣) ((التوضيح والبيان لشجرة الإيمان)) (ص: ٢٧).

(٤) رواه مسلم (١٩٣٤). من حديث عمر رضي الله عنه.

(٥) رواه مسلم (٥٥٦). من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

(٦) رواه ابن المبارك في ((الزهد)) (ص: ٢٧٢)، والآجري في ((أخلاق حملة القرآن)) (ص: ٧٣)، والمروزي في ((قيام الليل)) (ص: ٧٧)، وذكره البغوي في تفسيره (٣/ ١٣٣).." [١]

"فيؤخذ من هذا أن طاعة المخلوقين جميعهم: حاكمهم ومحكوميهم مقيدة بأن تكون بالمعروف، والمعروف هو ما عرف من الشارع والعقل السليم حسنه أمرا كان أو نهيا، والحكم في ذلك هم العلماء الذين يستنبطون الحكم من الكتاب والسنة كما قال تعالى: ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم [النساء: ٨٣]. إذا لم يكن الإمام عالما – مع أنه من شروطه – وكما شملت الآية السابقة أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم العلماء أيضا، ولأننا أمرنا عند التنازع بالتحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله وهذا ما يحمله علماء الشرع ويتعلمونه ويعلمونه. لذلك كله تكون طاعة الحكام تبعا لطاعة العلماء وفي هذا يقول ابن القيم رحمه الله: (والتحقيق أن الأمراء إنما يطاعون إذا أمروا بمقتضى العلم، فطاعتهم تبع لطاعة العلماء، فإن الطاعة إنما تكون في المعروف وما أوجبه العلم، فكما أن طاعة العلماء تبع لطاعة الرسول، فطاعة الأمراء تبع لطاعة العلماء، ولما كان قيام الإسلام بطائفتي العلماء والأمراء، وكان الناس كلهم تبعا لهم، كان صلاح العالم بصلاح هاتين الطائفتين، وفساده بفسادهما كما قال عبد الله بن المبارك وغيره من السلف: (صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس، وإذا فسدا فسد الناس، قيل من هم؟ قال: الملوك والعلماء) (١) وكما قال عبد الله بن المبارك:

رأيت الذنوب تميت القلوب ... وقد يورث الذل إدمانها

وترك الذنوب حياة القلوب ... وخير لنفسك عصيانها

وهل بدل الدين إلا الملوك ... وأحبار سوء ورهبانها

وباعوا النفوس فلم يربحوا ... ولم تغل في البيع أثمانها

لقد رتع القوم في جيفة ... يبين لذي العقل إنتانها (٢)

ثانيا: من السنة:

أما الأدلة على تقييد سلطة الإمام من السنة فكثيرة جدا نأخذ منها ما يلي:

١ – ما رواه الخمسة وأحمد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم – قال: ((على المرء السمع والطاعة فيما أحب أو كره إلا أن يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة)) (٣).

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٥٧/٦

قال ابن القيم رحمه الله تعليقا على هذا الحديث: (وفي هذا الحديث دليل على أن من أطاع ولاة الأمر في معصية الله كان عاصيا، وأن ذلك لا يمهد له عذرا عند الله، بل إثم المعصية لا حق به، وإن كان لولا الأمر لم يرتكبها، وعلى هذا يدل هذا الحديث وهذا وجهه وبالله التوفيق) (٤).

٢ - ومنها ما رواه البخاري - واللفظ له - ومسلم وغيرهما عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: ((بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - سرية، وأمر عليها رجلا من الأنصار، وأمرهم أن يطيعوه، فغضب عليهم وقال: أليس قد أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - أن تطيعوني؟ قالوا: بلى، قال: عزمت عليكم لما جمعتم حطبا وأوقدتم نارا ثم دخلتم فيها، فجمعوا حطبا وأوقدوا نارا، فلما هموا بالدخول فقام ينظر بعضهم إلى بعض، فقال بعضهم: إنما تبعنا النبي - صلى الله عليه وسلم - فرارا من النار أفندخلها؟ فبينما هم كذلك إذ خمدت النار، وسكن غضبه، فذكر للنبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: لو دخلوها ما خرجوا منها، إنما الطاعة في المعروف)) (٥).

---

(١) [١٣٢٢٤])) ((إعلام الموقعين)) (١/ ١٠).

(٢) [١٣٢٢٥])) ((جامع بيان العلم وفضله)) لابن عبد البر (١/ ٣٢٧ - ٣٢٨).

(٣) [١٣٢٢٦])) رواه البخاري (٢٩٥٥)، ومسلم (١٨٣٩)، وأبو داود (٢٦٢٦)، والترمذي (١٧٠٧)، والنسائي (٧/ ١٦٠)، وأحمد (٢/ ١٧) (٤٦٦٨).

(٤) [١٣٢٢٧])) انظر: ((تهذيب سنن أبي داود)) (٧/ ٢٠٨).

(٥) [١٣٢٢٨])) رواه البخاري (٧١٤٥)، ومسلم (١٨٤٠).." (١)

"خصهم بها، وجعلهم أهل الرفيق الأعلى حيث يقول تعالى: {ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا} (١).

فهؤلاء الأصناف الأربعة هم أهل هذه النعمة المطلقة، وأصحابها المعنيون بقوله تعالى: {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا} (٢)، فكان الكمال في جانب الدين، والتمام في جانب النعمة، قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: ((إن للإيمان حدودا، وفرائض، وسننا، وشرائع، فمن استكملها فقد استكمل الإيمان)) (٣).

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٨٣/٨

ودين الله هو شرعه المتضمن لأمره ونهيه، ومحابه، والمقصود أن النعمة المطلقة هي التي اختصت بالمؤمنين، وهي نعمة الإسلام والسنة، وهذه النعمة هي التي يفرح بها في الحقيقة، والفرح بها مما يحبه الله ويرضاه، قال – سبحانه وتعالى -: {قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون} (٤)، وقد دارت أقوال السلف على أن فضل الله ورحمته: ((الإسلام والسنة، وعلى حسب **حياة القلب** يكون فرحه بهما، وكلما كان أرسخ فيهما كان قلبه أشد فرحا، حتى أن القلب ليرقص فرحا إذا باشر روح السنة أحزن ما يكون الناس وهو ممتلىء أمنا أخوف ما يكون الناس)) (٥).

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٩.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٣) البخاري معلقا، في كتاب الإيمان، باب قول النبي – صلى الله عليه وسلم -: ((بني الإسلام على خمس))، ١/ ٩.

(٤) سورة يونس، الآية: ٥٨.

(٥) مقتبس من كلام الإمام ابن القيم في كتابه: اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، ٢/ ٣٣ – ٣٦، و٣٨.." [1]

"حصول الفساد بمعارضة الشريعة بالسياسات والأذواق والأقيسة الفاسدة

قال رحمه الله تعالى: [ولا شك أن من لم يسلم للرسول صلى الله عليه وسلم نقص توحيده، فإنه يقول برأيه وهواه، أو يقلد ذا رأي وهوى بغير هدى من الله، فينقص من توحيده بقدر خروجه عما جاء به الرسول، فإنه قد اتخذ في ذلك إلها غير الله، قال تعالى: {أفرأيت من اتخذ إلهه هواه} [الجاثية:٢٣] أي: عبد ما تهواه نفسه، وإنما دخل الفساد في العالم من ثلاث فرق، كما قال عبد الله بن المبارك رحمة الله تعالى عليه: رأيت الذنوب تميت القلوب وقد يورث الذل إدمانها وترك الذنوب **حياة القلوب** وخير لنفسك عصيانها وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها فالملوك الجائرة يعترضون على الشريعة بالسياسات الجائرة ويعارضونها بها، ويقدمونها على حكم الله ورسوله.

وأحبار السوء -وهم العلماء الخارجون عن الشريعة- بآرائهم وأقيستهم الفاسدة المتضمنة تحليل ما حرم

---

(١) نور السنة وظلمات البدعة في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/١٣

الله ورسوله، وتحريم ما أباحه واعتبار ما ألغاه، وإلغاء ما اعتبره، وإطلاق ما قيده وتقييد ما أطلقه ونحو ذلك.

والرهبان -وهم جهال المتصوفة، المعترضون على حقائق الإيمان والشرع- بالأذواق والمواجيد والخيالات والكشوفات الباطلة الشيطانية، المتضمنة شرع دين لم يأذن به الله، وإبطال دينه الذي شرعه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، والتعوض عن حقائق الإيمان بخدع الشيطان وحظوظ النفس].

هذا الكلام تفسير لقوله: إنما دخل الفساد في العالم من ثلاث فرق، وهذا لا يعني أن الفساد لا يحدث إلا من هذه الثلاث، لكن ابتداء الفساد في الأمم في الغالب أنه يبدأ من هذه الأصناف الثلاثة.." (١)

"اللياذ بما قاله طبيب القلوب صلى الله عليه وسلم طريق إلى عافيتها

قال رحمه الله تعالى: [وتجد أحد هؤلاء عند الموت يرجع إلى مذهب العجائز، فيقر بما أقروا به، ويعرض عن تلك الدقائق المخالفة لذلك التي كان يقطع بها، ثم تبين له فسادها أو لم يتبين له صحتها، فيكونون في نهاياتهم إذا سلموا من العذاب بمنزلة أتباع أهل العلم من الصبيان والنساء والأعراب.

والدواء النافع لمثل هذا المرض ما كان طبيب القلوب صلوات الله عليه وسلامه يقوله إذا قام من الليل يفتتح صلاته: (اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك؛ إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم)، خرجه مسلم.

توسل صلى الله عليه وسلم إلى ربه بربوبية جبريل وميكائيل وإسرافيل أن يهديه لما اختلف فيه من الحق بإذنه، إذ **حياة القلب** بالهداية، وقد وكل الله سبحانه هؤلاء الثلاثة بالحياة، فجبريل موكل بالوحي الذي هو سبب **حياة القلوب**، وميكائيل بالقطر الذي هو سبب حياة الأبدان وسائر الحيوان، وإسرافيل بالنفخ في الصور الذي هو سبب حياة العالم، وعود الأرواح إلى أجسادها، فالتوسل إلى الله سبحانه بربوبية هذه الأرواح العظيمة الموكلة بالحياة له تأثير عظيم في حصول المطلوب، والله المستعان].

ينبغي أن يحرص المسلم دائما على التمسك بمثل هذا الدعاء، فأدعية النبي صلى الله عليه وسلم هي أفضل الأدعية لمناسباتها، ولذلك نجد أن أكثر ألفاظ الرسول صلى الله عليه وسلم في الأدعية تناسب ما جاءت له، كدعاء الاستغاثة، واستنزال المطر، ودعاء الكرب، والأوراد التي كان يقولها النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) شرح الطحاوية لناصر العقل، ناصر العقل ٣/٣٦

صباحا ومساء من القرآن وغيره، والأدعية التي يرقي بها بعض الأمراض أو عامة الأمراض، ومثل هذا الدعاء الذي يتعلق بما يختلف فيه الناس أو ما يشكل على المسلم في دينه وأمور العقيدة، فلذلك ينبغي على كل مسلم وكل طالب علم أن يتعلم ويعلم الناس تعلق قلوبهم بمثل هذه الأدعية الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم لمناسباتها، فإنها أفضل من الأدعية التي تنشأ على غير فقه، ولا يعني هذا أن الأدعية الأخرى لا تجوز، بل باب الدعاء مفتوح، وكل يدعو بما يتيسر له، ما لم يعتد في الدعاء، وما لم يدع بألفاظ مشتبهة أو بدعية.

لكن أقول: إن الأدعية المأثورة بمناسباتها لا شك في أنها أعظم وأبلغ، بل إن التمسك بها سنة، ولذا فإن مثل هذا الدعاء من أعظم الأدعية التي تناسب الأحوال التي يكثر فيها اختلاف الناس واختلاف المسلمين في الفتن والخلافات التي تعصف بالناس أحيانا أو يضطرب فيها المسلمون، أو يشكل الأمر والخلاف فيها على الكثير منهم أو على شبابهم، فلذلك في مثل هذا الوقت الذي طرأت فيه بعض الخلافات حول كثير من مسائل الدين ينبغي التمسك بمثل هذا الدعاء والإكثار منه؛ لأنه -بإذن الله- وسيلة إلى الوصول إلى الحق وإلى الطريق المستقيم كما ورد في هذا الحديث.." (١)

"دلالة الكتاب والسنة على أصناف الملائكة وأعمالهم

قال رحمه الله تعالى: [وقد دل الكتاب والسنة على أصناف ملائكته، وأنها موكلة بأصناف المخلوقات، وأنه سبحانه وكل بالجبال ملائكة، ووكل بالسحاب والمطر ملائكة، ووكل بالرحم ملائكة تدبر أمر النطفة حتى يتم خلقها، ثم وكل بالعبد ملائكة لحفظ ما يعمله وإحصائه وكتابته، ووكل بالموت ملائكة، ووكل بالسؤال في القبر ملائكة، ووكل بالأفلاك ملائكة يحركونها، ووكل بالشمس والقمر ملائكة، ووكل بالنار وإيقادها وتعذيب أهلها وعمارتها ملائكة، ووكل بالجنة وعمارتها وغراسها وعمل آلاتها ملائكة، فالملائكة أعظم جنود الله، ومنهم: المرسلات عرفا، والناشرات نشرا، والفارقات فرقا، والملقيات ذكرا.

ومنهم: النازعات غرقا، والناشطات نشطا، والسابحات سبحا، فالسابقات سبقا، ومنهم: الصافات صفا، فالزاجرات زجرا، فالتاليات ذكرا.

ومعنى جمع التأنيث في ذلك كله: الفرق والطوائف والجماعات، التي مفردها: فرقة وطائفة وجماعة].

أراد بهذا الاحتراز من وصف الملائكة بالأنوثية، وهذا من سمات المشركين والفلاسفة والعقلانيين وغيرهم

(١) شرح الطحاوية لناصر العقل، ناصر العقل ٦/٤٢

من أهل الضلالة والبدع؛ فإنهم قد يصفون الملائكة بأنهم إناث.

فنظرا لأن مثل هذه الألفاظ قد تشير إلى معنى التأنيث في الإشارة إلى الملائكة، أراد أن يبين أن التأنيث هنا راجع إلى الجنس لا إلى الملائكة بأفرادهم.

فالملائكة فرق، والفرقة من حيث المعنى اللغوي توصف بالتأنيث، وكذلك الطوائف، فالطائفة لفظها اللغوي مؤنث، والجماعات لفظها اللغوي مؤنث، فلا يعني ذلك تأنيث الملائكة؛ لأن الملائكة لا يوصفون بذلك، إنما هذه الألفاظ تنصرف إلى جنس جماعة الملائكة وفرقها وطوائفها ونحو ذلك.

قال رحمه الله تعالى: [ومنهم ملائكة الرحمة، وملائكة العذاب، وملائكة قد وكلوا بحمل العرش، وملائكة قد وكلوا بعمارة السماوات بالصلاة والتسبيح والتقديس، إلى غيرِ ذلك من أصناف الملائكة التي لا يحصيها إلا الله.

ولفظ (الملك) يشعر بأنه رسول منفذ لأمر مرسله، فليس لهم من الأمر شيء، بل الأمر كله لله الواحد القهار، وهم ينفذون أمره: {لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون * يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون} [الأنبياء:٢٧ - ٢٨]، {يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون} [النحل:٥٠].

فهم عباد مكرمون، منهم الصافون، ومنهم المسبحون، ليس منهم إلا له مقام معلوم لا يتخطاه، وهو على عمل قد أمر به لا يقصر عنه ولا يتعداه، وأعلاهم الذين عنده: {لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون * يسبحون الليل والنهار لا يفترون} [الأنبياء:١٩ - ٢٠] ورؤساؤهم الأملاك الثلاثة: جبرائيل وميكائيل وإسرافيل الموكلون بالحياة، فجبريل موكل بالوحي الذي به **حياة القلوب** والأرواح، وميكائيل موكل بالقطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان، وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور الذي به حياة الخلق بعد مماتهم. فهم رسل الله في خلقه وأمره، وسفراؤه بينه وبين عباده].

الملائكة منهم السفراء الخاصة، كجبريل عليه السلام الذي جاء بالوحي إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وإلى سائر الأنبياء.

ومنهم سفراء سفارة عامة، وهم الملائكة الذين يحيطون بعباد الله عز وجل بالرعاية والتدبير العام، وبالرعاية الخاصة بالمؤمنين، فالله عز وجل أوكل هذا الأمر إلى طوائف من الملائكة، وهذا من معنى السفارة العامة، أما السفارة الخاصة فهي الوحي الذي هو عن طريق جبريل.

قال رحمه الله تعالى: [فهم رسل الله في خلقه وأمره وسفراؤه بينه وبين عباده، ينزلون بالأمر من عنده في أقطار العالم، ويصعدون إليه بالأمر].

من السفراء الكرام الكاتبون، والملائكة الموكلون بالعباد الذين يتناوبون صباح مساء.

قال رحمه الله تعالى: [قد أطت السماوات بهم وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك قائم أو راكع أو ساجد لله، ويدخل البيت المعمور منهم كل يوم سبعون ألفا لا يعودون إليه آخر ما عليهم].." (١)

"القرآن الكريم نزل به الروح الأمين

قوله: (نزل به الروح الأمين) هو جبريل عليه السلام، سمي روحا لأنه حامل الوحي الذي به **حياة القلوب** إلى الرسل من البشر صلوات الله عليهم أجمعين، وهو أمين حق أمين صلوات الله عليه، قال تعالى: {نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين} [الشعراء:١٩٣ - ١٩٥]، وقال تعالى: {إنه لقول رسول كريم * ذي قوة عند ذي العرش مكين * مطاع ثم أمين} [التكوير:١٩ - ٢١] وهذا وصف جبريل، بخلاف قوله تعالى: {إنه لقول رسول كريم * وما هو بقول شاعر} [الحاقة:٤٠ - ٤١]، فإن الرسول هنا هو محمد صلى الله عليه وسلم.

وقوله: (فعلمه سيد المرسلين) تصريح بتعليم جبريل إياه إبطالا لتوهم القرامطة وغيرهم أنه تصوره في نفسه إلهاما.

وقوله: (ولا نقول بخلقه ولا نخالف جماعة المسلمين) تنبيه على أن من قال بخلق القرآن فقد خالف جماعة المسلمين؛ فإن سلف الأمة كلهم متفقون على أن القرآن كلام الله بالحقيقة غير مخلوق، بل قوله: (ولا نخالف جماعة المسلمين) مجرى على إطلاقه: أنا لا نخالف جماعة المسلمين في جميع ما اتفقوا عليه؛ فإن خلافهم زيغ وضلال وبدعة.." (٢)

"أدلة القائلين بعدم سماع الموتى

أدلة القائلين بعدم السماع وهم جمهور أهل السنة: قول الله تعالى: {وما أنت بمسمع من في القبور} [فاطر:٢٢]، وهذا القول موجه لنبينا عليه الصلاة والسلام، ومن باب أولى لعامة الأمة إذا كان النبي عليه

---

(١) شرح الطحاوية لناصر العقل، ناصر العقل ١٢/٦٣

(٢) شرح الطحاوية لناصر العقل، ناصر العقل ٦/٦٥

الصلاة والسلام لا يستطيع أن يسمع من في القبور، وقال الله تعالى: {إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين} [النمل:٨٠]، فهاتان آيتان من كتاب الله عز وجل، وهناك تأويل لهاتين الآيتين بأنهما تعنيان بالكافرين وهم أحياء وتشبيههم بالموتى؛ لأن الحياة الحقيقية إنما هي **حياة القلب** وحياة الإيمان، لكن لا بأس بجريان هذا على الموتى من باب أولى.

والدليل الثاني: قوله تعالى: {ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير * إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير} [فاطر:١٣ - ١٤]، وهذا هو الدليل الثاني.

أما من السنة: فحديث قليب بدر الذي نحن بصدده، وله روايات منها حديث ابن عمر الذي ذكرناه وأخرجه البخاري ومسلم، والطريق الثاني: حديث أبي طلحة: (أن نبي الله صلى الله عليه وسلم أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلا من صناديد قريش فقذفوا في طوي) وهو القليب، يعني: أمر بأربعة وعشرين رجلا فألقوا كما تلقى الزبالات على المزابل.

قال: (فقذفوا في طوي من أطواء بدر) أي: في قليب من أحفارها (خبيث مخبث)، يعني: منتن جدا، وهذا الذي يليق بأمثال هؤلاء.

قال: (وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال، فلما كان ببدر اليوم الثالث بعد أن وضعت الحرب أوزارها أمر النبي عليه الصلاة والسلام براحلته فشد عليها رحلها، ثم مشى النبي عليه الصلاة والسلام واتبعه أصحابه)، ومن أصحابه الذين اتبعوه: عبد الله بن عمر الذي روى هذا الحديث، إذ إن البعض يقول: هذا الحديث مطعون فيه؛ لأن عبد الله بن عمر لم يشهد غزوة بدر، فالنبي عليه الصلاة والسلام أرجعه من غزوة بدر.

نقول: نعم.

هذه حقيقة، ولكن عبد الله بن عمر شهد الواقعة في ثالث أيام بدر، وذلك لما وضعت الحرب أوزارها رجع المشركون إلى بلادهم إلى مكة، ورجع النبي بأصحابه بعد أن وضعت الحرب أوزارها إلى المدينة، وكان منهم ابن عمر، فهذا لا علاقة له بالحرب، وإنما هذا كان بعد الحرب بثلاثة أيام.

قال: (واتبعه أصحابه وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته، حتى قام على شفة الركي، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم -يعني: يقول:- يا فلان ابن فلان! ويا فلان ابن فلان! ثم يقول: أيسركم أنكم

أطعتم الله ورسوله؟)، يعني: أما ندمتم وتحسرتم على هذه المعاصي وعلى عنادكم وكفركم، وأنكم متم وقتلتم على الكفر والإلحاد.

قال: (فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا؟) الله تعالى وعد الطائعين الجنة ووعد العصاة النار، (فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا؟ قال -أي: وائل بن عبد الله - يا رسول الله! ما تكلم من أجسادا لا أرواح فيها؟) يعني: ما قيمة هذا الكلام وما قيمة هذا النداء، وأنت يا رسول الله! تعلم أنهم أموات لا يسمعون؟ (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم)، يعني: هم يسمعونني كما تسمعونني أنتم الآن وزيادة، وانظروا إلى لفظة (الآن) التي وردت في حديث عبد الله بن عمر: (وقف النبي عليه الصلاة والسلام على قليب بدر فقال: هل وجدتم ما وعد ربكم حقا؟ ثم قال: إنهم الآن يسمعون ما أقول) ولفظة (الآن) لها اهتمام عظيم جدا في هذه الرواية.

قال: (والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم).

قال قتادة وهو ابن دعامة السدوسي من كبار التابعين: أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخا وتصغيرا ونقمة وحسرة وندما.

انظروا إلى فهم هذا الراوي قتادة، يقول: (أحياهم الله) أي: في لحظة نداء النبي عليه الصلاة والسلام لهم الله تعالى أحياهم حياة برزخية؛ ليسمعوا تقريع وتصغير النبي صلى الله عليه وسلم لهم؛ لما فاتهم من الإيمان به.

ووجه الاستدلال بحديث أبي طلحة وحديث عبد الله بن عمر ما في الرواية الأولى منه من تقييده صلى الله عليه وسلم سماع موتى القليب بقوله: (إنهم الآن يسمعونني)، وهذا يدل على تخصيص السماع بوقت النداء، وأن الأصل أنهم لا يسمعون، ولكنهم يسمعون الآن؛ مع." (١)

"فكان في بيان قربه سبحانه وتعالى من المحسنين من التحريض على الإحسان واستدعائه من النفوس وترغيبها فيه، غاية حظ لها، وأشرفه، وأجله على الإطلاق. وهو أفضل إعطاء أعطيه العبد، وهو قربه تبارك وتعالى من عبده. الذي هو غاية الأماني، ونهاية الآمال، وقرة العيون، **وحياة القلوب** وسعادة العبد كلها. فكان في العدول عن قريبة إلى قريب من استدعاء الإحسان وترغيب النفوس فيه، ما لا يتخلف بعده إلا من غلبت عليه شقاوته. ولا قوة إلا بالله.

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي – حسن أبو الأشبال، حسن أبو الأشبال الزهيري ٣/٥٨

فتبين من هذا: أن الله سبحانه وتعالى قريب من المحسنين بذاته ورحمته قربا ليس له نظير وهو مع ذلك فوق سماواته على عرشه كما أنه سبحانه يقرب من عباده في آخر الليل وهو فوق عرشه ويدنو من أهل عرفة عشية عرفة وهو على عرشه؛ فإن علوه سبحانه على سماواته من لوازم ذاته فلا يكون قط إلا عاليا، ولا يكون فوقه شيء البتة كما قال أعلم الخلق: «وأنت الظاهر فليس فوقك شيء» (١).

الشبهة الثانية عشرة

قال عبد القاهر البغدادي: قال علي: كان الله ولا مكان، وهو الآن على ما عليه كان (٢).

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٤٩٣)، وبدائع الفوائد (٣/ ١٧ - ٣٢)، ومختصر الصواعق (٢/ ٢٦٨ - ٢٧١). والجملة المذكورة قطعة من حديث: رواه مسلم (٢٧١٣).

(٢) الفرق بين الفرق (ص٣٢١) [طبعة دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة الثانية].." [1]

"للربوبية، ونسبة الرب تعالى إلى ما لا يليق به، وما قدره حق قدره من نسبة إليه.

٢ - من اسم «الله» وهو المألوه المعبود ولا سبيل للعباد إلى معرفة عبادته إلا من طريق رسله عليهم الصلاة والسلام.

٣ - من اسمه «الرحمن» فإن رحمته تمنع إهمال عباده، وعدم تعريفهم ما ينالون به غاية كمالهم. فمن أعطى اسم «الرحمن» حقه عرف أنه متضمن لإرسال الرسل، وإنزال الكتب، أعظم من تضمنه إنزال الغيث، وإنبات الكلأ، وإخراج الحب، فاقتضاء الرحمة لما تحصل به **حياة القلوب** والأرواح أعظم من اقتضائها لما تحصل به حياة الأبدان والأشباح، لكن المحجوبون إنما أدركوا من هذا الاسم حظ البهائم والدواب. وأدرك منه أولو الألباب أمرا وراء ذلك ... (١).

---

(١) مدارج السالكين، ١/ ٨، وذكر بعد ذلك - رحمه الله - جهات عديدة لتضمن سورة الفاتحة لإثبات النبوات ولكني أقتصر على ما يختص بالأسماء الحسنى.." [2]

---

(١) الكلمات الحسان في بيان علو الرحمن، عبد الهادي بن حسن وهبي ص/٢٢٩

(٢) شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/٣٧

"وهي: الله، والرب، والرحمن.

وبنيت السورة على الإلهية، والربوبية، والرحمة، فـ {إياك نعبد} مبني على الإلهية، و {إياك نستعين} على الربوبية، وطلب الهداية إلى الصراط المستقيم بصفة الرحمة. والحمد يتضمن الأمور الثلاثة: فهو المحمود في إلهيته، وربوبيته، ورحمته، والثناء والمجد كمالان لجده ... وتضمنت

- يعني سورة الفاتحة - إثبات النبوات من جهات عديدة:

١ - كون الله ((رب العالمين)). فلا يليق به أن يترك عباده سدى هملا لا يعرفهم ما ينفعهم في معاشهم، ومعادهم، وما يضرهم فيهما فهذا هضم للربوبية، ونسبة الرب تعالى إلى ما لا يليق به، وما قدره حق قدره من نسبة إليه.

٢ - من اسم ((الله)) وهو المألوه المعبود ولا سبيل للعباد إلى معرفة عبادته إلا من طريق رسله عليهم الصلاة والسلام.

٣ - من اسمه ((الرحمن)) فإن رحمته تمنع إهمال عباده، وعدم تعريفهم ما ينالون به غاية كمالهم. فمن أعطى اسم ((الرحمن)) حقه عرف أنه متضمن لإرسال الرسل، وإنزال الكتب، أعظم من تضمنه إنزال الغيث، وإنبات الكلأ، وإخراج الحب، فاقتضاء الرحمة لما تحصل به **حياة القلوب** والأرواح أعظم من اقتضائها لما تحصل به حياة الأبدان والأشباح، لكن المحجوبون إنما أدركوا من هذا الاسم حظ البهائم والدواب. وأدرك منه أولو الألباب أمرا وراء ذلك ... (١).

---

(١) مدارج السالكين، ١/ ٨، وذكر بعد ذلك رحمه الله تعالى جهات عديدة لتضمن سورة الفاتحة لإثبات النبوات ولكني أقتصر على ما يختص بالأسماء الحسنى.." (١)

"يمكنه المشي فيها، وصواعق من صفتها أن يضم السامعون أصابعهم إلى آذانهم من هولها، وقوة صوتها المخيفة، وبرق من صفته أن يقرب من خطف أبصارهم، ويعميها من شدة توقده. فهذا مثل ضربه الله للقرآن وصنيع الكافرين والمنافقين معه، فالمطر: القرآن؛ لأنه **حياة القلوب**، كما أن المطر حياة الأبدان، والظلمات: الكفر والشرك الذي حذر عنه القرآن، والرعد ما خوفوا به من الوعيد، وذكر النار، والبرق ما فيه من الهدى والبيان، والوعد، وذكر الجنة، فالمنافقون يسدون آذانهم عند قراءة القرآن، مخافة ميل القلب

---

(١) عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ١/ ٢٢٠

إليه؛ لأن الإيمان عندهم كفر، والكفر موت

{يكاد البرق يخطف أبصارهم}: أي يبهر قلوبهم (١).

وقال العلامة السعدي رحمه الله بعد أن ذكر تفسير الآية: ((فهكذا حالة المنافقين إذا سمعوا القرآن، وأوامره، ونواهيه، ووعده، ونهيه، ووعيده جعلوا أصابعهم في آذانهم، وأعرضوا عن أمره ونهيه، ووعده، ووعيده، فيروعهم وعيده، وتزعجهم وعوده، فهم يعرضون عنها غاية ما يمكنهم، ويكرهونها كراهة صاحب الصيب الذي يسمع الرعد فيجعل أصابعه في أذنيه خشية الموت، فهذا ربما حصلت له السلامة، وأما المنافقون فأنى لهم السلامة، وهو تعالى محيط بهم: قدرة، وعلما، فلا يفوتونه، ولا يعجزونه، بل يحفظ عليهم أعمالهم، ويجازيهم عليها أتم الجزاء، ولما كانوا مبتلين بالصمم، والبكم، والعمى المعنوي، ومسدودة عليهم طرق الإيمان، قال تعالى: {ولو شاء الله لذهب بسمعهم

(١) تفسير البغوي، ١/ ٥٤.." (١)

"في مكان بعيد لا يسمع داعيا، ولا يجيب مناديا، والمقصود أن الذين لا يؤمنون بالقرآن لا ينتفعون بهداه، ولا يبصرون بنوره، ولا يستفيدون منه خيرا، لأنهم سدوا على أنفسهم أبواب الهدى، بإعراضهم وكفرهم (١).

وفي قوله – عز وجل – في أول الآية: {وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا} مال الإمام ابن جرير رحمه الله إلى أن الروح هنا هو القرآن الكريم، وجزم به الحافظ ابن كثير رحمه الله، والسعدي رحمه الله، وقيل: إن الروح هنا: النبوة، وقيل: الرحمة، وقيل: الوحي (٢).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في تفسير هذه الآية: ((أي جعلنا ذلك الروح نورا نهدي به من نشاء من عبادنا، فسمى وحيه روحا، لما يحصل به من حياة القلوب والأرواح، التي هي الحياة الحقيقية، ومن عدمها فهو ميت لا حي، والحياة الأبدية السرمدية في دار النعيم هي ثمرة حياة القلب بهذا الروح الذي أوحى إلى رسوله – صلى الله عليه وسلم – فمن لم يحي به في الدنيا فهو ممن له جهنم، لا يموت فيها ولا يحيا، وأعظم حياة في الدور الثلاث: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار الجزاء أعظمهم نصيبا من هذه الحياة بهذه الروح، وسماه نورا لما يحصل به من استنارة القلوب، وإضاءتها، وكمال الروح بهاتين الصفتين: بالحياة،

(١) عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ١/٤٥٦

والنور، ولا سبيل إليهما إلا على أيدي الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، والاهتداء بما بعثوا به، وتلقي العلم النافع والعمل الصالح من مشكاتهم، وإلا فالروح ميتة مظلمة، فإن كان

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص٦٩٧.

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٢١/ ٥٥٩، وتفسير البغوي، ٤/ ١٣٢، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ١٦/ ٥٣، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٤/ ١٢٤.." [١]

"جانب النعمة، قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: ((إن للإيمان حدودا، وفرائض، وسننا، وشرائع، فمن استكملها فقد استكمل الإيمان)) (١).

ودين الله هو شرعه المتضمن لأمره ونهيه، ومحابه، والمقصود أن النعمة المطلقة هي التي اختصت بالمؤمنين، وهي نعمة الإسلام والسنة، وهذه النعمة هي التي يفرح بها في الحقيقة، والفرح بها مما يحبه الله ويرضاه، قال - سبحانه وتعالى -: {قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون} (٢)، وقد دارت أقوال السلف على أن فضل الله ورحمته: ((الإسلام والسنة، وعلى حسب **حياة القلب** يكون فرحه بهما، وكلما كان أرسخ فيهما كان قلبه أشد فرحا، حتى أن القلب ليرقص فرحا إذا باشر روح السنة أحزن ما يكون الناس وهو ممتلىء أمنا أخوف ما يكون الناس)) (٣).

ثانيا: النعمة المقيدة: كنعمة الصحة، والغنى، وعافية الجسد، وبسط الجاه، وكثرة الولد، والزوجة الحسنة، وأمثال هذا. فهذه النعمة مشتركة بين البر والفاجر، والمؤمن والكافر؛ وإذا قيل: لله على الكافر نعمة بهذا الاعتبار فهو حق، والنعمة المقيدة تكون استدراجا للكافر والفاجر، ومآلها إلى العذاب والشقاء لمن لم يرزق النعمة المطلقة (٤).

---

(١) البخاري معلقا، في كتاب الإيمان، باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: ((بني الإسلام على خمس))، ١/ ٩.

(٢) سورة يونس، الآية: ٥٨.

---

(١) عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ٤٨٥/١

(٣) مقتبس من كلام الإمام ابن القيم في كتابه: اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، ٢/ ٣٣ - ٣٦، و٣٨.

(٤) مقتبس من كلام الإمام ابن القيم في كتابه: اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، ٢/ ٣٦.." (١)

"تضع أناملها وكفها في كتف النبي صلى الله عليه وسلم، فيتجلى له بذلك ما بين السماء والأرض غير الله؟ ففي دعواك ادعيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أقر بالربوبية لصورة مخلوقة غير الله؛ لأن في روايتك أن الصورة قالت له: "هل تدري يا محمد" فقال لها١: يا رب٢، وهل يمكن أن تكون صورة مخلوقة تضع أناملها في كتف نبي مثل محمد، فيتجلى له بذلك٣ فيما بين٤ السموات والأرض أمور لم يكن يعرفها قل ٥ أن تضع تلك الصورة كفها بين كتفيه؟ ويحك! لا يمكن هذا جبريل٦ ولا ميكائيل٧

---

١ في ش "يقال لها".

٢ في ط، ش "لا يا رب".

٣ في ط، س، ش "في ذلك".

٤ في ط، ش "ما بين السماء والأرض"، وفي س "بين السماء والأرض".

٥ في ط، س، ش "من قبل".

٦ في ط، س "لجبريل". قلت: تقدمت ترجمته ص"٣٨٩".

٧، ٨ ميكائيل وإسرافيل ملكان من رؤساء الأملاك الثلاثة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتوسل إلى الله بربوبيته الخاصة لهؤلاء الأملاك الثلاثة الموكلين بالحياة، فيقول: "اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق فإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم"، وميكائيل هو الموكل بالقطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان، وإسرافيل هو الموكل بالنفخ في الصور الذي به حياة الخلق بعد مماتهم، كما أن جبريل موكل بالوحي الذي به **حياة القلوب** والأرواح، وقال تعالى: {من كان عدوا لله وملائكته

---

(١) عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ٢/٦٩٧

ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين} [البقرة، آية "٩٨"] ، وانظر: إغاثة اللهفان ٢/١٢٨-١٢٩.." (١)

"الأيمن أقرب إلى الكبد فوجب أن يجعل مشغولا بجذب الغذاء استعماله. ولما كان البطن الأيمن من القلب يحوي غليظا ثقيلا والأيسر يحوي دقيقا حفيفا عدل الجانبان بترقيق البطن الذي يحوي الغليظ وخصوصا إذا أمن التحلل بالرشح التفشي بل جعل وعاء الأدق أضيق وأعدل في الوسط وله زائدتان على فوهتي مدخل مادتي الدم والنسيم إلى القلب كالأذنين عصبيتان يكونان متعصبتين مسترخيتين ما دام لقلب منقبضا فإذا انبسط توترتا وأعانتا على حصر ما يحتوي عليه إلى داخل فهما كخزانتين يقبلان عن الأوعية ثم يرسلانه إلى القلب بقدر وأدقتا ليكون أحوى وأحسن إجابة إلى الإنقباض وصلبتا ليكون أبعد عن الانفعال. والقلب يغتذي مع قواه الطبيعية انبساط فيجذب الدم إلى داخل كما يجذب الهواء. وقد وضع القلب في الوسط من الصدر لأنه أعدل موضع وأميل يسيرا إلى اليسار ليبعد عن الكبد فيكون للكبد مكان واسع. وأما الطحال فنازل عنه ببعيد وفي إنزاله منفعة سنذكرها ولأن توسيع القلب المكان للكبد أولى من توسيعه للطحال لأن الكبد أشرف ومما قصد في إمالة القلب عن الكبد أن لا يجتمع الحار كله في شق واحد وليعدل الجانب الأيسر إذ الطحال بنفسه غير حار جدا وليقل مزاحمته للعرق الأجوف الجائي إليه ممكنا له بعض المكان وما كان من الحيوان عظيم القلب وكان مع ذلك جذعا خائفا كالأرانب والأيايل فالسبب فيه أن حرارته قليلة فينفس في شيء كثير فلا يسخنه بالتمام. وما كان صغير القلب ومع ذلك جريئا فلأن الحرارة فيه كثيرة تحتقن وتشتد ولكن أكثر ما هو أجرأ عظيم القلب ولا يحتمل القلب ألما ولا ورما ولذلك لم يذبح حيوان فوجد في قلبه من الآفات ما يوجد في سائر الأعضاء. وقد وجد في قلب بعض الحيوانات الكبير الجثة عظم وخصوصا في الثيران وهذا العظم مائل إلى الغضروفية وأكبره وأعظمه مع زيادة صلابة هو ما يوجد في قلب الفيل وكذلك وجد قلب بعض القرود ذا رأسين. ومن قوة حياة القلب أنه إذا سل من الحيوان وجد نبض إلى حين وقد أخطأ من ظن أن القلب عضلة وهو وإن كان أشبه الأشياء بها لكن تحركها غير إرادي. فصل في أمراض القلب قد يعرض للقلب في خاصته أصناف الأمراض كلها مثل أصناف سوء المزاجات وقد تكون بمادة وقد تكون ساذجة. والمادة قد تكون في عروقه وقد تكون فيما

---

(١) نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد الدارمي، أبو سعيد ٧٣٦/٢

بين جرمه وبين غلافه وخصوصا الرطوبة وكثيرا ما يوجد في ذلك الموضع رطوبات. ومن المعلوم أنها إذا كثرت ضغطت القلب عن الانبساط وقد يعرض له الأورام والسدد وقد يعرض له شيء من الوضع أيضا مثل ما يعرض له من احتقان في رطوبة مزاحمة تمنعه عن الانبساط فيقبل.." (١)

"٥٣٤٠ - وعن أم العلاء الأنصارية، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((والله لا أدري، والله لا أدري، وأنا رسول الله، ما يفعل بي ولا بكم)). رواه البخاري.

٥٣٤١ - وعن جابر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((عرضت علي النار، فرأيت فيها امرأة من بين إسرائيل تعذب في هرة لها، ربطتها لم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت جوعا، ورأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار، وكان أول من سيب السوائب)). رواه مسلم.

قال الشيخ أبو حامد: هذا الحديث من الأسرار التي أودعها قلب الأمين الصادق محمد صلى الله عليه وسلم، [ولا يجوز] إفشاء السر؛ فإن صدور الأحرار قبور الأسرار بل كان يذكر ذلك لهم حتى يبكوا ولا يضحكوا؛ فإن البكاء ثمرة شجرة حياة القلب الحي بذكر الله واستشعار عظمته وهيبته وجلاله، والضحك نتيجة القلب الغافل عن ذلك. فبالحقيقة حث الخلق على طلب القلب الحي والتعوذ من القلب الغافل. انتهى كلامه. وقوله: ((لبكيتم)) جواب القسم الساد مسد جواب ((لو)).

الحديث الثاني عن أم العلاء: قوله: ((لا أدري، وأنا رسول الله)) فيه وجوه:

أحدها: أن هذا القول منه حين قالت امرأة لعثمان بن مظعون – لما توفي -: هنيئا لك الجنة؛ زجرا لها على سوء الأدب بالحكم على الغيب، ونظيره قوله لعائشة رضي الله عنها حين سمعها تقول: طوبى لهذا، عصفور من عصافير الجنة: أو غير ذلك يا عائشة!.

وثانيها: أن يكون هذا منسوخا بقوله تعالى: {ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر} كما ذكره ابن عباس في قوله تعالى: {وما أدري ما يفعل بي ولا بكم}.

وثالثها: أن يكون نفيا للدراية المفصلة دون المجملة.

ورابعها: أن يكون مخصوصا بالأمور الدنيوية من غير النظر إلى سبب ورود الحديث.

((تو)): لا يجوز حمل هذا الحديث وما ورد في معناه على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مترددا في

---

(١) القانون في الطب ابن سينا ٢/٣٧١

عاقبة أمره، غير متيقن بماله عند الله من الحسنى؛ لما ورد عنه من الأحاديث الصحاح التي ينقطع العذر دونها بخلاف ذلك، وأنى يحمل على ذلك؟ وهو المخبر عن الله تعالى أنه يبلغه المقام المحمود، وأنه أكرم الخلائق على الله تعالى، وأنه أول شافع وأول مشفع.

الحديث الثالث عن جابر رضي الله عنه قوله: ((من خشاش الأرض)) ((نه)): أي هوامها." [(١)]

"على السنة. ويقول: "يا مصرف القلوب، ألهمنا سنة نبيك وجنبنا الابتداع والتشبه بالكفار"١.

ويقول: "اللهم أحيي قلوبنا بالسنة المحضة، وأمددنا بتوفيقك ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، اهدنا الصراط المستقيم، وجنبنا الفواحش والبدع ما ظهر منها وما بطن ... "٢.

ويحذر رحمه الله من البدع وإلفها وخطورة ذلك، فيقول: "فمتى تعودت القلوب بالبدع وألفتها لم يبق فيها فضل للسنن" ٣. وفي ذلك موت القلوب وهلاكها وضلالها، وفي "اتباع السنن **حياة القلوب** وغذاؤها"٤.

وهذه النقول من كلامه رحمه الله تدل على مدى حبه للسنة، وحرصه عليها، وحذره من البدعة والوقوع فيها.

وكان من منهجه رحمه الله في دعوة أهل البدع: سلوك طريق الرفق واللين إذا كان المبتدع جاهلا، لأن ذلك أحرى باستجابته وإقلاعه عن بدعته، فيقول: "فليكن رفقك بالمبتدع والجاهل حتى تردهما عما ارتكباه بلين، ولتكن شدتك على الضال الكافر"٥.

ويقول: "والجاهل يعذر ويبين له برفق "٦.

ونلمس أحيانا في أسلوبه شيئا من الشدة والحدة ولاسيما مع من بين له الحق بدليله ولم يرعو عن بدعته وغيه.

---

١ تشبه الخسيس بأهل الخميس. ص ٣٩.

٢ المصدر السابق ص ٥٠.

٣ المصدر نفسه ص ٤٦.

٤ المصدر نفسه ص ٤٦.

---

(١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن الطيبي ٣٣٧٩/١١

٥ المصدر نفسه ص ٤٥.
٦ التمسك بالسنن ص ١٣٠.." (١)

"وهذا يخالف الرواية الأخرى عنه وحديث ابن مسعود

وعن ابن عباس رواية ثالثة قال هشيم حدثنا أبو بشر عن مجاهد عن ابن عباس قل الروح أمر من أمر الله عز وجل وخلق من خلق الله وصور مثل صور بنى آدم وما نزل من السماء ملك إلا ومعه واحد من الروح وهذا يدل على أنها غير الروح التي في ابن آدم

وعنه رواية رابعة قال ابن منده روى عبد السلام بن حرب عن خصيف عن مجاهد عن ابن عباس {ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي} قد نزل من القرآن بمنزلة كن نقول كما قال تعالى {ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي} ثم ساق من طريق خصيف عن عكرمة عن ابن عباس أنه كان لا يفسر أربعة أشياء الرقيم والغسلين والروح

وقوله تعالى وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه

وعنه رواية خامسة رواها جويبر عن الضحاك عنه أن اليهود سألوا رسول الله عن الروح فقال قال الله تعالى {قل الروح من أمر ربي} يعنى خلقا من خلقي {وما أوتيتم من العلم إلا قليلا} يعنى لو سئلتم عن خلق أنفسكم وعن مدخل الطعام والشراب ومخرجهما ما وصفتم ذلك حق صفته وما اهتديتم لصفتها

وعنه رواية سادسة روى عبد الغنى بن سعيد حدثنا موسى بن عبد الرحمن عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس وعن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى {ويسألونك عن الروح} وذلك أن قريشا اجتمعت فقال بعضهم لبعض والله ما كان محمد يكذب ولقد نشأ فينا بالصدق والأمانة فأرسلوا جماعة إلى اليهود فاسألوهم عنه وكانوا مستبشرين به ويكثرون ذكره ويدعون نبوته ويرجون نصرته موقنين بأنه سيهاجر إليهم ويكونون له أنصارا فسألوهم عنه فقالت لهم اليهود سلوه عن ثلاث سلوه عن الروح وذلك أنه ليس في التوراة قصته ولا تفسيره إلا ذكر اسم الروح فأنزل الله تعالى {ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي} يريد من خلق ربى عز وجل

والروح في القرآن على عدة أوجه

أحدها الوحي كقوله تعالى {وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا} وقوله تعالى {يلقي الروح من أمره على

---

(١) التمسك بالسنن والتحذير من البدع الذهبي، شمس الدين ص/٧٦

من يشاء من عباده} وسمى الوحي روحا لما يحصل به من حياة القلوب والأرواح الثاني القوة والثبات والنصرة التي يؤيد بها من شاء من عباده المؤمنين كما قال {أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه}." (١)

"١٢٠ - عليك سلام الله أسعى بنورها (١) ... عليك سلام الله أقضي بها أمري (٢)

١٢١ - عليك سلام الله أرجو ثوابها ... عليك سلام الله يزكو بها أجري (٣)

١٢٢ - عليك سلام الله أحيا بذكرها (٤) ... عليك سلام الله أجعلها ذخري (٥)

---

(١) والسعي هنا يشمل السعي الحسي، والمعنوي، فالمعنوي يقصد به أنه يسعى في طريق الإيمان، والهداية بنور هذه الطاعة في قلبه، قال سليمان بن طرخان: (الحسنة نور في القلب، وقوة في العمل، والسيئة ظلمة في القلب، وضعف في العمل) رواه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٠).

والحسي يقصد به النور الذي يكتسبه الإنسان من أعماله الصالحة والذي يتبعه على الصراط، فقد روى مسلم (١/ ١٧٧) (١٩١) من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنه -: [يعطي كل إنسان منهم منافق، أو مؤمن نورا، ثم يتبعونه، وعلى جسر جهنم كلاليب، وحسك تأخذ من شاء الله، ثم يطفأ نور المنافقين، ثم ينجو المؤمنون، فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر ...]، وقد ورد ما هو أصرح منه عند الحاكم من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه، وقد سبق ذكره عند التعليق على البيت رقم (٧٤).

(٢) وفي هذا البيت من الغلو ما يجعله أقرب إلى الخطأ من الصواب، وخاصة هذا الشطر، فإن ما ذكر من أنه يقضي أموره بسلامه على النبي يحتاج إلى دليل.

(٣) أي ينمو، ويزداد.

(٤) أي يحيا قلبه بنور هذه الطاعة؛ لأن الذكر عموما فيه حياة القلوب، والسلام على النبي - صلى الله عليه وسلم - اجتمع فيه ذكر اسم الله تعالى: السلام، وأيضا الدعاء للنبي - صلى الله عليه وسلم - كما سبق بيان ذلك.

(٥) الذخر: هو ما يجمعه الإنسان، ويحفظه لوقت الحاجة إليه، والأقرب أن الناظم - رحمه الله - يقصد أنها ذخر له في الآخرة بما يرجوا من ثوابها عند الله - تعالى -.

---

(١) الروح ابن القيم ص/١٥٣

وقد تكرر –كما هنا، وكما سيأتي – أن الناظم اعتبر بعض الأعمال ذخر له في آخرته أو في شدته، وكان الأولى به أن يطلب من الله قبولها، فيقول: أرجو قبولها، لا أن يجزم باستحقاق الأجر، وأنه يدخره ذخرا لنفسه عند الحاجة إليه، فإن قوله هذا فيه مدح ضمني لنفسه باستيفاء شروط العمل، وجزمه بقبوله، وأنه يدخره لوقت الحاجة، أيضا مع ما فيه من مخالفة لهذي السلف الصالح، فإن العمل قد يكون صالحا، ولا يقبل، لثبوت موانع، أو انتفاء شروط، قال الله تعالى: {إنما يتقبل الله من المتقين} (المائدة /٢٧) أي أن الله – عز وجل – يتقبل من الأعمال ما استوفى شروط القبول.

قال الحافظ ابن رجب في لطائف المعارف (ص/٣٧٥): [كان السلف الصالح يجتهدون في إتمام العمل، وإكماله، وإتقانه، ثم يهتمون بعد ذلك بقبوله، ويخافون من رده وهؤلاء الذين: {يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة} (المؤمنون/٦٠). روي عن علي – رضي الله عنه – قال: كونوا لقبول العمل أشد اهتماما منكم بالعمل، ألم تسمعوا الله عز وجل يقول: {إنما يتقبل الله من المتقين} (المائدة /٢٧). وعن فضالة بن عبيد قال: لأن أكون أعلم أن الله قد تقبل مني مثقال حبة من خردل أحب إلي من الدنيا، وما فيها؛ لأن الله يقول: {إنما يتقبل الله من المتقين} ... وقال عبد العزيز بن أبي رواد: أدركتهم يجتهدون في العمل الصالح فإذا فعلوه وقع عليهم الهم، أيقبل منهم أم لا ...]..." (١)

"قال تعالى: {أفرأيت من اتخذ إلهه هواه} [الجاثية: ٢٣] (الجاثية: ٢٣) . أي: عبد ما تهواه نفسه.

وإنما دخل الفساد في العالم من ثلاث فرق، كما قال عبد الله بن المبارك رحمة الله عليه:

رأيت الذنوب تميت القلوب ... وقد يورث الذل إدمانها

وترك الذنوب حياة القلوب ... وخير لنفسك عصيانها

وهل أفسد الدين إلا الملوك ... وأحبار سوء ورهبانها

. فالملوك الجائرة يعترضون على الشريعة بالسياسات الجائرة، ويعارضونها بها، ويقدمونها على حكم الله ورسوله. وأحبار السوء، وهم العلماء الخارجون عن الشريعة بآرائهم وأقيستهم الفاسدة، المتضمنة تحليل ما حرم الله ورسوله، وتحريم ما أباحه، واعتبار ما ألغاه، وإلغاء ما اعتبره، وإطلاق ما قيده، وتقييد ما أطلقه، ونحو ذلك. والرهبان وهم جهال المتصوفة، المعترضون على حقائق الإيمان والشرع، بالأذواق والمواجيد والخيالات والكشوفات الباطلة الشيطانية، المتضمنة شرع دين لم يأذن به الله، وإبطال دينه الذي شرعه

---

(١) نهج الرشاد في نظم الاعتقاد السرمري، جمال الدين ص/١٠٣

على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، والتعوض عن حقائق الإيمان بخدع الشيطان وحظوظ النفس. فقال الأولون: إذا تعارضت السياسة والشرع قدمنا السياسة! وقال." (١)

"بها، ثم تبين له فسادها، أو لم يتبين له صحتها، فيكونون في نهاياتهم - إذا سلموا من العذاب - بمنزلة أتباع أهل العلم من الصبيان والنساء والأعراب.

والدواء النافع لمثل هذا المرض، ما كان طبيب القلوب صلوات الله وسلامه عليه يقوله - إذا قام من الليل يفتتح صلاته: «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم» . خرجه مسلم. توسل صلى الله عليه وسلم إلى ربه بربوبية جبريل وميكائيل وإسرافيل أن يهديه لما اختلف فيه من الحق بإذنه، إذ **حياة القلب** بالهداية. وقد وكل الله سبحانه هؤلاء الثلاثة بالحياة: فجبريل موكل بالوحي الذي هو سبب **حياة القلوب**، وميكائيل بالقطر الذي هو سبب حياة الأبدان وسائر الحيوان، وإسرافيل بالنفخ في الصور الذي هو سبب حياة العالم وعود الأرواح إلى أجسادها. فالتوسل إلى الله سبحانه بربوبية هذه الأرواح العظيمة الموكلة بالحياة، له تأثير عظيم في حصول المطلوب. والله المستعان.." (٢)

"**[حياة القلب]**

[حياة القلب ومرضه وشفاؤه]

قوله: (فويل لمن ضاع له في القدر قلبا سقيما - وفي نسخة: فويل لمن صار قلبه في القدر قلبا سقيما - ، لقد التمس بوهمه في فحص الغيب سرا كتيما، وعاد بما قال فيه أفاكا أثيما) .

ش: القلب له حياة وموت، ومرض وشفاء، وذلك أعظم مما للبدن. قال تعالى: {أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها} [الأنعام: ١٢٢] . أي كان ميتا بالكفر فأحييناه بالإيمان. فالقلب الصحيح الحي إذا عرض عليه الباطل والقبائح نفر منها بطبعه وأبغضها ولم يلتفت إليها، بخلاف القلب الميت، فإنه لا يفرق بين الحسن والقبيح، كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: هلك من لم يكن له قلب يعرف به المعروف والمنكر.

---

(١) شرح الطحاوية ت الأرناؤوط ابن أبي العز ١/٢٣٥

(٢) شرح الطحاوية ت الأرناؤوط ابن أبي العز ١/٢٤٨

وكذلك القلب المريض بالشهوة، فإنه لضعفه يميل إلى ما يعرض له من ذلك بحسب قوة المرض وضعفه. ومرض القلب نوعان، كما تقدم: مرض شهوة، ومرض شبهة، وأردؤهما مرض الشبهة، وأردأ الشبه ما كان من أمر القدر. وقد يمرض القلب ويشتد مرضه ولا يشعر به صاحبه، لاشتغاله وانصرافه عن معرفة صحته وأسبابها، بل قد يموت وصاحبه لا يشعر بموته، وعلامة ذلك أنه لا تؤلمه جراحات القبائح، ولا يوجعه جهله بالحق وعقائده." (١)

"فهم عباد مكرمون، منهم الصافون، ومنهم المسبحون، ليس منهم إلا له مقام معلوم، ولا يتخطاه، وهو على عمل قد أمر به، لا يقصر عنه ولا يتعداه، وأعلاهم الذين عنده: " {لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون - يسبحون الليل والنهار لا يفترون} [الأنبياء: ١٩ - ٢٠] " [الأنبياء: ١٩ - ٢٠] .

ورؤساؤهم الأملاك الثلاثة: جبريل وميكائيل وإسرافيل، الموكلون بالحياة، فجبريل موكل بالوحي الذي به **حياة القلوب** والأرواح، وميكائيل موكل بالقطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان، وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور الذي به حياة الخلق بعد مماتهم.

فهم رسل الله في خلقه وأمره، وسفراؤه بينه وبين عباده، ينزلون الأمر من عنده في أقطار العالم، ويصعدون إليه بالأمر، قد أطت السماوات بهم، وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك." (٢)

"إلا الذين ظلموا منهم، فكيف بمناظرة أهل القبلة؟ فإن أهل القبلة من حيث الجملة خير من أهل الكتاب، فلا يجوز أن يناظر من لم يظلم منهم إلا بالتي هي أحسن، وليس إذا أخطأ يقال: إنه كافر، قبل أن تقام عليه الحجة التي حكم الرسول بكفر من تركها. والله تعالى قد عفا لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان. ولهذا ذم السلف أهل الأهواء، وذكروا أن آخر أمرهم السيف. وسيأتي لهذا المعنى زيادة بيان، إن شاء الله تعالى، عند قول الشيخ: ونرى الجماعة حقا وصوابا، والفرقة زيغا وعذابا.

وقوله: ونشهد أنه كلام رب العالمين، قد تقدم الكلام على هذا المعنى عند قوله: وإن القرآن كلام الله منه بدا بلا كيفية قولا.

وقوله: نزل به الروح الأمين هو جبريل عليه السلام، سمي روحا لأنه حامل الوحي الذي به **حياة القلوب**

---

(١) شرح الطحاوية ت الأرناؤوط ابن أبي العز ٢/٣٦٠

(٢) شرح الطحاوية ت الأرناؤوط ابن أبي العز ٢/٤٠٨

إلى الرسل من البشر صلوات الله عليهم أجمعين، وهو أمين حق أمين، صلوات الله عليه. قال تعالى: {نزل به الروح الأمين - على قلبك لتكون من المنذرين - بلسان عربي مبين} [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥]." (١)

"كما تقوم بالعلم **حياة القلوب**، فهو مناسب للعلم من هذه الجهة، وقد يدل على الحياة وعلى الثواب؛ لأنه من نعيم الجنة إذا رأى نهرا من لبن، وقد يدل على المال الحلال، وإنما أوله الشارع بالعلم في عمر؛ لعلمه بصحة فطرته ودينه والعلم زيادة في الفطرة.." (٢)

"١٥ - باب اللبن في المنام

٧٠٠٦ - حدثنا عبدان، أخبرنا عبد الله، أخبرنا يونس، عن الزهري، أخبرني حمزة بن عبد الله، أن ابن عمر قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «بينا أنا نائم أتيت بقدح لبن، فشربت منه، حتى إني لأرى الري يخرج من أظفاري، ثم أعطيت فضلي». يعني عمر. قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: «العلم». [انظر: ٨٢ - مسلم: ٢٣٩١ - فتح ١٢/ ٣٩٣]

ذكر فيه حديث حمزة بن عبد الله، أن ابن عمر قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "بينا أنا نائم أتيت بقدح لبن فشربت منه، حتى إني لأرى الري يخرج (١) من أظافيري، ثم أعطيت فضلي". يعني: عمر. قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: "العلم".

وقد سلف في كتاب العلم (٢).

قال المهلب: رؤيا اللبن في النوم تدل على السنة والفطرة والعلم والقرآن؛ لأنه أول شيء يناله المولود من طعام الدنيا، وهو الذي فتق معاه وبه تقوم حياته، كما تقوم بالعلم **حياة القلوب**، فهو يشاكل العلم من هذا الوجه، وقد يدل على الحياة؛ لأنها كانت به في الصغر، وقد يدل على الثواب؛ لأنه من نعيم الجنة إذا رئي نهر من لبن، وقد يدل على المال الحلال، وإنما أوله الشارع بالعلم في عمر -والله أعلم- لعلمه صحة فطرته ودينه، والعلم زيادة في الفطرة على أصل معلوم.

---

(١) شرح الطحاوية ت الأرناؤوط ابن أبي العز ٤٣١/٢

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ابن الملقن ٤٢٠/٣

(١) في (ص١): (يجري).

(٢) برقم (٨٢).." (١)

"١٨ - باب جر القميص في المنام

٧٠٠٩ - حدثنا سعيد بن عفير، حدثني الليث، حدثني عقيل، عن ابن شهاب، أخبرني أبو أمامة بن سهل، عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أنه قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «بينا أنا نائم رأيت الناس عرضوا علي، وعليهم قمص، فمنها ما يبلغ الثدي، ومنها ما يبلغ دون ذلك، وعرض علي عمر بن الخطاب وعليه قميص يجتره». قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: «الدين». [انظر: ٢٣ - مسلم: ٢٣٩٠ - فتح ١٢/ ٣٩٥]

وأصل عبارته للقميص بالعلم في قوله تعالى: {وثيابك فطهر (٤)} [المدبر: ٤] يريد صلاح العمل وتطهير الأحوال التي كانت أهل الجاهلية تستبيحها، هذا قول ابن عباس (١)، والعرب تقول: فلان نقي الثوب إذا كان صالحا في دينه. وفيه دليل على أن الرؤيا لا تخرج كلها على نص ما رئيت عليه، وإنما تخرج على ضرب الأمثال، فضرب المثل على الدين بالقميص، وعلى الإيمان والعلم باللبن من أجل اشتراك ذلك في المعاني، وذلك أن القميص يستر العورات كما يستر الدين سيئ الأعمال التي كان الناس في حال الكفر يأتونها، وفي حال الجهل يقترفونها، وقد سلف أن اللبن حياة الأجسام كما أن بالعلم حياة القلوب.

هذا وجه اشتباه المعاني في هذه الأمثال التي لها ضربت؛ لأن المثل يقتضي المماثلة، فإذا كان مثل لا يماثله فيه لم يصح التعبير، فإن قلت: إذا كان التعبير يقتضي المماثلة فما وجه كون جر القميص في النوم حسنأوجره في (اليقظة) (٢) منهيا عنه وهو من الخيلاء؟

---

(١) "تفسير الطبري" ١٢/ ٢٩٨.

(٢) في الأصل: النوم، وما أثبتناه من (ص١) وهو الصحيح.." (٢)

"وردت أساميها بالرسالة، وظهرت شواهدها في الصنعة بتبصير النور الدائم في السر، وطيب حياة العقل لزرع الفكر، وحياة القلب: بحسن النظر بين التعظيم وحسن الاعتبار، وهي (١) معرفة العامة التي لا

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ابن الملقن ٣٢/١٨٠

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ابن الملقن ٣٢/١٨٤

تنعقد شرائط اليقين إلا بها، وهي على ثلاثة أركان: إثبات الصفة (٢) باسمها من غير تشبيه، ونفي التشبيه عنها (٣) من غير تعطيل، والإياس من إدراك كنهها (٤)، ومن ابتغاء تأويلها (٥).

وهذه جملة شرحها في الكلام الآتي بعدها في الوظائف (٦) إن شاء الله تعالى وهذا أخصر كلام وجدته من كلام الطائفة الأولى من المحدثين وهم جمهورهم، والظاهر أن صاحبه (٧) أخفى نفسه، إما لتخلص له نيته فيه لنصيحة (٨) المسلمين أو ليسلم من ألسنة المتكلمين (٩)، وقد نقلته جميعه بألفاظه إلا القليل (١٠)، وأنا أنبه على ذلك (١١) القليل غالبا، كما زدت (١٢) فيه زيادات يسيرة قد نبهت (١٣) عليها، وإذا تأملته وتأملت م| ذكره

---

(١) في (ب): وهو.

(٢) في (أ) و (ش): " الصنعة "، وهو تحريف.

(٣) من قوله: " من غير تشبيه " إلى هنا ساقط من (ب).

(٤) في (ش): إدراكها.

(٥) في (أ): " انتفائها "، وهو خطأ.

(٦) في (ش): " الوصائف "، وهو تحريف.

(٧) ساقطة من (ش).

(٨) في (ش): " لفضيحة "، وهو تحريف قبيح.

(٩) في (أ): المسلمين.

(١٠) " إلا القليل " ساقطة من (ش).

(١١) في (ش): وإن فات.

(١٢) في (أ): وزدت.

(١٣) في النسخ: ونبهت.." (١)

"وقيل: هي **حياة القلب** مع الله.

وقيل: نسيان غير الله، وقد دل على فضلها ومدحها الكتاب والسنة، قال الله تعالى: وما قدروا الله حق

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ابن الوزير ٣٣٩/٣

قدره [الأنعام: ٩١] أي: ما عرفوا حق معرفته، وقال: وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين [المائدة: ٨٣] .

وجاء في الحديث عن عائشة أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «إن دعامة البيت أساسه، ودعامته الدين المعرفة بالله تعالى» .

وقد تكلم المشايخ الصوفية فيها، فكل منهم نطق بما وقع له منها، وأشار إلى ما وجده منها في وقته.

قال الأستاذ أبو علي الدقاق: من أمارة المعرفة بالله حصول الهيبة من الله تعالى فمن ازدادت معرفته ازدادت هيبته منه، ومن ازدادت هيبته استقامت حالته، وعظمت بين الخليقة حرمته.

وقال الشبلي (١) : ليس للعارف بالله علاقة أي: حظ في غير مولاه.

وقال بعضهم: من عرف الله انقطع بل خرس وانقمع.

وقال آخر: من كان بالله اعرف كان له أخوف.

وقال بعضهم: من عرف الله تبرم بالبقاء أي: كره البقاء، وضاقت عليه الدنيا بسعتها.

قال بعضهم: للعارف أمارة وهي: قلبه إذا نظر فيها تجلي فيها مولاه.

وقال ذا النون المصري: ركضت أرواح الأنبياء في ميدان المعرفة، فسبقت روح نبينا – صلى الله عليه وسلم – أرواح الأنبياء إلى روضة الوصال.

وقال أيضا: معاشرة العارف كمعاشرة الله تعالى في أن يحتملك ويحلم عنك تخلقا بأخلاق الله تعالى، فمتى صحبته وعفا عن كل ذنب يكون منك زال عنك برؤيته الفتور والكسل، وتخلقت بأخلاقه الحميدة.

واختلف العلماء في أول واجب على المكلف فالجمهور على أن واجب على المكلف معرفة الله لأنها أصل لسائر الأعمال الواجبة، إذ لا يصح بدونها واجب، بل

---

(١) الشبلي هو: دلف بن جحدر الشبلي: ناسك، كان في مبدأ أمره واليا في دنباوند من نواحي رستاق الري، وولي الحجابة للموفق العباسي، وكان أبوه حاجب الحجاب، ثم ترك الولاية وعكف على العبادة، فاشتهر بالصلاح، وله شعر جيد، ومتفرقات في آداب السلوك تناقلها الناس، سلك به مسالك المتصوفة، مولده سنة: ٢٤٧هـ، وأصله من خراسان، ونسبته إلى قرية شبلة من قرى ما وراء النهر،، ووفاته ببغداد سنة:

٣٣٤هـ، واختلف في اسمه ونسبه، فقيل: دلف بن جعفر، وقيل: جحدر بن دلف، وقيل: دلف ابن جعترة، وقيل: دلف بن جعونة وقيل: جعفر ابن يونس.." (١)

"قال حجة الإسلام الغزالي (١) : وقال معاذ بن جبل ورأيته أيضا مرفوعا: «تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقه، وبذله لأهله قربة، لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار سبيل الجنة، والأنس في الوحشة، وهو الأنس في الوحدة، والصاحب في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والوزير عند الأخلاء، والقريب عند الغرباء، ومنار سبيل الجنة، يرفع الله تعالى به أقواما فيجعلهم في الخير قادة، وهداة يقتدى بهم، وأدلة في الخيرات تقتفى آثارهم، وترفق أفعالهم، ترغب الملائكة خلتهم، وبأجنحتها تمسحهم، ويستغفر لهم كل رطب ويابس، وحيتان البحر وهوامه، وسباع البر وأنعامه، لأن العلم **حياة القلوب** من الجهل، ومصابيح الأبصار من الظلم، يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار، والدرجات العلى في الدنيا والآخرة، التفكر فيه يعدل الصيام، ومدارسته تعدل القيام، به توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال من الحرام، وهو إمام، والعمل تابعه يلهمه السعداء، ويحرمه الأشقياء» . (٢)

والنوع الثاني: وهو الذي ينفع الناس ولا ينتفع، نوع كالأرض التي تمسك الماء فقط للناس، ينتفعوا به وهي لا تنتفع نفسها، فلا تنبت الكلأ، مذموم قبيح، فإنه يقبح بالعالم أن ينفع الناس بعلمه فيعملوا به وهو لا ينتفع به ولا يعمل به، بل ينبغي أن يكون فعله موافقا لقوله، فإذا مر بشيء عمل به، وإذا نهى عن شيء انتهى عنه قبل غيره.

وقد دلت الأخبار من الكتاب والسنة على ذم من علم الناس ولم يعمل بعلمه.

قال الله تعالى: أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون [البقرة: ٤٤] .

وقال تعالى: كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون [الصف: ٣] .

وقال تعالى في قصة شعيب: وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه [هود: ٨٨] .

وقال تعالى لعيسي بن مريم عليه الصلاة والسلام: «يا ابن مريم عظ نفسك، فإن

---

(١) شرح البخاري للسفيري = المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية شمس الدين السفيري ٤٥٧/١

(١) انظر: إحياء علوم الدين (١/١١) .

(٢) أخرجه الديلمي في الفردوس (٢/٤١، رقم ٢٢٣٧) عن معاذ.." [1]

"(رأيت الذنوب تميت القلوب ... وقد يورث الذل إدمانها)

(وترك الذنوب حياة القلوب ... وخير لنفسك إحسانها)

(وهل أفسد الدين إلا الملوك ... وأحبار سوء ورهبانها)

فالملوك الجبابرة يعترضون على الشريعة بالسياسات الجائرة ويعارضونها بها ويقدمونها على حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وأحبار السوء هم العلماء الخارجون عن الشريعة بآرائهم وأقيستهم الفاسدة المتضمنة تحليل ما حرم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وتحريم ما أباحه واعتبار ما ألغاه وإلغاء ما اعتبره وإطلاق ما قيده وتقييد ما أطلقه ونحو ذلك والرهبان هم جهلة المتصوفة المعترضون على حقائق الإيمان والإسلام ودقائق الشريعة والأحكام بالأذواق والمواجيد الخيالية النفسانية والكشوفات الباطلة الشيطانية المتضمنة شرع دين لم يأذن به الله وإبطال دين شرع على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم والإعراض عن حقائق الإيمان بحظوظ النفس وخدع الشيطان فقال الأولون إذا تعارضت السياسة والشرع قدمنا السياسة حفظا للرياسة وقال الآخرون إذا تعارض العقل والنقل قدمنا العقل لأن العقل يثبت النقل وقال أصحاب الذوق إذا تعارض الكشف وظاهر الشرع قدمنا الكشف لأن الخبر ليس كالمعاينة ولم يدروا أن أخبار الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فوق مرتبه عيان الخلق فكيف بالكشف الذي هو محل اللبس ولذا ترى الكشوف مختلفة وآثارها غير مؤتلفة فكل من قال برأيه أو ذوقه أو سياسته مع وجود النص أو عارض النص بالمعقول فقد ضاهى إبليس حيث لم يسلم لأمر ربه بل قال {أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين}." [2]

"١٤٥٢ - (اللهم رب) أي يا رب (جبريل) قال الحراني: اسم عبودية لأن إيل اسم الله في الملأ الأعلى وهو يد بسط لروح الله في القلوب بما يحييها الله من روح أمره إرجاعا إليه في هذه الدار قبل إرجاع روح الحياة بيد القبض من عزرائيل -[١٠٢]- (وميكائيل) اسم عبودية أيضا وهو يد بسط للأرزاق المقيمة للأجسام (وإسرافيل) وهو بسط يد للأرواح التي بها الحياة قال الجزولي في شرح الرسالة: إنه إنما سمي إسرافيل لكثرة أجنحته وميكائيل لأنه موكل بالمطر والنبات يكيله ويزنه (ومحمد) الذي هو روح الأرواح

---

(١) شرح البخاري للسفيري = المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية شمس الدين السفيري ٢/١٤١

(٢) الرد على القائلين بوحدة الوجود الملا على القاري ص/٤٩

(نعوذ) أي نعتصم (بك من النار) أي من عذابها فوجه تخصيص الأملاك الثلاثة أنها أشرف الملائكة وأنها الموكلة بالحياة وعليها مدار نظام هذا الوجود فجبريل موكل بالوحي الذي هو **حياة القلوب** وميكائيل بالقطر والنبات الذي هو حياة الأرض والحيوان وإسرافيل بالنفخ في الصور الذي هو سبب حياة العالم وعود الأرواح إلى الأشباح فالتوسل إليه سبحانه بربوبية هذه الأرواح الموكلة بالحياة له تاثير كبير في حصول المطلوب وهذا كما ترى أدق من قول البعض خص هؤلاء لكمال اختصاصهم واصطفائهم وكونهم أفضل الملائكة والأول والأخير أفضل من الثاني وفي التفضيل بينهما أقوال: ثالثها الوقف

(طب ك) في المناقب وكذا ابن السني في عمل اليوم والليلة (عن والد أبي المليح) واسمه عامر بن أسامة قال: صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتي الفجر فسمعته يقول: اللهم. . . إلخ ثلاثا. قال الهيثمي: وفيه من لم أعرفه اه وبه يعرف أن رمز المصنف لصحته غير صواب." (١)

"٢٢٧٣ - (إن روح القدس) أي الروح المقدسة وهو جبريل عليه السلام سمي به لأنه يأتي بما فيه **حياة القلب** فإنه المتولي لإنزال الكتب الإلهية التي بها تحيا الأرواح الربانية والقلوب الجسمانية فهو كالمبدأ **لحياة القلب** كما أن الروح مبدأ لحياة الجسد وأضيف إلى القدس لأنه مجبول على الطهارة والنزاهة من العيوب وخص بذلك وإن كانت جميع الملائكة كذلك لأن روحانيته أتم وأكمل ذكره الإمام الرازي قال وإطلاق الروح عليه مجاز لأن الروح هو المتردد في مخارق الإنسان ومنافذه وجبريل عليه السلام لا كذلك فتسميته بالروح على منهج التشبيه من حيث أن الروح كما أنه سبب لحياة الإنسان فجبريل سبب **لحياة القلوب** بالعلوم والمعارف وقال الحرالي: الروح لمحة من لمحات الله وأمر الله قيومته في كليته خلقا وملكوتا فما هو قوام الخلق كله هو الإله الحق وما هو قوام صوره من جملة الخلق هو الروح الذي هو لمحة من ذلك الأمر ولقيام عالم الملكوت وخصوصا حملة العرش بعالم الملكوت وخصوصا أمر الدين الباقي سماهم الله روحا ومن أخصهم روح القدس والقدس الطهارة العلمية الدائمة التي لا يلحقها نجس ظاهر ولا رجس باطن (نفث) بفاء ومثلثة تفل بغير ريق (في روعي) بضم الراء أي ألقى الوحي في خلدي وبالي أو في نفسي أو قلبي أو عقلي من غير أن أسمعه ولا أراه والنفث ما يلقيه الله إلى نبيه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إلهاما كشفيا بمشاهدة عين اليقين أما الروع بفتح فهو الفزع لا دخل له هنا (إن نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها) الذي كتبه لها الملك وهي في بطن أمها فلا وجه للوله والتعب والحرص والنصب إلا عن

---

(١) فيض القدير المناوي ٢/١٠١

شك في الوعد (وتستوعب رزقها) كذلك فإنه سبحانه وتعالى قسم الرزق وقدره لكل أحد بحسب إرادته لا يتقدم ولا يتأخر ولا يزيد ولا ينقص بحسب علمه القديم الأزلي ولهذا سئل حكيم عن الرزق فقال إن قسم فلا تعجل وإن لم يقسم فلا تتعب (فاتقوا الله) أي ثقوا بضمانه لكنه أمرنا تعبدا بطلبه من حله فلهذا قال (وأجملوا في الطلب) بأن تطلبوه بالطرق الجميلة المحللة بغير كد ولا حرص ولا تهافت على الحرام والشبهات (ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق) أي حصوله (أن يطلبه بمعصية الله (١) فإن الله تعالى لا ينال عنده) من الرزق -[٤٥١]- وغيره (إلا بطاعته) قال الطيبي رحمه الله: والاستبطاء يعني الإبطاء والسير للمبالغة وفيه أن الرزق مقدر مقسوم لا بد من وصوله إلى العبد (٢) لكنه إذا سعى وطلب على وجه مشروع وصف بأنه حلال وإذا طلب بوجه غير مشروع فهو حرام فقوله ما عنده إشارة إلى أن الرزق كله من عند الله الحلال والحرام وقوله أن يطلبه بمعصية إشارة إلى ما عند الله إذا طلب بمعصية سمي حراما وقوله إلا بطاعته إشارة إلى أن ما عند الله إذا طلب بطاعته مدح وسمي حلالا وفيه دليل ظاهر لأهل السنة أن الحرام يسمى رزقا والكل من عند الله تعالى خلافا للمعتزلة روي أنه لما نزل قوله سبحانه وتعالى {وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون} قالت الملائكة هلكت بنو آدم أغضبوا الرب حتى أقسم لهم على أرزاقهم قال الرافعي رحمه الله: واحتج به الشافعي رضي الله عنه على أن من الوحي ما يتلى قرآنا ومنه غيره كما هنا وله نظائر انتهى ثم إن النفث المذكور هو أحد أنواع الوحي فإنه ستة أنواع أحدها كان يأتيه كصلصلة الجرس وهو أشد جاءه مرة وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فثقل على زيد حتى كاد يرض فخذه الثاني يتمثل له الملك رجلا فيكلمه الثالث النومية الرابع الإلقاء في القلب الخامس يأتيه جبريل عليه السلام في صورته الأصلية له ست مئة جناح تسد الأفق السادس يكلمه الله تعالى كما كلمه ليلة الإسراء وهو أسمى درجاته [١] جعلهم نفخ الروح في الروع من أقسام الوحي يؤذن باختصاصه بالأنبياء لكن صرح العارف ابن عربي رضي الله عنه بأنه يقع للأولياء أيضا وعبارته العلوم ثلاث مراتب علم العقل وهو كل علم يحصل ضرورة أو عقب نظر في دليل بشرط العثور على وجه ذلك الدليل الثاني علم الأحوال ولا سبيل له إلا بالرزق فلا يمكن عاقل وجدانه ولا إقامة دليل معرفة كالعلم بحلاوة العسل ومرارة الصبر ولذة الجماع والوجد والشوق فهذه علوم لا يعلمها إلا من يتصف بها ويذوقها الثالث علم الأسرار وهو فوق طور العقل وهو علم نفث روح القدس في الروع ويختص به النبي والولي وهو نوعان والعالم به يعلم العلوم كلها

---

(١) تنبيه

ويستغرقها وليس أصحاب تلك العلوم كذلك انتهى

(حل عن أبي أمامة) الباهلي ورواه عنه أيضا الطبراني ورواه ابن أبي الدنيا والحاكم عن ابن مسعود ورواه البيهقي في المدخل وقال منقطع

---

(١) أي على طلبه بمعصيته فلا يطلبوه بها وإن أبطأ عليكم وهذا وارد مورد الحث على الطاعة والتنفير من المعصية فليس مفهومه مرادا

(٢) فائدة: ذكر المقريزي أن بعض الثقات أخبره أنه سار في بلاد الصعيد على حائط العجوز ومعه رفقة فاقتلع أحدهما منها لبنة فإذا هي كبيرة جدا فسقطت فانفلقت عن حبة فول في غاية الكبر وكسروها فوجدوها سالمة من السوس كأنها كما حصدت فأكل كل منهم قطعة فكانت ادخرت لها من زمن فرعون فإن حائط العجوز بنيت عقب غرقه فلن تموت نفس حتى تستوفي رزقها." (١)

"٣٥٩٥ - (جعلت لي كل أرض طيبة) بالتشديد من الطيب الطاهر أي نظيفة غير خبيثة (مسجدا وطهورا) قال الزين العراقي: أراد بالطيبة الطاهرة وبالطهور المطهر لغيره فلو كان معنى طهورا طاهرا لزم تحصيل الحاصل وفيه أن الأصل في الأشياء الطهارة وإن غلب ظن النجاسة وأن الصلاة بالمسجد لا تجب وإن أمكن بسهولة وكان جارا بالمسجد وخبر لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد لم يثبت وبفرضه المراد لا صلاة كاملة وهذا الخبر وما بعده قد احتجت به الحنفية على جواز التيمم بسائر ما على وجه الأرض ولو غير تراب وأخذ منه بعض المجتهدين أنه يصح التيمم بنية الطهارة المجردة لأنه لو لم يكن طهارة لم تجز الصلاة به وخالف الشافعي ورد ذلك بأنه مجاز لتبادر غيره والأحكام تناط باسم الحقيقة دون المجاز وبأنه لا يلزم من نفي الطهارة الحقيقية نفي المجازية. (٢)قال القاضي: قد جاء فعول في كلام العرب لمعان مختلفة منها المصدر وهو قليل كالقبول والولوغ ومنها الفاعل كالصفوح والشكور وفيه مبالغة ليست في الفاعل ومنها المفعول كالركوب والحلوب ومنها ما يفعل به كالوضوء والغسول والفطور ومنها الإسمية كالذنوب وقد حمل الشافعي {وأنزلنا من السماء ماء طهورا} على المعنى الرابع لقوله {ليطهركم به} ولقوله في هذا الخبر جعلت إلى آخره وهو ههنا بمعنى المصدر. (تتمة) قال في الاختيار: إنما جعلت الأرض له

---

(١) فيض القدير المناوي ٢/٤٥٠

(٢) تنبيه

مسجدا بوفور الحظ البارز على جميع الرسل منه تعالى ولأمته من حظه ما برزوا به على جميع الأمم حتى أقبل الله عليهم فإقباله عليهم طهرت بقاع الأرض حيثما انتصبوا فإذا كبروا رفعت الحجب ودخلوا في ستره وطهرت البقاع لهم حيثما وقفوا وإنما جعلت طهورا فإنهم إذا لم يجدوا الماء الذي جعله الله طهورا للخلق تطهروا بالصعيد فجعل ما تحت أقدامهم طهورا لهم عند فقد ما فوق رؤوسهم من الماء المذكور في قوله {وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به} وهو ماء الحياة الراكد تحت العرش خلقه الله حياة لكل شيء فمنه **حياة القلوب** ومنه حياة الأرواح

(حم والضياء) المقدسي (عن أنس) بن مالك ورواه عنه أيضا ابن المنذر وابن الجارود قال ابن حجر: وإسناده صحيح." (١)

"٤٥٠١ - (الرؤيا ستة: المرأة خير والبعير حرب) وفي رواية حزن (واللبن فطرة) أي يدل على السنة والعلم والقرآن لأنه أول شيء يناله المولود من طعام الدنيا وهو الذي يقوته ويفتق أمعاءه وبه تقوم حياته كما يقوم بالعلم **حياة القلوب** وقد يدل على الحياة لأنها كانت به في الصغر وقال ابن الدقاق: اللبن يدل على ظهور الإسلام والعلم والتوحيد وهذا في اللبن الحليب: أما الرايب فهم. والمخيض أشد غلبة منه ولبن ما لا يؤكل حرام وديون وأمراض ومخاوف على قدر جوهر الحيوان وقال بعضهم: أراد باللبن هنا لبن الإبل والبقر والغنم ولبن الوحش شك في الدين ولبن السباع غير محمود لكن لبن اللبؤة مال مع عداوة. وقال بعضهم: لبن اللبؤة يدل على الظفر بالعدو ولبن الكلب يدل على الخوف ولبن السنور والثعلب يدل على مرض ولبن النمر يدل على عداوة (والخضرة جنة والسفينة نجاة والتمر رزق) يعني أن هذه الأشياء إذا رؤيت في النوم تؤول بما ذكر

(٢) قال ابن بطال: بعض الرؤيات لا يحتاج إلى تفسير وما فسر في النوم فهو تفسيره في اليقظة وفيه أن أصل التعبير من الأنبياء وأنه توقيف لكن الوارد عنهم وإن كان أصلا فلا يعم جميع المرائي فلا بد للحاذق في هذا الفن أن يستدل بحسب نظره فيرد ما لم ينص عليه إلى حكم التمثيل ويحكم له بحكم التشبيه الصحيح فيجعل أصلا يلحق به غيره كما يفعل الفقيه في الفروع الفقهية وقال المسيحي الفيلسوف: لكل علم أصول لا تتغير وأقيسة مطردة لا تضطرب إلا تعبير الرؤيا فإنها تختلف باختلاف أحوال الناس وهيئاتهم

---

(١) فيض القدير المناوي ٣٤٩/٣

(٢) تنبيه

وصناعتهم ومراتبهم ومقاصدهم ومللهم ونحلهم وعاداتهم وينبغي كون المعبر مطلعا على جميع العلوم عارفا بالأديان والملل والنحل والمراسم والعادات بين الأمم عارفا بالأمثال والنوادر ومأخذ اشتقاق الألفاظ فطنا ذكيا حسن الاستنباط خبيرا بعلم الفراسة وكيفية الاستدلال من الهيئات الخلقية على الصفات حافظا للأمور التي تختلف باختلاف تعبير الرؤيا فمن أمثلة التعبير بحسب الاشتقاق أن رجلا رأى أنه يأكل سفرجلا فقال له المعبر: تسافر سفرا عظيما لأن أول جزء السفرجل سفر ورأى آخر أن رجلا أعطاه غصن سوسن فقال: يصيبك من المعطي سوء سنة لأن السوء يدل على الشدة والسنة اسم للعام التام لكن التعبير بحسب الاشتقاق للألفاظ العربية إنما هو للعرب وغيرهم إنما ينظر إلى اللفظ في لغتهم

(ع في معجمه) والديلمي من طريقه (عن رجل من الصحابة) من أهل الشام قال: كنا جلوسا عند ابن عبد العزيز فجاء رجل من أهل الشام فقال: يا أمير المؤمنين ههنا رجل رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام عمر وقمنا معه فقال: أنت رأيت رسول الله قال: نعم قال: سمعته يقول فذكره." (١)

"٤٨٤٥ - (السلام تحية لملتنا) أي سبب لبقائها ودوام ملكها **وحياة القلوب** فيها وبقاء الألفة بين أهل الإسلام بإفشاء السلام وبذل السلامة من بعضهم لبعض على الدوام (وأمان لذمتنا) أي يشعر بأمانك لمن سلمت عليه ووفاء بعهد الإسلام وضمانه الذي عاهدت عليه وهو سلامة من يده ولسانه فكأن المسلم جدد العهد فيجب ألا يخفر لذمته بعد السلام (٢) قال ابن دقيق العيد: فيظهر أن التحية بغير لفظ السلام من باب ترك المستحب لا مكروه إلا إن قصد به العدول عن السلام إلى ما هو أظهر في التعظيم من أجل أكابر أهل الدنيا وكان تحية من قبلنا السجود لمن يلقونه فحرم علينا السجود لغير الله وأعطينا مكانه السلام فهو من خصوصياتنا على ما اقتضاه هذا الخبر قال في شرح رسالة ابن أبي زيد: كان للناس في جاهليتهم ألفاظ يتلاقون بها ويتراحبون بها التماسا منهم للبقاء على أحسن الحالات والبعد عن الآفات سيما في حق من لم يتمكن من أسباب الدنيا فلا يشتهي إلا دعوة تقتضي بقاءه على حاله أو كلمة يسمعها يتفاءل بها لذلك كقول بعضهم عم صباحا عم مساء ابق ببقاء الليالي فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم: " السلام تحية لملتنا " يعني به -[١٥١]- أن الملتمس من كلمات مرت هو البقاء على صفة محبوبة مشتهاة عند الأنام وأفضل من ذلك كله الاتصاف بالسلامة المبعدة عن الظلامة ولذلك سمى الله به الجنة بقوله: {والله

---

(١) فيض القدير المناوي ٤/٤٩

(٢) تنبيه

يدعو إلى دار السلام} وقال الإمام الرازي: عادة العرب قبل الإسلام إذا لقي بعضهم بعضا أن يقولوا حياك الله واشتقاقه من الحياة كأنه يدعو له بالحياة فلما جاء الإسلام أبدل الله ذلك بالسلام وقال الراغب: أصل التحية الدعاء بطول الحياة ثم استعملت في كل دعاء وكانت العرب إذا لقي بعضهم بعضا يقول حياك الله ثم استعملها الشرع في السلام قالوا: في السلام مزية على التحية لأنه دعاء بالسلامة من الآفات الدينية والدني,ية وهي مستلزمة بطول الحياة وليس في الدعاء بطولها ذلك

(القضاعي) في مسند الشهاب (عن أنس) ظاهر صنيع المصنف أنه لم يره لأشهر من القضاعي وهو عجب فقد خرجه الطبراني والديلمي باللفظ المزبور عن أبي أمامة." (١)

"٧٤٣٩ - (لو تعلمون ما أعلم) من الأحوال والأهوال مما يؤول إليه حالكم (لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا) حث -[٣١٧]- وتحريض على البكاء وترك الضحك فإن البكاء ثمرة **حياة القلب** (يظهر النفاق وترتفع الأمانة وتقبض الرحمة ويتهم الأمين ويؤتمن غير الأمين أناخ بكم الشرف) بالفاء وقيل بالقاف (الجون الفتن كأمثال الليل المظلم) شبه الفتن في اتصالها وامتداد أوقاتها بالنوق المسنمة السود كذا روي بسكون الواو وهو جمع قليل في جمع فاعل وروي الشرق بالقاف يعني الفتن التي تأتي من جهة المشرق والجود من الألوان يقع على الأسود والأبيض والمراد هنا الأسود بقرينة التشبيه بالليل

(ك) في الأهوال (عن أبي هريرة) قال الحاكم: صحيح وأقره الذهبي." (٢)

"٨١٩٢ - (مفتاح الجنة الصلاة) أي مبيح دخولها الصلاة لأن أبواب الجنة مغلقة فلا يفتحها إلا الطاعة والصلاة أعظمها -[٥٢٧]- فيه استعارة وذلك أن الحدث لما منع من الصلاة شبه بالغلق المانع من الدخول والطهور لما رفع الحدث وكان سبب الإقدام على الصلاة شبه بالمفتاح (ومفتاح الصلاة) أي مجوز الدخول فيها (الطهور) بضم الطاء وجوز الرافعي فتحها لأن الفعل لا يمكن بدون آلته. وقال الولي العراقي: ضبطناه في أصلنا بالفتح وهو الماء على الأشهر واشتهر على الألسنة بالضم والمراد به الفعل. قال: والأول أظهر لأن الماء مفتاح واستعماله فتح قال الطيبي: جعلت الصلاة مقدمة لدخول الجنة كما جعل الوضوء مقدمة للصلاة فكما لا تمكن الصلاة بدون وضوء لا يتهيأ دخول الجنة بدون صلاة. قال بعضهم: فيه دليل لمن كفر تارك الصلاة اه. وقال غيره: فيه اشتراط الطهارة بصحة الصلاة لدلالة حصر المبتدأ في

---

(١) فيض القدير المناوي ١٥٠/٤

(٢) فيض القدير المناوي ٣١٦/٥

الخبر على انحصار مفتاح الصلاة في الطهور فدل على أنها مغلقة ممنوع منها لا يفتح غلقها ويزيل المنع منها إلا الطهور وفيه استعمال المجاز في الكلام فإن مفتاح الصلاة مجاز عما يفتحها من غلقها فالحدث كالفعل موضوع على المحدث كالقفل حتى إذا توضأ انحل قال ابن العربي: وهذه استعارة بديعة

[(١)] قد جعل الله لكل مطلوب مفتاحا يفتح به فجعل مفتاح الصلاة الطهور ومفتاح الحج الإحرام ومفتاح البر الصدقة ومفتاح الجنة التوحيد ومفتاح العلم حسن السؤال والإصغاء ومفتاح الظفر الصبر ومفتاح المزيد الشكر ومفتاح الولاية والمحبة الذكر ومفتاح الفلاح التقوى ومفتاح التوفيق الرغبة والرهبة ومفتاح الإجابة الدعاء ومفتاح الرغبة في الآخرة الزهد في الدنيا ومفتاح الإيمان التفكر في مصنوعات الله ومفتاح الدخول على الله استسلام القلب والإخلاص له في الحب والبغض ومفتاح **حياة القلوب** تدبر القرآن والضراعة بالأسحار وترك الذنوب ومفتاح حصول الرحمة الإحسان في عبادة الحق والسعي في نفع الخلق ومفتاح الرزق السعي مع الاستغفار ومفتاح العز الطاعة ومفتاح الاستعداد للآخرة قصر الأمل ومفتاح كل خير الرغبة في الآخرة ومفتاح كل شر حب الدنيا وطول الأمل. وهذا باب واسع من أنفع أبواب العلم وهو معرفة مفاتيح الخير والشر ولا يقف عليه إلا الموفقون

(حم هب عن جابر) بن عبد الله رمز المصنف لحسنه." (٢)

"٩٦٧٩ - (الوضوء مما خرج) من أحد السبيلين عند المالكية والشافعية ولو رأس إبرة ودودة وعادة وريحا من قبل وقال الحنابلة بعمومه فأوجبوا الوضوء بخروج النجاسة من غيرهما إذا فحش (وليس مما دخل) تمامه عند الطبراني والصوم مما دخل وليس مما خرج وفي رواية الدارقطني يدخل ويخرج بصيغة المضارع

[(٣)] قال السهرودي كالحكيم الترمذي: حكمة وجوب الوضوء أن الشيطان قد وجد سبيلا إلى جوف ابن آدم كما أشار إليه الخبر المار وهو أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم في الجسد فأمر آدم وولده بالوضوء لمجرى الشيطان ونجاسته فأمر بغسل أطرافه وهي خمسة الجناحان والرأس والقدمان فجعل الله الماء طهورا من آفاته الظاهرة وهي ما يخرج من الأذى من بول أو غائط ورائحتها ومعدته في مجمع الطعام

---

(١) تنبيه

(٢) فيض القدير المناوي ٥٢٦/٥

(٣) تنبيه

وموضع الروث مجلسه وهو ينفخ فيه فإذا خرج الصوت هيج عليك الضحك فإذا ضحك أحد منك سخر الشيطان ولذلك جعل بعض الأئمة الضحك في الصلاة حدثا فجعل الله الماء طهورا للمؤمن من آفاته الظاهرة والباطنة فالظاهرة لتطهير جوارحه من تلك الأقذار والباطنة ليرد عليه ما ذهب من **حياة القلب** بطهارته

(هق) من رواية إدريس الخولاني عن الفضل بن المختار عن ابن أبي ذؤيب عن شعبة مولى ابن عباس (عن ابن عباس) ثم قال عقبه أعني البيهقي: هذا لا يثبت اه قال الذهبي في المهذب: وشعبة ضعفوه والفضل واه وصوابه موقوف اه وقال ابن الجوزي: حديث لا يصح وقال ابن عدي: لعل البلاء فيه من الفضل بن المختار وقال ابن حجر: فيه الفضل بن المختار وهو ضعيف جدا وشعبة مولى ابن عباس وهو ضعيف ورواه الطبراني من حديث أبي أمامة وسنده أضعف من الأول اه وقال الغرياني في حاشية مختصر الدارقطني: فيه الفضل بن المختار مجهول يحدث عن ابن أبي ذؤيب بالأباطيل." (١)

"غيره (حم ق ن عن أنس) بن مالك

(ذهبت النبوة) اللام للعهد والمعهود نبوته (وبقيت المبشرات) بكسر الشين المعجمة جمع مبشرة وهي البشرى وفسرها في الخبر الآتي بأنها الرؤيا الصالحة والمراد أنها أشرفت على الذهاب لقرب موته (ه عن أم كرز) بضم الكاف وسكون الراء بعدها زاي الكعبية // بإسناد حسن // (ذهبت النبوة) أي قرب ذهابها (فلا نبوة) كائنة (بعدي) أي بعد وفاتي (إلا المبشرات) قالوا وما المبشرات قال (الرؤيا الصالحة) التي (يراها الرجل) يعني الإنسان ولو أنثى (أو ترى له) أي يراها غيره من الناس له فهي جزء من أجزاء النبوة باقية إلى قرب قيام الساعة (طب عن حذيفة) بضم المهملة (ابن آسيد) بفتح الهمزة وكسر المهملة الغفارى صحابي قديم ورجاله رجال الصحيح

(ذهبت العزى) بضم المهملة وشد الزاي المفتوحة (فلا عزى بعد اليوم) أرد به الصنم الذي كانوا يعبدونه أرسل إليه فكسره حتى صار رضاضا فما أخبر بذلك ذكره (ابن عساكر عن قتادة مرسلا)

(ذو الدرهمين) أي صاحب الدرهمين مثلا (أشد حسابا) يوم القيامة (من ذي الدرهم وذو الدينارين أشد حسابا من ذى الدينار) كذلك ولهذا يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام والقصد الحث على الإقلال من المال وتسلية الفقراء (ك في تاريخ) تاريخ نيسابور (عن أبي هريرة) مرفوعا (هب عن أبي ذر

---

(١) فيض القدير المناوي ٣٧٥/٦

موقوفا) وهو أشبه

(ذو السلطان وذو العلم أحق بشرف المجلس) أي كل منهما أحق بأن يقدم ويؤثر بالجلوس في صدور المجالس من الرعايا والمراد العلم الشرعي النافع (فر عن أنس) بإسناد فيه مجهول //

(ذو الوجهين في الدنيا) وهو الذي يأتي كل طائفة بما تحب فيظهر لها أنه منها ويخالف لضدها صنيعة وخداعا (يأتي يوم القيامة وله وجهان من نار) جزاء له على إفساده وارتكابه أصلا من أصول النفاق وأكثر رجل الثناء على علي كرم الله وجهه بلسان لا يوافقه القلب فقال له أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك فانظر إلى هذه الفراسة المفترسة لحياة القلوب والمكشوف المغطى من خفيات الغيوب وقال بعض الحكماء لأن يكون لي نصف لسان ونصف وجه على ما فيهما من قبح المنظر وسوء المخبر أحب إلي من أن ذا وجهين وذا لسانين وذا قولين مختلفين وقال ارسطوا وجهك مرآة قلبك فإنه يظهر على الوجه ما تضمره القلوب (طس عن سعد) بن أبي وقاص بإسناد فيه كذاب ووهم المؤلف في رمزه لحسنه

(ذيل المرأة شبر) أي تطيله حتى تجره على الأرض قدر شبر زيادة في الستر المطلوب وذا قاله أولا ثم استزدنه فزادهن شبرا فصار ذراعا وقال لا تزدن عليه (هق عن أم سلمة) أم المؤمنين (وعن ابن عمر) // بإسناد حسن // (ذيلك) بكسر الكاف خطا بالمؤنث والمخاطب فاطمة أو أم سلمة (ذراع) بذراع اليد وهو شبران فلا يزاد عليه لحصول المقصود من زيادة الستر به (هـ عن أبي هريرة) // بإسناد حسن //

(الذباب كله في النار) يعذب به أهلها لا ليعذب هو (إلا النحل) فإن فيه شفاء فلا يناسب حالهم وتمامه ونهى عن قتلهن يمن إحراق الطعام في أرض العدو (البزارع طب عن ابن عمر طب عن ابن عباس وعن ابن مسعود) بأسانيد بعضها رجاله ثقات

(الذبيح إسحق) بن إبراهيم الخليل أخذ به الجمهور وأجمع عليه أهل الكتابين لكن سياق الآية يدل لكونه إسمعيل وصوبه ابن القيم وصححه البيضاوى (قط في) كتاب (الأفراد) بفتح الهمزة (عن ابن مسعود البزار وابن مردوية عن." (١)

"لها في نفس الأمر (ومنها ما يهم به الرجل) يعنى الإنسان (في يقظته فيراه في نومه) لتعلق حواسه به (ومنها جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة) أي جزء من أجزاء علم النبوة والنبوة غير باقية وعلمها باق وهذا هو الذي يؤول ويظهر أثره (هـ عن عوف بن مالك

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير المناوي ٢/٢١

الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة) فإن قيل إذا كانت جزأ منها فكيف كان للكافر منها نصيب قلنا هي وإن كانت جزأ من النبوة فليست بانفرادها نبوة فلا يمتنع أن يراها الكافر كالمؤمن الفاسق (خ عن أبي سعيد) الخدري (م عن ابن عمرو) بن العاص (د عن أبي هريرة) معا (حم ه عن أبي رزين) العقيلي (طب عن ابن مسعود) // بأسانيد صحيحة // وإشارة بتعداد مخرجيه إلى تواتره

(الرؤيا الصالحة جزء من سبعين جزأ من النبوة) مجازا لا حقيقة لأن النبوة انقطعت بموته وجزء النبوة لا يكون نبوة (حم ه عن ابن عمر) بن الخطاب (حم عن ابن عباس) ورجاله رجال // الصحيح //

(الرؤيا الصالحة جزء من خمسة وعشرين جزأ من النبوة) اختلاف العدد يرجع إلى اختلاف درجات الرؤيا والرائى فلا تعارض (ابن النجار عن ابن عمر

الرؤيا سنة) أي ستة اضرب أو أنواع أو أقسام (المرأة خير) أي رؤيا المرأة في النوم خير (والبعير حرب) أي يدل على وقوعه (واللبن فطرة) أي يدل على العلم والسنة والقرآن لأنه أول شيء يناله المولود من الدنيا وبه حياته كما أن بالعلم **حياة القلوب** (والخضرة جنة والسفينة نجاة والتمر رزق) أي هذه المذكورات تؤذن بحصول ما ذكر (ع في معجمه عن رجل من الصحابة) من أهل الشام

(الربا سبعون بابا) أي سبعون وجها أو نوعا (والشرك مثل ذلك) لأن من طفف في ميزانه فتطفيفه ربا بوجه ما فلذلك تعددت أبوابه (البزار عن ابن مسعود الربا ثلاثة وسبعون بابا) المشهور أن الربا في هذا وما قبله بالموحدة وصحف من جعله بالمثناة لكن اقترانه بالشرك فيما قبله يدل على أنه بمثناة (ه عن ابن مسعود) // بإسناد صحيح //

(الربا ثلاثة وسبعون باب أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه) هذا زجر وتخويف لأن العرب كانوا قد تظاهروا عليه وشق عليهم تحريمه (وأن أربى الربا عرض الرجل المسلم) من الوقيعة فيه واستغابته لأن فاعله حاول محاربة الشارع بفعله حيث قال فأذنوا بحرب من الله ورسوله (ك عن ابن مسعود) // وإسناده صحيح //

(الربا وان كثر فإن عاقبته تصير إلى قل) بالضم القلة كالذل والذلة أي وإن كان زيادة في المال عاجلا يؤل إلى نقص ومحق عاجلا (ك عن ابن مسعود) // بإسناد صحيح //

(الربا إثنان وسبعون باب أدناها مثل إتيان الرجل أمه وإن أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه) في الدين أي استحقاره والترفع عليه والوقيعة فيه (طس عن البراء) بن عازب // بإسناد صحيح //

(الربا سبعون حوبا) بفتح المهملة وتضم أي ضربا من الإثم فقوله الربا أي اسم الربا فلابد من هذا التقدير

ليطابق قوله (أيسرها) مثل (أن ينكح الرجل أمه) وفيه وما قبله أن الربا من أعظم الكبائر قال بعضهم وهو علامة على سوء الخاتمة (هـ عن أبي هريرة) بإسناد مختلف فيه

(الربوة) بتثليث الراء (الرملة) أي هي رملة يعنى قوله تعالى وآويناهما إلى ربوة هي رملة بيت المقدس وقيل دمشق وقيل مصر (ابن جرير) الطبري (وابن أبي حاتم) عبد الرحمن (وابن مردوية) في التفسير (عن مرة بضم الميم ابن كعب وقيل كعب بن مرة السلمى (البهزى)

(الرجل) بكسر الراء وسكون الجيم (جبار) بالضم والتخفيف أي ما أصابته الدابة برجلها." (١)

"الضحك يميت القلب) يخرجه عن حياته، وذلك لأن **حياة القلب** في استعماله لما خلق له من معرفة الله، والإقبال عليه، والسكون إلى ذكره، والتلذذ بمناجاته، فلا حياة له ولا إنارة إلا بهذا، وكثرة الضحك لا تنشأ إلا عن الإعجاب بالأمور الدنيوية، والسرور بها، ووفور محبتها، والرغبة فيها، والقلب لا يتسع إلا لمحبوب واحد، فموت القلب هو خلوه عن ذكر الله، وإنارته بحبه وتعظيمه وخوفه ورجائه، ولما كان البشر لا يخلو عن إعجاب يتولد عنه ضحكه عفى الله عن قليله لطفا منه بعباده، فلم يجعله مميتا للقلب (حم ت (١) هب عن أبي هريرة) رمز المصنف لضعفه، وقال الترمذي: غريب، وقال المنذري: وبقية إسناده فيه ضعيف.

١١٩ - " اتق دعوة المظلوم؛ فإنما يسأل الله تعالى حقه، وإن الله تعالى لن يمنع ذا حق حقه (خط) عن علي (ض) ".

(اتق دعوة المظلوم) هذا نهي عن المسبب، والمراد النهي عن السبب وهو الظلم، إلا أنه أقيم المسبب مقام سببه مجازا، والنكتة في إيثاره على الحقيقة، ولم يقل: اتق الظلم للإشارة إلى أن المظلوم له ناصر يجيبه إذا دعاه، ويلبيه إذا ناداه، ويغيثه إذا استغاث به، ويأتي أن دعوة المظلوم لا ترد، ولو كان كافرا (فإنما يسأل الله حقه) وهو إنصافه من ظالمه (وأن الله تعالى لن يمنع ذا حق حقه) أفاد أن دعوته مجابة وأنه طالب لحقه الذي لا يمنع عنه (خط (٢) عن علي) رمز المصنف

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣١٠)، والترمذي (٢٣٠٥): وقال: غريب، وابن ماجه (١٤١٠)، والبيهقي في

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير المناوي ٣٩/٢

الشعب (٩٥٤٣)، و (١١١٢٨)، وأورده المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٢٤٤). وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٠٠)، وفي الصحيحة (٩٣٠). وقال: حسن لغيره في صحيح الترغيب (٢٣٤٩)
(٢) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٩/ ٣٠٢)، وفي إسناده صالح بن حسان انظر: التاريخ الكبير (٤/ ٢٧٥). والعلل ومعرفة الرجال لأحمد (١/ ٥٤٠)، وتهذيب الكمال (١٣/ ٢٨) وقال في التقريب (٢٨٤٩): متروك. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١١٠)، والسلسلة الضعيفة (١٦٩٧).." (١)

"للحج إلا بإذنهما، ومثله خروجه لطلب العلم.

وتقديم الصلاة يدل أنه يؤديها أول وقتها وإن كرها (حم ق د ن عن ابن مسعود) (١) زاد في رموز الكبير رمز ابن حبان وحذف رمز أبي داود.

١٩٦ - " أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل (ق) عن عائشة" (صح).

(أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل) هذه الأحبية للعمل باعتبار صفة الدوام فيكون أعم من الأول باعتبار الصفة، فالصلاة المداوم عليها أول وقتها أحب إلى الله من صلاة أول الوقت لا يداوم عليها فالعمل المداوم عليه أفضل من عمل لا يداوم عليه من حيث صفة الدوام وإن كان ذلك أفضل باعتبار ذاته ويحتمل أنه أريد بهذا فرائض الطاعات؛ لأنها دائمة متكررة، فكأنه قال: أحب الأعمال إلى الله الفرائض لدوامها في كل يوم كالصلاة أو في كل عام كالحج والزكاة والصوم إلا أن قوله: "وإن قل" لا يناسب هذا (ق عن عائشة) (٢).

١٩٧ - " أحب الأعمال إلى الله أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله (حب) وابن السني في عمل يوم وليلة (طب هب) عن معاذ" (صح).

(أحب الأعمال إلى الله أن تموت) خطاب لغير معين لكل من يصلح للخطاب (ولسانك رطب من ذكر الله) أي قريب عهد بالذكر، جعل الذكر للسان بمثابة الماء وذلك لأن بالذكر **حياة القلب** كما أن بالماء حياة الأرض، فأثبت له الرطوبة كما هي ثابتة بالماء أو لأن بالذكر يجري ماء اللسان بخلافه مع السكوت، كما قال الزمخشري، ومن المجاز رطب لساني بذكرك وهذه الأحبية باعتبار الذكر وبالنظر إليه أي أحب

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير الصنعاني ٣٢٠/١

الذكر إلى الله هذا النوع منه وهو ما يتصل

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤٢١) والبخاري (٥٠٤)، ومسلم (٨٥) والنسائي (١/ ٢٩٢)، صحيح ابن حبان (١٤٧٧) ولم أقف عليه عند أبي داود من حديث ابن مسعود.

(٢) أخرجه البخاري (٦١٠٠) ومسلم (٧٨٣).." [١]

"ومن الرزق الذي تحرم العبد العاصي فعله الطاعات فلو لم يكن للذنب عقوبة إلا أن يصد عن طاعة يكون بذله ويقطع طريق طاعة أخرى ويقطع عليه طريقا ثالثة ورابعة وهلم جرا فيقطع عليه طاعات كثيرة كل واحدة خير له من الدنيا وما فيها، وما مثاله إلا رجل أكل أكلة أوجبت له مرضا طويلا منعه عن عدة أكلات أطيب منها.

ومن الرزق الذي تحرم المعاصي العبد قصر العمر ومحق بركته فإن البر كما يزيد في العمر كما أفاده آخر الحديث، وعدة أحاديث في معناه كذلك الفجور ينقصه، وقد اختلف هل ينقصه حقيقة أو يمحق بركته على قولين: أو نقصان حياة قلبه فإن الحياة الحقيقية هى **حياة القلب** ولذلك قال تعالى في الكفار أنهم {أموات غير أحياء} [النحل: ٢١] فليس عمر الإنسان أوقات حياة قلبه بالله والحق إن النقص يكون بالأنواع كلها لبعض وببعضها لبعض. (ولا يرد القدر) ما سبق به قدر الله تعالى على العبد. (إلا الدعاء) وقدمنا تفسير القدر عن ابن الأثير (١) إنه عبارة عما قضاه الله وحكم به من الأمور وفيه حصر في أنه لا يرده إلا الدعاء والجامع في العطف التضاد؛ لأن منع الرزق حرمان ورد القدر بالدعاء عطاء والقدر هنا مطلق غير مقيد بنزول ولا عدمه، وفي حديث عائشة عند ابن حبان "لا يغني حذر من قدر والدعاء يمنع نزل ومما لم ينزل فإن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة" (٢).

وهاهنا سؤال، وهو: أن المدعو به إن كان قد قدر لم يكن بد من وقوعه دعاء العبد أو لم يدع وإن لم يكن قد قدر لم يقع سواء دعا أو لم يدع فاختلف الناس

---

(١) انظر: النهاية (٤/ ٤١).

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير الصنعاني ٣٨٤/١

(٢) أخرجه الحاكم (١/ ٦٦٩)، ولم أقف عليه عند ابن حبان، والطبراني في الأوسط (٢٤٩٨)، والقضاعي في الشهاب (٨٥٩)، وقال الألباني: حسن في صحيح الجامع (٧٧٣٩).." [١]

"ولما أكمل عشرين حدث بأربعين واثنين وعشرين حدث بأربعة وأربعين ثم بخمسة وأربعين ثم بستة وأربعين في آخر حياته وما عدا ذلك من الروايات بعد الأربعين فضعيف ورواية الخمسين تحتمل جبر الكسر ورواية السبعين للمبالغة وما عدا ذلك لم يثبت انتهى وإنما قلنا على ما فيه لأنه كلام تخميني يفتقر إلى تاريخ أوقات الروايات ورواية ستة وعشرين لم يسردها المصنف وكأنها ثبتت عند ابن حجر. (ابن النجار (١) عن ابن عمر) سكت عنه المصنف.

٤٤٨٥ - "الرؤيا ستة: المرأة خير، والبعير حرب، واللبن فطرة، والخضرة جنة، والسفينة نجاة والتمر رزق" (ع) في معجمه عن رجل من الصحابة.

(الرؤيا ستة) أي أقسامها ستة كما بينه: (المرأة خير) أي رؤية المرأة خير والخير مشترك بين المال وغيره. (والبعير حرب) بالمهملة آخره موحدة أي تدل على حصوله. (واللبن فطرة) أي يدل على السنة والعلم والقرآن لأنه أول شرب يتناوله المولود من طعام الدنيا وهي الذي تفتق أمعائه وبه تقوم حياته كما يقوم بالعلم حياة القلوب وقد يدل على الحياة لأنها كانت به في الصغر قيل هذا في اللبن الحليب أما الرايب فهم والمخيض أشد غلبة منه ولبن ما لا يؤكل حرام وديون وأمراض ومخاوف وقيل: أراد لبن الإبل والبقر والغنم ولبن الوحش نسك في الدين. (والخضرة جنة والسفينة نجاة والتمر) بالمثناة. (رزق) يريد أن رؤية هذه الأشياء في النوم تأول بما ذكر. (ع) (٢) في معجمه عن رجل من الصحابة).

---

(١) أخرجه الخطيب في تاريخه (٥/ ١٨٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٥٢٨)، والصحيحة (١٨٦٩).

(٢) أخرجه أبو يعلى في معجمه (٣٢٥)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٣١٤٧).." [٢]

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير الصنعاني ٣/٤٤٨

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير الصنعاني ٦/٢٨٩

"(طالب العلم) الذي يرضاه الله. (تبسط له الملائكة أجنحتها) قال الحليمي: يعني أنها تنظر إليه بعين البهاء والجلال فتستشعر في أنفسها تعظيمه وتوقيره وجعل [٣/ ٣٥] وضع الجناح مثلا لذلك يعني أنها تفعل له نحوا مما تفعله مع الأنبياء عليهم السلام؛ لأن العلماء ورثتهم محله النصب على أنه مفعول له. (رضا بما يطلب) علة وضع الأجنحة. (ابن عساكر (١) عن أنس) رمز المصنف لحسنه.

٥٢٣٢ - "طالب العلم بين الجهال كالحي بين الأموات". العسكري في الصحابة، وأبو موسى في الذيل عن حسان بن أبي سنان مرسلا".

(طالب العلم بين الجهال كالحي بين الأموات) لأن العلم به **حياة القلوب** وحياة ذكر العبد في الدنيا والآخرة، والجهل بخلافه فلا ريب أن طالبه كالحي بين الموتى.

أخو العلم حي خالد بعد موته ... وأوصاله تحت التراب رميم

وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى ... يعد من الأحياء وهو عديم (٢)

(العسكري في الصحابة(في كتابه فيهم، (وأبو موسى في الذيل) (٣) هو كتاب لأبي موسى ذيل به كتاب العسكري (عن حسان بن أبي سنان مرسلا)، حسان: أحد زهاد التابعين مشهور ذكره ابن حبان في الثقات.

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٧/ ٢١٨)، والديلمي في الفردوس (٣٩١٥)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٦٠٩).

(٢) الأبيات منسوبة إلى ابن السيد البطليوسي (ت ٥٢١ هـ).

(٣) أخرجه العسكري في الصحابة وأبو موسى في الذيل كما في الكنز (٢٨٧٢٦)، والديلمى في الفردوس (٣٩١١)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٦٠٨).." (١)

"لأن العبد إذا قنع بما أعطاه الله رضي بما قسم الله له وإذا رضي شكر، والرضى عن الله أعظم الشكر له. (وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا) كامل الإيمان. (وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما) كامل الإسلام، فإن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، وفيه إرادة التفرقة بين الإيمان والإسلام (وأقل الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب) وذلك لأن كثرة الضحك تنشأ عن الفرح بالدنيا

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير الصنعاني ١٢٢/٧

والسرور بها، **وحياة القلب** في عدم الأنس بالدنيا بل في طاعة الله والابتهاج بذكره وإدامة الفكر فيما يرضيه. (هب) (١) عن أبي هريرة) رمز المصنف لضعفه؛ لأنه من حديث أبي الرجاء قال العلائي: أبو الرجاء متكلم فيه، قال الشارح: وأقول: فيه أيضا برد بن سنان أورده الذهبي في الضعفاء (٢).

٦٤٠٥ - "كنت أول الناس في الخلق وآخرهم في البعث". ابن سعد عن قتادة مرسلا".

(كنت أول الناس في الخلق) لأن الله تعالى خلقه نورا قبل خلق آدم عناية بشأنه وتعظيما لقدره وأراد بالناس الأنبياء لقوله: (وآخرهم في البعث) فإن آخريته عن الأنبياء لا عن الناس كلهم ويدل حديث "كنت أول النبيين ... " يأتي ومن قال: المراد بالخلق التقدير لا الإيجاد فإنه قبل ولادته لم يكن موجودا فقد تعقب بأنه لو كان ذلك المراد لم يكن لتخصيصه معنى بل ما ذكرناه من اتخاذه نورا. (ابن سعد (٣) عن قتادة [٣/ ٢٥٨] مرسلا) وقد أخرجه أبو نعيم في الدلائل

---

(١) أخرجه البيهقي في الشعب (٥٧٥٠)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٥٢)، والترمذي (٢٣٠٥)، وابن ماجة (٤٢١٧)، وانظر العلل المتناهية (٢/ ٧٠٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٥٨٠)، والصحيحة (٥٠٦).

(٢) انظر: المغني (١/ ١٠١).

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/ ١٤٩)، وابن عدي في الكامل (٣/ ٤٩)، وضعفه الألباني في الضعيفة (٦٦١).." [١]

"الماء ويغترفونه لما بعده من أيام الحج. (بيوم خطب الناس) في اليوم السابع. (فأخبرهم بمناسكهم) يعلمهم إياه وقد علم أنه لم يحج إلا مرة واحدة فالخطبة هذه واحدة ويحتمل أنه كان يخطب بذلك في المدينة إلا أنه بعيد وجزم الشارح أن الخطبة في مكة عند باب الكعبة وأنه يسن ذلك للإمام ونائبه. (ك هق) (١) عن ابن عمر) رمز المصنف لصحته، وقال الحاكم: تفرد به أبو قرة الزبيدي عن موسى وهو صحيح وأقره الذهبي.

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير الصنعاني ٨/٢٤١

٦٧٦٧ - "كان إذا كبر للصلاة نشر أصابعه". (ت ك) عن أبي هريرة (صح) ".

(كان إذا كبر) في (الصلاة) تكبيرة الإحرام. (نشر أصابعه) بسطها وقوفها مستقبلا بها القبلة رافعا لهما إلى فروع أذنيه، وتقدم حديث رفع يديه مدا، فالمراد مد اليدين والأصابع وتفريعها وأخذ به الشافعي فقال تفريقها سنة. (ت ك) (٢) عن أبي هريرة) رمز المصنف لصحته.

٦٧٦٨ - "كان إذا كربه أمر قال: يا حي يا قيوم، برحمتك استغيث". (ت) عن أنس (ض) ".

(كان إذا كربه أمر) شق عليه وأهمه شانه (قال: يا حي يا قيوم) هما على أكثر الأقوال الاسم الأعظم. (برحمتك أستغيث) بصفة الرحمة أطلب الاستغاثة ولما كانت **حياة القلب** في خلوصه عما سوى الله تعالى وكان الكرب ينافي ذلك توسل باسمه الحي إلى إزالة ما يضاد حياة قلبه وبالقيوم إلى إقامته على نهج الفلاح. (ت) (٣) عن أنس) رمز المصنف لضعفه، وقال الترمذي: هذا حديث غريب.

---

(١) أخرجه الحاكم (١/ ٦٣٢)، والبيهقي في السنن (٥/ ١١١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٧٧٤)، والصحيحة (٢٠٨٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٩)، والحاكم (١/ ٣٥٩)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٤٤٧).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٥٢٤)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٧٧٧).." [١]

"واعلم أنه تعالى جعل لكل مطلوب مفتاحا فإنه جعل مفتاح الصلاة الطهور، ومفتاح الحج الإحرام ومفتاح البر الصدق، ومفتاح الجنة التوحيد، ومفتاح العلم حسن السؤال والإصغاء، ومفتاح الظفر الصبر، ومفتاح المزيد الشكر ومفتاح الولاية والمحبة الذكر ومفتاح الفلاح التقوى ومفتاح الإيمان التفكر في مصنوعات الله ومفتاح **حياة القلب** تدبر القرآن والضراعة في الأسحار وترك الذنوب ومفتاح الرغبة في الآخرة الزهد في الدنيا وبالجملة فهذا باب واسع في مفاتيح الخير، وللشر أيضا مفاتيح فمفتاح الرياء حب الثناء من الناس، ومفتاح الربا حب التوسع في الدنيا وهو مفتاح لأعظم الشرور ومفتاح معاصي الفرج إطلاق النظر والباب واسع والموفق من أطلعه [٤/ ١٦٦] الله على ذلك فالتزم مفاتيح الخير وهجر مفاتيح الشر (حم هب (١) عن جابر) رمز المصنف لحسنه.

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير الصنعاني ٤٤٣/٨

٨١٧٤ - "مفتاح الصلاة الطهور، وتحريمها التكبير، وتحليلها التسليم. (حم د ت هـ) عن علي (ح) ".
(مفتاح الصلاة الطهور، وتحريمها) أي الأمر الذي تصير فيها به ويحرم عليه ما حرم من الأفعال والأقوال التي حرمها الشارع. (التكبير) قول الله أكبر ولذا سميت تكبيرة الإحرام. (وتحليلها التسليم) قيل: هو مجاز لأن التحريم ليس نفس التكبير والتحليل ليس نفس التسليم وإنما هما أسباب ذلك.
وقال الطيبي: شبه الشروع في الصلاة بالدخول في حريم الملك المحمي عن الأغيار وجعل فتح باب الحريم بالتطهر عن الأدناس والأوضار وجعل الالتفات إلى الغير والاشتغال به تحليلا. (حم د ت هـ (٢) عن علي) رمز

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٤٠)، والبيهقي في الشعب (٢٧١١)، والترمذي (٤)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٢٦٥).
(٢) أخرجه أحمد (١/ ١٢٣)، وأبو داود (٦١)، والترمذي (٣)، وابن ماجة (٢٧٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٨٨٥).." (١)

"الخير، والشر ليس إليه، بل كل ما إليه فخير، والشر إنما حصل لعدم هذه الإضافة والنسبة إليه، لو كان إليه لم يكن شرا، فتأمله. فانقطاع نسبته إليه هو الذي صيره شرا.
فإن قلت: لم تنقطع نسبته إليه خلقا ومشيئة؟ قلت: هو من هذه الجهة ليس بشر، والشر الذي فيه من عدم إمداده بالخير وأسبابه، والعدم ليس بشيء حتى ينسب إلى من بيده الخير، فإن أردت مزيدا من إيضاح ذلك، فاعلم أن أسباب الخير ثلاثة: الإيجاد، والإعداد، والإمداد، فهذه هي الخيرات وأسبابها، فإيجاد هذا السبب خير، وهو إلى الله، وإعداده خير، وهو إليه أيضا، وإمداده خير، وهو إليه أيضا، فإذا لم يحدث فيه إعدادا ولا إمدادا؛ حصل فيه الشر بسبب هذا العدم الذي ليس إلى الفاعل، وإنما إليه ضده، فإن قلت: فهلا أمده إذا أوجده؟ قلت: ما اقتضت الحكمة إيجاده وإمداده، فإنه سبحانه يوجده ويمده، وما اقتضت الحكمة إيجاده وترك إمداده؛ أوجده بحكمته ولم يمده بحكمته، فإيجاده خير، والشر وقع من عدم إمداده.
فإن قلت: فهلا أمد الموجودات كلها؟ فالجواب: هذا سؤال فاسد، يظن مورده أن الموجودات أبلغ في

(١) التنوير شرح الجامع الصغير الصنعاني ٥٦١/٩

الحكمة، وهذا عين الجهل، بل الحكمة كل الحكمة في هذا التفاوت العظيم الواقع بينها، وليس في خلق كل نوع منها تفاوت، فكل نوع منها ليس في خلقه من تفاوت، والتفاوت إنما وقع بأمور عدمية لم يتعلق بها الخلق، وإلا فليس في الخلق من تفاوت. قال - رحمه الله تعالى - فإن اعتاص ذلك عليك ولم تفهمه حق الفهم، فراجع قول القائل: إذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

وسر المسألة أن الرضا بالله يستلزم الرضا بصفاته وأفعاله وأسمائه وأحكامه، ولا يستلزم الرضا بمفعولاته كلها، بل حقيقة العبودية أن يوافقه عبده في رضاه وسخطه، فيرضى منها بما رضي ويسخط منها ما سخطه.

فإن قيل: هو سبحانه يرضى عقوبة من يستحق العقوبة، فكيف يمكن العبد أن يرضى بعقوبته له. فالجواب لو وافقه في رضاه بعقوبته لانقلبت لذة وسرورا، ولكن لا يقع منه ذلك، فإن لم يوافقه في محبة طاعته التي هي سرور النفس وقرة العين **وحياة القلب**، فكيف يوافقه في محبة العقوبة التي هي أكره شيء." (١)

"وما أحسن ما قال ابن المبارك (١) :

وهل أفسد الدين إلا الملوك ... وأحبار سوء ورهبانها (٢)

ويروى: أن هلاك من (٣) قبلنا، كان على يد (٤) قرائهم وفقهائهم فإنا لله وإنا إليه راجعون.

قال ابن القيم: ومن ذبح للشيطان ودعاه، واستعاذ به، وتقرب إليه بما يحب (٥) ، فقد عبده وإن لم يسم ذلك عبادة، ويسميه استخداما وصدق! هو استخدام من الشيطان له (٦) .

وقال:

والشرك فاحذره فشرك ظاهر ... ذا القسم ليس بقابل الغفران

---

(١) أبو عبد الرحمن، عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي، مولاهم، ثقة ثبت فقيه عالم جواد مجاهد، جمعت فيه خصال الخير، كان من المعاصرين للإمام المجاهد أحمد بن حنبل، ومن الأفذاذ الذين أنجبتهم الأمة الإسلامية وسجلوا في تأريخها أروع الأمثلة في الزهد والورع والبعد التام عن مواطن الذلة والمهانة والاسترزاق بالدين والمساومة عليه!، والوقوف بأبواب بعض المخلوقات الشرهة المتأمرة الحقيرة!! ت١٨١ "تقريب" ٣٢٠.

(٢) أخرجه أبو نعيم في "الحلية" ٢٧٩/٨ وابن عبد البر في "الجامع" ٢٠٠/١ في جملة أبيات مطلعها:

---

(١) لوامع الأنوار البهية السفاريني ٣٤٢/١

رأيت الذنوب تميت القلوب ... ويتبعها الذل إدمانها

وترك الذنوب **حياة القلوب** ... وخير لنفسك عصيانها

ثم قال:

لقد رتع القوم في جيفة ... يبين لذي العقل أنتانها!!

(٣) (ط) : من كان.

(٤) (ع) : يدي (ط) : أيدي.

(٥) (ط) : يجب.

(٦) (ط) : له. ساقطة.." (١)

"وتبرأوا من الحول والقوة وانسبوا النعمة إلى ربكم قال: ابن القيم رحمه الله: لما ذكر **حياة القلب** وصف القلب الحي بقوله: أن يكون مدر كالحق مريدا له مؤثرا له على غيره والسلام-١٢٨٤هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته وحال الناس اليوم لا تخفاك وأهل نجد من الله عليهم بنعمة التوحيد لما يسر لهم من يدعوهم إليه ويجاهدهم عليه لكن أعرضوا في هذه الأوقات وآثروا الدنيا على الدين إلا من شاء الله لكن إذا حصل في البلدان طائفة حتى يقومون به ويدعون إليه ويستحسنون الحسن ويستقبحون القبيح فهذه نعمة عليهم وعلى أهل بلدهم.

فالذي أوصيكم به أصدقوا مع الله وتعلموا من العلم ما ينجيكم من شبهات أهل الشك والريب فبالعلم واليقين تدفع الشبهات ولله الحمد على بقاء طائفة الحق تدعوا منضل إلى الهدى وتصبر منهم على الأذى واللام.." (٢)

"يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم}

١ ذكر لها أربع علامات:

إحداها: أنهم أذلة على المؤمنين. قيل: معناه أرقاء رحماء مشفقين عاطفين عليهم، فلما ضمن "أذلة" هذا المعنى عداه بأداة "على". قال عطاء -رحمه الله-: للمؤمنين كالولد لوالده وكالعبد لسيده، وعلى الكافرين

---

(١) الانتصار لحزب الله الموحدين والرد على المجادل عن المشركين عبد الله أبا بطين ص/٧٠

(٢) المطلب الحميد في بيان مقاصد التوحيد عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/٢٧١

كالأسد على فريسته، {أشداء على الكفار رحماء بينهم} ٢.

العلامة الثالثة٣: الجهاد في سبيل الله بالنفس واليد والمال واللسان. وذلك تحقيق دعوى المحبة.

العلامة الرابعة: أنهم لا تأخذهم في الله لومة لائم. وهذه علامة صحة المحبة. فكل محب أخذه اللوم على محبوبه فليس بمحب على الحقيقة. وقال تعالى: {أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه} ٤. فذكر المقامات الثلاثة: الحب. وهو ابتغاء القرب إليه، والتوسل إليه بالأعمال الصالحة. والرجاء والخوف يدل على أن ابتغاء الوسيلة أمر زائد على رجاء الرحمة وخوف العذاب، ومن المعلوم قطعا أنه لا يتنافس إلا في قرب من يحب قربه، وحب قربه تبع لمحبة ذاته؛ بل محبة ذاته أوجبت محبة القرب منه. وعند الجهمية والمعطلة: ما من ذلك كله شيء فإنه عندهم لا تقرب ذاته من شيء، ولا يقرب من ذاته شيء، ولا يحب، فأنكروا **حياة القلوب**، ونعيم الأرواح وبهجة النفوس، وقرة العيون وأعلى نعيم الدنيا والآخرة. ولذلك ضربت قلوبهم بالقسوة وضرب دونهم ودون الله حجاب على معرفته ومحبته؛ فلا يعرفونه ولا يحبونه ولا يذكرونه إلا عند تعطيل أسمائه وصفاته، فذكرهم أعظم آثامهم وأوزارهم؛ بل يعاقبون من يذكره بأسمائه وصفاته ونعوت جلاله ويرمونهم بالأدواء التي هم أحق بها وأهلها، وحسب ذي البصيرة **وحياة القلب** ما يرى على كلامهم من القسوة والمقت والتنفير عن محبة الله تعالى ومعرفته وتوحيده والله المستعان.

وقال –رحمه الله تعالى– أيضا: لا تحد المحبة بحد أوضح منها، فالحدود لا تزيدها إلا خفاء، فحدها وجودها، ولا توصف المحبة بوصف أظهر من المحبة، وإنما يتكلم الناس في أسبابها وموجباتها وعلاماتها وشواهدها وثمراتها وأحكامها. وأجمع ما قيل في ذلك: ما ذكره أبو بكر الكتاني عن الجنيد.

---

١ سورة المائدة آية: ٥٤.

٢ سورة الفتح آية: ٢٩.

٣لم يذكر الثانية. ولعله اكتفى بما في كلام عطاء من الإشارة إليها بقوله: وعلى الكافرين.

٤ سورة الإسراء آية: ٥٧.." (١)

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/٣٣٤

"تقدم ما فيه، وأنه كذب على المهاجرين الأولين، ونسبهم إلى مداهنة المشركين {وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون} [الشعراء: ٢٢٧] [الشعراء / ٢٢٧] .

وقوله: (لو كان تأصيله صحيحا، كيف وهو أفسد الفاسد (١) وأبطل الباطل؟) .

جوابه أن يقال: إن معرفة الفاسد، وإدراك بطلان الباطل يتوقف على أمرين:

أحدهما: **حياة القلب**. والثاني: معرفته وعلمه بالحق والباطل، والصحيح والفاسد، والصواب والخطأ.

ومن (٢) نظر في كلام هذا الرجل من أهل العلم والإيمان تيقن موت قلبه، وأنه لا يدرك الحسيات والضروريات من أمر دينه.

قال الله تعالى: {وما يستوي الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور} [فاطر: ٢٢] [فاطر / ٢٢] .

وقال تعالى: {أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولو الألباب} [الرعد: ١٩] [الرعد / ١٩] .

، والآيات في المعنى كثيرة، وإذا عدم العلم والنور، وأضيف إلى ذلك العداوة والبهت ونحوهما من الشرور، فمن أي باب يأتي العلم والتوفيق والتمييز بين الطيب والخبيث، والصالح والفاسد، والباطل [٤١] ، والحق، والخطأ والصواب؟ .

---

(١) في (ق) : " الفاسدين ".

(٢) ساقطة من (ق) .." (١)

"عن يحيى بن أبي كثير كالحافظ ابن حجر والذهبي والبخاري ويحيى القطان وأحمد، وإيراد النسائي في المجتبى حديثه يدل على أنه عنده ثقة على الإطلاق، وعبارة الخلاصة تدل على خلافه، فليفهم.

وفي الباب عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله ألا تعلمني دعوة أدعو بها لنفسي؟ قال: بلى، قولي: اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي، واذهب غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن ما أحييتنا"

قلت: عند الترمذي بعضه، رواه أحمد وإسناده حسن، كذا في مجمع الزوائد.

قوله: قال العلامة ابن علان في شرح الأذكار: خص هؤلاء بالذكر للتوسل بهم في قبول الدعاء، وإلا فهو

---

(١) مصباح الظلام في الرد على من كذب الشيخ الإمام ونسبه إلى تكفير أهل الإيمان والإسلام عبد اللطيف آل الشيخ ١٢١/١

سبحانه وتعالى رب جميع المخلوقات.

أقول: هذه العبارة ليس لها أثر في شرح الأذكار، فهي من اختلاق صاحب الرسالة، فلننقل هنا لفظ ابن علان في شرح الأذكار بعينه:

قال ابن علان في شرح الأذكار: إنما خصهم بالذكر –وإن كان تعالى رب كل شيء– بما تكرر في القرآن والسنة من نظائره من الإضافة إلى كل عظيم المرتبة وكبير الشأن دون ما يستحقر ويستصغر، فيقال له سبحانه: رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم، ورب الملائكة ورب المشرقين ورب المغربين، ونحوه مما هو وصف له بدلائل العظمة، وعظمة القدرة والملك، ولم يستعمل فيما يستحقر ويستصغر، فلا يقال: رب الحشرات وخالق القردة والخنازير وشبهها على سبيل الإفراد، وإنما يقال خالق المخلوقات، وحينئذ تدخل هذه في العموم.

"وقال القرطبي: خص هؤلاء الملائكة بالذكر تشريفا لهم إذ بهم ينتظم هذا الوجود إذ أقامهم الله تعالى في ذلك، قال في الحرز: والظاهر أن مراتب فضلهم على ترتيب ذكرهم. اهـ. وقال ابن الجزري في مفتاح الحصن: خصهم بالذكر وكذا رب العرش العظيم ونحوه من دلائل العظمة لعظمة شأنه فإنه رب كل شيء. اهـ.

"وقد يقال أن حياة القلب بالهداية، وهؤلاء الثلاثة موكلون بالحياة: فجبريل بالوحي وهو سبب حياة القلب، وميكائيل بالقطر الذي هو سبب حياة الأبدان،." (١)

"قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أدلكم على باب من ابواب الخير قلت بلى قال لا حول ولا قوة الا بالله

قال الناظم في حادي الارواح وقد جعل الله سبحانه لكل مطلوب مفتاحا يفتح به فجعل مفتاح الصلاة الطهور ومفتاح الحج الاحرام ومفتاح البر الصدق ومفتاح الجنة التوحيد ومفتاح العلم حسن السؤال وحسن الاصغاء ومفتاح النصر والظفر الصبر ومفتاح المزيد الشكر ومفتاح الولاية المحبة ومفتاح الرغبة في الآخرة الزهد في الدنيا ومفتاح الايمان التكفر فيما دعا الله عباده الى التفكر فيه ومفتاح الدخول على الله اسلام القلب وسلامته له والاخلاص له في الحب والبغض له والفعل والترك ومفتاح حياة القلب تدبر القرآن والتضرع بالاسحار وترك الذنوب ومفتاح حصول الرحمة الاحسان في عبادة الخالق والسعي في نفع عبيده

---

(١) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان محمد بشير السهسواني ص/٢٩٨

ومفتاح الرزق السعي مع الاستغفار والتقوى ومفتاح العز طاعة الله ورسوله ومفتاح الاستعداد للآخرة قصر الأمل ومفتاح كل خير الرغبة في الله والدار الآخرة ومفتاح كل شرب حب الدنيا وطول الامل وهذا باب عظيم من أنفع ابواب العلم وهو معرفة مفاتيح الخير والشر ولا يوفق لمعرفته ومراعاته الا من عظم حظه وتوفيقه فان الله سبحانه جعل لكل خير وشر ومفتاحا وبابا يدخل منه اليه كما جعل الشرك والكبر والاعراض عما بعث الله به رسوله والغفلة عن ذكره والقيام بحقه مفتاحا للنار كما جعل الخمر مفتاح كل إثم وجعل الغناء مفتاح الزنا وجعل اطلاق النظر في الصور مفتاح العشق والطلب وجعل الكسل والراحة مفتاح الخيبة والحرمان وجعل المعاصي مفتاح الكفر وجعل الكذب مفتاح النفاق وجعل الشح والحرص مفتاح البخل وقطعية الرحم مفتاح البخل وقطيعة الرحم واخذ المال من غير." (١)

"الحديث بكسر ففتح جمع حكمة أي حكمة وكلاما نافعا في المواعظ وذم الدنيا والتحذير من غرورها ونحو ذلك انتهى

قوله (هذا حديث حسن صحيح) وأخرجه أبو داود وبن ماجه والبخاري في الأدب المفرد

٠٤ – (باب ما جاء في إنشاد الشعر)

قال في القاموس أنشد الشعر قرأه وأنشد بهم هجاهم

قوله (يضع لحسان منبرا في المسجد) أي يأمر بوضعه وحسان هو بن ثابت أنصاري خزرجي شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من فحول الشعراء أجمعت العرب على أن أشعر أهل المدر حسان بن ثابت (يقوم عليه قائما) أي قياما

ففي المفصل قد يرد المصدر على وزن اسم الفاعل نحو قمت قائما (يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي لأجله وعن قبله (أو) شك من الراوي (ينافح) بنون ثم فاء فحاء مهملة أي يدافع عنه صلى الله عليه وسلم ويخاصم المشركين ويهجوهم مجازاة لهم (يؤيد حسان بروح القدس) بضم الدال ويسكن أي بجبريل سمي به لأنه كان يأتي الأنبياء بما فيه **حياة القلوب** فهو كالمبدأ **لحياة القلب** كما أن الروح مبدأ حياة الجسد

والقدس صفة للروح وإنما أضيف إليه لأنه مجبول على الطهارة والنزاهة عن العيوب وقيل القدس بمعنى

---

(١) توضيح المقاصد شرح الكافية الشافية نونية ابن القيم أحمد بن عيسى ٢/٤٧٥

المقدس وهو الله فإضافة الروح إليه للتشريف ثم تأييده إمداده له بالجواب وإلهامه لما هو الحق والصواب (ما يفاخر أو ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي ما دام مشتغلا بتأييد دين الله وتقوية رسول الله صلى الله عليه وسلم." (١)

"الطعن ولا طالعت هذا الكتاب، ولكني أعلم كما يعلم العالمان الشيعيان وغيرهما أن مؤلفي كتاب فجر الإسلام وضحى الإسلام ليسا من دعاة مذهب السنة والرد على مخالفيه في ورد ولا صدر، وقد ذكر مؤلفها فيها أن الأستاذ أحمد أمين صاحبه اعتذر عما كتبه في الشيعة بأنه نقله عن بعض كتب التاريخ المشهورة التي اطلع عليها ولم يطلع على ما يخالفها (١)

، ثم أشار إلى ما يبرئهما من كل تعصب مذهبي أو غرض ديني، بل إلى ما هو شر من ذلك، وهو ما اشتهر عن أحدهما من الطعن في أصل الدين؛ إذ قال: ((ونحن لولا محافظتنا على مياه الصفاء أن لا تتعكر، ونيران البغضاء أن تتسعر، وأن تنطبق علينا حكمة القائل: لا تنه عن خلق وتأتي مثله، لعرفناه من الذي يريد هدم قواعد الإسلام بمعاول الإلحاد والزندقة، ومن الذي يسعى لتمزيق وحدة المسلمين بعوامل التقطيع والتفرقة)) . اهـ

وجملة القول: أنه ما كان ينبغي للعلامة كاشف الغطاء أن يوافق تلميذه السيد الحسني على ما رمى به أهل السنة مثقفيهم وعامتهم

---

(١) إن كتب أحمد أمين موجودة ومتداولة، وهو ينقل عن الكتب الشيعة فتراه ينقل كلام الكليني من الكافي، ويرجع إلى نهج البلاغة، وكتاب أعيان الشيعة، وكتاب **حياة القلوب**، وكتاب بحار الأنوار وكتاب وقفة الزائرين وجميعها للمجلسي، وغيرها من كتب الشيعة، فمن قرأ في هذه الكتب وعزا إليها يستبعد جدا أن يبني كلامه على بعض كتب التاريخ المشهورة فقط!

وعلى كل فأحمد أمين هو شخص متأثر بالمستشرقين كما ذكر الشيخ الذي ناقش شبههم وهو د. مصطفى السباعى رحمه الله وقال إن الدكتور على حسن عبد القادر عندما ألف كتابا، وذكر فيه شبه المستشرقين، وطعنهم فى الإمام الزهرى، فثار عليه الأزهر، قال له الأستاذ أحمد أمين: " إن الأزهر لا يقبل الآراء العلمية

---

(١) تحفة الأحوذي عبد الرحمن المباركفوري ١١١/٨

الحرة، فخير طريقة لبث ما تراه مناسبا من أقوال المستشرقين ألا تنسبها إليهم بصراحة، ولكن ادفعها إلى الأزهريين على أنها بحث منك، وألبسها ثوبا رقيقا لا يزعجهم مسها، كما فعلت أنا في فجر الإسلام وضحى الإسلام "!." (١)

"قال تعالى: {أرأيت من اتخذ إلهه هواه} (١) ؛ أي: عبد ما تهواه نفسه.

وإنما دخل الفساد في العالم من ثلاث فرق؛ كما قال عبد الله بن المبارك رحمة الله عليه:

رأيت الذنوب تميت القلوب ... وقد يورث الذل إدمانها

وترك الذنوب **حياة القلوب** ... وخير لنفسك عصيانها

وهل أفسد الدين إلا الملوك ... وأحبار سوء ورهبانها

فالملوك الجائرة يعترضون على الشريعة بالسياسات الجائرة، ويعارضونها بها، ويقدمونها على حكم الله ورسوله.

وأحبار السوء، وهم العلماء الخارجون عن الشريعة، بآرائهم وأقيستهم الفاسدة المتضمنة تحليل ما حرم الله ورسوله، وتحريم ما أباحه، واعتبار ما ألغاه، وإلغاء ما اعتبره، وإطلاق ما قيده، وتقييد ما أطلقه ... ونحو ذلك.

والرهبان، وهم جهال المتصوفة، المعترضون على حقائق الإيمان والشرع بالأذواق والمواجيد والخيالات والكشوفات الباطلة الشيطانية، المتضمنة شرع دين لم يأذن به الله، وإبطال دينه الذي شرعه على لسان نبيه – صلى الله عليه وسلم –، والتعوض عن حقائق الإيمان بخدع الشيطان وحظوظ النفس.

فقال الأولون: إذا تعارضت السياسة والشرع؛ قدمنا السياسة!

---

(١) الفرقان: (٤٣) .." (٢)

---

(١) رسائل السنة والشيعة لرشيد رضا محمد رشيد رضا ٢١٨/٢

(٢) شرح العقيدة الواسطية للهراس محمد خليل هراس ص/٣٠٥

"فتنفتح له أبواب الخير والسعادة بالمقاصد الحسنة والأعمال الصالحة، وتنغلق عنه أبواب الشرور باستدامة ذكر الله ومراقبته والاستحياء منه حق الحياء ومواصلة التوبة والاستغفار.

قال ثابت بن قره: (راحة الجسم في قلة الطعام، وراحة الروح في قلة الأنام، وراحة اللسان في قلة الكلام، والذنوب للقلب بمنزلة السموم إن لم تهلكه أضعفته ولا بد. والضعيف لا يقوى على مقاومة العوارض) .

وقال عبد الله بن المبارك:

رأيت الذنوب تميت القلوب ... وقد يورث الذل إدمانها

وترك الذنوب **حياة القلوب** ... وخير لنفسك عصيانها

ومن أعظم أمراض القلوب "فتنة الشبهات" التي يقوم بها شياطين الجن والإنس في كل زمان ومكان ليلبسوا بها على الناس دينهم ويشككوهم في خالقهم، بل في جميع أمور الغيب، ويولعونهم بحب الجنس والوطن والمادة، فيحلوا المذاهب المادية والمبادئ القومية الجنسية والوطنية محل الروحانيات التي بها سلامة الصدور وشفاء القلوب، ويشغلونهم بالمطربات الشيطانية ولهو الحديث عن ذكر الله." (١)

"الآخر فيتعلمون الفقه ويعلمون الجاهل، وإنما بعثت معلما وجلس إلى أهل الفقه" من كتاب (أدب الدنيا والدين) ...

وروى الإمام الغزالي في "الإحياء" عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: ان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار سبل لأهل الجنة وهو الأنيس في الوحشة.

والصاحب في الغربة، والمحدث في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والسلام من الأعداء، والزين عند الأخلاء، ويرفع الله به أقواما فيجعلهم في الخير قادة، تقتفي آثارهم، ويقتدي بفعالهم وينتهي إلى رأيهم، ترغب الملائكة في خلتهم، وأجنحتها تمسحهم، ويسغفر لهم كل رطب ويابس وحيتان البحر وهوامه، وسباع (البر) وأنعامه، لأن العلم **حياة القلوب** من الجهل، ومصباح الأبصار من الظلم. يبلغ العبد بالعلم

---

(١) الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة عبد الرحمن الدوسري ص/٩٩

منازل الأخيار والدرجات العلا في الدنيا والآخرة التفكير فيه يعدل الصيام ومدارسته تعدل القيام، به توصل الأرحام وبه يعرف الحلال والحرام، وهو إمام العمل والعمل تابع يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء" قال عليه الصلاة والسلام: "ما عبد الله بشيء أفضل من فقه في دين، ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد" (١) أخرجه الترميذي ...

المؤمن يتصف بالعزة:

قال تعالى: {ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين} إن ذلة العبد لربه ذلة عز وحق لا باطل فيها فإن الخلق والأمر، والغنى والملك لله

---

(١) قال في المختصر- ضعيف- أسانيده ضعيفة، لكن يتقوى بعضها ببعض- انظر- الفوائد المجموعة- للشوكاني-." (١)

"..

الثاني: أن المراد بالرزق المطر، وقد روي في ذلك حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم لكنه ضعيف١ إلا أنه صح عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية: أن المراد بالرزق المطر، وأن التكذيب به نسبته إلى الأنواء٢، وعليه يكون ما ساق المؤلف الآية من أجله مناسبا للباب تماما.

والقاعدة في التفسير: أن الآية إذا كانت تحتمل المعنيين جميعا بدون منافاة تحمل عليهما جميعا، وإن حصل بينهما منافاة طلب المرجح.

ومعنى الآية: أن الله يوبخ هؤلاء الذين يجعلون شكر الرزق التكذيب والاستكبار والبعد لأن شكر الرزق يكون بالتصديق والقبول والعمل بطاعة المنعم، والفطرة كذلك لا تقبل أن تكفر بمن ينعم عليها؛ فالفطرة والعقل والشرع كل منها يوجب أن تشكر من ينعم عليك، سواء قلنا: المراد بالرزق المطر الذي به حياة الأرض، أو قلنا: إن المراد به القرآن الذي به **حياة القلوب**؛ فإن هذا من أعظم الرزق؛ فكيف يليق بالإنسان أن يقابل هذه النعمة بالتكذيب؟!

---

(١) كتاب التوحيد المسمى التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد عمر العرباوي ص/١٥٠

واعلم أن التكذيب نوعان:

أحدهما: التكذيب بلسان المقال، بأن يقول: هذا كذب، أو المطر من النوء، ونحو ذلك.

---

١ أخرجه الإمام أحمد (٨٩/١، ١٠٨) ، والترمذي في (التفسير، ومن سورة الواقعة/٩/ ٣٥) ، وقال: "حسن غريب، لا نعرفه مرفوعا إلا من حديث إسرائيل، وروى سفيان عن عبد الأعلى هذا الحديث بهذا الإسناد ولم يرفعه". وأخرجه أيضا: ابن جرير (٦٦٢/٢٧) ، وابن أبي حاتم؛ كما في "تفسير ابن كثير" (٣٠٠/٤) . وأورده في "الدر المنثور" (١٦٣/٦) ، وعزاه لابن منيع، وابن المنذر، وابن مردويه، وغيرهم، من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

٢ يأتي (ص٣٠) .." (١)

"من غير تعليم ولا بيان مع أنه كان يعلم ما هو دونه في الأهمية والفضيلة؟!

الرابع - أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أعلم الناس بربه، وهو أنصحهم للخلق، وأبلغهم في البيان والفصاحة؛ فلا يمكن مع هذا المقتضى التام للبيان أن يترك باب الإيمان بالله وأسمائه وصفاته ملتبسا مشتبها.

الخامس - أن الصحابة - رضي الله عنهم - لا بد أن يكونوا قائلين بالحق في هذا الباب؛ لأن ضد ذلك إما السكوت، وإما القول بالباطل، وكلاهما ممتنع عليهم:

أما امتناع السكوت فوجهه: أن السكوت إما أن يكون عن جهل منهم بما يجب لله تعالى من الأسماء والصفات، وما يجوز عليه منها ويمتنع، وإما أن يكون عن علم منهم بذلك ولكن كتموه، وكل منهما ممتنع:

أما امتناع الجهل: فلأنه لا يمكن لأي قلب فيه حياة، ووعي وطلب للعلم، ونهمة في العبادة إلا أن يكون أكبر همه هو البحث في الإيمان بالله تعالى، ومعرفته بأسمائه وصفاته، وتحقيق ذلك علما واعتقادا. ولا

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد ابن عثيمين ٢٠/٢

ريب أن القرون المفضلة وأفضلهم الصحابة هم أبلغ الناس في **حياة القلوب**، ومحبة الخير، وتحقيق العلوم." (١)

"الأنبياء، وربما وكل بغير ذلك، كما في قوله تعالى في قصة مريم: (فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا) (مريم: الآية ١٧) لكن العمل الموكول إليه في الأصل هو نزول الوحي على الأنبياء.

ولهذا يقال ثلاثة من الملائكة علمنا أنهم موكلون بما فيه الحياة: جبريل وميكائيل وإسرافيل، فجبريل موكل بما فيه **حياة القلوب**، وميكائيل موكل بما فيه حياة النبات، أي القطر، وإسرافيل موكل بما فيه بعث الأجساد بعد الموت وهو النفخ في الصور، وأشرفها وأعلاها ما فيه **حياة القلوب**.

وكان النبي عليه الصلاة والسلام يذكر هؤلاء الثلاثة في افتتاح صلاة الليل، حيث يقول في افتتاح صلاة الليل: ((اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، أهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم) (١) .

ووصف الله سبحانه وتعالى جبريل بأنه أمين، فقال: (إنه لقول رسول كريم) (التكوير: ١٩) (ذي قوة عند ذي العرش مكين) (التكوير: ٢٠) (مطاع ثم أمين) (التكوير: ٢١) ووصفه بالقوة، فقال تعالى: (علمه شديد القوى) (النجم: ٥) (ذو مرة فاستوى) (النجم: ٦)) فاجتمع في حق جبريل عليه الصلاة والسلام القوة والأمانة، فبأمانته نعلم أنه لا زيادة ولا نقص في القرآن الذي أوحاه الله إليه ليلقيه على قلب النبي عليه الصلاة والسلام، وبالقوة نعلم أنه لا أحد تسلط على القرآن حين نزول جبريل به، أو غلبه عليه، أو توانى جبريل في تنزيله؛ لأنه قوي

---

(١) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل، رقم (٧٧٠) .." (٢)

"العرش.

ثالثا: ميكائيل: موكل بالقطر والنبات.

وهؤلاء الثلاثة كلهم موكلون بما فيه حياة، فجبريل موكل بالوحي وفيه **حياة القلوب**، وميكائيل بالقطر والنبات

---

(١) فتح رب البرية بتلخيص الحموية ابن عثيمين ص/١١

(٢) شرح العقيدة السفارينية ابن عثيمين ص/٢٠٦

وفيه حياة الأرض، وإسرافيل بنفخ الصور وفيه حياة الأجساد يوم المعاد.

ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوسل بربوبية الله لهم في دعاء الاستفتاح في صلاة الليل، فيقول: "اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عباد فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك. إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم" (١)، هذا الدعاء الذي كان يقوله في قيام الليل متوسلا بربوبية الله لهم.

كذلك نعلم أن منهم من وكل بقبض أرواح بني آدم، أو بقبض روح كل ذي روح وهم: ملك الموت وأعوانه ولا يسمى عزرائيل، لأنه لم يثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام أن اسمه هذا.

قال تعالى: {حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون} [الأنعام: ٦١]. وقال تعالى: {قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم} [السجدة: ١١].

وقال تعالى: {الله يتوفى الأنفس حين موتها} [الزمر: ٤٢]

---

(١) أخرجه مسلم (٧٧٠) عن عائشة رضي الله عنها في كتاب صلاة المسافرين/ باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه.." (١)

"فلما سئل عن قول: متوكل على الله ثم عليك يا فلان، قال: (شرك، يقول موكلك. ولا تقل: موكل الله ثم موكلك على هذا الشيء. هذه عامية؛ وليست في محلها) .

أنا مؤمن. أو: أنا مؤمن حقا: (١)

جاء عن بعض السلف كراهية أن يقول الرجل: أنا مؤمن حقا، والأمر بأن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله، وكذلك كانوا يقولون. ويقولون: أنا مؤمن بالله.

وعدم جواز الاستثناء هو مذهب المرجئة والجهنية، والمذهب الثاني: وجوب الاستثناء، والثالث: جواز الاستثناء وعدمه باعتبارين، وهذا مذهب السلف، والاستثناء أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله. أو أرجو، وهكذا، فالاستثناء عند السلف معلل بأن الإيمان يتضمن فعل الواجبات، فلا يشهدون لأنفسهم بذلك، كما لا يشهدون لها بالبر والتقوى وهذا تزكية لأنفسهم، فصار يستثنى باعتبار، ويترك باعتبار، وهذا هو الحق، واستثنوا أيضا؛ لعدم علمهم بالعاقبة، والإيمان النافع هو الذي يموت المرء عليه.

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للعثيمين ابن عثيمين ٦٠/١

وقال ابن القيم:

(وقد ذهب المحققون في مسألة: أنا مؤمن، إلى هذا التفصيل بعينه، فقالوا: له أن يقول: آمنت بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، ولقائه، ولا يقول: أنا مؤمن؛ لأن قوله: أنا مؤمن،

---

(١) (أنا مؤمن. أو: أنا مؤمن حقا: فتاوى ابن تيمية ٧/٤١٦- ٤١٧، ٤٢٩ - ٤٦٠، ٦٦٦ - ٦٦٩ مهم، ٦٨١ - ٦٨٢، وبالجملة فهذا المجلد السابع مملوء بمباحث الاستثناء ٨/ ٤٢٦ - ٤٢٧. بدائع الفوائد ٣/ ١٠٦ - ١٠٧. الإيمان لابن أبي شيبة. **حياة القلوب** لأبي السمح ص /٥٢. شرح الأذكار ٦ / ٢٨٨- ٢٨٩. روائع الثراث: رسالة أصل الملة واعتقاد الدين للرازي: ص / ٢٣. التنكيل للمعلمي ٢ / ٣٧٣ - ٣٧٨، مهم. وانظر: أنا ولي: يأتي. وطبقات المفسرين للداودي ١/٢٣٥. وطبقات الشافعية للسبكي ٤/٣٩ / ٢٥٨، مهم. والمصنف لابن أبي شيبة ١١ / ١٤ - ١٧. معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ٢ / ١٣٩. السنة للالكائي ٥/٩٦٥ - ٩٨٥.." [١]

"قصص أخرى عن أهل الكلام

قال رحمه الله تعالى: [وكذلك قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الشهرستاني: إنه لم يرد عن الفلاسفة والمتكلمين إلا الحيرة والندم، حيث قال: لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم فلم أر إلا واضعا كف حائر على ذقن أو قارعا سن نادم وكذلك قال أبو المعالي الجويني -رحمه الله-: يا أصحابنا! لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلت به.

وقال عند موته: لقد خضت البحر الخضم وخليت أهل الإسلام وعلومهم ودخلت في الذي نهوني عنه، والآن فإن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لـ ابن الجويني، وهأنذا أموت على عقيدة أمي أو قال: على عقيدة عجائز نيسابور.

وكذلك قال شمس الدين الخسروشاهي -وكان من أجل تلامذة فخر الدين الرازي - لبعض الفضلاء وقد دخل عليه يوما فقال: ما تعتقد؟ قال: ما يعتقده المسلمون.

فقال: وأنت منشرح الصدر لذلك مستيقن به -أو كما قال-؟ فقال: نعم.

فقال: اشكر الله على هذه النعمة، لكني والله ما أدري ما أعتقد، والله ما أدري ما أعتقد، والله ما أدري ما

---

(١) معجم المناهي اللفظية بكر أبو زيد ص/١٥٤

أعتقد، وبكى حتى أخضل لحيته.

ولـ ابن أبي الحديد الفاضل المشهور بالعراق: فيك يا أغلوطة الفكر حار أمري وانقضى عمري سافرت فيك العقول فما ربحت إلا أذى السفر فلحى الله الألى زعموا أنك المعروف بالنظر كذبوا إن الذي ذكروا خارج عن قوة البشر وقال الخونجي عند موته: ما عرفت مما حصلته شيئا سوى أن الممكن يفتقر إلى المرجح ثم قال: الافتقار وصف سلبي، أموت وما عرفت شيئا.

وقال آخر: أضطجع على فراشي وأضع الملحفة على وجهي وأقابل بين حجج هؤلاء وهؤلاء حتى يطلع الفجر ولم يترجح عندي منها شيء.

ومن يصل إلى مثل هذه الحال إن لم يتداركه الله برحمته وإلا تزندق، كما قال أبو يوسف –رحمه الله–: من طلب الدين بالكلام تزندق، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس، ومن طلب غريب الحديث كذب.

وقال الشافعي رحمه الله تعالى: حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم في القبائل والعشائر ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام.

وقال: لقد اطلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننت مسلما يقوله، ولأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه –ما خلا الشرك بالله– خير له من أن يبتلى بالكلام.

انتهى وتجد أحد هؤلاء عند الموت يرجع إلى مذهب العجائز، فيقر بما أقروا به، ويعرض عن تلك الدقائق المخالفة لذلك التي كان يقطع بها ثم تبين له فسادها أو لم يتبين له صحتها، فيكونون في نهاياتهم –إذا سلموا من العذاب– بمنزلة أتباع أهل العلم من الصبيان والنساء والأعراب.

والدواء النافع لمثل هذا المرض ما كان طبيب القلوب صلوات الله عليه وسلامه يقوله إذا قام من الليل يفتتح صلاته: (اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون! اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك؛ إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم) خرجه مسلم.

توسل صلى الله عليه وسلم إلى ربه بربوبيته جبريل وميكائيل وإسرافيل أن يهديه لما اختلف فيه من الحق بإذنه؛ إذ **حياة القلب** بالهداية، وقد وكل الله سبحانه هؤلاء الثلاثة بالحياة، فجبريل موكل بالوحي الذي هو سبب **حياة القلوب**، وميكائيل بالقطر الذي هو سبب حياة الأبدان وسائر الحيوان، وإسرافيل بالنفخ في الصور الذي هو سبب حياة العالم وعود الأرواح إلى أجسادها، فالتوسل إلى الله سبحانه بربوبيته هذه الأرواح

العظيمة الموكلة بالحياة له تأثير عظيم في حصول المطلوب، والله المستعان] .

ذكر أولا بقية كلام هؤلاء الذين عرف عنهم الحيرة، منهم الشهرستاني صاحب الملل والنحل.

ومنهم: الجويني صاحب (الإرشاد) ، ويسمى (إمام الحرمين) له أيضا مؤلفات، وكلامه في (الإرشاد) دليل على أنه متوغل في علم الكلام، وعرفنا ما تكلم به هنا.

ومنهم هذا العالم المشهور الذي يسمى: (الخسروشاهي) الذي يحلف -كما ذكر الشارح- أنه لا يدري ما يعتقد، ويغبط العامة بعقيدتهم.

هذه الكلمات المنقولة عنهم وكذلك عن غيرهم لا شك أنها دليل واضح على أن هذا النوع من علم الكلام نهايته الحيرة وأنهم لا يثبتون على طريقة، بل حجج هؤلاء ترد حجج هؤلاء.

ذكر أحدهم -كما سبق- أنه يبيت الليلة من أولها إلى آخرها وهو يقابل حجة هؤلاء بحجة هؤلاء، ويصبح وما ترجح عنده منها واحدة، أي فائدة من العلم بها؟! وأي فائدة من معرفتها؟! إذا أسلم الطرق البعد عن هذه الطريقة التي هي علم الكلام، وهجر أهله والبعد عنهم، بل عقوبتهم بما قال الشافعي رحمه الله.." (١)

"الفرق بين النفس والروح

قال الشارح رحمنا الله تعالى وإياه: [وأما اختلاف الناس في مسمى النفس والروح هل هما متغايران أو مسماهما واحد، فالتحقيق أن النفس تطلق على أمور، وكذلك الروح، فيتحد مدلولهما تارة ويختلف تارة، فالنفس تطلق على الروح، ولكن غالب ما تسمى نفسا إذا كانت متصلة بالبدن، وأما إذا أخذت مجردة فتسمية الروح أغلب عليها، وتطلق على الدم ففي الحديث: (ما لا نفس له سائلة لا ينجس الماء إذا مات فيه) ، والنفس العين يقال: أصابت فلانا نفس أي: عين، والنفس الذات كقوله تعالى: {فسلموا على أنفسكم} [النور:٦١] ، وقوله: {ولا تقتلوا أنفسكم} [النساء:٢٩] ونحو ذلك.

وأما الروح فلا تطلق على البدن لا بانفراده، ولا مع النفس، وتطلق الروح على القرآن وعلى جبرائيل، {وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا} [الشورى:٥٢] ، وقوله تعالى: {نزل به الروح الأمين} [الشعراء:١٩٣] ، وتطلق الروح على الهواء المتردد في بدن الإنسان أيضا.

وأما ما يؤيد الله به أولياءه فهي روح أخرى، كما قال تعالى: {أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه} [المجادلة:٢٢] ، وكذلك القوى التي في البدن فإنها تسمى أرواحا، فيقال: الروح الباصرة، والروح

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين ابن جبرين ٧/٢٠

السامعة، والروح الشامة، ويطلق الروح على أخص من هذا كله وهو قوة المعرفة بالله والإنابة إليه ومحبته، وانبعاث الهمة إلى طلبه وإرادته، ونسبة هذا الروح إلى الروح كنسبة الروح إلى البدن، فللعلم روح، وللإحسان روح، وللمحبة روح، وللتوكل روح، وللصدق روح.

والناس متفاوتون في هذه الأرواح، فمن الناس من تغلب عليه هذه الأرواح فيصير روحانيا، ومنهم من يفقدها أو أكثرها فيصير أرضيا بهيميا، فقد وقع في كلام كثير من الناس أن لابن آدم ثلاثة أنفس: مطمئنة ولوامة وأمارة، قالوا: وإن منهم من تغلب عليه هذه، ومنهم من تغلب عليه هذه كما قال تعالى: {يا أيتها النفس المطمئنة} [الفجر:٢٧] ، وكقوله تعالى: {ولا أقسم بالنفس اللوامة} [القيامة:٢] ، وكقوله تعالى: {إن النفس لأمارة بالسوء} [يوسف:٥٣]] .

تكلم الشارح على تعريف النفس والروح بهذا الكلام الذي سمعنا؛ وذلك لأن هناك خلافا هل الروح النفس أو الروح غير النفس؟ وذلك لأن كلمة النفس قد تطلق على بعض الأشياء، كما في هذه التعريفات التي سمعنا، فتطلق على الدم، فالدم يسمى نفسا كما في الحديث: (ما لا نفس له سائلة لا ينجس الماء إذا مات فيه) يعني: كالذباب والبعوض والجراد والفراش، فكل ما لا نفس له سائلة إذا مات في الماء فإنه لا ينجسه؛ لأنه ليس له نفس، يعني: ليس له دم إذا ذبح.

كذلك تطلق النفس على ذات الإنسان كما في قوله تعالى: {فسلموا على أنفسكم} [النور:٦١] يعني: على ذواتكم، وقوله تعالى: {ولا تقتلوا أنفسكم} [النساء:٢٩] يعني: لا تقتلوا ذواتكم، فذات الإنسان هي نفسه، وقد يكثر استعمال النفس في مثل هذه المعاني وغيرها.

إذا: النفس في الأصل هي ماهية الشيء وذاته، وأما الإنسان الذي كلفه الله تعالى فقد ناداه بنداء الإنسان: {يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه} [الانشقاق:٦] والإنسان هو هذا الجنس من بني آدم، ومعلوم أنه مركب من جسد وروح، وهذا النفس الذي يدخل ويخرج، ويجتذب هذا الهواء يسمى نفسا، وهو ملازم للإنسان، ونفسه يعني: ذاته توصف بصفات كما سمعنا، توصف بأنها نفس لوامة، وأنها نفس أمارة بالسوء، وأنها نفس مطمئنة، ومن العلماء من يقول: إن للإنسان ثلاثة أنفس: نفس لوامة، ونفس أمارة، ونفس مطمئنة، والصحيح أنها نفس واحدة، تارة يغلب عليها الاطمئنان فتوصف بأنها نفس مطمئنة، فيقال: إن هذا الإنسان نفسه مطمئنة، وتارة يغلب عليها وصف اللوم، يفعل الشيء ويلوم نفسه عليه، فيقال: هذا الإنسان نفسه لوامة، وتارة يغلب عليه السوء والأمر بالسوء، ولهذا قال تعالى: {إن النفس لأمارة بالسوء}

[يوسف:٥٣] فهي نفس واحدة تتصف بهذه الصفة تارة، وبهذه تارة، وهذه تارة، ولا تكون ثلاثة أنفس، وهذا هو الصحيح من أقوال العلماء.

فما دامت الروح في الجسد فإنها تسمى نفسا وتسمى روحا، فإذا خرجت الروح من الجسد فإنها لا تسمى نفسا غالبا، وإن كانت قد تسمى بذلك في مثل قول الله تعالى في سورة الأنعام: {والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم} [الأنعام:٩٣] ، يعني: أخرجوا أرواحكم، فإذا خرجت فإنها تقبضها الملائكة وتكفنها، وكذلك قوله تعالى: {الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها} [الزمر:٤٢] فسماها هاهنا نفسا، فما دامت في الجسد فإنها تسمى نفسا، الله يتوفاها يعني: يقبضها، وبعد قبضها يغلب عليها اسم الروح، وكذلك في النوم نفس النائم تخرج، ولكنها لا تخرج خروجا كليا، بل يبقى أثرها على البدن؛ ولهذا ذكروا أنه إذا نام الإنسان فإن روحه تخرج، وتصعد إلى السماء، وترى كذا وكذا من الرؤى ونحو ذلك، وفي حديث الدعاء عند النوم، قال صلى الله عليه وسلم: (باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين) ، فأفاد بأن النفس قد تمسك، يعني: إذا قبضت في النوم فقد لا ترجع إلى صاحبها إذا أراد الله، وقد ترجع، فهو يقول: إن أمسكت نفسي ولم تردها علي فارحمها، وإن أرسلتها ورددتها علي فاحفظها، يعني: تطبيقا للآية {الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت} [الزمر:٤٢] ، يمسكها ولا يردها، ويمسك الأخرى التي لم يقض عليها الموت إلى أجل مسمى، إلى الأجل الذي حدد الله خروج هذه الروح من هذه الجسد.

أما كلمة الروح فسمعنا أنها في الأصل مادة الحياة، كل شيء تحصل به الحياة فإنه يسمى روحا، فالله تعالى سمى القرآن روحا {وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا} [الشورى:٥٢] ، لماذا سمي القرآن روحا؟ لأن به الحياة المعنوية، **حياة القلوب**، الحياة المعنوية هي حياة صحيحة والناس لا يشعرون بها، أو لا يهتمون بها؛ وذلك لأن القرآن إذا تأثرت به القلوب فإنه روح لها وحياة لها أعظم حياة، وأعظم منفعة لها؛ فلذلك سماه الله روحا، فكما أن الأبدان تحيا بالأرواح فكذلك القلوب تحتاج إلى أرواح معنوية، وهو هذا القرآن وما فسر به وما يتبعه من السنة، وكذلك سمى الله جبريل عليه السلام روحا في قوله تعالى: {نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين} [الشعراء:١٩٣-١٩٤] الروح الأمين هو جبريل عليه السلام، وهو الذي نزل به؛ وذلك لأن الملائكة كلهم أرواح، فجبريل من جملتهم، ولا ينافي ذلك أنهم

يصعدون وينزلون، وأن لهم أجنحة وأن لهم أجسادا معنوية لا نراها، فهم أرواح وجبريل من جملتهم، ولكن لجبريل خصوصية بهذه التسمية، حتى قال بعضهم في قول الله تعالى في آخر سورة (عم) : {يوم يقوم الروح والملائكة صفا} [النبأ:٣٨] إن الروح هو جبريل، وقيل: إن المراد بالروح هنا الأرواح، يعني: يوم تقوم الأرواح، سواء كانت أرواح الملائكة أو أرواح بني آدم أو أرواح الجن أو أرواح الشياطين، تقوم الأرواح، وتقوم الملائكة صفوفا، وبهذا أيضا فسرت الروح التي في سورة القدر: {تنزل الملائكة والروح} [القدر:٤] قيل: إن الروح التي تتنزل فيها هي أرواح بني آدم أو أرواح الملائكة تتنزل في تلك الليلة.

لكل شيء روح تحيا به تلك الماهية، فالقرآن يسمى روحا، والإسلام له روح، والإيمان له روح، وكذلك التوكل له روح، والعبادة لها روح، والاستعانة لها روح، وكذلك المحبة والخوف والرجاء وسائر أنواع العبادات لها روح، يعني: لها حقيقة معنوية تتأكد فيها أو تؤكد وتصير بها مؤكدة نافعة، فإذا عرف بأن الروح هو الذي تحصل به الحياة، فكلمة الروح سميت بذلك لأن فيها حياة البدن، ولأنها حية، وقد رجح العلماء المحققون أن الأرواح بعد خروجها من الأجساد باقية كما يقول بعضهم: وأن أرواح الورى لم تعدم مع كونها مخلوقة فاستفهم فهذه حقيقتها، فأرواح بني آدم ما عدمت بعد خروجها من أجسادهم، مع اعتقادنا أنها مخلوقة مكونة بعد أن كانت معدومة، أوجدها الله وكونها، وقد تقدم الخلاف في وقت خلقها، متى خلقت؟ وأن الراجح أنها تخلق مع خلق الإنسان، وتبقى بعد موته.

وعلى كل حال فأمر هذه الأرواح وحقائقها يختلف باختلاف الإنسان، وقوة معنويته وضعف معنويته.." (١)

"قال: " الرسالة ضرورية للعباد، لا بد لهم منها، وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء، والرسالة روح العالم ونوره وحياته، فأي صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور؟ والدنيا مظلمة ملعونة إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة، وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة، ويناله من حياتها وروحها فهو في ظلمة، وهو من الأموات، قال الله تعالى: (أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها) [الأنعام: ١٢٢] ، فهذا وصف المؤمن كان ميتا في ظلمة الجهل، فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمان، وجعل له نورا يمشي به في الناس، وأما الكافر فميت القلب في الظلمات ".

وبين رحمه الله تعالى: " أن الله سمى رسالته روحا، والروح إذا عدم فقدت الحياة، قال الله تعالى: (وكذلك

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين ابن جبرين ٧/٥٩

أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي بـه من نشاء من عبادنا) [الشورى: ٥٢] ، فذكر هنا الأصلين، وهما: الروح، والنور، فالروح الحياة، والنور النور " وبين رحمه الله تعالى: " أن الله يضرب الأمثال للوحي الذي أنزله حياة للقلوب ونورا لها بالماء الذي ينزله من السماء حياة للأرض، وبالنار التي يحصل بها النور، وهذا كما في قوله تعالى: (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال) [الرعد: ١٧] .

يقول شيخ الإسلام رحمه الله معقبا على الآية: " فشبه العلم بالماء المنزل من السماء لأن به **حياة القلوب**، كما أن بالماء حياة الأبدان، وشبه القلوب بالأودية، لأنها محل العلم، كما أن الأودية محل الماء، فقلب يسع علما كثيرا، وواد يسع ماء كثيرا، وقلب يسع عـلما قليلا، وواد يسع ماء قليلا، وأخبر تعالى أنه يعلو على السيل من الزبد بسبب مخالطة الماء، وأنه يذهب جفاء، أي: يرمى به، ويخفى، والذي ينفع الناس يمكث في الأرض ويستقر،." (١)

"[حديث: بينا أنا نائم أتيت بقدح لبن]

٨٢# قوله: (حدثنا سعيد ابن عفير [١]): تقدم أنه بضم العين المهملة، وفتح الفاء، وأنه جد سعيد قريبا.

قوله: (حدثنا الليث): هذا هو ابن سعد، العالم [٢] الفرد، الذي قال فيه الشافعي: (الليث أفقه من مالك، لكن أصحابه أضاعوه)، ترجمته معروفة.

قوله: (حدثني عقيل): تقدم أنه بضم العين، وفتح القاف، وهو ابن خالد، وتقدم بعض ترجمته، وليس في «البخاري» من يقال له: عقيل سواه، وله [٣] في «مسلم» أيضا، وتقدم أن في «مسلم»: عقيل القبيلة، وفيه أيضا: يحيى بن عقيل، وليس لهذا في «البخاري» شيء.

فالحاصل: أنه ليس في «البخاري» من يقال له: عقيل؛ بالضم سوى ابن خالد المذكور، والله أعلم.

[ج ١ ص ٥٠]

قوله: (عن ابن شهاب): تقدم مرارا [٤] أنه الزهري محمد بن مسلم.

قوله: (أتيت): هو مبني لما لم يسم فاعله.

---

(١) الرسل والرسالات سليمان الأشقر، عمر ص/٣٢

قوله: (حتى إني): هو بكسر همزة (إني)؛ لوقوعها بعد (حتى) الابتدائية.

قوله: (لأرى): هو بفتح الهمزة؛ لأنه من رؤية العين.

قوله: (الري): هو بكسر الراء، مشدد الياء، وحكى الجوهري وغيره: (وريا)؛ بفتح الراء، قال الجوهري: (رويت من الماء؛ بالكسر أروى ريا وريا، وروى أيضا؛ مثل: رضا، وارتويت وترويت؛ كله بمعنى) انتهى، يقال: روي من الماء والشراب ــبكسر الواوــ يروى ــ بفتحهاــ ريا؛ بالكسر في الاسم والمصدر، وقال الداودي: (ريا)؛ بالفتح في المصدر، حكاه ابن قرقول عنه.

قوله: (قالوا: فما أولته يا رسول الله؟): قال ابن شيخنا البلقيني: أي: منهم الصديق، وعزا ذلك، ولم أره ذكره في هذا الباب، إنما ذكره في مكان آخر.

قوله: (قال: العلم): هو بالنصب، وكذا هو في أصلنا، ويجوز رفعه.

فائدة [٥]: إن قلت: كيف عبره بالعلم؟

والجواب: لأنه أول شيء يناله المولود من طعام الدنيا، وبه تقوم حياته كما تقوم بالعلم **حياة القلوب**، فهو مناسب للعلم من هذه الجهة، وقد يدل على الحياة وعلى الثواب؛ لأنه من نعيم الجنة إذا رأى نهرا من لبن، وقد يدل على المال الحلال، وإنما أوله صلى الله عليه وسلم لعمر بالعلم؛ لصحة فطرته ودينه، والعلم [٦] زيادة في الفطرة، قاله شيخنا الشارح بمعناه.

==========." (١)

"(ثم أعطيت فضلي) أي: ما فضل من اللبن الذي في القدح الذي شربت منه (عمر بن الخطاب رضي الله عنه (قالوا) أي: الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين (فما أولته) كلمة ما استفهامية، والتأويل في اللغة تفسير ما يؤول إليه الشيء، والمراد به هنا: تعبير الرؤيا.

(يا رسول الله؟ قال: العلم) يروى: بالنصب؛ أي: أولته العلم، وبالرفع؛ أي: المأول به العلم، وتفسير اللبن بالعلم؛ لاشتراكهما في كثرة النفع بهما، وفي أنهما سببا الصلاح ذاك في الأشباح، والآخر في الأرواح، فإن اللبن غذاء الإنسان وسبب صلاحهم وقوة أبدانهم، والعلم سبب الصلاح في الدنيا والآخرة، وغذاء الأرواح.

قال المهلب: (رؤية اللبن في النوم تدل على السنة والفطرة، والعلم والقرآن؛ لأنه أول شيء يناله المولود من طعام الدنيا، وبه تقوم حياته كما تقوم بالعلم **حياة القلوب**، فهو يناسب العلم من هذه الجهة، وقد يدل

---

(١) التلقيح لفهم قارئ الصحيح ص/٢٩٨

على الحياة لذلك، وقد يدل على الثواب؛ لأنه من نعيم الجنة حيث قال تعالى: {وأنهار من لبن لم يتغير طعمه} [محمد: ١٥]، وقد يدل على المال الحلال)، قال: (وإنما أوله النبي صلى الله عليه وسلم بالعلم في عمر رضي الله عنه؛ لصحة فطرته ودينه، والعلم زيادة في الفطرة).

فإن قيل: رؤيا الأنبياء عليهم السلام حق، فهل كان هذا الشرب وما يتعلق به واقعا حقيقة، أو هو على سبيل التخيل؟، فالجواب: أن الظاهر بالنسبة إلى شأنه صلى الله عليه وسلم أنه واقع حقيقة، ولا محذور فيه، إذ هو ممكن، والله على كل شيء قدير.

وفي الحديث فوائد: منها: منقبة عمر رضي الله عنه، ومنها: جواز تعبير الرؤيا، ومنها: رعاية المناسبة بين التعبير وما له التعبير، وإلى الله المصير.

==================." (١)

"قال المفسرون: ذكرهم الله تعالى بما أنعم الله به عليهم من إلقائه النعاس عليهم أمانا من خوفهم الذي حصل لهم من قلة عددهم، وكثرة عدد أعدائهم. وقال أبو طلحة: كنت ممن أصابه النعاس ولقد سقط السيف من يدي مرارا، ولقد نظرت إليهم يمتدون وهم تحت الجحف.

وقال سفيان الثوري: عن أبي عاصم، عن أبي رزين، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: النعاس في القتال أمنة من الله، وفي الصلاة من الشيطان. وقال قتادة: النعاس في الرأس، والنوم في القلب. وقال سهيل بن عبد الله: هو يحل في الرأس مع **حياة القلب**، والنوم يحل في القلب بعد نزوله من الرأس.

(٢) أي: من الحدث والجنابة (٣) يعني: الجنابة؛

[ج ١٧ ص ٢٥٩]

لأنه من تخييله، أو وسوسته وتخويفه إياهم من العطش (٤) بالوثوق على لطف الله بهم (٥) أي: بالمطر حتى لا تسوخ في الرمل، أو بالربط على القلوب حتى تثبت في المعركة. وفي «الأساس»: ربطت الدابة:

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/٦٨٥

(٢) {وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به}

(٣) {ويذهب عنكم رجز الشيطان}

(٤) {وليربط على قلوبكم}

(٥) {ويثبت به الأقدام}

شددتها برباط، والمربط الحبل.

ومن «المجاز»: ربط الله على قلبه صبره، ولما كان الخوف والقلق يزعج القلوب عن مقارها قال الله تعالى: {وبلغت القلوب الحناجر} [الأحزاب: ١٠]. وقيل في مقابلته: ربط على قلبه: إذا تمكن وثبت وهو تمثيل، شبه تثبيت القلوب بالصبر بشد الدواب بالرباط.." (١)

"وفي الحديث: أن الأمر يقتضي الفور؛ لأنه صلى الله عليه وسلم عاتب الصحابي على تأخير إجابته، وفيه: استعمال صيغة العموم في الأحوال كلها.

وقال الخطابي: فيه أن حكم لفظ العموم أن يجري على جميع مقتضاه، وأن الخاص والعام إذا تقابلا كان العام منزلا على الخاص؛ لأن الشارع حرم الكلام في الصلاة على العموم، ثم استثنى منه إجابة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة، وفيه أن إجابة المصلي دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لا يفسد الصلاة، وقد مر الكلام فيه آنفا.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة، وقد أخرجه البخاري في «فضائل القرآن» أيضا [خ¦٤٧٠٣]، وأخرجه أبو داود في الصلاة، وكذا النسائي فيه، وفي التفسير وفضائل القرآن، وابن ماجه في ثواب التسبيح.

==========

[١] في هامش الأصل: قوله تعالى: {لما يحييكم} أي: من العلوم الدينية فإنها حياة القلب والجهل موته، قال الشاعر:

لا تعجبن الجهول حلته ... فذاك ميت وثوبه كفن

أو مما يورثكم من الحياة الأبدية في النعيم الدائم من العقائد والأعمال، أو من الجهاد فإنه سبب بقائكم إذ لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم، أو الشهادة لقوله تعالى: {بل أحياء عند ربهم} كذا قاله البيضاوي. منه.

[٢] في هامش الأصل: أي: في الصلاة، أو في الثناء على الله تعالى. منه.

[٣] في هامش الأصل: وقيل لأن الكلمات فيها مثناة بالرحمن الرحيم، إياك إياك، والصراط صراط، وقيل: بأن أهل السماء يصلون بها كأهل الأرض، وقيل: لأنها تشتمل على ذكر الربوبية والعبودية، وقيل: لأن فيها تنبيها على صفات قدرته وصفات رحمته سبحانه وتعالى، ويقال: لأنها ثنيت في الإنزال إن صح أنها نزلت بمكة حين فرضت الصلاة، والمدينة لما حولت القبلة. منه.

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/١٤٠٨٥

===================

[١] في هامش الأصل: قوله تعالى: {لما يحييكم} أي: من العلوم الدينية فإنها **حياة القلب** والجهل موته، قال الشاعر:×لا تعجبن الجهول حلته ... فذاك ميت وثوبه كفن×أو مما يورثكم من الحياة الأبدية في النعيم الدائم من العقائد والأعمال، أو من الجهاد فإنه سبب بقائكم إذ لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم، أو الشهادة لقوله تعالى: {بل أحياء عند ربهم} كذا قاله البيضاوي. منه.

[٢] في هامش الأصل: أي: في الصلاة، أو في الثناء على الله تعالى. منه.." [١]

"[١] في هامش الأصل: قوله تعالى: {لما يحييكم} أي: من العلوم الدينية فإنها **حياة القلب** والجهل موته، قال الشاعر:×لا تعجبن الجهول حلته ... فذاك ميت وثوبه كفن×أو مما يورثكم من الحياة الأبدية في النعيم الدائم من العقائد والأعمال، أو من الجهاد فإنه سبب بقائكم إذ لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم، أو الشهادة لقوله تعالى: {بل أحياء عند ربهم} كذا قاله البيضاوي. منه.

[٢] في هامش الأصل: أي: في الصلاة، أو في الثناء على الله تعالى. منه.." [٢]

"٦٤٨٦ - (حدثنا سليمان بن حرب) الواشحي قاضي مكة، قال: (حدثنا شعبة) أي: ابن الحجاج (عن موسى بن أنس) الأنصاري قاضي البصرة (عن) أبيه (أنس) أي: ابن مالك رضي الله عنه أنه (قال: قال النبي) وفي رواية أبي ذر: [٣](صلى الله عليه وسلم: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) هذا مثل الحديث السابق.

قال الشيخ أبو حامد: هذا الحديث من الأسرار التي أودعها الله قلب الأمين الصادق محمد صلى الله عليه وسلم، لا يجوز إفشاء سرها، فإن صدور الأحرار قبور الأسرار، بل كان يذكر لهم ذلك حتى يبكوا ولا يضحكوا، فإن البكاء ثمرة شجرة **حياة القلب** الحي بذكر الله، واستشعار عظمته وهيبته وجلاله، والضحك نتيجة القلب الغافل عن ذلك، انتهى.

ومطابقة الحديث للترجمة كسابقه.

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/١٥٣٧٤

(٢) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/١٥٣٧٥

(٣) رسول الله

وهو مختصر من حديث أخرجه البخاري في «تفسير سورة المائدة» [خ¦٤٦٢١]، وسيجيء في «الاعتصام» [خ¦٧٢٩٥]، وأخرجه مسلم في «فضائل النبي صلى الله عليه وسلم»، والترمذي في «التفسير»، والنسائي في «الرقائق».

==========

[ج ٢٧ ص ٢٢٩]

==================." (١)

"٧٠٢٧ - (حدثنا يحيى ابن بكير) المخزومي، قال: (حدثنا الليث) بن سعد (عن عقيل) بضم العين، ابن خالد (عن ابن شهاب) الزهري، أنه قال: (أخبرني) بالإفراد (حمزة بن عبد الله بن عمر) أي: ابن الخطاب المدني شقيق سالم (أن) أباه (عبد الله بن عمر) رضي الله عنهما (قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: بينا) بغير ميم (أنا نائم أتيت) بضم الهمزة (بقدح لبن) بالإضافة؛ أي: بقدح فيه لبن (فشربت منه، حتى إني) بكسر الهمزة (لأرى الري يجري) زاد في الرواية السابقة [خ¦٧٠٠٦] قريبا: ((من أظفاري))، وفي ((العلم)) [خ¦٨٢]: ((في أظفاري))، وأرى _ بفتح الهمزة _ والري بكسر الراء وتشديد التحتية؛ أي: ما يتروى به، وهو اللبن، أو هو إطلاق على سبيل الاستعارة، وإسناد الجري إليه قرينة، وقيل: الري اسم من أسماء اللبن.

(ثم أعطيت فضله) أي: فضل اللبن (عمر) وسقط في رواية ابن عساكر لفظة: (٢)(قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال) أولته (العلم) قال المهلب: رؤية اللبن في النوم تدل على السنة والفطرة والعلم والقرآن؛ لأنه أول شيء يناله المولود من طعام الدنيا، وهو الذي يفتق معاه، وبه تقوم حياته، كما تقوم بالعلم **حياة القلوب**، فهو يشاكل العلم من هذا، وقد تدل على الحياة؛ لأنها كانت به في الصغر،

[ج ٢٩ ص ٣٠١]

وإنما أوله الشارع في عمر رضي الله عنه بالعلم، والله أعلم؛ لعلمه بصحة فطرته ودينه، والعلم زيادة في الفطرة.

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/٢٢٣٢٦

(٢) فضله

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة، وقد مضى الحديث في ((باب اللبن)) [خ¦٧٠٠٦].

==================." (١)

"(فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة، والقلب يقظان) قال الرامهرمزي: هذا تمثيل يراد به **حياة القلب**، وصحة خواطره. يقال: رجل يقظ: إذا كان زكي القلب. وقال البيضاوي فيما حكاه الطيبي في «شرح المشكاة» قول بعضهم: «إنه نائم ... إلى آخره» مناظرة جرت بينهم بيانا وتحقيقا؛ لما أن النفوس القدسية الكاملة لا يضعف إدراكها بضعف الحواس، واستراحة الأبدان.

(فقالوا: إن لصاحبكم هذا) يعني: النبي صلى الله عليه وسلم (مثلا، فاضربوا له مثلا) في رواية الأكثرين: ((قال: فاضربوا له)) وسقط لفظة: «قال» في رواية أبي ذر (فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة، والقلب يقظان، فقالوا: مثله) بفتح الميم والمثلثة؛ أي: صفته صلى الله عليه وسلم، ويمكن أن يراد به ما عليه أهل البيان، وهو ما نشأ من الاستعارات التمثيلية.

(كمثل رجل بنى دارا، وجعل فيها مأدبة) بفتح الميم وسكون الهمزة وضم الدال وفتحها بعدها موحدة مفتوحة، فهاء تأنيث. وقال ابن التين: عن أبي عبد الملك: الضم والفتح؛ يعني: في الدال لغتان فصيحتان. وقال أبو موسى الحامض: من قال بالضم أراد الوليمة، ومن قال بالفتح أراد أدب الله الذي أدب به عباده، وحينئذ فيتعين الضم هنا.

[ج ٣٠ ص ١٣]

(وبعث داعيا) يدعو الناس إليها (فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة) وفي رواية سعيد: ((ثم بعث رسولا يدعو الناس إلى طعامه، فمنهم من أجاب الرسول، ومنهم من تركه)). وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه عند أحمد: ((بنى بنيانا حصينا، ثم جعل مأدبة، فدعا الناس إلى طعامه وشرابه، فمن أجابه أكل من طعامه، وشرب من شرابه، ومن لم يجبه عاقبه)).." (٢)

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/٢٤١٠٦

(٢) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/٢٤٧٩٦

"كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون *كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) [المائدة: ٧٩].

فلا يجوز ترك إنكار المنكر ممن يراه، فالذي يسكت عن إنكار المنكر خوفا أو هيبة من أحد من الناس، يكون مداهنا في دين الله، والله عز وجل حرم المداهنة يقول تعالى: (ودوا لو تدهن فيدهنون) [القلم: ٩]. فالذي يرى المنكر ينكر على فاعله بالحكمة والموعظة الحسنة التي يراها مناسبة لمثل تلك الحالة، فالمنكر إذا خفي لم يضر إلا صاحبه، وإذا فشا ولم ينكر ضر العامة كلهم (١).

وفي الحديث أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرهها» وقال مرة: أنكرها كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها (٢)، فعلى هذا يكون الاستئناس والمعاشرة عند رؤية المنكر مع القدرة على الإنكار، هو عين المداهنة (٣) فما ذاق طعم الإيمان، من لم يوال في الله ويعاد فيه فالعقل كل العقل ما أوصل إلى رضا الله ورسوله وهذا إنما يحصل بمراغمة أعداء الله، وإيثار مرضاته على مرضاتهم، والغضب إذا انتهكت محارمه فالغضب ينشأ من حياة القلب وغيرته وتعظيمه لله، وإذا عدمت الحياة في القلب تبعها انعدام الغيرة والتعظيم والغضب لله فتساوى عند هؤلاء الناس الخبيث والطيب، في المعاملة وفي الموالاة والمعاداة فأي خير يبقى في قلب كهذا؟

---

(١) انظر الدرر السنية (١١/ ٤).

(٢) انظر سنن أبي داود (٤/ ١٢٤) رقم الحديث (٤٣٤٥) كتاب الملاحم.

(٣) انظر الدرر السنية (٧/ ٣٥، ٣٦).." (١)

"المبحث الرابع: أثر الإيمان في القلوب دائر بين التطهير والتزكية

الهداية إلى صراط الله المستقيم تتم بإرادته وخلقه سبحانه، فحياة القلب تبدأ بفعل يفعله الله به، وبين ذلك سبحانه بقوله: {أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون} [الأنعام: ١٢٥] .

فبين سبحانه أنه من أراد هدايته فإنه يقذف نور الإيمان في قلبه، فينشرح له القلب بالقبول والإذعان١.

وفعل الله هذا جار على مقتضى علمه وحكمته سبحانه، فهو يعلم ما العباد عاملون، وإلى أي حال صائرون،

---

(١) الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية محماس الجلعود ٢٢٣/١

كما اقتضت حكمته أن يجازي كلا منهم بما يتناسب مع عمله، وما جاء به من السبب، فمن اهتدى وسلك أسباب الهداية هداه.

كما قال تعالى: {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع

---

١ انظر: جامع البيان لابن جرير ٨/٢٦، ٢٧، وتفسير القرآن العظيم ط الشعب ٣/٣٢٦، ٣٢٧.." (١)

"إن عذاب ربك كان محذورا} [الإسراء:٥٧] .

وإذا كان العبد مخلصا له اجتباه ربه فيحيي قلبه، واجتذبه إليه فينصرف عنه ما يضاد ذلك من السوء والفحشاء"١.

ومما تقدم من أقوال أهل العلم يتحصل أن عمران القلب بالإيمان والإخلاص لله القائم على قوة المحبة لله، والخوف منه ورجائه، ينتج عنه **حياة القلب** وانجذابه إلى الله، وما يقرب إليه من العمل الصالح، وانصرافه عما يضاد ذلك من السوء والفحشاء.

فقيام هذه الثلاثة في القلب موجب صلاحه واستقامته، فالمحبة تدفعه إلى فعل ما يرضي الحبيب، والخوف يمنعه من تعاطي الأسباب التي تغضبه وتحجب عنه، والرجاء يقوي الأمل في إقالة العثرات وحصول البركات والمسرات.

وقيام المحبة لله في القلب مع الخوف والرجاء، لا يكون إلا بمعرفة الله، وذلك لا يكون إلا بالتفكر والتعلم لما دلت عليه أسماء الله الحسنى من المعاني واستشعار القلب لذلك.

قال ابن القيم رحمه الله في بيان ذلك: "القرآن كلام الله وقد تجلى الله فيه لعباده بصفاته، فتارة يتجلى في جلباب الهيبة والعظمة والجلال، فتخضع الأعناق، وتنكسر النفوس، وتخشع الأصوات، ويذوب الكبر كما

---

١ مجموع الفتاوى ١/٢١٥، ٢١٦.." (٢)

"مبينا هذه الحقيقة: {أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور} [الحج:٤٦] .

---

(١) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع ١/٣٤١

(٢) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع ١/٤١٤

وكما أن الإيمان جالب للنور وحياة القلب وبصيرته، فكذلك الكفر هو سبب موت القلب وعماه كما قال تعالى: {أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولو الألباب} [الرعد:١٩] .
{كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون} [المطففين:١٤] .
والنور الذي يجعله الله في قلب المؤمن هو نور زائد على النور الذي يحصل له من العلم الذي قام به، والمستمد من الوحي المطهر.
قال تعالى: {نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء} [النور:٣٥] .
وقد اختلفت عبارات المفسرين حول المراد بالنورين في الآية.
ففسر بعضهم النور الأول، بالحجج والبراهين الكونية التي نصبها الله لعباده والتي تكاد من بيانها ووضوحها تضيء لمن فكر فيها ونظر، والنور الثاني: هو القرآن الذي أنزله منبها على توحيده، ومنبها ومذكرا بآياته، فزادهم إلى حججه عليهم قبل ذلك١.

---

١ انظر: جامع البيان لابن جرير ١٨/١٤٣.." (١)

"القلبية، وإذا كان العلم المتعلق الواصل إلى القلب صحيحا انصبغت بقية الوظائف به، ومالت إلى موجبه، والعكس بالعكس، وبذلك تتبين أهمية شعيرة العلم في التأثير في صلاح القلب وعمرانه بالخير واستغنائه بالوحي عن أفكار الجاهلية.
١٦- أن حياة القلوب أو مرضها أو موتها موقوف على صلاح أو فساد ما فيها، وهي باعتبار ذلك ثلاثة أنواع: قلب ميت، وقلب مريض، وقلب حي.
١٧- أن القلب المحصن ضد الأفكار الهدامة والميل إلى الباطل، هو القلب الحي العامر بالإيمان.
١٨- أن أثر الإيمان على القلوب دائر بين تطهيرها وتزكيتها، ولكل منها دور في حصانة القلب وسلامته وتجافيه عن السوء والفكر الخبيث.
١٩- أن التطهير مقدم على التزكية، وهو شرط لها.
٢٠- أن أثر الإيمان في تطهير القلب يتجلى في ثلاثة أمور:
الأول: تطهيره من العقائد الباطلة، والظنون السيئة.

---

(١) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع ٢/٥٢٦

والثاني: تطهيره من الران ودرن المعاصي.

والثالث: تطهيره من العواطف الفاسدة.

٢١- أن تعقل القلب للعلم المستقى من الوحي المطهر، وقبوله له، هو العامل الأهم في تطهير القلب من العقائد الباطلة والظنون السيئة الناتجة عنها، ويتجلى ذلك بوضوح بالعلم بالله بمعرفة أسمائه وصفاته وحقه على." (١)

"دينها، فما توانوا في ذلك وما بدلوا ولا غيروا، فكانوا على طريقة نبيهم ومنهجه، قال تعالى: {فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا} [سورة البقرة الآية: ١٣٧]، فهم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم -رضي الله عنهم وأرضاهم- وعمن سار على نهجهم واقتفى آثارهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإنه لما كانت معرفة الله سبحانه وتعالى بأفعاله وأسمائه وصفاته سببا **لحياة القلوب** وطمأنينة النفوس وانشراح الصدور، وحيث أن ذلك لا يتأتى إلا بالوحيين وفهمهما على طريقة السلف الصالح الذين اقتفوا آثار النبي - صلى الله عليه وسلم - وآثار صحابته وتابعيهم بإحسان، فإن مما ينبغي على الناصح لنفسه المريد لسعادتها ونجاتها في الدارين أن يقتفي تلك الآثار وأن يحذر مما يخالفها.

ولما كان من مقتضيات ذلك: تعلم العلم الصحيح وبثه في الأمة، وتحذيرها مما يخالفه، ورأس ذلك: العلم بأسماء الله وصفاته على ما يليق بكمال ذاته العلية وجلال سلطانه العظيم سبحانه.." (٢)

"٢_ أن الحاجة إليها أعظم من الحاجة إلى الطعام، والشراب، والنكاح: قال شيخ الإسلام ابن تيمية×: =ففي قلوب بني آدم محبة لما يتألهونه ويعبدونه، وذلك قوام قلوبهم، وصلاح نفوسهم، كما أن فيهم محبة لما يطعمونه، وينكحونه، وبذلك تصلح حياتهم، ويدوم شملهم.

وحاجتهم إلى التأله أعظم من حاجتهم إلى الغذاء؛ فإن الغذاء إذا فقد يفسد الجسم، وبفقد التأله تفسد النفس+ (١) .

وقال ابن القيم×: =فكيف بالمحبة التي هي **حياة القلوب**، وغذاء الأرواح، وليس للقلب لذة، ولا نعيم، ولا فلاح، ولا حياة إلا بها.

---

(١) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع ٢/٦٨١

(٢) استدراك وتعقيب على الشيخ شعيب الأرنؤوط في تأويله بعض أحاديث الصفات خالد الشايع ص/٦

وإذا فقدها القلب كان ألمه أعظم من ألم العين إذا فقدت نورها، والأذن إذا فقدت سمعها، والأنف إذا فقد شمه، واللسان إذا فقد نطقه؟ !

بل فساد القلب إذا خلا من محبة فاطره، وبارئه، وإلهه الحق أعظم من فساد البدن إذا خلا من الروح.

وهذا الأمر لا يصدق به إلا من فيه حياة، وما لجرح بميت إيلام+ (٢) .

٣_ تسلي المحب عند المصائب: قال ابن القيم×: =فإن المحب يجد من لذة المحبة ما ينسيه المصائب، ولا يجد من مسها ما يجد غيره، حتى كأنه قد اكتسى طبيعة ثانية ليست طبيعة الخلق.

بل يقوى سلطان المحبة حتى يلتذ المحب بكثير من المصائب التي يصيبه بها حبيبه أعظم من التذاذ الخلي (العاري من المحبة) بحظوظه وشهواته.

والذوق، والوجد شاهد بذلك، والله أعلم+ (٣) .

٤_ أنها من أعظم ما يحمل على ترك المعاصي: قال ابن القيم×في معرض حديث له عن محبة الله: =وهي من أقوى الأسباب في الصبر عن مخالفته، ومعاصيه؛ فإن المحب لمن يحب مطيع، وكلما قوي سلطان المحبة في القلب كان اقتضاؤه للطاعة، وترك المخالفة أقوى.

وإنما تصدر المعصية والمخالفة من ضعف المحبة، وسلطانها.

---

(١) جامع الرسائل لابن تيمية ٢/٢٣٠.

(٢) الجواب الكافي ص٥٤١_٥٤٢.

(٣) مدارج السالكين ٣/٣٨.." (١)

"[المسألة الثانية] :

الملائكة درجات وطبقات، فأعظم الملائكة قدرا الثلاثة الذين خصهم النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه في الليل -يعني في صلاته في الليل- حيث كان يدعو صلى الله عليه وسلم بقوله «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اللهم اهدني فيما اختلف فيه من الحق بإذنك فإنك تهدي إلى صراط مستقيم» (١) فنص على هؤلاء الثلاثة لفضلهم ولرفعتهم عند الله - عز وجل -.

---

(١) رسائل الشيخ الحمد في العقيدة محمد بن إبراهيم الحمد ٣/٨

وهؤلاء الثلاثة أفضلهم جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل.

أما جبريل عليه السلام وميكائيل وإسرافيل فهم موكلون بأنواع الحياة.

أما فجبريل موكل **بحياة القلوب** لأنه ينزل بالوحي من الله – عز وجل – كما قال سبحانه {قل نزله روح القدس من ربك بالحق} [النحل:١٠٣] .

وأما ميكائيل موكل بأمر حياة الإنسان، يعني وسائل حياة الإنسان والحيوان من المطر والنبات والرياح، وما أشبه ذلك مما فيه حياته واستقامة أمره.

وأما إسرافيل فهو الموكل بالنفخ في الصور، إذ به إعادة الناس إلى حياة جديدة بعدها لا موت.

فإذا الجميع يشتركون في أنهم يحيون أو أن معهم أسباب الحياة، ولذلك صاروا سادة الملائكة وأكابر الملائكة عليهم السلام.

هم طبقات يختلفون –يعني في فضلهم– ويختلفون في قربهم من الله – عز وجل –، وأيضا يختلفون في وظائفهم وما وكلوا به.

ولفظ التوكيل –أن الملك موكل– يعني أن الله – عز وجل – أوكل إليه أن يعمل هذا العمل، وذلك لقول الله – عز وجل – {قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم} [السجدة:١١] .

فالله – عز وجل – جعل ملك الموت موكلا بالإنسان، وكل سيد من الملائكة معه كثير من الملائكة يأتمرون بأمره وينتهون عن نهيه ويفعلون ما يأمرهم أميرهم أو قائدهم أو المطاع فيهم.

لهذا صار ملك الموت معه رسل كما قال – عز وجل – {حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون} [الأنعام:٦] في سورة الأنعام، الرسل: يعني الذين هم أعوان ملك الموت، كذلك قوله {ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون} [الواقعة:٨٥] ، يعني ملائكة الموت.

كذلك الله – عز وجل – سمى الملائكة الذين سخرهم بالريح ووكلهم وهم جنود مكائيل عليه السلام سماهم بصفاتهم، فقال – عز وجل – {والمرسلات عرفا} [المرسلات:١] ، وقال {والناشرات نشرا (٣) فالفارقات فرقا} [المرسلات:٣-٤] ، {والصافات صفا} [الصافات:١] ، ونحو ذلك وهؤلاء جنود موكلون.

{المرسلات عرفا} ، {الناشرات نشرا} ، {الفارقات فرقا} قال طائفة من العلماء في التفسير إنها الرياح، وقال طائفة هي الملائكة، من الصحابة ومن التابعين.

والقولان متقاربان لأن الرياح لا تفعل هذه الأشياء من ذات أنفسها؛ بل هي مسوقة، مثل ما ترون اليوم يقولون ما تمليه الأرصاد فيما يرون ويستنتجون وجد منخفض جوي في المكان الفلاني ومرتفع، منخفض في الهند ومرتفع ما أدري إيش، وسبب وجود الرياح مشيها كذا والسحاب مشى كذا.

وهذه كلها في ما يعتقده المؤمن أن الله - عز وجل - هو الذي فعل هذه الأشياء، وأنه أمر الملائكة الموكلين بهذه الأمور أن تفعل هذه الأشياء، ثم الناس ينظرون إلى الأسباب، ينظرون إلى المسببات ولا ينظرون إلى الفعل الحقيقي، فيرون النتيجة، يقولون اتجه بسبب المنخفض.

لكن لماذا حصل المنخفض، كيف حصل؟ ونحو ذلك، لا يعرفون لأنهم عن ربهم معزولون.

إذا الملائكة وكلهم الله - عز وجل - بأمور ملكوته ولم [.....]

حاجة منه - عز وجل - لهم تعالى الله - عز وجل - عن ذلك بل هو الغني.

والملائكة يشرفون بعمل ما يأمرهم به - عز وجل -؛ لكن ليظهر فضلهم ولينشغلوا بعبادة الله - عز وجل - وبامتثال أمره وبخوفه والانتهاء عن نهيه ونحو ذلك من المعاني.

---

(١) مسلم (١٨٤٧) / أبو داود (٧٦٧) / الترمذي (٣٤٢٠) / النسائي (١٦٢٥) / ابن ماجه (١٣٥٧)."

(١)

"وأيضا؛ فإنه يفسد حال الفاعل والمفعول فسادا لا يكاد يرجى بعده صلاح؛ إلا أن يشاء الله بالتوبة النصوح.

وأيضا؛ فإنه يذهب بالمحاسن منهما، ويكسوهما ضدها، كما يذهب بالمودة بينهما، ويبدلهما بها تباغضا، وتلاعنا.

وأيضا؛ فإنه من أكبر أسباب زوال النعم، وحلول النقم؛ فإنه يوجب اللعن، والمقت من الله، وإعراضه عن فاعله، وعدم نظره إليه؛ فأي خير يرجوه بعد هذا؟ وأي شر يأمنه؟ وكيف حياة عبد حلت عليه لعنة الله ومقته؟ وأعرض عنه بوجهه، ولم ينظر إليه؟ !.

وأيضا؛ فإنه يذهب بالحياء جملة، والحياء هو **حياة القلوب**؛ فإن فقدها القلب استحسن القبيح، واستقبح الحسن، وحينئذ فقد استحكم فساده".

---

(١) شرح الطحاوية لصالح آل الشيخ = إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل صالح آل الشيخ ص/٣٠٤

إلى أن قال –رحمه الله– متحدثا عن أضرار اللواط:

"وأيضا؛ فإنه يورث من الوقاحة، والجرأة، ما لا يورثه سواه.

وأيضا فإنه يورث من المهانة، والسفال والحقارة ما لا يورثه غيره.

وأيضا فإنه يكسو العبد حلة المقت، والبغضاء، وازدراء الناس، واحتقارهم إياه، واستصغارهم له ما هو مشاهد بالحس". اهـ.." (١)

"وأصل الولاء الحب وهو عمل قلبي، ينشأ عنه عدد من أعمال القلوب والجوارح كالنصرة والنصح والإعانة وما إلى ذلك، وكذلك الشأن في نقيض الولاء وهو البراء. فمن أصل الإيمان موالاة المؤمنين والبراءة من الكفار، بل إن الولاء والبراء هو الذي يدل على **حياة القلوب**، وشدة تعلقها بالإسلام كما نقل ابن مفلح عن ابن عقيل أنه قال: "إذا أردت أن تعلم محل الإسلام من أهل الزمان، فلا تنظر إلى زحامهم في أبواب الجوامع، ولا ضجيجهم في الموقف بلبيك، وإنما انظر إلى مواطأتهم أعداء الشريعة، عاش ابن الراوندي والمعري عليهما لعائن الله ينظمون وينثرون، هذا يقول حديث خرافة، والمعري يقول:

تلوا باطلا، وجلوا صارما ... ... وقالوا صدقنا، فقلنا نعم

يعني بالباطل: كتاب الله عز وجل، وعاشوا سنين، وعظمت قبورهم، واشتريت تصانيفهم، وهذا يدل على برودة الدين في القلب." (١) وسوف أذكر – تبعا لما في النظم – بعض أنواع موالاة الكفار التي تعد من نواقض الايمان:

نصرة الكفار ضد المسلمين:

وهذا من أشنع ما يقع فيه بعض المنتسبين إلى الإسلام في أعصارنا هذه، وهو أمر ينم عن جهل فظيع بمعنى كلمة " لا إله إلا الله "، والله المستعان.

قال تعالى: {لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء} . يقول الطبري في تفسيرها: " ومعنى ذلك: لا تتخذوا أيها المؤمنون الكفار ظهورا وأنصارا. توالونهم على دينهم، وتظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين، وتدلونهم على عوراتهم، فإنه من يفعل ذلك فليس من الله في شيء، يعني فقد برئ من الله، وبرئ الله منه بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر" (٢) .

---

(١) دروس رمضان محمد بن إبراهيم الحمد ص/٢٢٥

(١) الآداب الشرعية: ١/٢٥٥.

(٢) تفسير الطبري: ٣/٢٢٧.." (١)

"القرآن بالتدبر والتفكر، فإنه جامع لجميع منازل السائرين وأحوال العاملين ومقامات العارفين وهو الذي يورث المحبة والشوق والخوف والرجاء والإنابة والتوكل والرضا والتفويض والشكر والصبر وسائر الأحوال التي بها **حياة القلب** وكماله وكذلك يزجر عن جميع الصفات والأفعال المذمومة التي بها فساد القلب وهلاكه.

فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها، فإذا قرأه بتفكر حتى مر بآية وهو محتاج إليها في شفاء قلبه كررها ولو مائة مرة، ولو ليلة، فقراءة آية بتفكر وتفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم، وأنفع للقلب وأدعى إلى حصول الإيمان وذوق حلاوة القرآن ... "١.

وقال محمد رشيد رضا:"واعلم أن قوة الدين وكمال الإيمان واليقين لا يحصلان إلا بكثرة قراءة القرآن واستماعه مع التدبر بنية الاهتداء به والعمل بأمره ونهيه. فالإيمان الإذعاني الصحيح يزداد ويقوى وينمي وتترتب عليه آثاره من الأعمال الصالحة وترك المعاصي والفساد بقدر تدبر القرآن، وينقص ويضعف على هذه النسبة من ترك تدبره وما آمن أكثر العرب إلا بسماعه وفهمه، ولا فتحوا الأقطار ومصروا الأمصار، واتسع عمرانهم، وعظم سلطانهم، إلا بتأثير هدايته، وما كان الجاحدون المعاندون من زعماء مكة يجاهدون النبي ويصدونه عن تبليغ دعوة ربه إلا بمنعه من قراءة القرآن على الناس، {وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون} ٢.

---

١ مفتاح دار السعادة (ص ٢٠٤) .

٢ سورة فصلت، الآية: ٢٦.." (٢)

"التالي، ومع ذلك لم يخرج عن كونه كلام الله. فالآية شاهد واضح على أن كلام الله أينما توجه يبقى كلامه سبحانه وتعالى. قال أبو حاتم وأبو زرعة الرازيان:"أدركنا العلماء في جميع الأمصار: حجازا وعراقا وشاما ويمنا، فكان من مذهبهم: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، والقرآن كلام الله غير مخلوق بجميع

---

(١) شرح منظومة الإيمان عصام البشير المراكشي ص/١٩١

(٢) زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص/١٨٣

جهاته"١. أي: سواء تلي بالألسن، أو حفظ في الصدور، أو كتب في السطور، أو سمع بالآذان؛ لأن الكلام ينسب لمن قاله ابتداء لا لمن نقله أداء. ولهذا يقول السلف في مثل هذا المقام: الكلام كلام الباري والصوت صوت القاري.

ولهذا قال المصنف مؤكدا على هذا المعنى: " وإنما سمعه من التالي " أي مع سماعه من التالي لا يخرج عن كونه كلام الله.

" وقال الله عز وجل: {يريدون أن يبدلوا كلام الله} " فكلام الله الذي يريدون تبديله كلام مكتوب، فحال كتابته سمي كلام الله.

" وقال عز وجل: {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} " ففي الآية دلالة على أنه كلام منزل، تكلم الله به فوق عرشه في علوه، وسمعه منه جبريل ونزل به إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

" وقال عز وجل: {وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين} " وإنه أي: القرآن، والروح الأمين: هو جبريل، وإنما سمي بالروح لأنه ينزل بالوحي الذي به **حياة القلوب**. ولهذا فإن الوحي كذلك يسمى روحا، كما قال تعالى: {ينزل الملائكة بالروح من أمره} ٢، وقال: {وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا} ٣.

---

١ رواه اللالكائي في شرح الاعتقاد " ١/٧٦ "

٢ الآية ٢ من سورة النحل.

٣ الآية ٥٢ من سورة الشورى.." (١)

"الباب الثاني: جهوده في توضيح بقية أركان ومباحث الإيمان

الفصل الأول: الإيمان بالملائكة والجن

الملائكة والجن من المخلوقات المغيبة، التى لا تراها أعين بني آدم؛ فهم من عالم الغيب.

والملائكة عباد مكرمون خلقهم الله من نور، يسبحون الليل والنهار لا يفترون، لا يعلم عددهم إلا الله، وكلهم الله سبحانه بوظائف وأعمال مختلفة.

قال تعالى في وصفهم: {فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون} ١،

---

(١) تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص/٢٠١

وقال: {لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون} ٢، وقال: {وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر} ٣. وقال صلى الله عليه وسلم: "خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم" ٤.

والإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان؛ لقوله تعالى: {آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته} ٥.

ويجب الإيمان تفصيلا بمن ورد ذكرهم في الكتاب والسنة من الملائكة بأسمائهم وأعمالهم؛ فأعظمهم جبريل الموكل بالوحي الذي به **حياة القلوب**، ينزل به على الأنبياء. وميكائيل الموكل بالقطر والنبات. وإسرافيل الموكل بالنفخ في الصور.

---

١ سورة فصلت، الآية [٣٨] .

٢ سورة التحريم، الآية [٦] .

٣ سورة المدثر، الآية [٣١] .

٤ أخرجه مسلم ٤/٢٢٩٤.

٥ سورة البقرة، الآية [٢٨٥] .." (١)

"وهؤلاء الأوغاد لم يقدروا الشريعة حق قدرها، ولم يعلموا أن مبناها على الحكم ومصالح العباد. في المعاش والمعاد. وأنها عدل الله بين عباده ورحمته بين خلقه. وظله في أرضه وهي نوره الذي به أبصر المبصرون. وهداه الذي به اهتدى المهتدون. وشفاه التام الذي به دواء كل عليل. وطريقه المستقيم الذي من استقام عليه فقد استقام على سواء السبيل. فهي قرة العيون **وحياة القلوب** ولذة الأرواح. فيها الحياة والغذاء والدواء والنور والشفاء والعصمة، وكل خير في الوجود فإنما هو مستفاد منها وحاصل بها. وكل نقص في الوجود فسببه من إضاعتها. ولولا رسوم قد بقيت لخربت الدنيا وطوي العالم.

وهي العصمة للناس وقوام العالم، وبها يمسك الله السماوات والأرض أن تزولا. فإذا أراد الله تبارك وتعالى خراب الدنيا وطي العالم رفع إليه ما بقي من رسومها. فهي عمود العالم وقطب الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة.

---

(١) جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف عبد العزيز بن صالح بن إبراهيم الطويان ١/٣٥٣

والعجب أيضا من قوم لا يرون تمام الترقي إلا في التشبيه بالكفار وعبدة الأصنام لزعمهم أنهم بلغوا من التمدن والترقي مبلغا لم يبلغه غيرهم من الأنام، فإن هؤلاء أيضا قوم لا خلاق لهم قد قصروا نظرهم على النعيم الفاني العاجل. ونسوا النعيم المقيم الآجل. فهم أشبه بالأنعام. بل هم أضل وإن لبسوا ثياب الأنام. دينهم وديدنهم تقليد أولئك والتزيي بزيهم والاحتذاء بهم في أقوالهم وأفعالهم ومطاعمهم ومشارحهم وملابسهم فلهم في أولئك الأسوة التامة، لا في رسوله الله صلى الله عليه وسلم فهم ليسوا ممن يرجو الله واليوم الآخر. وهذا مصداق قوله صلى الله عليه وسلم الثابت من طرق في الصحيح: "لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى." (١)

"إلى الطعام والشراب والدواء، إذ قصارى نقص ذلك أو عدمه تلف الأبدان، أما الرسالة ففيها **حياة القلوب** والأديان، بل الرسالة ضرورية في إصلاح العبد في معاشه ومعاده، فكما أنه لا صلاح له في آخرته إلا باتباع الرسالة، فكذلك لا صلاح له في معاشه ودنياه إلا باتباع الرسالة، كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (١)

أرسل الله الرسل، وجعلهم بشرا من أقوام المرسل إليهم، وبلسانهم؛ ليبينوا لهم الدين الحق: {وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم} (٢)

وكل أمة بعث فيها رسول، قال - عز وجل -:

(١) انظر [مجموع الفتاوى] لشيخ الإسلام ابن تيمية - جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد (١٩ \ ٩٩)

(٢) سورة إبراهيم الآية ٤." (٢)

"وقال المجلسي -أحد مصنفيهم: "هلك الناس كلهم بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم إلا ثلاثة أبو ذر والمقداد وسلمان"١.

وقال الطوسي -من علمائهم: "عندنا أن من حارب أمير المؤمنين؛ فهو كافر والدليل على ذلك إجماع الفرقة المحقة "بزعمه" الإمامة على ذلك"٢.

(١) تحذير أهل الأيمان عن الحكم بغير ما أنزل الرحمن الإسعردي، إسماعيل ص/٤٨

(٢) حقيقة شهادة أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ ص/١٣

ولعلك تحسن الظن بالقوم فتحسب أن هذا متقدميهم، وأن المعاصرين منهم ليسوا على ذلك، وكم هو محبب إلينا أن يكون كما تظن، أو تحسب وأن يكون متأخروا القوم أرشد من أسلافهم؛ ولكن الحقيقة لا تدع للظن مكانا، وقد ورث المعاصرون تركه السالفين منهم وعضوا عليها بالنواجذ، فها هو زعيم العصر فيهم إمامهم وآيتهم العظمى "خميني" يصرح بكفر الصحابة؛ فيكفر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فيقول: "وقد جاء في "صحيح البخاري"، و"مسلم" و"مسند أحمد" أن ابن عباس كان يبكي ويقول: يوم الخميس وما أدراك ما يوم الخميس؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ائتوني بورق ودواة لأكتب لكم شيئا حتى لا تضلوا"، فقالوا: إن النبي يهذي.

قال: وتشير كتب التاريخ أن هذا الكفر صدر عن عمر بن الخطاب، وأن البعض قد أيده في ذلك ولم يسمحوا للنبي بأن يكتب ما يريده"٣.

وقال في موضع آخر في نفس الموضوع: "وأغمص -أي: الرسول صلى الله عليه وسلم- عينيه، وفي أذنيه كلمات ابن الخطاب القائمة على الفرية، والنابعة أعمال الكفر والزندقة"٤.

---

١ حياة القلوب. له فارسي ٢/ ٦٤٠، اقتبسه إحسان إلهي ظهير، المصدر السابق ص ٤٦.

٢ انظر: عبد الله شبر، حق اليقين ٢/ ٢٧٦.

٣ انظر: كشف الأسرار ص ١٧٥- ١٧٦.

٤ انظر: كشف الأسرار ص ١٣٧.." (١)

"وفي قوله تعالى: " مثل نوره " وهي أن أصل الإيمان يكون من الله عندما يشرح صدر عبده المؤمن للإسلام ويجعل له نورا فيبدأ به النور والحياة وقد شبه العلم المستفاد من الوحي الواصل للقلب بالزيت الجيد، فاستدامة النور وقوته وسلامته وتنامي حياة القلب إنما تكون بالعلم بالكتاب والسنة والعمل به، فهي غذاؤه ومادة حياته (١).

. إن ضياء النار يحتاج في دوامه إلى مادة تحمله، وتلك المادة للضياء بمنزلة غذاء الحيوان فكذلك نور الإيمان يحتاج إلى مادة من العلم النافع والعمل الصالح يقوم بها ويدوم بدوامها، فإذا ذهبت مادة الإيمان طفئ كما تطفأ النار بفراغ مادتها (٢).

---

(١) وسطية أهل السنة بين الفرق محمد باكريم محمد با عبد الله ص/٤١٠

. إن المثل دل على أن الإيمان يزيد وينقص يزيد بزيادة العلم الواصل للقلب المستفاد من نور الكتاب والسنة كما ينقص بنقصه ومأخذ ذلك من المثل هو تشبيه العلم الذي يمد القلب بالمعارف والحقائق الإيمانية بالزيت الذي يمد المصباح بالوقود وكون المصباح يزيد ضوؤه ويصفو بزيادة الزيت وجودته والمؤمنون يتفاوتون بقوة النور الكائن في قلوبهم بحسب ما عندهم من العلم والإيمان وأكمل المؤمنين نورا هو النبي صلى الله عليه وسلم لكمال علمه وإيمانه.

. إن المثل دل على أن النور الذي يجعله الله في قلوب المؤمنين نور حقيقي، ومأخذ ذلك هو تشبيه ذلك النور الذي يعلم معناه ولا تعتقل كيفيته بنور المصباح المحسوس فالتشبيه بالمحسوس يؤكد وجوده وحقيقته (٣).

---

(١) المصدر نفسه صـ٢٠، الأمثال القرآنية (١/ ٣٦٠).

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية صـ٢٠.

(٣) الأمثال القرآنية (١/ ٣٧٠ـ٣٧٥).." (١)

". في قوله " نور على نور " دل على أن نور القرآن والسنة والعلم المستفاد منهما يغذي نور الإيمان، ويزيده ويقويه وفي قوله: " ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور " دليل على أن النورين من الله، نور الإيمان الذي يقذف في القلب ونور العلم الذي طريقه الوحي، فمن هدى إلى الأول واهتدى بالثاني فقد أعطاه الله نورا تاما ومن أخطأه الله فليس له من نور بل هو في طريق من طرق الضلال سائر في الظلمات (١).

٣. روح الإيمان: قال تعالى: " وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم " (الشورى، آية:٥٢). فسمى وحيه روحا لما يحصل به من **حياة القلوب** والأرواح التي هي الحياة في الحقيقة ومن عدمها فهو ميت لا حي .. وسماه نورا لما يحصل به من استنارة القلوب وإضاءتها وكمال الروح بهاتين الصفتين بالحياة والنور، ولا سبيل إليهما إلا على أيدي الرسل صلوات الله وسلامه عليهم والإهتداء بما بعثوا به، وتلقي العلم النافع والعمل الصالح من مشكاتهم وإلا فالروح ميتة مظلمة وإن كان العبد مشارا إليه بالزهد والفقه والفضيلة

---

(١) الإيمان بالله جل جلاله علي محمد الصلابي ص/١٧٩

والكلام في البحوث، فإن الحياة والإستنارة بالروح الذي أوحاه الله تعالى إلى رسوله صلى الله عليه وسلم وجعله نورا يهدى به من يشاء من عباده فليس العلم كثرة النقل والبحث والكلام ولكن نور يميز به صحيح الأقوال من سقيمها وحقها من باطلها، وما هو من مشكاة النبوة مما هو من آراء الرجال (٢).

---

(١) الأمثال القرآنية (١/ ٤٢٠).

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة صـ٢٤.." [1]

"حديثا (١) .

وهذا الكتاب مع أنه مجرد جمع وترتيب.. لأصولهم الأربعة السالفة إلا أن الشيعة جعلوه أصلا من أصولهم في الحديث.. وهو باب من أبواب الدعاية المذهبية، كمسألة تكثير الأحاديث التي هي في معظمها مجرد روايات يروونها عن أئمتهم الإثني عشر ليس فيها ما يسند مباشرة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا النادر..

وفي القرون الأخيرة ألف بعض شيوخ الشيعة مصنفات هي عبارة عن تجميع لكتب زعموا أن متقدمي شيوخهم لم يعرفوها فجمعوها في مؤلفات كبيرة، ومع أن تلك المدونات متأخرة (في القرن الحادي عشر فما بعد) إلا أنهم جعلوها من أصولهم في الحديث!!

وهذه المدونات المتأخرة ثلاثة هي:

١- «بحار الأنوار الجامعة لدر أخبار الأئمة الأطهار» :

لشيخهم محمد باقر المجلسي (٢) (ت ١١١٠ أو ١١١١) . قال شيخهم أغابزرك الطهراني عن هذا «البحار» : لم يكتب قبله ولا بعده جامع مثله، لاشتماله مع جمع الأخبار على تحقيقات دقيقة، وبيانات وشروح لها غالبا لا توجد في غيره، وقال: (قد صار «بحار الأنوار» مصدرا لكل من طلب بابا من أبواب علوم آل محمد صلى الله عليه

---

(١) «أعيان الشيعة» : (١/٢٨٠) .

(٢) محمد باقر بن محمد تقي بن المقصود علي الملقب بالمجلسي، وصفوه بـ (شيخ الإسلام والمسلمين

---

(١) الإيمان بالله جل جلاله علي محمد الصلابي ص/١٨١

خاتمة المجتهدين.. إلى آخر أوصافهم له) مع أن كتبه مليئة بالكفر، والزندقة والإلحاد.. من كتبه: «مرآة العقول» ، «**حياة القلوب**» وغيرهما. توفي سنة ١١١٠، أو ١١١١. انظر: «جامع الرواة» : (٢/٧٨) ، مقدمة «البحار» ، «لؤلؤة البحرين» : (ص ٥٥- ٥٩) .." (١)

"تحصل به **حياة القلوب** والأرواح أعظم من اقتضائها لما تحصل به حياة الأبدان والأشباح لكن المحجوبون إنما أدركوا من هذا الاسم حظ البهائم وأدرك منه أولو الألباب أمرا وراء ذلك"١.

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن الله ـ تعالى ـ موصوف بالرحمة والمغفرة.

فقد روى الإمام مسلم في صحيحه بإسناده إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبي فإذا امرأة من السبي تبتغي إذ وجدت صبيا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته. فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار"؟ قلنا: لا. والله وهي تقدر على أن لا تطرحه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لله أرحم بعباده من هذه بولدها" ٢.

ومما جاء عنه صلى الله عليه وسلم في شأن ثبوت صفة المغفرة لله ـ جل وعلا ـ الحديث القدسي الذي رواه أبو هريرة رضي الله ـ تعالى ـ عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه ـ عز وجل ـ قال: "أذنب عبدي ذنبا فقال: اللهم اغفر لي ذنبي فقال ـ تبارك وتعالى ـ أذنب عبدي عبدي ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أي ربي أغفر لي ذنبي فقال ـ تبارك وتعالى ـ أذنب عبدي ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب إعمل ما شئت فقد غفرت لك" ٣.

فهذان الحديثان دلا على أنه ـ تعالى ـ موصوف حقيقة بصفتي الرحمة والمغفرة كما يليق بذاته ـ جل وعلا ـ كما يقال في سائر الصفات: فالله ـ تعالى ـ هو الذي يتطلب منه المغفرة للذنوب، والرحمة للخلق فما دام العباد منيبين إليه قارعين بابه فإنه يتوب عليهم ويرحمهم برحمته التي وسعت كل شيء، والذي يتضح من الآيات والأحاديث المتقدمة التي سقناها أدلة على أن الله ـ تعالى ـ موصوف بصفتي الرحمة والمغفرة أن الرحمة تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: رحمة عامة يشترك فيها المسلم والكافر، والبر والفاجر والبهائم وسائر الخلق دل على هذا القسم قوله تعالى: {ورحمتي وسعت كل شيء} ٤.

---

(١) مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة ناصر القفاري ٢٧٤/١

١- مدارج السالكين ١/٨، والتفسير القيم ص٧ ـ ٩.

٢- صحيح مسلم ٤/٢١٠٩.

٣- المصدر السابق ٤/٢١١٢.

٤- سورة الأعراف، آية: ١٥٦.." (١)

"صاغرين، وهذا وعيد شديد لمن استكبر عن دعاء الله، وفيه لطف بعباده عظيم، وإحسان إليهم جليل حيث توعد من ترك طلب الخير منه واستدفاع الشر به بهذا الوعيد البالغ، وعاقبه بهذه العقوبة العظيمة، فيا عباد الله وجهوا رغباتكم، وعولوا في كل طلباتكم على من أمركم بتوجيهها إليه، وأرشدكم إلى التعويل عليه، وكفل لكم الإجابة به بإعطاء الطلبة، فهو الكريم المطلق الذي يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، ويغضب على من لم يطلب من فضله العظيم وملكه الواسع ما يحتاجه من أمور الدنيا والدين٢.

أقول: ومن ثم فإن اسم (الحي) - وهو من أسماء الله تعالى الحسنى - يتضمن معنى تفرد الله - عز وجل - بالبقاء الدائم الذي لا فناء معه على الإطلاق، فمن علم أنه هكذا، وأنه يتضمن جميع صفات الكمال الذاتية، وآمن أن الله تعالى وحده هو مصدر كل حياة؛ فإنه لابد أن يجعل اللجأ إليه وحده سبحانه، ضارعا إليه أن يرزقه الحياة الطيبة التي يحس فيها بسعادة العيش، حياة الجسم المعافى من كل داء، **وحياة القلب** المعافى من كل سوء.." (٢)

"١- عالم بالله ليس عالما بأمر الله.

٢- عالم بأمر الله ليس عالما بالله.

٣- عالم بالله وبأمر الله.

فالعالم بالله: الذي يخشى الله، والعالم بأمر الله: الذي يعرف الحلال والحرام"١.

سابعا: العلم بأسماء الله وصفاته هو **حياة القلوب:**

فلا حياة للقلوب ولا نعيم ولا سرور ولا أمان ولا طمأنينة إلا بأن تعرف ربها ومعبودها وفاطرها ويكون أحب إليها مما سواه، والإنسان بدون الإيمان بالله لا يمكنه أن ينال معرفة ولا هداية، وبدون اهتدائه إلى ربه لا

(١) مباحث العقيدة في سورة الزمر ناصر بن علي عائض حسن الشيخ ص/١٢٥

(٢) مفهوم الأسماء والصفات سعد بن عبد الرحمن ندا ٤٧ - ٤٨/٥٩

يكون إلا شقيا معذبا كما هو حال الكافرين.

فالله تبارك خلق هذا الإنسان وركبه من الجسد والروح وشاء أن يكون خلق الجسد من التراب، قال تعالى: {فإنا خلقناكم من تراب} ٢ وجعل قوام الجسد وحياته من التراب، فهو يأكل ويشرب ويكتسي من الأرض وما فيها، وجعل في هذا الجسد الروح، قال تعالى: {فإذا سويته ونفخت فيه من روحي} ٣ وشاء أن يكون قوام هذه الروح وحياتها في معرفة الله وعبادته، فلا شيء أطيب للعبد ولا ألذ ولا أهنأ ولا أنعم لقلبه وعيشه من محبة فاطره وباريه ودوام ذكره والسعي في مرضاته، لذلك فإن من في قلبه أدنى حياة أو محبة لربه وإرادة لوجهه وشوق إلى لقائه، فطلبه لهذا الباب وحرصه على معرفته وازدياده من التبصر فيه، وسؤاله واستكشافه عنه هو أكبر مقاصده وأعظم مطالبه وأجل غاياته، فهذا هو

---

١ مجموع الفتاوى ٣٣٣/٣ بتصرف بسير.

٢ الآية ٥ من سورة الحج.

٣ الآية ٢٩ من سورة الحجر.." (١)

---

(١) معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات محمد بن خليفة التميمي ص/٢١